

الكلام
في التفسير
لابن كثير

الكامل في التاريخ

تأليف

الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف

بابن الأثير



المجلد الثالث

دار بيروت
للطباعة والنشر

دار صادر
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٥ - ١٩٦٥ م

131635

لهو الاله الرحيم المرحوم

٢١

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

ذكر وقعة نهاوند

قيل : فيها كانت وقعة نهاوند ، وقيل : كانت سنة ثمانى عشرة ، وقيل سنة تسع عشرة .

وكان الذي هبج أمر نهاوند أن المسلمين لما خلصوا جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الأهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو عمرو فحركوه ، وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان ، فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا إلى نهاوند ، ولما وصلها أوائلهم بلغ سعداً الخبر ، فكتب إلى عمر ، وثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه ، ولم يشغلهم ما نزل بالناس ، وكان ممن تحرك في أمره الجراح بن سينان الأسدي في نفر . فقال لهم عمر : والله ما يمنعني ما نزل بكم من النظر فيما لديكم . فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للفرس ، وكان محمد صاحب العمال يقتصر آثار من شكاً زمان عمر ، فطاف

1) B. ييل

بسعدٍ على أهل الكوفة يسأل عنه ، فما سأل عنه جماعةٌ إلاّ أثنوا عليه خيراً
سوى من مالا الجراح الأسديّ ، فإنّهم سكتوا ولم يقولوا سوءاً ولا يسوغ لهم ،
حتى انتهى^١ إلى بني عبس فسألهم ، فقال أسامة بن قتادة : اللهمّ إنّه لا يقسم
بالسوية ، ولا يعدل في القضية ، ولا يغزو في السرية . فقال سعد : اللهمّ إن
كان قالها رياءً وكذباً وسمعة فأعم بصره ، وأكثر عياله ، وعرضه لمضلات
الفتن . فعمي ، واجتمع عنده عشر بنات ، وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها ،
فإذا عثر عليه^٢ قال : دعوة سعد الرجل المبارك . ثمّ دعا سعد على أولئك النفر
فقال : اللهمّ إن كانوا خرجوا أشراً وبطراً ورياء فاجهد بلادهم . فجهدوا ،
وقُطع^٣ الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن عليّ ، عليه السلام ، ليقتاله^٤
بسباط ، وشُدخ قبيصة بالحجارة ، وقتل أربد بالوج^٥ ونعال^٦ السيوف .
وقال سعد : إنّي أول رجلٍ أهرق دماً من المشركين . ولقد جمع لي
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . أبويه وما جمعهما لأحدٍ قبلي . ولقد
رأيتني خمس الإسلام ، وبنو أسد تزعم أنّي لا أحسن أصلي وأن الصيد يلهمني .
وخرج محمد بسعد وبهم معه إلى المدينة فقدموا على عمر فأخبروه الخبر فقال :
كيف تصلّي يا سعد ؟ قال : أطيل الأولين وأحذف الآخرين^٧ . فقال :

1) B. انتهوا . 2) C. P. بالوحي . 3) B. تفل ; C. P. تمال .

4) Codd. الاخرتين . . . الأولتين . Vid. Bokhâri, I, p. 109 sqq.

١ انتهوا .

٢ فإذا عبر عليها .

٣ فجهد واقطع .

٤ وقيل ارتد بالوحي .

هكذا الظنُّ بك يا أبا إسحق ولولا الاحتياط لكان سيئهم بيتاً . وقال : من خليفتك يا سعد على الكوفة ؟ فقال : عبد الله [بن عبد الله] بن عتبان . فأقره . فكان سبب نهاوند وبعثها زمن سعد .

وأما الواقعةُ فهي زمن عبد الله ، فنشرت الأعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان في خمسين ألفاً ومائة ألف مقاتل ، وكان سعد كتب إلى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه وقال له : إن أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح وأن يبدؤوهم بالشدة ليكون أهيب لهم على عدوهم .

فجمع عمرُ الناسَ واستشارهم ، وقال لهم : هذا يوم له ما بعده ، وقد هممتُ أن أسير فيمن قبلي¹ ومن قدرت عليه فأنزله منزلاً وسطاً بين هذين المصريين ثم أستنفرهم وأكون لهم رداءً حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب ، فإن فتح الله عليهم صبتهم في بلدانهم .

فقال طلحة بن عبيد الله : يا أمير المؤمنين قد أحكمتك الأمور ، وعجمتك¹ البلايل ، واحتنكتك التجارب ، وأنت وشأنك ورأيك ، لا ننبو في يديك ولا نكل عليك² ، إليك هذا الأمر ، فمرنا نطبع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد ، فإنك وليّ هذا الأمر ، وقد بلوت وجربت واحتربت² فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيارهم³ . ثم جلس .

فعاد عمر ، فقام عثمان فقال : أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم ، وإلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ، ثم تسير

1) B. عجنتك .

2) B. واختبرت .

3) B. أخبارهم .

١ قبل لي .

٢ ولا ينبو في يديك ولا بكلّ عليك .

أنت بأهل الحرمين إلى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ،
فإنك إذا سرت قلّ عندك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنّت أعزّ عزّاً وأكثر .
يا أمير المؤمنين ، إنك لا تستبقي بعد نفسك من العرب باقية ، ولا تمتع من الدنيا
بعزيز ، ولا تلوذ منها بحريز . إن هذا يوم له ما بعده من الأيام ، فاشهده برأيك
وأعوانك ولا تغب عنه . وجلس .

فعاد [عمر] فقام إليه عليّ بن أبي طالب فقال : أمّا بعدُ يا أمير المؤمنين فإنك
إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الرومُ إلى ذراريهم ، وإن أشخصت
أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإنك إن شخصت من هذه
الأرض انتقضت عليك العربُ من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك
أهمّ إليك ممّا بين يديك من العورات والغيبالات ، أقرّر هؤلاء في أمصارهم
واكتب إلى أهل البصرة فليفرّقوا ثلاث فرّق : فرقة في حرّمهم وذراريهم ،
وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ، ولتسير فرقة إلى إخوانهم بالكوفة
مددًا لهم ؛ إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا : هذا أمير المؤمنين أمير
العرب وأصلها ، فكان ذلك أشدّ لكآبهم عليك . وأمّا ما ذكرت من مسير
القوم فإنّ الله هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأمّا
عددكم فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر .

فقال عمر : هذا هو الرأي ، كنت أحبّ أن أتابع عليه ، فأشيروا
عليّ برجل أوليه .

وقيل : إن طلحة وعثمان وغيرهما أشاروا عليه بالمقام . والله أعلم .

فلما قال عمر : أشيروا عليّ برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقياً ، قالوا :
أنت أعلم بجنّدك وقد وفدوا عليك . فقال : والله لأولين أمرهم رجلاً يكون

أول الأسيئة^١ إذا لقيها غداً . فقيل : مَنْ هو ؟ فقال : هو النعمان بن مقرن المزني . فقالوا : هو لها .

وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جُنْدِيسَابُور والسُّوس . فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى ماہ لتجتمع الجيوش عليه ، فإذا اجتمعوا إليه سار بهم إلى الفيرزان ومن معه . وقيل بل كان النعمان بِكَسْكَر . فكتب إلى عمر يسأله أن يعزله ويبعثه إلى جيش من المسلمين . فكتب إليه عمر يأمره بنهاوند ، فسار .

فكتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان كذا وكذا ويجمعوا عليه بماه . فندب الناس . فكان أسرعهم إلى ذلك الروادف^٢ ليلوا في الدين ولیدركوا حظاً .

فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن حتى قدموا على النعمان ، وتقدم عمر إلى الجند الذين كانوا بالأهواز ليشغلوا فارساً عن المسلمين وعليهم المقرب وحرملة وزر ، فأقاموا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا أمداد فارس عن أهل نهاوند ، واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان وابن عمر وجرير بن عبد الله البجلي والمغيرة ابن شعبة وغيرهم ، فأرسل النعمان طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب وعمرو ابن ثني ، وهو ابن أبي سلمى ، ليأتوه بخبرهم . وخرجوا وساروا يوماً إلى الليل ؛ فرجع إليه عمرو بن ثني ، فقالوا : ما رجعتك ؟ فقال : لم أكن في أرض العجم ، وقتلت أرضاً جاهلها وقتل أرضاً عالمها^٣ . ومضى طليحة وعمرو

١ ليكونن أولى الأسيئة .

٢ الروادف .

٣ وقتل أرض جاهلها وقيل أرض عالمها .

ابن معديكرب . فلما كان آخر الليل رجع عمرو ، فقالوا : ما رجعتك ؟ قال :
سيرنا يوماً وليلةً ولم نرَ شيئاً فرجعتُ . ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند .
وبين موضع المسلمين الذي هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً . فقال الناسُ :
ارتدت طليحة الثانية . فعلم كلام¹ القوم ورجع . فلما رأوه كبروا . فقال :
ما شأنكم ؟ فأعلموه بالذي خافوا عليه . فقال : والله لو لم يكن دين إلاّ العربيّ
ما كنت لأجزر العجم الطماطم هذه العرب العاربة² . فأعلم النعمان أنه ليس
بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد .

فرحل النعمان وعبي أصحابه ، وهم ثلاثون ألفاً ، فجعل على مقدمته نعيم
ابن مقرن وعلى مُجَنَّبَتِيَه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن ، وعلى المجرّدة
القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود . وقد توافت إليه أمدادُ المدينة
فيهم المغيرة بن شعبة ، فانتهوا إلى إسبيذهان والفرس وقوف على تعبيتهم ،
وأمرهم الفيرزان وعلى مُجَنَّبَتِيَه الزردق³ وبهمن جاذويّه الذي جعل مكان
ذي الحاجب . وقد توافى إليهم الأمدادُ بنهاوند كلّ من غاب عن القادسية
ليسوا بدونهم ، فلما رأهم النعمان كبر وكبر معه الناس فتزلزلت الأعاجمُ
وحطّت العرب الأثقالَ وضُرب فسطاطُ النعمان ، فابتدر أشراف الكوفة
فضربوه ، منهم : حذيفة بن اليمان ، وعقبة بن عامر ، والمغيرة بن شعبة ، وبشير
ابن الحصاصية ، وحنظلة الكاتب ، وجريير بن عبد الله البجليّ ، والأشعث
ابن قيس ، وسعيد بن قيس الهمداني ، ووائل بن حُجر وغيرهم . فلم يُرَ بِنَاءُ
فسطاط بالعراق كهؤلاء .

1) Codd. علم .

2) العربية . C. P.

3) B. الزرق .

١ ما كنت لأحرز العجم الطماطم هذه العرب العادية .

وأنشب النعمان القتالَ بعد حطّ الأثقال ، فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجالٌ وإنتهم انمحجروا^١ في خنادقهم يوم الجمعة ، وحصرهم المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء الله ، والفرس بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج ، فخاف المسلمون أن يطول أمرهم ، حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمّع أهلُ الرأي من المسلمين وقالوا : نراهم علينا بالخيار . وأتوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروي في الذي روي فيه فأخبروه ، فبعث إلى من بقي من أهل النجدات والرأي فأحضرهم ، فتكلّم النعمان فقال : قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وأنهم لا يخرجون إلينا إلا إذا شاؤوا ولا يقدر المسلمون على إخراجهم ، وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق ، فما الرأي الذي به نستخرجهم إلى المناجزة وترك التطويل ؟

فتكلّم عمرو بن ثبي ، وكان أكبر الناس ، وكانوا يتكلّمون على الأسنان ، فقال : التحصن عليهم أشدّ من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من أتاك منهم . فردوا عليه رأيه .

وتكلّم عمرو بن معديكرب فقال : ناهدّم وكابّرهم ولا تخفهم ، فردّوا جميعاً عليه رأيه وقالوا : إنّما يناطح بنا الجدران وهي أعوان علينا .

وقال طليحة : أرى أن نبعث خيلاً لينشبوا القتال فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطراداً فإننا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم ، فإذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب .

فأمر [النعمان] القعقاع بن عمرو ، وكان على المجرّدة ، فأنشب القتال ،

١ انمحجروا .

٢ يجمع .

فأخرجهم من خنادقهم كأنهم جبال حديد قد توائقوا أن لا يفروا ، وقد قرن بعضهم بعضاً كل سبعة في قران وألقوا حسك الحديد خلفهم لثلاثاً يهزموا . فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الأعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا : هي هي ، فلم يبق أحد إلا من يقوم على الأبواب وركبهم . ولحق القعقاع بالناس ، وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبئة في يوم جمعة صدر النهار ، وقد عهد النعمان إلى الناس عهده وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، ففعلوا واستروا بالحجف من الرمي ، وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفسوا فيهم الجراح .

وشكا بعض الناس وقالوا للنعمان : ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم ؟ ائذن للناس في قتالهم . فقال : رويداً رويداً . وانتظر النعمان بالقتال أحب الساعات كانت إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يلقي العدو فيها وذلك عند الزوال ، فلما كان قريباً من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر ، وقال لهم : إنني مكبر ثلاثاً فإذا كبرت الثالثة فإني حامل فاحملوا ، وإن قُلتُ فالأمير بعدي حذيفة ، فإن قُتل ففلان ، حتى عدت سبعة آخرهم المغيرة . ثم قال : اللهم أعزز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك .

وقيل : بل قال : اللهم إنني أسألك أن تُقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام واقبضني شهيداً . فبكى الناس . ورجع إلى موقفه فكبر ثلاثاً والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال ، وحمل النعمان والناس معه وانقضت آيته انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة ، فاقتلوا قتالاً

شديداً لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشدّ منها^١ ، وما كان يُسمع إلاّ وقع الحديد ، وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً ، وانهمز الأعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والإعتام ما طبّق أرض المعركة دماً يُزلق الناس والدواب .

فلما أقرّ الله عينَ النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيداً ، زلق به فرسه فصُرع . وقيل : بل رُمي بسهم في خاصرته فقتله ، فسجّاه أخوه نُعيم بثوب ، وأخذ الراية وناولها حذيفة ، فأخذها وتقدم إلى موضع النعمان وترك نُعيماً مكانه . وقال لهم المغيرة : اكموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم لثلاثين إنساناً . فاقتلوا . فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدُهم فتركوه وأخذوا نحو اللّهب الذي كانوا دونه بأسبيذهان فوقعوا^١ فيه ، فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعضهم في قياد واحد فيقتلون جميعاً ، وجعل يعقرهم حسلهم الحديد . فمات منهم في اللّهب مائة ألف أو يزيدون سوى من قُتل في المعركة .

وقيل : قُتل في اللهب ثمانون ألفاً وفي المعركة ثلاثون ألفاً سوى من قتل في الطلب ، ولم يفلت إلاّ الشريد ، ونجا الفيرزان من بين الصرعى^٢ فهرب نحو همدان ، فاتبعه نُعيم بن مقرن ، وقدم القعقاع قدامه فأدركه بثنية همدان ، وهي إذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلاً ، فحبسه الدواب على أجله . فلما لم يجد طريقاً نزل عن دابته وصعد في الجبل ، فتبعه القعقاع راجلاً

1) Hic longior in B. incipit lacuna.

١ كانوا درنه فوقعوا .

٢ من الصرعى .

فأدركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا : إنَّ لله جنوداً من عسل . واستاقوا العسل وما معه من الأحمال . وسميت الثنية ثنية العسل .

ودخل المشركون همدان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا ما حولها . فلما رأى ذلك خُسْرَوْشْنُوم^١ استأمنهم ، ولما تمَّ الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن ، فقال لهم أخوه معقل : هذا أميركم قد أقرَّ الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة .

ودخل المسلمون نهاوند يوم الواقعة بعد الهزيمة واحتروا ما فيها من الأمتعة وغيرها وما حولها من الأسلاب والأثاث وجمعوا إلى صاحب الأقباض السائب ابن الأقرع . وانتظر من نهاوند ما يأتيهم من إخوانهم الذين على همدان مع القعقاع ونعيم ، فأتاهم الهيربذ صاحب بيت النار على أمان ، فأبلغ حذيفة ، فقال : أتؤمنني ومن شئتُ على أن أخرج لك ذخيرةً لكسرى تركت عندي لنواب الزمان ؟ قال : نعم . فأحضر جوهراً نفيساً في سَفَطَيْنِ ، فأرسلهما مع الأخماس إلى عمر . وكان حذيفة قد نفل منها وأرسل الباقي مع السائب ابن الأقرع الثقفي ، وكان كاتباً حاسباً ، أرسله عمر إليهم وقال له : إن فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فينتهم وخذ الخمس ، وإن هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الأرض خيراً من ظهرها .

قال السائب : فلما فتح الله على المسلمين وأحضر الفارسي السفطين اللذين أودعهما عنده النخيزجان^١ فإذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت ، فلما فرغت

1) Br. Mus. h. l. النخيزجان in qua lectione forte latet, quod cl. De Goeje (al-Beladsori p. ٢٦٢) legendum proposuit.

من القسمة احتملتها معي وقدمتُ على عمر ، وكان قد قدر الواقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الأخبار ، فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع إلى المدينة ليلاً ، فمرّ به راكب فسأله : من أين أقبل ؟ فقال : من نهاوند، وأخبره بالفتح وقتل النعمان ، فلما أصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الواقعة ، فبلغ الخبر عمر فسأله فأخبره ، فقال : ذلك بريد الجنّ .

ثمّ قدم البريد بعد ذلك فأخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان . قال السائب : فخرج عمر من الغد يتوقع الأخبار . قال : فأتيته فقال : ما وراءك ؟ فقلتُ : خيراً يا أمير المؤمنين ، فتح الله عليك وأعظم الفتح ، واستشهد النعمان بن مقرن . فقال عمر : إنّا لله وإنّا إليه راجعون . ثمّ بكى فنشج حتى باتت فروع كتفيه فوق كتفيه^١ . قال : فلما رأيتُ ذلك وما لقيتُ قلتُ : يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يُعرف وجهه . فقال : أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم ، وما يصنع أولئك بمعرفة عمر ! ثمّ أخبرته بالسفطين فقال : أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق يجندك . قال : ففعلتُ وخرجتُ سريعاً إلى الكوفة .

وبات عمر ، فلما أصبح بعث في أثري رسولاً فما أدركني حتى دخلتُ الكوفة فأنختُ بعيري وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري فقال : الحقُّ بأمر المؤمنين ، فقد بعثني في طلبك فلم أقدر عليك إلاّ الآن . قال : فركبتُ معه فقدمتُ على عمر ، فلما رأني قال : إليّ وما لي وللسائب ! قلتُ : ولماذا ؟ قال : ويحك والله ما هو . إلاّ أن نمتُ^١ الليلة التي خرجتُ فيها فباتت الملائكة

1) Br. Mus. الان امت .

١ فروع كتفيه فوق كبده : (الكند : مجتمع الكتفين من الإنسان) .

تستحبني إلى السفطين يشتعلان ناراً فيقولون : لنكوينك بهما ، فأقول : إنني سأقسمهما بين المسلمين . فخذهما عني فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم . قال : فخرجتُ بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة ، فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف درهم ، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف ، فما زال أكثر أهل الكوفة مالا . وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين .

. ولما قدم سبيُ نهاوند المدينة جعل أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال له : أكل عمرُ كبدي ! وكان من نهاوند فأسرته الروم وأسرهم المسلمون من الروم فنُسب إلى حيث سبي . وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لأنه لم يكن للفرس بعده اجتماع . وملك المسلمون بلادهم .

ذكر فتح الدينور والصيامة وغيرهما

لما انصرف أبو موسى من نهاوند ، وكان قد جاء مدداً على بعث أهل البصرة ، فمرّ بالدينور فأقام عليها خمسة أيام وصالحه أهلها على الجزية ومضى فصالحه أهلُ سيراوان على مثل صلحهم ، وبعث السائب بن الأقرع الثقفي إلى الصيامة مدينة مِهْرَجَان قَدْ قُفِّفَتْ فَفَتَحَهَا صَلْحاً ، وقيل : إنه وجه السائب من الأهواز ففتح ولاية مِهْرَجَان قَدْ قُفِّفَتْ .

ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما

لما انهزم المشركون دخل من سليم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو . فلما رأى ذلك خسروشنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على أن يضمن منهم همذان ودستبى وألا يؤتى المسلمون منهم ، فأجابوه إلى ذلك وآمنوه ومن معه من الفرس ، وأقبل كل من كان هرب ، وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها ونزول نعيم والقعقاع بها ، فاقتدوا بخسروشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا وأجمعوا على القبول وأجمعوا على إتيان حذيفة ، فخدعهم دينار وهو أحد أولئك الملوك ، وكان أشرفهم قارن ، وقال : لا تلقوهم في جمالكم ، ففعلوا ، وخالفهم فاتاهم في الديباج والحلى فأعطاهم حاجتهم ، واحتمل المسلمون ما أرادوا وعاقدوه عليهم ، ولم يجد الآخرون بذاً من متابعتة والدخول في أمره ، فقبل ماه دينار لذلك . وكان النعمان بن مقرن قد عاقد بهراذان^١ على مثل ذلك فنسب إلى بهراذان^٢ ، وكان قد وكل النسير بن ثور بقلعة قد لجأ إليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنسبت إلى النسير وهو تصغير نسر .

قيل : دخل دينار الكوفة أيام معاوية فقال : يا أهل الكوفة إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان ، ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع : بخل ، وخب ، وغدر ، وضيق ، ولم يكن فيكم واحدة منهن ، وقد رمقتكم فرأيت ذلك في مولديكم فعلمت من أين أتيتم ، فإذا الحب من قبل النبط ، والبخل من قبل فارس ، والغدر من قبل خراسان ، والضيق من قبل الأهواز .

١ خسروشنوم .

٢ بهراذان .

ذكر دخول المسلمين بلاد الأعاجم

وفيها أمر عمرُ المسلمين بالانسياح في بلاد العجم وطلب الفرس أين كانوا ، وقيل : كان ذلك سنة ثمانى عشرة ، وقد تقدم ذكره . وسبب ذلك ما كان من يزيد جرد وبعثه الجنود مرة بعد أخرى ، فوجه الأمراء من أهل البصرة وأهل الكوفة بعد فتح نهاوند ، وكان بين عمل سعد وعمل عمار أميران . أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وفي زمانه كانت وقعة نهاوند ، والآخر زياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قُصي ، وفي زمانه أمر بالانسياح وعزل عبد الله وبعث في وجه آخر ، وولي زياد ، وكان من المهاجرين . فعمل قليلاً وألح في الاستعفاء فأعفاه عمر وولّى عمار بن ياسر وكتب معه إلى أهل الكوفة : إنني بعثتُ عماراً أميراً وجعلتُ معه ابن مسعود معلماً . وكان ابن مسعود بحمص فسيره عمرُ إلى الكوفة ، وأمدّ أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله ، وأمدّ أهل الكوفة بأبي موسى . وكان أهل همذان قد كفروا بعد الصلح ، فبعث عمر لواءً إلى نعيم بن مقرن وأمره بقصد همذان . فإذا فتحها سار إلى ما وراء ذلك إلى خراسان ، وبعث عتبة بن فرقد وبُكير بن عبد الله إلى أذربيجان . يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل ، وبعث عبد الله بن عبد الله إلى أصبهان ، وأمر عمرُ سراقاً على البصرة .

ذكر فتح أصبهان

وفيها بعث عمر إليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وكان شجاعاً من أشرف الصحابة ومن وجوه الأنصار حليفاً لبني الحبلى ، وأمدّه بأبي موسى . وجعل على مُجنّبتيه عبد الله بن ورقاء الرياحي وعصمة بن عبد الله ، فساروا إلى نهاوند ، ورجع حذيفة إلى عمله على ما سقت دجلة وما وراءها ، وسار

عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان ، وعلى جندها الاسبيدان^١ ، وعلى مقدمته شهريار بن جاذويته^٢ ، شيخ كبير ، في جمع عظيم ، ومقدمة المشركين برستاق لأصبهان ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، ودعا الشيخ إلى البراز ، فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحي فقتله . وانهم أهل أصبهان . فسمي ذلك الرستاق رستاق الشيخ إلى اليوم ، وصالحهم الاسبيدان^١ على رستاق الشيخ ، وهو أول رستاق أخذ من أصبهان .

ثم سار عبد الله إلى مدينة جتي وهي مدينة أصبهان ، فانتهى إليها والملك بأصبهان الفاذوسفان ، فنزل بالناس على جتي وحاصرها وقتلها . ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان وأن على من أقام الحزبية وأقام على ماله وأن يُجرى من أخذت أرضه عنوة مجراهم ومن أبى وذهب كان لكم أرضه ، وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الأهواز وقد صالح . فخرج القوم من جتي ودخلوا في . انذمة إلا ثلاثين رجلاً من أهل أصبهان لحقوا بكرمان . ودخل عبد الله وأبو موسى جتيًا . وكتب بذلك إلى عمر . فقدم كتاب عمر إلى عبد الله : أن سير حتى تقدم على سهيل بن عدي فتكون معه على قتال من بكرمان . فسار واستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع ، ولحق بسهيل قبل أن يصل إلى كرمان .

قيل : وقد روي عن معقل بن يسار أن الأمير كان على الجند الذين فتحوا أصبهان النعمان بن مقرن ، وأن عمر أرسله من المدينة إلى أصبهان وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه . فسار إلى أصبهان وبها ملكها ذو الحاجبين ، فأرسل إليه المغيرة بن شعبة وعاد من عنده فقاتلهم وقتل النعمان ووقع ذو الحاجبين عن دابته فانشقت بطنه وانهم أصحابه . قال معقل : فأتيت النعمان وهو صريع

١ ورد في الطبري : الأُسْتِنْدَار .

٢ ورد في الطبري : شهربراز جاذويته .

فَجَعَلْتُ عَلَيْهِ عِلْمًا . فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ أَتَيْتَهُ ، وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَغَسَلْتُ
عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ فَقَالَ : مَا فَعَلَ النَّاسُ ؟ فَقُلْتُ : فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ . قَالَ : الْحَمْدُ
لِلَّهِ ! وَمَاتَ .

هكذا في هذه الرواية ، والصحيح أن النعمان قُتلَ بنهاوند وافتتح أبو
موسى قَمَّ وقاشان .

ذِكْرُ وِلَايَةِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَلَى الْكُوفَةِ

وَفِيهَا وَلِيُّ عُمَرُ عِمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ .
فَشَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ عِمَّارًا ، فَاسْتَعْفَى عِمَّارَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَوَلَّى عُمَرُ
جَبْرِ بْنَ مُطْعِمِ الْكُوفَةِ ، وَقَالَ لَهُ : لَا تَذْكُرْهُ لِأَحَدٍ . فَسَمِعَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ
أَنَّ عُمَرَ خَلَا بِجَبْرِ ، فَأَرْسَلَ امْرَأَتَهُ إِلَى امْرَأَةِ جَبْرِ بْنِ مُطْعِمٍ لِتَعْرِضَ عَلَيْهَا طَعَامًا
السَّفَرِ ، فَفَعَلَتْ ، فَقَالَتْ : نَعَمْ مَا حَيْتَنِي بِهِ^١ . فَلَمَّا عَلِمَ الْمُغِيرَةَ جَاءَ إِلَى عُمَرَ
فَقَالَ لَهُ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَنْ وَلَّيْتَ ! وَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ فَعَزَلَهُ وَوَلَّى الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ
الْكُوفَةَ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ عُمَرُ . وَقِيلَ : إِنَّ عِمَّارًا عُزِلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَعِشْرِينَ وَوَلَّى بَعْدَهُ أَبُو مُوسَى . وَسِيرِدَ ذِكْرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ذِكْرُ عِدَّةِ حَوَادِثَ

قِيلَ : وَفِيهَا بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعِ الْفِهْرِيِّ فَافْتَتَحَ زَوْيِلَةَ
صَلْحًا ، وَمَا بَيْنَ بَرْقَةَ وَزَوْيِلَةَ سَلَمًا لِلْمُسْلِمِينَ . وَقِيلَ : سَنَةَ عِشْرِينَ .
كَانَ الْأَمْرَاءُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ : عَمِيرُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى دِمَشْقَ وَحُورَانَ وَحَمَصَ

١ نَعَمْ حَيْتَنِي بِهِ .

وقنسرين والجزيرة ؛ ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والسواحل
وأنطاكية وقلقية ومعرّة مَصْرِين ، وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عتبة بن
ربيعة على قلقية وأنطاكية ومعرّة مَصْرِين .
وفيها ولد الحسن البصري والشعبي .

وحجّ بالناس عمر بن الخطاب ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت . وكان
عامله على مكّة والطائف واليمن واليمامة ومصر والبصرة من كان قبل ذلك ،
وكان على الكوفة عمّار بن ياسر ، وشريح على القضاء .

وفيها بعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى ساحل فارس فحاربوهم ومعهم
الجارود العبدي ، فقتل الجارود بعقبة تُعرف بعقبة الجارود ، وقيل : بل قتل
بناهاوند مع النعمان .

وفيها مات حممة : وهو من الصحابة ، بأصبهان بعد فتحها ، والعلاء بن
الحضرمي وهو على البحرين ، فاستعمل عمرُ مكانه أبا هريرة . وفيها مات خالد
ابن الوليد بجمص وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقيل : مات سنة ثلاث
وعشرين ، وقيل : مات بالمدينة . والأوّل أصح .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

في هذه السنة افتتحت أذربيجان . وقيل : سنة ثمانى عشرة بعد فتح همذان والريّ وجرجان . فبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثمّ نذكر أذربيجان بعدها .

ذكر فتح همذان ثانياً

قد تقدّم مسير نعيم بن مقرن إلى همذان وفتحها على يده وبيد القعقاع بن عمرو ، فلما رجعا عنها كفر أهلها مع خُسر وشنوم^١ ، فلما قدم عهد نعيم من عند عمر ودّع حذيفة وسار يريد همذان وعاد حذيفة إلى الكوفة . فخرج نعيم ابن مقرن على تعبئة إلى همذان فاستولى على بلادها جميعاً وحاصرها . فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية . وقد قيل : إن فتحها كان سنة أربع وعشرين بعد مقتل عمر بستة أشهر . فبينما نعيم بهمذان في اثني عشر ألفاً من الجند كاتب الديلم وأهل الريّ وأذربيجان ، إذ خرج موتا في الديلم حتى نزل بواج رود^٢ ، وأقبل الزينبي^٢ أبو الفرخان في أهل الريّ ، وأقبل أسفنديار أخو رسم في أهل أذربيجان ، فاجتمعوا وتحصن منهم أمراء المسالح وبعثوا إلى

1) Cod. بواج برود .

2) Ubique sine punctis.

نعيم بالخبر ، فاستخلف يزيد بن قيس الهمداني وخرج إليهم ، فاقتلوا بواج رود¹ قتالاً شديداً ، وكانت وقعة عظيمة تُعدل بنهاوند ، فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يُحصون ، فأرسلوا إلى عمر مبشراً ، فأمر عمر نعيماً بقصد الري وقاتل من بها والمقام بها بعد فتحها ، وقيل : إن المغيرة بن شعبة ، وهو عامل على الكوفة ، أرسل جرير بن عبد الله إلى همدان ، فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم ، فقال : احتسبتُها عند الله الذي زين بها وجهي ونور لي ما شاء ثم سلبنيتها في سبيله . ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على أرضها قسراً . وقيل : كان فتحها على يد المغيرة بنفسه . وكان جرير على مقدمته . وقيل : فتحها قرظة بن كعب الأنصاري .

ذكر فتح قزوين وزنجان

لما سير المغيرة جريراً إلى همدان ففتحها سير البراء بن عازب في جيش إلى قزوين وأمره أن يسير إليها فإن فتحها غزا الديلم منها . وإنما كان مغزاهم قبل من دستبى . فسار البراء حتى أتى أبهر . وهو حصن . فقاتلوه ثم طلبوا الأمان فآمنهم وصالحهم ، ثم غزا قزوين ، فلما بلغ أهلها الخبر أرسلوا إلى الديلم يطلبون النصر فوعدوهم ، ووصل المسلمون إليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل لا يمدون يداً ، فلما رأى أهل قزوين ذلك طلبوا الصلح على صلح أبهر : وقال بعض المسلمين :

قد علم الديلم إذ تحارب حين أتى في جيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين كاذب فكم قطعنا في دجى الغياهب
من جبلٍ وعبرٍ ومن سباسب

1) Cod. بواج الرود .

وغزا البراء الديلم حتى أدوا إليه الإتاوة ، وغزا جيلان والطيلسان ،
 وفتح زنجان عنوةً . ولما ولي الوليد بن عقبة الكوفة غزا الديلم وجيلان
 وموقان والببر والطيلسان ثم انصرف .

ذكر فتح الريّ

ثم انصرف نعيم من واج رود حتى قدم الريّ وخرج الزينبي أبو الفرخان
 من الريّ فلقى نعيماً طالباً الصلح ومسالماً له ومخالفاً لملك الريّ ، وهو سیاوخش
 ابن مهران بن بهرام جوبين ، فاستمدت سیاوخش أهل دُنباوند وطبرستان
 وقومس وجرجان فأمدّوه خوفاً من المسلمين ، فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل
 الريّ إلى جنب مدينتها ، فاقتتلوا به ، وكان الزينبي قال لنعيم : إنّ القوم كثير
 وأنت في قلّة فابعث معي خيلاً أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به .
 وناهدهم أنت فإنهم إذا خرجنا عليهم لم يشبوا لك . فبعث معه نعيم خيلاً من
 الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو ، فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم
 وبيّتهم نعيم بيّاتاً فشغلهم عن مدينتهم ، فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير
 من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عدوا بالقصب فيها ، وأفاء الله على المسلمين
 بالريّ نحواً ممّا في المدائن وصالحه الزينبي على الريّ ، ومرزبته عليهم نعيم ،
 فلم يزل شرف الريّ في أهل الزينبيّ ، وأخرب نعيم مدينتهم ، وهي التي يقال
 لها العتيقة ، وأمر الزينبي فبنى مدينة الريّ الحُدثى . وكتب نعيم إلى عمر بالفتح
 وأنفذ الأخماس ، وكان البشير المضارب العجلي ، وراسله المصمغان في الصلح
 على شيء يفتدي به منه على دنباوند ، فأجابه إلى ذلك .

وقد قيل : إن فتح الريّ كان على يد قرظة بن كعب ، وقيل : كان فتحها
 سنة إحدى وعشرين . وقيل غير ذلك . والله أعلم .

ذكر فتح قُومس وجُرجان وطبرستان

لما أرسل نعيم إلى عمر بالبشارة وأخماس الريّ كتب إليه عمر يأمره بإرسال أخيه سويد بن مقرّن ومعه هند بن عمرو الحملي وغيره إلى قُومس ، فسار سويد نحو قُومس ، فلم يَقم له أحد ، فأخذها سلماً وعسكر بها ، وكاتبه الذين بلجأوا إلى طَبَرِستان منهم والذين أخذوا المفاوز ، فأجابهم إلى الصلح والجزية وكتب لهم بذلك . ثمّ سار سويد إلى جُرجان فعسكر بها بسطام وكتب إلى ملك جرجان . وهو زرنان صول¹ ، وكاتبه زرنان صول وصالحه على جُرجان على الجزية وكفاية حرب جرجان وأن يُعيّنه سويد إن غلب ، فأجابه سويد إلى ذلك ، وتلقاه زرنان صول قبل دخوله جرجان فدخل معه وعسكر بها حتى جَبَى الخراج وسمى فروعها فسدها بترك دهستان ، ورفع الجزية عمّن قام بمنعها وأخذها من الباقيين .

وقيل : كان فتحها سنة ثماني عشرة . وقيل : سنة ثلاثين زمن عثمان .

قيل : وراسل الأصبهيد صاحب طبرستان سويداً في الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد ، فقبل ذلك منه وكتب له كتاباً .

ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة

في هذه السنة سار عمرو بن العاص من مصر إلى برقة فصالحه أهلها على الجزية وأن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه . فلما فرغ من برقة سار إلى طرابلس الغرب فحاصرها شهراً فلم يظفر بها ، وكان قد نزل شرقها ، فخرج رجل من

1) ررنان et زرنان ، رزنان : Scriptura nominis in Codd. sic variat .

بني مُدَلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غرب المدينة ، فلما رجعوا اشتدّ عليهم الحرّ فأخذوا على جانب البحر ، ولم يكن السور متصلاً بالبحر ، وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم ، فرأى المدلجي وأصحابه مسلماً بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا ، فلم يكن للروم ملجأ إلاّ سفنهم لأنّهم ظنوا أن المسلمين قد دخلوا البلد ، ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح ، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد ، فلم يفلت الروم إلاّ بما خف معهم في مراكبهم .

وكان أهل حصن سبّرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس ، فلما امتنعوا عليه بطرابلس أمنوا واطمأنّوا ، فلما فتحت طرابلس جنّد عمرو عسكرياً كثيفاً وسيّره إلى سبرة ، فصبحوها وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح لأنّهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس ، فوقع المسلمون عليهم ودخلوا البلد مكابرةً وغنموا ما فيه وعادوا إلى عمرو . ثمّ سار عمرو بن العاص إلى برقة وبها لواتة ، وهم من البربر .

وكان سبب مسير البربر إليها وإلى غيرها من الغرب أنّهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام وكان ملكهم جالوت ، فلما قُتل سارت البرابر وطلبوا الغرب حتى إذا انتهوا إلى لوبية ومرّاقية ، وهما كورتان من كور مصر الغربية ، تفرّقوا فسارت زنّانة ومغيلة ، وهما قبيلتان من البربر ، إلى الغرب فسكنوا الجبال ، وسكنت لواتة أرض برقة ، وتُعرف قديماً بأنطابلس ، وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس ، ونزلت هواره مدينة لبّدة ، ونزات نفوسة إلى مدينة سبّرة وجلا من كان بها من الروم لذلك ، وقام الأفارق ، وهم خدم الروم ، على صلح يؤدّونه إلى من غلب على بلادهم . وسار عمرو بن العاص ، كما ذكرنا ، فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزيّةً وشرطوا أن يبيعوا من أرادوا من أولادهم في جزيّتهم .

ذكر فتح أذربيجان

قال : فلما افتتح نعيم الريّ بعث سيماك بن خرشة الأنصاري ، وليس بأبي دُجانة ، ممدّاً لبُكير بن عبد الله بأذربيجان ، أمره عمر بذلك ، فسار سيماك نحو بُكير ، وكان بُكير حين بُعث إليها سار حتى إذا طلع بجبال جرميدان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد مهزوماً من واج رود ، فكان أول قتال لقيه بأذربيجان ، فاقتلوا ، فهزم الفرس وأخذ بُكير اسفنديار أسيراً . فقال له اسفنديار : الصلح أحب إليك أم الحرب ؟ قال : بل الصلح . قال : أمسكني عندك فإن أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجيء إليهم لم يقوموا لك وجلوا إلى الجبال التي حولها ، ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما . فأمسكه عنده ، وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن . وقدم عليه سيماك بن خرشة ممدّاً واسفنديار في إيساره وقد افتتح ما يليه ، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه .

وكتب بُكير إلى عمر يستأذنه في التقدّم ، فأذن له أن يتقدّم نحو الباب ، وأن يستخلف على ما افتتحه ، فاستخلف عليه عتبة بن فرقد ، فأقرّ عتبة سيماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه ، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد .

وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره حتى قدم عليه عتبة ، فاقتلوا ، فانهزم بهرام ، فلما بلغ خبره اسفنديار وهو في الأسر عند بكير قال : الآن تمّ الصلحُ وطفئت الحرب . فصالحه وأجاب إلى ذلك أهل أذربيجان كلهم ، وعادت أذربيجان سلماً . وكتب بذلك بكير وعتبة إلى عمر وبعثا بما خمسا . ولما جمع عمر لعتبة عمل بكير كتب لأهل أذربيجان كتاباً بالصلح .

وفيهما قدم عتبة على عمر بالخبير الذي كان أهدي له .

وكان عمر يأخذ عماله بموافاة الموسم كل سنة يمنعهم بذلك عن الظلم .

ذكر فتح الباب

في هذه السنة كان فتح الباب ، وكان عمر ردّ أبا موسى إلى البصرة وبعث سُرّاقة بن عمرو ، وكان يدعى ذا النور ، إلى الباب ، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ، وكان أيضاً يدعى ذا النور ، وجعل على إحدى مُجَنَّبَتَيْهِ حذيفة بن أسيد الغِفاري ، وعلى الأخرى بكير بن عبد الله الليثي ، وكان بكير سبقه إلى الباب . وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلي . فسار سُرّاقة ، فلما خرج من أذربيجان قدم بكير إلى الباب ، وكان عمر قد أمدّ سُرّاقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة . ولما أطلّ عبد الرحمن بن ربيعة على الباب ، والملك بها يومئذ شهريار ، وهو من ولد شهريار الذي أفسد بني إسرائيل وأغزى الشام بهم ، فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتيه ، ففعل ، فأناه فقال : إنّي بإزاء عدوّ كليب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب ولا ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعينهم¹ على ذي الحسب ولست من القبيح ولا الأرمن في شيء ، وإنّكم قد غلبتم على بلادتي وأمتي فأنا منكم ويدي مع أيديكم وجزيتي إليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزيرة فتوهنونا بعدوكم . قال : فسيرّه عبد الرحمن إلى سُرّاقة ، فلقية بمثل ذلك ، فقبل منه سُرّاقة ذلك ، وقال : لا بدّ من الجزيرة ممّن يقيم ولا يحارب العدو . فأجابه إلى ذلك . وكتب سُرّاقة في ذلك إلى عمر فأجازه عمر واستحسنه .

1) C. P. Bodl. ; يعنيهم .

ذكر فتح موقان

لما فرغ سراقه من الباب أرسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة ابن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية ، فوجه بكيراً إلى موقان ، وحبيباً إلى تفلّيس ، وحذيفة إلى جبال اللان ، وسلمان إلى الوجه الآخر . وكتب سراقه بالفتح إلى عمر وبارسال هؤلاء نفر إلى الجهات المذكورة ، فأتى عمرَ أمرٌ لم يظن أن يستم له بغير مؤونة لأنه فرج عظيم وجند عظيم ، فلما استوسقوا واستحلوا الإسلام وعدله مات سراقه ، واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة . ولم يفتح أحد من أولئك القواد إلا بكير فإنه فضّ أهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كلّ حالم دينار .

وكان فتحها سنة إحدى وعشرين . ولما بلغ عمرَ موتُ سراقه واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك .
(أسيد في هذه التراجم بفتح الهمزة وكسر السين . والنور في الموضوعين بالراء) .

ذكر غزو الترك

لما أمر عمرُ عبدَ الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع الباب . فقال له شهريار : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد غزو بلانجر والترك . قال : إننا نرضى منهم أن يدعونا من دون الباب . قال عبد الرحمن : لكننا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم ، وبالله إن معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا في الإيعان لبلغت بهم الروم . قال : وما هم ؟ قال : أقوام صحبوا رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا في هذا الأمر بنية ، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً .

ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلِبهم وحتى يُلَفَتوا عن حالهم . فغزا
بَلَسَجَرَ غزاة في زمن عمر فقالوا: ما اجترأ علينا إلاّ ومعه الملائكة تمنعهم من
الموت ، فهزبوا منه وتحصنوا ، فرجع بالغنيمة والظفر ، وقد بلغت خيله البيضاء
على رأس مائتي فرسخ من بلنجر ، وعادوا ولم يُقتل منهم أحد .

ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر ، حتى تبدل
أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد استصلاحاً لهم فزادهم فساداً ، فغزا
عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك فتدامرت الترك واجتمعوا في الغياض فرمى
رجلٌ منهم رجلاً من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا
عليه . عند ذلك فاقتتلوا واشتدّ قتالهم ونادى منادٍ من الجوّ : صبراً عبد الرحمن
وموعدكم الجنة ! فقاتل عبد الرحمن حتى قُتل وانكشف أصحابه وأخذ الراية
سلمان بن ربيعة أخوه فقاتل بها ، ونادى منادٍ من الجوّ : صبراً آل سلمان !
فقال سلمان : أوترى جزعاً ؟ وخرج سلمان بالناس معه أبو هريرة الدوسي على
جِيلان فقطعوها إلى جرجان ، ولم يمنعهم ذلك من إنجاء جسد عبد الرحمن . فهم
يستسقون به إلى الآن .

ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة

في هذه السنة عدّل عمرُ فتوحَ أهل الكوفة والبصرة بينهم .
وسبب ذلك أن عمرَ بن سراقَةَ كتب إلى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة
أهل البصرة وعجز خراجهم عنهم ، وسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو
ماسبذان ، وبلغ أهل الكوفة ذلك وقالوا لعمّار بن ياسر ، وكان على الكوفة
أميراً سنة وبعض أخرى : اكتب إلى عمر أن رامتهُرمز وإيدج لنا دونهم لم
يعينونا عليهما ولم يلحقونا حتى افتتحناهما ، فلم يفعل عمار ، فقال له عطارِد :

أيتها العبدُ الأجدع فعلامَ تدع فينا^١ ؛ فقال : لقد سببت أحبّ أذني إليّ ! فأبغضوه لذلك . واختصم أهل الكوفة وأهل البصرة ، وادعى أهل البصرة قريّ افتتحها أبو موسى دون أصبهان أيام أمدّ به عمر بن الخطاب أهل الكوفة . فقال لهم أهل الكوفة : أئتمونا مدداً وقد افتتحنا البلاد فأنشبتناكم في المغامم ، والذمة ذمتنا والأرض أرضنا . فقال عمر : صدقوا . فقال أهل الأيام والقادسية ممن سكن البصرة : فلتعطونا نصيبنا ممّا نحن شركاؤكم فيه من سوادهم وحواشيهم . فأعطاهم عمر مائة دينار برضا أهل الكوفة أخذها ممن شهد الأيام والقادسية .

ولما ولي معاوية ، وكان هو الذي جنّد قنسرين ممن أتاه من أهل العراقين أيام عليّ ، وإنّما كان قنسرين رُستاقاً من رساتيق حمص ، فأخذ ضم معاوية حين ولي بنصيبهم من فتوح العراق وأذربيجان والموصل والباب لأنّه من فتوح أهل الكوفة . وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلّة^٢ ، انتقل إليها كل من نزل بهجرته من أهل البلدين أيام عليّ ، فأعطاهم معاوية من ذلك نصيباً .

وكفر أهل أرمينية أيام معاوية ، وقد أمر جيب بن مسلمة على الباب ، وجيب يومئذ بجرّزان ، وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال من جرّزان فاستجابوا له .

ذكر عزل عمّار بن ياسر عن الكوفة وولاية

أبي موسى والمغيرة بن شعبة

وفيهما عزل عمر بن الخطاب عمّار بن ياسر عن الكوفة واستعمل أبا موسى . وسبب ذلك أن أهل الكوفة شكّوه وقالوا له : إنّه لا يحتمل ما هو فيه وإنّه

١ فينا .

٢ ناقلّة . (والناقلّة من الناس الذين دأبهم الانتقال من مكان إلى آخر) .

ليس بأمين ، ونزأ به^١ أهل الكوفة . فدعاه عمر ، فخرج معه وفد^٢ يريد أنهم معه ، فكانوا أشد عليه ممن تخلف عنه^٢ ، وقالوا : إنه غير كافٍ وعالم بالسياسة ولا يدري على ما استعملته . وكان منهم سعد بن مسعود الثقفي ، عم المختار ، وجرير بن عبد الله ، فسعيأ به ، فعزله عمر . وقال عمر لعمار : أساءك الغزل^٣ ؟ قال : ما سرّني حين استعملتُ ولقد ساءني حين عزلتُ . فقال له : قد علمتُ ما أنت بصاحب عمل ولكني تأولتُ : ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^٤ . ثم أقبل عمر على أهل الكوفة فقال : من تريدون ؟ قالوا : أبا موسى . فأمره عليهم بعد عمار . فأقام عليهم سنة فباع غلامه العلف ، فشكاه الوليد ابن عبد شمس وجماعة معه وقالوا : إن غلامه يتجر في جسرنا ، فعزله عنهم وصرفه إلى البصرة . وصرف عمر^٥ ابن سراقه إلى الجزيرة .

وخلا عمر في ناحية المسجد فنام ، فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ ، فقال : ما فعلتُ هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم . فقال : وأي شيء أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير ؟ وأحيطت الكوفة على مائة ألف مقاتل . وأتاه أصحابه فقالوا : ما شأنك ؟ فقال : إن أهل الكوفة قد عضلوني . واستشارهم فيمن يوليه . وقال : ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوي مسدد ؟ فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسه وضعفه عليك ، وأما القوي المسدد فإن سداده لنفسه وقوته

1) Corani 28, vs. 5.

١ ویرابه .

٢ فكانوا أشد عليه من يخلف عنه .

للمسلمين . فولتى المغيرة الكوفة ، فبقي عليها حتى مات عمر ، وذلك نحو
سنتين وزيادة . وقال له حين بعثه : يا مغيرة ليأمنك الأبرار وليخفك
الضُّجَّار . ثمَّ أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة فقتل عمر قبل ذلك
فأوصى به .

ذكر فتح خراسان

وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس خراسان ، في قول بعضهم . وقيل :
سنة ثمانى عشرة .

وسبب ذلك أن يزدجرد لما سار إلى الري بعد هزيمة أهل جلولاء وانتهى
إليها وعليها أبان جاذويه وثب عليه فأخذه . فقال يزدجرد : يا أبان تغدري !
قال : لا ولكن قد تركت ملكك فصار في يد غيرك فأحببت أن أكتب على ما
كان لي من شيء . وأخذ خاتم يزدجرد واكتب الصكاك بكل ما أعجبه ثمَّ
ختم عليها ورد الخاتم ، ثمَّ أتى بعد سعداً فردَّ عليه كل شيء في كتابه .

وسار يزدجرد من الري إلى أصبهان ، ثمَّ منها إلى كرمان والنار معه ،
ثمَّ قصد خراسان فأتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتاً واطمأنَّ وأمن من أن يؤتى . ودان
له من بقي من الأعاجم . وكاتب الهرمزان وأثار أهل فارس ، فنكثوا ، وأثار
أهل الجبال والفيرزان ، فنكثوا ، فأذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس ، فسار
الأحنف إلى خراسان فدخلها من الطَّبَسَيْن فافتتح هَرَاةَ عَنوةً واستخلف عليها
صُحَّار بن فلان العبدى ، ثمَّ سار نحو مرو والشاهجان فأرسل إلى نيسابور مطرف
ابن عبد الله بن الشَّخِير وإلى سَرَّخَس الحرث بن حسان ، فلما دنا الأحنف من
مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد إلى مرو الروذ حتى نزلها ، ونزل الأحنف

١ فارضى .

مرو الشاهجان ، وكتب يزدجرد ، وهو بمرو الروذ ، إلى خاقان وإلى ملك الصغد وإلى ملك الصين يستمدّهم . وخرج الأحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهليّ بعدما لحقت به أمداد أهل الكوفة ، وسار نحو مرو الروذ .

فلما سمع يزدجرد سار عنها إلى بلخ ونزل الأحنف مرو الروذ . وقدم أهل الكوفة إلى يزدجرد واتبعهم الأحنف ، فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ ، فانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الأحنف بأهل الكوفة ، وقد فتح الله عليهم ؛ فبلخ من فتوحهم .

وتتابع أهل خراسان من هرب وشذ علي الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان ، وعاد الأحنف إلى مرو الروذ فترها ، واستخلف على طخارستان زبني بن عامر ، وكتب الأحنف إلى عمر بالفتح فقال عمر : وددت أن بيننا وبينها بحراً من نار . فقال عليّ : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأن أهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون^١ في الثالثة ، فكان ذلك بأهلها أحب إليّ من أن يكون بالمسلمين .

وكتب عمر إلى الأحنف أن يقتصر على ما دون النهر ولا يجوزه .

ولما عبر يزدجرد النهر مهزوماً أنجده خاقان في الترك وأهل فرغانة والصغد ، فرجع يزدجرد وخاقان إلى خراسان فترلا بلخ ، ورجع أهل الكوفة إلى الأحنف بمرو الروذ ، ونزل المشركون عليه بمرو أيضاً .

وكان الأحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر إليه خرج ليلاً يتشمع هل يسمع برأي ينتفع به ، فمرّ برجلين يتنايان علفاً وأحدهما يقول لصاحبه : لو أسندنا الأمير إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً

١ سينقضون . . . فيجتاحون . (يجتاحون أي يهلكون) .

وكان الجبل في ظهورنا فلا يأتونا من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوتُ
أن ينصرنا الله . فرجع ، فلما أصبح جمع الناسَ ورحل بهم إلى سفح الجبل ،
وكان معه من أهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحو منهم ، وأقبلت
الترك ومن معها فتزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويرأونهم وفي الليل يتنحون
عنهم .

فخرج الأحنف ليلةً طليعةً لأصحابه حتى إذا كان قريباً من عسكر خاقان
وقف ، فلما كان وجه الصبح خرج فارس [من] الترك بطوقه فضرب بطبله
ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله ، فحمل عليه الأحنف فتقاتلا فطعنه
الأحنف فقتله وأخذ طوق التركي ووقف ، فخرج آخر من الترك ففعل فعل
صاحبه ، فحمل عليه الأحنف فتقاتلا فطعنه فقتله وأخذ طوقه ووقف ، ثم
خرج الثالث من الترك ففعل فعل الرجلين ، فحمل عليه الأحنف فقتله : ثم
انصرف الأحنف إلى عسكره .

وكانت عادة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم أكفاء
كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث . فلما خرجوا تلك الليلة
بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين تشاءم خاقان وتطير فقال : قد طال مقامنا
وقد أصيب فرساننا ، ما لنا في قتال هؤلاء القوم خير ؛ فرجعوا . وارتفع النهار
للمسلمين ولم يروا منهم أحداً ، وأتاهم الخبرُ بانصراف خاقان والترك إلى بلخ ،
وقد كان يزدجرد ترك خاقانَ مقابل المسلمين بمرور الروذ وانصرف إلى مرو
الشاهجان ، فتحصن حارثةُ بن النعمان ومن معه ، فحصرهم واستخرج خزائنه
من موضعها وخاقان مقيم ببلخ .

فلما جمع يزدجرد خزائنه ، وكانت كبيرة عظيمة ، وأراد أن يلحق
بخاقان قال له أهل فارس : أي شيء تريد أن تصنع ؟ قال : أريد اللحاق
بخاقان فأكون معه أو بالصين . قالوا له : إن هذا رأي سوء ، ارجع بنا إلى

هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم أوفياء وهم أهل دين ، وإن عدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا مملكة من عدو يلينا في بلاده ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم . فأبى عليهم . فقالوا : دع خزائننا نردّها إلى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا . فأبى ، فاعتزلوه وقاتلوه فهزموه وأخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ إلى فرغانة ، وأقام يزدجرد ببلد الترك ، فلم يزل مقيماً زمن عمر كته إلى أن كفر أهل خراسان زمن عثمان وكان يكاتبهم ويكاتبونه . وسيرد ذكر ذلك في موضعه .

ثم أقبل أهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الأحنف فصالحوه ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الأكاسرة ، واغتنبوا بملك المسلمين . وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية . وسار الأحنف إلى بلخ فترها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل أهل الكوفة في كورها الأربع . ثم رجع إلى مرو الروذ فترها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد إلى عمر .

ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقياً رسول يزدجرد الذي أرسله إلى ملك الصين فأخبرهما أن ملك الصين قال له : صف لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم فإنني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم . فقلت : سني عمّا أحببت . فقال : أيوفون بالعهد ؟ قلت : نعم . قال : وما يقولون لكم قبل القتال ؟ قال قلت : يدعوننا إلى واحدة من ثلاث : إمّا دينهم ، فإن أجبنا أجرونا مجراهم ، أو الجزية والمنعة ، أو المنابذة . قال : فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قلت : أطوع قوم وأرشدهم . قال : فما يحلّون وما يحرمون ؟ فأخبرته .

1) Cod. فأخبرهم .

قال: هل يُحلتون^١ حرّم عليهم أو يحرمون ما حلت لهم؟ قلت: لا. قال: فإن هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يُحلتوا حرامهم أو يُحرّموا حلالهم. ثم قال: أخبرني عن لباسهم؟ فأخبرته، وعن مطاياهم؟ فقلت: الخيل العراب، ووصفتها له. فقال: نعمت الحصون! ووصفت له الإبل وبروكها وقيامها بحملها. فقال: هذه صفة دواب طوال الأعناق. وكتب معه إلى يزدجرد: إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجند أوله بمرور وآخره بالصين الجهالة بما يحقّ عليّ، ولكن هؤلاء القوم اثنين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدّوها ولو خلا لهم مربيهم^١ أزالوني ما داموا على [ما] وصف، فسألهم وارض منهم بالمساكنة ولا تهيّجهم ما لم يهيجوك. فأقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان.

ولما وصل خبر الفتح إلى عمر بن الخطاب جمع الناس، وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله في خطبته على إنجاز وعده ثم قال: ألا وإن ملك المجوسية قد هلك فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرّ بمسلم. ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبنائهم لينظر كيف تعملون. فلا تبدّلوا فيستبدل الله بكم غيركم، فإنني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلاّ من قبلكم.

وقيل: إن فتح خراسان كان زمن عثمان، وسيرد هناك.

١) شعرهم Bodl.

ذكر فتح شهرزور والصامغان¹

لما استعمل عمرُ عَزْرَةَ بن قيس على حلوان حاول فتح شهرزور ، فلم يقدر عليها ، فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان ، فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت . وصالح أهل الصامغان وداراباذ على الجزية والحراج ، وقتل خلقاً كثيراً من الأكراد . وكتب إلى عمر : إن فتوحى قد بلغت أذربيجان . فولاه إياها وولت هزيمة بن عرفجة الموصل . ولم تزل شهرزور وأعمالها مضمومة إلى الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا معاوية بلاد الروم ودخلها في عشرة آلاف فارس من المسلمين .

وفيهما وُلد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان . وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ؛ وكان عماله على الأمصار فيها عماله في السنة قبلها إلا الكوفة ، فإن عامله كان عليها المغيرة بن شعبة ، وإلا البصرة فإن عامله عليها صار أبا موسى الأشعري .

1) Hic in A. lacuna incipit, usque ad vers. antep. pag. sequ. procedens.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

قال بعضهم : كان فتح إصطخر سنة ثلاث وعشرين . وقيل : كان فتحها بعد تَوَجَّج الآخرة .

ذكر الخبر عن فتح تَوَجَّج

لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا إلى فارس أمراء عليها وكان معهم سارية ابن زُنَيْم الكِنَانِي فساروا وأهل فارس مجتمعون بتَوَجَّج فلم يقصدتهم المسلمون بل توجه [كل] أمير إلى الجهة التي أمر بها . وبلغ ذلك أهل فارس ، فافترقوا إلى بلدانهم كما افترق المسلمون ، فكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم . فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خُرَّه ، فالتقى هو والفارس بتَوَجَّج فاقتلوا ما شاء الله ، ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا كل قتل وغنموا ما في عسكرهم وحصروا تَوَجَّج فاقتلوا منها خلقاً كثيراً وغنموا ما فيها ، وهذه تَوَجَّج الآخرة ، والأولى هي التي استقدمتها جنود العلاء بن الحضرمي أيام طاووس . ثم دُعوا إلى الجزية فرجعوا وأقروا بها . وأرسل مجاشع بن مسعود السُّلَمِي بالبشارة والأخماس إلى عمر بن الخطاب .

ذكر فتح إصطخر وجور وغيرهما

وقصد عثمان بن أبي العاص الثقفي لإصطخر فالتقى هو وأهل إصطخر بجور فاقتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم إصطخر وقتلوا ما شاء الله ، ثم فرّ منهم من فرّ ، فدعاهم عثمان إلى الجزية والذمة ، فأجابه الهريز إلىها ، فراجعوا ، وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسةا إلى عمر وقسم الباقي في الناس .

وفتح عثمان كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها ؛ وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وأرجان ، وفتح سينيزا على الجزية والحراج . وقصد عثمان أيضاً جنابا ففتحها ، ولقيه جمع الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها .

ثم إن شهرك خلع في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان . فوجه إليه عثمان بن أبي العاص ثانية^١ ، وأتته الأمداد من البصرة وأميرهم عبيد الله بن معمر وشبيل بن معبد ، فالتقوا بأرض فارس . فقال شهرك لابنه وهما في المعركة ، وبينهما وبين قرية لهما^٢ تدعى ريشهر^٢ ثلاثة فراسخ : يا بني أين يكون غداؤنا ههنا أم بريشهر^٢ ؟ قال له : يا أبة ، إن تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بريشهر^٢ ولا نكون^٢ إلا في المنزل ، [ولكن والله] ما أراهم يتركوننا . فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون الحرب فاقتلوا قتالا شديداً وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم . والذي قتل شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان . وقيل : قتله سوار بن همام العبدي حمل عليه فطعنه فقتله . وحمل ابن شهرك على سوار فقتله .

١) Cod. . وبينهم : لهم ، وهم Cod. 1)

١ ابنه .

٢ شهرك . (الذي أثبتناه عن الطبري . وريشهر : ناحية من كورة أرجان - ياقوت) .

وقيل : إن إصطخر كانت سنة ثمان وعشرين ، وكانت فارس الآخرة سنة
تسع وعشرين .

وقيل : إن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين في ألفين إلى
فارس ففتح جزيرة بركاوان^١ في طريقه ثم سار إلى توج ، وكان كسرى
أرسل شهرك فالتقوا مع شهرك ، وكان الجارود وأبو صُفرة على مجنبي المسلمين ،
وأبو صُفرة هذا هو والد المهلب ، فحمل الفرس على المسلمين فهزموهم . فقال
الجارود : أيها الأمير ذهب^١ الجند . فقال : سترى أمرك . قال : فما لبثوا حتى
رجعت خيل^٢ لهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم ، فنُثرت
الرؤوس فرأى المُكعَّبِرُ^٣ رأساً ضخماً فقال : أيها الأمير هذا رأس
الازدهاق ، يعني شهرك . وحوصر الفرس بمدينة سابور ، فصالح عليها ملكها
أرزنبان^٤ ، فاستعان به الحكم على قتال أهل إصطخر . ومات عمر . وبعث
عثمان بن عفان عبيد الله بن معمر مكانه ، فبلغ عبيد الله أن أرزنبان يريد الغدر
به ، فقال له : أحب أن تتخذ لأصحابي طعاماً وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها
في الحفنة التي تليني فإنني أحب أن أتمشش العظام^٤ ، ففعل وجعل يأخذ العظم الذي
لا يكسر إلا بالفؤوس فيكسره بيده ويأخذ منه ، وكان من أشد الناس ، فقام
أرزنبان فأخذ برجله وقال : هذا مقام العائد بك ! فأعطاه^٥ عهداً . وأصاب

١) ابن كاوان Bodl. ; ابن كاوار Br. Mus. ; C. s. p. 1)

١ فرد .

٢ (هو أحد ملوك الفرس ، فارق جيش كسرى والتحق بالعرب) .

٣ (في الطبري : آذر بيان) .

٤ (تمشش العظم : مصه واستخرج منه المخ) .

٥ وأعطاه .

عبید اللہ منجنيق فأوصاهم وقال : إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم
 بي^١ ساعة فيها ، ففعلوا ، فقتلوا منهم بشراً كثيراً ، ومات عبید اللہ بن معمر .
 وقيل : إن قتله كان سنة تسع وعشرين .

ذكر فتح فسا ودارابجرد

وقصد سارية^١ بن زُنَيْمِ الدثلي فسا ودارابجرد حتى انتهى إلى عسكرهم فنزل
 عليهم وحاصرهم ما شاء الله ، ثم إنهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت إليهم
 أكراد فارس ، فدهم المسلمين أمر عظيم ، وجمع كثير ، وأتاهم الفرس من
 كل جانب ، فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة
 من النهار ، فنادى من الغد : الصلاة جامعة ! حتى إذا كان في الساعة التي رأى
 فيها ما رأى خرج إليهم ، وكان ابن زُنَيْمِ والمسلمون بصحراء إن أقاموا فيها
 أحيط بهم ، وإن استندوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد . فقام
 فقال : يا أيها الناس ، إنني رأيت هذين الجمعين ، وأخبر بحالهما ، وصاح عمر وهو
 يخطب : يا سارية بن زُنَيْمِ ، الجبل الجبل ! ثم أقبل عليهم وقال : إن لله جنوداً ،
 ولعل بعضها أن يبلغهم^٢ . فسمع سارية ومن معه الصوت فلجؤوا إلى الجبل ،
 ثم قاتلوهم ، فهزمهم الله وأصاب المسلمون مغانمهم ، وأصابوا في الغنائم
 سَفَطاً فيه جوهر ، فاستوهبه منهم^١ سارية وبعث به وبالفتح مع رجل إلى عمر .
 فقدم على عمر وهو يُطعم الطعام ، فأمره فجلس وأكل ، فلما انصرف عمر

1) Initium lacunae in B.

١ لي .
 ٢ تبلغهم .

اتبعه الرسول ، فظنَّ عمرُ أنَّه لم يشبع ، فأمره فدخل بيته ، فلما جلس أتيتْ عمر بغداده خبز وزيت وملح جريش فأكلا . فلما فرغا قال الرجل : أنا رسول سارية يا أمير المؤمنين . قال : مرحباً وأهلاً . ثمَّ أدناه حتى مسَّت ركبته ركبته^١ ، وسأله عن المسلمين ، فأخبره بقصة الدرَّج^٢ ، فنظر إليه وصاح به : لا ولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم . فطرده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنني قد أنضيتُ جملي واستقرضتُ في جائرتي فأعطني ما أنبلِّغ به . فما زال به حتى أبدله بعيراً من إبل الصدقة وجعل بعيره في إبل الصدقة ورجع الرسول مغضوباً عليه محروماً^١ . وسأل أهل المدينة الرسولَ هل سمعوا شيئاً يوم الواقعة؟ قال : نعم سمعنا : يا سارية ، الجبلَ الجبلَ ، وقد كدنا نهلك فلجاناً إليه ففتح الله علينا .

ذكر فتح كرمان

ثمَّ قصد سهيل بن عدي كرمانَ ، ولحقه أيضاً عبد الله بن عبد الله بن عتبان . وحشد لهم أهل كرمان واستعانوا عليهم بالقُفص ، فاقتلوا في أداني أرضهم ، ففض الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق . وقتل النُّسيرُ ابن عمرو العجلي مرزبانها ، فدخل سهيل^٢ من قبَل طريق القرى اليوم إلى جيرفت ، وعبد الله بن عبد الله من مفازة سير^٢ ، فأصابوا ما أرادوا من بعير

1) Finis lacunæ.

2) B. سير .

١ حتى مس ركبته .

٢ (الدرَّج : سُفيط صغير) .

٣ (في الأصل : النُّسير . والذي أثبتناه عن الطبري) .

أو شاء ، فقوموا الإبل والغنم فتحاصوها بالأثمان لعظم البُخت على العراب^١ ،
وكرهوا أن يزيدوا ، وكتبوا إلى عمر بذلك ، فأجابهم : إذا رأيتم أن في البُخت
فضلاً فزيدوا .

وقيل : إن الذي فتح كرمان عبد الله بن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي في
خلافة عمر ، ثم أتى الطَّبَسِينَ من كرمان ، ثم قدم على عمر فقال : أقطعني
الطَّبَسِينَ ، فأراد أن يفعل ، فقيل : إنهما رستاقان ، فامتنع عمر من ذلك .

ذكر فتح سجستان

وقصد عاصم بن عمرو سجستان ، ولحقه عبد الله بن عمير ، فاستقبلهم
أهلها ، فالتقوا هم وأهل سجستان في أداني أرضهم ، فهزمهم المسلمون ، ثم
اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ونخروا أرض سجستان ماة ، ثم إنهم
طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الأرضين فأعطوا ، وكانوا قد اشترطوا
في صلحهم أن فداها حمى ، فكان المسلمون يتجنبونها خشية أن يصيبوا منها
شيئاً فيُخفروا ، وأقيم^٢ أهل سجستان على الخراج ، وكانت سجستان أعظم من
خراسان وأبعد فروجاً ، يقاتلون القنندهار والترك وأمماً كثيرة ، فلم يزل كذلك
حتى كان زمن معاوية ، فهرب الشاه من أخيه رُتْبِيل^١ إلى بلد فيها يدعى آمل ،
ودان لسلم بن زياد ، وهو يومئذ على سجستان ، [ففرح بذلك] وعقد لهم

1) C. P. h. l. s. p. ; B. رنسل , postea fere ubique زنبيل et زنبيل .

١ العرب .

٢ فيم .

وأنزلهم البلاد وكتب إلى معاوية بذلك يُري أنه فُتِح عليه . فقال معاوية : إن ابن أخي ليفرح بأمرٍ إنّه^١ ليحزني [وينبغي له أن يحزنه] . قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إن آمل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق ، وهؤلاء قوم غُدُر ، فإذا اضطرب الجبل غداً^٢ فأهون ما يجيء منهم أنهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها . وأقرهم على عهد سلّم بن زياد . فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل واعتصم منه رُتبيل بمكانه ، ولم يُرضه ذلك حين تشاغل عنه الناس حتى طمع في زرنج فغزاها وحصر من بها حتى أتتهم الأمداد من البصرة ، وصار رُتبيل والذين معه عصبه ، وكانت تلك البلاد مدلّلة إلى أن مات معاوية .

وقيل في فتح سجستان غير هذا ، وسيرد ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر فتح مُكران

وقصد الحكم بن عمرو التغلبي مُكران حتى انتهى إليها ، ولحق به شهاب ابن المخارق وسهيل بن عديّ وعبد الله بن عبد الله بن عتبان ، فانتهوا إلى دوين النهر ، وأهل مُكران على شاطئه ، فاستمدّ ملكهم ملك السند ، فأمدّه بجيش كثيف ، فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم أيتاماً حتى انتهوا إلى النهر ، ورجع المسلمون إلى مُكران فأقاموا بها . وكتب الحكم إلى عمر بالفتح وبعث إليه بالأخماس مع صُحار العبدى . فلما قدم المدينة سأله عمر عن مُكران ، فقال : يا أمير المؤمنين : هي

١ ليفرح بإمارته .

٢ الجبل غُدراً .

أرض سهلها جبل ، وماؤها وشتل^١ ، وتمرها دقل^١ ، وعدوها بطل ؛ وخبرها قليل^٢ ، وشرها طويل^٢ ، والكثير فيها قليل^٢ ، والقليل فيها ضائع ، وما وراءها شر منها . فقال : أسجّاع أنت أم مخبر ؟ لا والله لا يغزوها جيش لي أبداً . وكتب إلى سهيل والحكم بن عمرو : أن لا يجوزن^٣ مكران أحد من جنودكما . وأمرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الإسلام . وقسم أثمانها على الغانمين^٤ .
 (مكران بضم الميم وسكون الكاف)^٢ .

ذكر خبر بيروذ من الأهواز

ولما فصلت الخيول إلى الكور ، اجتمع بيروذ جمع عظيم من الأكراد وغيرهم . وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى أن يسير إلى أقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم ، وخشي أن يهلك بعض جنوده أو يخلفوا في أعقابهم ، فاجتمع الأكراد بيروذ ، وأبطأ أبو موسى حتى تجتمعوا ، ثم سار^٣ فنزل بهم بيروذ ، فالتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر ، فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقتل^٢ ، وعزم أبو موسى على الناس فأفطروا . وتقدم المهاجر فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل . ووهن الله المشركين حتى تحصنوا في قلعة وذلة . وخرج البيهقي بن زياد على أخيه المهاجر وعظم عليه نقده . فرق له^٤ موسى فاستخلفه عليهم في جند ، وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان واجتمع

١) On. B.

٢) On. B.

٣) Codd. سار .

١) التوشل . أثناء تيار

٢) واستقبل

بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيّاً ، فلما فُتحت رجع أبو موسى إلى البصرة ،
وفتح الربيع بن زياد الحارثي بيروذ من نهر تيرى وغنم ما معهم .

ووفد أبو موسى وفداً معهم الأخماس ، فطلب ضبّة بن مِحْصَن العَنْزِيّ
أن يكون في الوفد فلم يجبه أبو موسى ، وكان أبو موسى قد اختار من سبي
بيروذ ستين غلاماً ، فانطلق ضبّة إلى عمر شاكياً ، وكتب أبو موسى إلى عمر
ينخبره ، فلما قدم ضبّة على عمر سلّم عليه . فقال : من أنت ؟ فأخبره . فقال :
لا مرحباً ولا أهلاً ! فقال : أمّا المرحب فمن الله ، وأمّا الأهل فلا أهل .
ثمّ سأله عمر عن حاله فقال : إن أبا موسى انقضى ستين غلاماً من أبناء الدهاقين
لنفسه وله جارية تُغَدّي جفنةً وتُعشّي جفنةً تدعى عقيلة ، وله قفيزان وله
خاتمان ، وفوض إلى زياد بن أبي سفيان أمور البصرة ، وأجاز الخطيئة
بألف .

فاستدعى عمر أبا موسى . فلما قدم عليه حجبه أيتاماً ثمّ استدعاه فسأل
عمر ضبّة عما قال فقال : أخذ ستين غلاماً لنفسه . فقال أبو موسى :
دُللتُ عليهم وكان لهم فداء ففديتهم وقسمته بين المسلمين . فقال ضبّة : ما
كذب ولا كذبتُ . فقال : له قفيزان . فقال أبو موسى : قفيز لأهلي أقوتهم
به وقفيز للمسلمين في أيديهم يأخذون به أرزاقهم . فقال ضبّة : ما كذب ولا
كذبتُ . فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر . فعلم أن ضبّة قد
صدقه ، قال : وولى زياداً . قال : رأيتُ له رأياً ونُبلاً فأسندتُ إليه عملي .
قال : وأجاز الخطيئة بألف . قال : سددتُ فمه بما لي أن يشتمني . فردّه
عمر وأمره أن يرسل إليه زياداً وعقيلة ، ففعل . فلما قدم عليه زياد سأله
عن حاله وعملائه والفرائض والسنن والقرآن ، فرآه فقيهاً ، فردّه وأمر أمراء
البصرة أن يسيروا برأيه ، وحبس عقيلة بالمدينة .

وقال عمر : ألا إن ضبّة غضب على أبي موسى وفارقه مراغماً أن فاته

أمر من أمور الدنيا فصدق عليه وكذب ، فأفسد كذبُه صدقَه ، فإيّاكم والكذب فإنه يهدي إلى النار .

(بيروذ بفتح الباء الموحدة ، وسكون الياء تحتها نقطتان ، وضم الراء ، وسكون الواو ، وآخره ذال معجمة) .

ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

كان عمر إذا اجتمع إليه جيش من المسلمين أمر عليهم أميراً من أهل العلم والفقہ ، فاجتمع إليه جيش من المسلمين ، فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي . فقال : سِرْ باسم الله ، قَاتِلْ في سبيل الله مَنْ كَفَرَ بالله ، فإذا لقيتم عدوكم فادعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا وأقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفَيء نصيب ، وإن ساروا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم ، وإن أبوا فادعوهم إلى الجزية ، فإن أجابوا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم ، وإن تحصنوا منكم وسألوكم أن ينزلوا على حكم الله ورسوله . أو ذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم ، فإنكم لا تدرّون أتصيبون حكم الله ورسوله وذمتها أم لا ؛ ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا تمثّلوا .

قال : فساروا حتى لقوا عدوّاً من الأكراد المشركين فدعوهم إلى الإسلام أو الجزية ، فلم يجيبوا ، فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسّمه بينهم ، ورأى سلمة جوهراً في سَقَط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به إلى عمر .

1) B.

١ أمر .

فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر ، فسأله عن أمور الناس وهو يخبره ، حتى أخبره بالسفط ، فغضب غضباً شديداً وأمر به فوجيء به في عنقه ، ثم إنته قال : إن تفرق الناس قبل أن تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لأسوءتك . فسار حتى قدم على سلمة^١ فباعه وقسمه في الناس . وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفاً .

وحج بالناس هذه السنة عمر بن الخطاب وحج معه أزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهي آخر حجة حجتها ، وفيها قُتل عمر ، رضي الله عنه .

ذكر الخبر عن مقتل عمر ، رضي الله عنه

قال المسور بن مخرمة : خرج عمر بن الخطاب يطوف يوماً في السوق . فلقبه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وكان نصرانياً ، فقال : يا أمير المؤمنين . أعدني^٢ على المغيرة بن شعبة فإن عليّ خراجاً كثيراً . قال : وكم خراجك ؟ قال : درهمان كل يوم . قال : وأيش صناعتك ؟ قال : نجار ، نقاش ، حدّاد . قال : فما أرى خراجك كثيراً على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغني أنك تقول : لو أردت أن أصنع رحي تطحن بالريح^١ لفعلت ! قال : نعم . قال : فاعمل لي رحي . قال : لئن سلمت لأعملن لك رحي يتحدث بها من بالشرق والمغرب ! ثم انصرف عنه . فقال عمر : لقد أوعدني العبدُ الآن .

1) B. بالهوا .

١ السلمة .

٢ (أعدني : أعني وانصرتني) .

٣٠٤

ثم انصرف عمر إلى منزله ، فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال له :
يا أمير المؤمنين ، اعهد فإنك ميت في ثلاث ليال . قال : وما يدريك ؟ قال :
أجده في كتاب التوراة . قال عمر : [آلهة ! إنك] لتجد عمر بن الخطاب في
التوراة ؟ قال : اللهم لا ولكني أجد حليتك وصفتك وأنتك قد في أجلك .
قال : وعمر لا يحس وجعاً ! فلما كان الغد جاءه كعب فقال : بقي يومان .
فلما كان الغد جاءه كعب فقال : مضى يومان وبقي يوم . فلما أصبح خرج
عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالاً فإذا استوت كبر ، ودخل أبو
لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، فضرب عمر ست
ضربات إحداهن تحت سرتة وهي التي قتله ، وقتل معه كليب بن أبي البكير
الليثي وكان خلفه^١ ، وقتل جماعة غيره .

فلما وجد عمر حرّ السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلّى
بالناس ، وعمر طريح ، فاحتُمّل فأدخل بيته ، ودعا عبد الرحمن فقال له :
إنّي أريد أن أعهد إليك . قال : أتشير عليّ بذلك ؟ قال : اللهم لا . قال :
والله لا أدخل فيه أبداً . قال : فهبني صمتاً حتى أعهد إليّ النفر الذين توفي رسول
الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وهو عنهم راضٍ . ثمّ دعا عليّاً وعثمان والزبير
وسعداً فقال : انتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم ؛ أنشدك
الله يا عليّ إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس ،
أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني أبي معيط على
رقاب الناس^١ ، أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل أقاربك
على رقاب الناس ، قوموا فتشاوروا ثمّ اقضوا أمركم وليصل بالناس صهيّب .

1) Hic nova in B. incipit lacuna.

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري ، فقال : قم علي بايهم فلا تدع أحداً يدخل إليهم . وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلي محسنهم ويعفو عن مسيئتهم ، وأوصي الخليفة بالعرب . فإنهم مادة الإسلام . أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم ، وأوصي الخليفة بدمية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يوفي لهم بعهدهم ، اللهم هل بلغت ؟ لقد تركت الخليفة من بعدي علي أنقى من الراحة ، يا عبد الله بن عمر ، اخرج فانظر من قتلي . قال : يا أمير المؤمنين ، قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . قال : الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ! يا عبد الله بن عمر ، اذهب إلى عائشة فسألها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر . يا عبد الله ، إن اختلف القوم فكن مع الأكثر ، فإن تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف ، يا عبد الله : ائذن للناس . فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم : أهذا عن ملائمتكم ؟ فيقولون : معاذ الله ! قال : ودخل كعب الأحبار مع الناس فلما رآه عمر قال :
توعدني كعب ثلاثاً أعدّها ولا شك أن القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت ، إنني لميت . ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب ،
ودخل عليه علي يعودُهُ فقعد عند رأسه ، وجاء ابن عباس فأثنى عليه ، فقال له عمر : أنت لي بهذا يا ابن عباس ؟ فأوما إليه علي أن قل نعم . فقال ابن عباس : نعم . فقال عمر : لا تغرني أنت وأصحابك . ثم قال : يا عبد الله ،

١ أن يوفوا .

٢ أبني .

٣ فوعدني .

٤ ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب .

٥ إن .

خُذْ رَأْسِي عَنِ الْوَسَادَةِ فَضَعَهُ فِي التَّرَابِ¹ لَعَلَّ اللَّهَ ، جَلَّ ذِكْرُهُ ، يَنْظُرَ إِلَيَّ
فِي رَحْمَتِي ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ .
وَدَعِيَ لَهُ طَيْبٌ مِنْ بَنِي الْحَرِثِ بْنِ كَسْبٍ فَسَقَاهُ نَبِيذًا فَخَرَجَ غَيْرَ² مُتَغَيِّرٍ ،
فَسَقَاهُ لَبَنًا فَخَرَجَ كَذَلِكَ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ : اعْهَدْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : قَدْ
فَرَعْتُ .

وَمَا احْتَضَرَ وَرَأْسَهُ فِي حَجَرٍ وَلَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ :

ظَلَمْتُ لِنَفْسِي غَيْرَ أَنِّي مُسَلِّمٌ أَصَلِّي الصَّلَاةَ كُلَّهَا وَأَصُومُ

وَلَمْ يَزَلْ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَيُذَكِّرُ الشَّهَادَةَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ لِثَلَاثِ بَقِيْنَ
مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ . وَقِيلَ : طُعِنَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ
ذِي الْحِجَّةِ وَدُفِنَ يَوْمَ الْأَحَدِ هَلَالِ مَحْرَمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ .

وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ، وَبَوَّعَ عَثْمَانُ لِثَلَاثِ
مَضِيْنَ مِنَ الْمَحْرَمِ . وَقِيلَ : كَانَتْ وَفَاتُهُ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَبَوَّعَ
عَثْمَانُ لِلَيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَاسْتَقْبَلَ بِخِلَافَتِهِ هَلَالِ مَحْرَمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ .
وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عَمْرًا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ عَشْرَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . وَصَلَّى
عَلَيْهِ صُهَيْبٌ ، وَحُمِلَ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ ، وَدُفِنَ عِنْدَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَأَبِي بَكْرٍ ، وَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ عَثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو .

1) Fina lacuna in B.

2) Om. C. P.

ذکر نسب عمر وصفته وعمره

فأما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ، وكنيته أبو حفص ، وأمه حنثمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهي ابنة عم أبي جهل ، وقد رعم من لا معرفة له أنها أخت أبي جهل ، وليس بشيء .
وسماه لني ، صلى الله عليه وسلم ، الفاروق ، وقيل : بل سماه أهل الكتاب .

وأما صفته فكان طويلاً آدم أصلع أعسر يَسْرَأ ، يعني يعمل بيديه ، وكان لطوله كأنه راكب ، وقيل : كان أبيض أبيض ، يعني شديد البياض ، تعلوه حمرة ، طوالاً أصلع أشيب ، وكان يصفّر لحيته ويرجل رأسه . وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة ، وقيل : ابن ستين سنة ، وقيل : ابن ثلاث وستين سنة وأشهر ، وهو الصحيح ، وقيل : ابن إحدى وستين سنة .

(رياح بكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان) .

ذکر أسماء ولده ونسائه

تزوج عمر في الجاهلية زيب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وجفصة . وتزوج أَيْمَكَةَ بنت جرول الخزرجية في الجاهلية ، فولدت له عبيد الله بن عمر ، ^وفها في الهدية ، فحلف عليها أبو جهنم بن حذيفة ، وقتل ع .

مع معاوية ، وقيل : كانت أمه أم زيد الأصغر أم كلثوم بنت جرّول الخزاعي ، وكان الإسلام فرّق بينها وبين عمر . وتزوج قُرَيْبَةَ بنت أبي أميّة المخزومي في الجاهليّة ، ففارقها في الهدنة أيضاً ، فتزوجها بعده عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق ، فكانا سلفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأن قُرَيْبَةَ أخت أمّ سلّمة زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم . وتزوج أمّ حكيم بنت الحرث بن هشام المخزومي في الإسلام ، فولدت له فاطمة فطلقها^١ ، وقيل لم يُطَلِّقها . وتزوج جميلة أخت^٢ عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح^٣ الأوسي الأنصاري في الإسلام ، فولدت له عاصماً فطلقها ، ثمّ تزوج أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب ، وأمها فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها أربعين ألفاً ، فولدت له رُقَيْبَةَ وزيداً . وتزوج لُهِيبَةَ^٤ امرأة من اليمن ، فولدت له عبد الرحمن الأوسط ، وقيل الأصغر ، وقيل : كانت أمّ ولد ، وكانت عنده فُكَيْهَةَ أم ولد فولدت له زينب ، وهي أصغر ولد عمر . وتزوج عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر الصديق ، فقتل عنها ، فلما مات عمر تزوجها الزُبَيْر بن العوّام ، فقتل عنها أيضاً ، فخطبها عليّ ، فقالت : لا أفعل ، إنني أضنّ^١ بك عن القتل فإنك بقيّة الناس . فتركها .

وخطب أمّ كلثوم ابنة أبي بكر الصديق إلى عائشة ، فقالت أمّ كلثوم : لا حاجة لي فيه ، إنه خشين العيش شديد على النساء . فأرسلت عائشة إلى عمرو

١) أخى .

١ فاطمها .

٢ بنت .

٣ الأفلح .

٤ فكيهة .

ابن العاص فقال: أنا أكفيك . فأتى عمر فقال : بلغني خبراً أعينك بالله منه . قال :
 ما هو ؟ قال : خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر . قال : نعم ، أفرغبت بي عنها
 أم رغبت بها عني ؟ قال : ولا واحدة ، ولكنها حدّثة نشأت تحت كنف
 أمير المؤمنين في لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهابك وما نقدر أن نردك عن
 خلق من أخلاقك ، فكيف بها إن خالفتك في شيء فسطوت بها كنت قد
 خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحقّ عليك . وقال : فكيف بعائشة وقد كلّمتها ؟
 قال : أنا لك بها وأدلك على خير منها ، أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب تعلق
 منها بسبب من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .
 وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت : يغلق بابه .
 ويمنع خيره ، ويدخل عابساً ويخرج عابساً .

ذكر بعض سيرته ، رضي الله عنه

قال عمر : إنّما مثل العرب مثل جمل أنيفٍ اتبع قائده فليُنظر قائده حيث
 يقوده ، فأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق ! قال نافع العيشي : دخلتُ
 حبراً¹ الصدقة مع عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب ، قال : فجلس عثمان
 في الظلّ يكتب وقام عليّ على رأسه يملي عليه ما يقول عمر ، وعمر قائم في
 الشمس في يوم شديد الحرّ عليه بُردان أسودان اتزر بأحدهما ولف الآخر على
 رأسه بعد إبل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها . فقال عليّ لعثمان : في كتاب الله :

1) C. P. et Br. Mus. Bodl. حبر ; خير .

1 سرّ . (والحبر : شبه الحظيرة) .

﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾¹
ثم أشار عليّ بيده إلى عمر وقال : هذا القويّ الأمين .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيتُ عمر أخذ بتبنة من الأرض فقال :
يا ليتني هذه التبنة ، يا ليتني لم أكلُ شيئاً ، يا ليت أمي لم تلدني ، يا ليتني كنتُ
نسياً منسياً . وقال الحسن : قال عمر : لئن عشتُ إن شاء الله لأسيرن في الرعيّة
حولاً فإنّي أعلم أنّ للناس حوائج تُقطع دوني أمّا عمالهم فلا يرفعونها إليّ ،
وأمّا هم فلا يصلون إليّ ، فأسير إلى الشام فأقيم شهرين ، وبالجزيرة شهرين ،
وبمصر شهرين ، وبالبحرين شهرين ، وبالكوفة شهرين ، وبالبصرة شهرين ،
والله لنعم الحول هذا ! وقيل لعمر : إن ههنا رجلاً من الأنبار له بصر بالديوان
لو اتخذته كاتباً . فقال : لقد اتخذتُ إذن بطانةً من دون المؤمنين .

قيل : خطب عمرُ الناسَ فقال : والذي بعث محمداً ، صلّى الله عليه
وسلم ، بالحقّ لو أنّ جملاً هلك ضياعاً بشطّ الفرات لحشيتُ أن يسألني الله عنه .

وقال أبو فراس : خطب عمرُ الناسَ فقال : أيّها الناس . إنّي ما أرسل
إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم² ولا ليأخذوا أموالكم وإنّما أرسلهم إليكم
ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ ، فوالذي
نفس عمر بيده لأقصنّه منه . فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايتُك
إن كان رجل من [أمراء] المسلمين على رعيّة فأدّب بعض رعيّته إنك لتقصّه
منه ؟ قال : إي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنّه منه ، وكيف لا أقصّه منه
وقد رأيتُ النبي ، صلّى الله عليه وسلم ، يقصّ من نفسه ! ألا لا تضربوا
المسلمين فتذلّوهم ، ولا تحمدوهم فتفتنّوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ،
ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم .

1) Corani 28 , vs. 26.

2) نساءكم .

قال بكر بن عبد الله : جاء عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلاً ، فقال له عبد الرحمن : ما جاء بك في هذه الساعة ؟ قال . رفقة نزلت في ناحية السوق خشيتُ عليهم سُراق المدينة ، فانطلق فلنحرسهم . فأتيا السوقَ فقعدا على نشز من الأرض يتحدثان ، فرُفِعَ لهما مصباحٌ فقال عمر : ألم أنه عن المصاييح بعد النوم ؟ فانطلقا فإذا قوم على شراب لهم . قال : انطلق فقد عرفته . فلما أصبح أرسل إليه قال : يا فلان كنت وأصحابك البارحة على شراب ! قال : وما أعلمك يا أمير المؤمنين ؟ قال : شيء شهدته . قال : أوله ينهك الله عن التجسس ؟ فتجاوز عنه .

وإنما نهى عمر عن المصاييح لأن الفأرة تأخذ الفتيلة فترمي بها في سقف البيت فتحرقه ، وكانت السقوف من جريد ، وقد كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نهى عن ذلك قبله .

وقال أسلمٌ : وخرج عمر إلى حرّة واقم وأنا معه ، حتى إذا كنا بصيرار إذا نار تسعّر . فقال : انطلق بنا إليهم . فهرولنا حتى دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون . فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء . وكره أن يقول : يا أصحاب النار . قالت : وعليك السلام . قال : أدنو ؟ قالت : ادنُ بخير أو دع . فدنا فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد . قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : [من] الجوع . قال : وأي شيء في هذه القدر ؟ قالت : ما لي ما أسكتهم حتى يناموا فأنا أعللهم وأوهمهم أنتي أصلح لهم شيئاً حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر ! قال : أي رحمتك الله . ما يُدري بكم عمر ؟ قالت : يتولى أمرنا ويغفل عنا . فأقبل عليّ وقال : انطلق بنا . فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلاً فيه كبة شحم فقال : أحمله على ظهري . قال أسلم : فقلت : أنا أحمله عنك ، مرتين أو ثلاثاً . فقال آخر ذلك : أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أمّ لك ! فحملته

عليه . فانطلق وانطلقتُ معه نهروا حتى انتهينا إليها ، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها : ذُرِّي عليّ وأنا أحرك^١ لك ، وجعل ينفخ تحت القدر ، وكان ذا لحية عظيمة ، فجعلتُ أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج ثم أنزل القدر ، فأنته بصحفة^٢ فأفرغها [فيها] ثم قال : أطعميهم وأنا أسطح لك ، فلم يزل حتى شعوا ، ثم خلّيتُ عندها فضل ذلك ، وقامتُ معه ، فجعلتُ تقول : جزاك الله خيراً ، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين ! فيقول : قولي خيراً فإنك إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدني^٣ هناك ، إن شاء الله ! ثم تنحى ناحية^٤ ثم استقبلها وربض لا يكلمني حتى رأى الصبية يضحكون ويصطرعون ، ثم ناموا وهدأوا ، فقام وهو يحمد الله ، فقال : يا أسلم ، الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببتُ أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيتُ منهم .

(صِرار بكسر الصاد المهملة ورائين) .

قال سالم بن عبد الله بن عمر : كان عمر إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله فقال : إنني نهيتُ الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم . وأقسم بالله لا أجد أحداً [منكم] فعله إلا أضعفتُ عليه العقوبة . قال سلام بن مسكين : وكان عمر إذا احتاج أنى صاحب بيت المال فاستقرضه ، فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتناضاه فيلزمه فيحتال له عمر . وربما خرج عطاؤه فقضاه .

قال : وهو أول من دعي بأمير المؤمنين وذلك أنه لما ولي قالوا له : يا خليفة خليفة رسول الله . فقال عمر : هذا أمر بطول ، كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة

١ أحسن .

٢ بصحفتها .

٣ وجدتي .

خليفة خليفة رسول الله ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فسمي أمير المؤمنين .
وهو أول من كتب التاريخ ، وقد تقدم .

وهو أول من اتخذ بيت مال ، وأول من عسّ الليل ، وأول من عاقب
على الهجاء ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع الناس
في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات ، وكانوا قبل ذلك يصلّون أربعاً وخمسة وستة .
قال الواقدي :

وهو أول من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح في شهر رمضان
وكتب به إلى البلدان وأمرهم به ، وهو أول من حمل الدرّة وضرب بها ، وأول
من دوّن في الإسلام .

قال زاذان : قال عمر لسلمان : أملك أنا أم خليفة ؟ قال له سلمان :
إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر ووضعته في غير حقه
فأنت ملك غير خليفة . فبكى عمر .

وقال أبو هريرة : يرحم الله ابن حنّمة ! لقد رأيتُه عام الرمادة وإنه ليحمل
على ظهره جرابين وعُكة زيت في يده وإنه ليتعقب¹ هو وأسلم ، فلما رأني قال :
من أين يا أبا هريرة ؟ قلتُ : قريباً ، فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صرار
فلذا نحو من عشرين بيتاً من محارب ، فقال لهم : ما أقدمكم ؟ قالوا : الجهد ،
وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويّاً كانوا يأكلونه ورمّة العظام مسحوقة كانوا
يستفّونها ، فرأيتُ عمر طرح رداءه ثمّ اتّزر فما زال يطبخ حتى أشبعهم ،
ثمّ أرسل أسلم إلى المدينة فجاءنا بأبيرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبابة ثمّ
كساهم ، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك .

قال أبو خبيّمة : رأيت الشفاء بنت عبد الله فتياناً يقصدون في المشي ويتكلمون

1) ليمتقب C. P.

رويداً، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : نُسَّاك ، فقالت : كان والله عمر إذا تكلمت
أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو والله ناسك حقاً .

قال الحسن : خطب عمر الناس وعليه إزار فيه اثنا عشرة رقعة منها آدم .
قال أبو عثمان النهدي : رأيتُ عمرَ يرمي الجمرَ وعليه إزار مرقع بقطعة
جراب ، وقال عليٌّ : رأيتُ عمر يطوف بالكعبة وعليه إزار فيه إحدى وعشرون
رقعة فيها من آدم .

وقال الحسن : كان عمر يمرّ بالآية من وِردِهِ^١ فيسقط حتى يعاد كما يعاد
المريض ، وقيل : إنه سمع قارئاً يقرأ والطُور ، فلما انتهى إلى قوله تعالى :
﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾^٢ ، سقط ثم تحامل إلى
منزله فمرص شهراً من ذلك . قال الشعبي : كان عمر يطوف في الأسواق
ويقرأ القرآن ويقضي بين الناس حيث أدركه الحُصوم .

قال موسى بن عقبة : أتى رهط إلى عمر فقالوا له : كثر العيال واشتدت
زُرنةُ فردنا في عطائنا . قال : فعلتموها ، جمعتم بين الضرائر واتخذتم الخدم
مال الله لو ددتُ أتى وإياكم في سفينة^٢ في لُجَّة البحر بذهب بنا شرقاً
وإذا قلر معجز الناس أن يولتوا رجلاً منهم فإن استقام اتبعوه وإن جنف
وطلحة : وما عليك لو قلت : وإن تعوج عزلوه ؟ قال : لا ،
متر أنكل لمن بعده ، احذروا فتى ابن قريش وبن كريمها الذي لا ينام إلا
على الرأب^١ ، الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته .

١) Corani 52 . vs. 7 , 8 .

١ بالانية من وردة

٢ سفيتين

قال مجالد : ذكر رجل عند عمر فقيل : يا أمير المؤمنين ، فاضل لا يعرف من الشر شيئاً . قال : ذاك أوقع له فيه . قال صالح بن كيسان : قال المغيرة بن شعبة : لما دفن عمر أتيتُ علياً وأنا أحبُّ أن أسمع منه في عمر شيئاً ، فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك أن الأمر بصير إليه ، فقال : يرحم الله ابن الخطّاب ، لقد صدقت ابنة أبي حثمة^١ ، ذهب بخيرها ونجا من شرّها ، أما^٢ والله ما قالت ولكن قوّلت . وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو في عمر :

فجعتني فيروزُ لا درّ درّه^١ بأيّضِ تالٍ للكتابِ نجيبِ
رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدا أخي ثقةٍ في النائباتِ منيبِ
متى ما بقلٍ لا يكذب القولَ فعنه^٢ سريعٍ إلى الخيراتِ غيرِ قطوبِ
وقالت أيضاً :

عينِ جودي بعبرةٍ ونجيبِ لا تملتي على الإمامِ النجيبِ
فجعتني المنونُ بالفارسِ المّع لم يَوْمَ الهياجِ والتليبِ
عصمةِ الناسِ والمعينِ على الدهرِ رِ وغَيْثِ المُنتابِ والمحروبِ
قلْ لأهلِ الثراءِ والبؤسِ موتوا قد سقتهُ المنونُ كأسَ شحوبِ

قال ابن المسيّب : وحجّ عمر فلما كان بضجّنان قال : لا إله إلا الله العظيم العليّ المعطي ما شاء من شاء ، كنتُ أرعى إبل الخطّاب في هذا الوادي في مدرّعة صوفٍ ، وكان فظاً يتسبني إذا عملتُ ويضربني إذا قصرتُ ، وقد أسيتُ وليس بيني وبين الله أحد ، ثمّ تمثّل :

١ حثمة .

٢ أم .

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته
 لم تغن عن هُرمزٍ يوماً خزائنه
 ولا سليمان إذ تجري الرياحُ به
 أين الملوكُ التي كانت نوافلها
 حوضاً هنالك موروداً بلا كذبٍ
 لا بد من وِردِهِ يوماً كما وِردوا
 يبقى الإلهُ ويودي المالُ والوَلَدُ
 والحلْدَ قد حاولتُ عادٌ فما خلدوا
 والإنسُ والجنُ فيما بينها يردُ
 من كلِّ أوبٍ إليها راكبٌ يَفِدُ

قال أسلم : إن هند بنت عتبة استقرضت عمر من بيت المال أربعة آلاف
 تنجر فيها وتضمنها ، فأقرضها ، فخرجت فيها إلى بلاد كلب فاشترت وباعت ،
 فبلغها أن أبا سفيان وابنه عمراً أتيا معاوية ، فعذلت إليه ، وكان أبو سفيان قد
 طلقها ، فقال لها معاوية : ما أقدمك أي أمه ؟ قالت : النظر إليك أي بني ، إنه
 عمر ، وإنما يعمل لله وقد أتاك أبوك فخشيتُ أن تُخرج إليه من كل شيء وأدل
 ذلك هو ولا يعلم الناس من أين أعطيته فيؤنبوك ويؤنبك^١ عمر فلا يستقبلها^٢ أبداً .
 فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار وكساهما وحملهما ، فتسخطها^٢ عمرو ، فقال
 أبو سفيان : لا تسخطها فإن هذا عطاء لم تغب^٣ عنه هند . ورجعوا جميعاً ، فقال
 أبو سفيان لهند : أربحتِ ؟ قالت : الله أعلم . فلما أتت المدينة وباعت شكت
 الوضيعة ، فقال لها عمر : لو كان مالي لركتُه لك ، ولكنه مال المسلمين . وقال
 لأبي سفيان : بكم أجازك معاوية ؟ قال : بمائة دينار .

قال ابن عباس : بينما عمر بن الخطاب وأصحابه يتذاكرون الشعر فقال
 بعضهم : فلان أشعر ، وقال بعضهم : بل فلان أشعر ، قال : فأقبلت فقال

١ فياترك وياتيك . B . 1)

١ تستقبلها .

٢ وحملها فيسخطها .

عمر : قد جاءكم أعلم الناس بها ، من أشعر الشعراء ؟ قال : قلت : زهير بن أبي سلمى . فقال : هلم من شعره ما نستدل به على ما ذكرت . فقلت : امتدح قوماً من غطفان فقال :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ قومٌ لأولهم يوماً إذا قعدوا
 قومٌ أبوهم سنانٌ حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
 حين إذا فزعوا إنس إذا أمنوا مُردون بهاليل إذا جهدوا
 مُحسِّلون على ما كان من نعيم لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

فقال عمر : أحسن والله وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقرابتهم منه . فقلت : ووقفت يا أمير المؤمنين ولم تزل موقفاً^٣ ! فقال^١ : يا ابن عباس ، أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمد ، صلى الله عليه وسلم ؟ فكرهت أن أجيبه فقلت : إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يُدريني ! فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم ببحاً ببحاً ، فاختارت قريش لأنفسها فأصابته ووقفت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن تأذن لي في الكلام وتُعطني الغضب

1) In C. P. h. l. in Margine manu librarii hæc nota adscripta exstat:

من قوله فقال يا ابن عباس إلى آخر الصحيفة الثانية .

غلط زايدس لم نجده في ساير النسخ قاتل الله تعالى واضعه (i. e. ad finem usque capitis hujus)

At, in omnibus, quæ inspexi, exemplaribus verba illa adsunt.

- ١ قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
- ٢ إنس إذا أمنوا ، حين إذا فزعوا مُرزاون بهاليل إذا حسدوا
- ٣ وقعت . . . موقفاً .
- ٤ منكم .

تكلّمتُ . قال : تكلّم . قلتُ : أمّا قولك يا أمير المؤمنين : اختارت قريش
لأنفسها فأصابت ووفقت ، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حين اختار الله لها لكان
الصواب بيدها غير مردود ولا محسود . وأمّا قولك : إنهم أبوا أن تكون لنا
النبوة والخلافة ، فإن الله ، عز وجل ، وصف قوماً بالكراهة فقال :
﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾^١ . فقال
عمر : هيهات والله يا ابن عباس ، قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره
أن أقرّك عليها فتزِيل^٢ منزلتك مني . فقلتُ : ما هي يا أمير المؤمنين ؟ فإن
كانت حقاً فما ينبغي أن تزِيل منزلتي منك ، وإن كانت باطلاً فمثلي أَمَاط
الباطل عن نفسه . فقال عمر : بلغني أنك تقول : إنما صرفوها عنك حسداً
وبغياً وظلماً . فقلت : أمّا قولك يا أمير المؤمنين : ظلماً ، فقد تبين للجاهل
والحليم ، وأمّا قولك : حسداً ، فإن آدم حسد ونحن ولده المحسدون .
فقال عمر : هيهات هيهات ! أبت والله قلوبكم^٣ يا بني هاشم إلا حسداً لا
يزول . فقلت : مهلاً يا أمير المؤمنين ، لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش ، فإن قلب رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، من قلوب بني هاشم . فقال عمر : إليك عني يا ابن عباس .
فقلتُ : أفعُل . فلما ذهبت لأقوم^٤ استحباً مني فقال : يا ابن عباس ،

1) Corani 47, vs. 9.

١ قال .

٢ لتزيل .

٣ قلوبهم .

٤ عن الحسد .

٥ أقوام .

مكانتك ! فوالله إنني لراعٍ لحقك محبة لما سرّك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم ، فمن حفّظه فحفظه أصاب ، ومن أضاعه فحفظه أخطأ . ثمّ قام فمضى .

ذكر قصة الشورى

قال عمر بن ميمون الأودي : إنّ عمر بن الخطاب لما طعن قيل له : يا أمير المؤمنين لو استخلفت . فقال : لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته وقلتُ لربّي إن سألني : سمعتُ نبيك يقول : « إنّه أمين هذه الأمة » . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته وقلتُ لربّي إن سألني : سمعتُ نبيك يقول : « إنّ سالماً شديد الحبّ لله تعالى » . فقال له رجل : أدلك على عبد الله بن عمر . فقال : قاتلك الله ، والله ما أردتَ الله بهذا ! ويحك ! كيف استخلف رجلًا عجز عن طلاق امرأته ؟ لا أرب لنا في أموركم ، فما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ، إن كان خيراً فقد أصبنا منه ، وإن كان شراً فقد صُرف عنا ، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويُسأل عن امرأة محمد ، أمّا لقد جهدتُ نفسي وحرمتُ أهلي ، وإن نجوتُ كفافاً لا وزر ولا أجر إنني لسعيد ؛ وأنظر فإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ، ولن يضيع الله دينه .

فخرجوا ثمّ راحوا فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو عهدتَ عهداً . فقال : قد كنتُ

1) ضرب Br. Mus.

أجمعت بعد مقالتي أن أنظر فأولتي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق ، وأشار إلى عليّ ، فرهقني غشبة فرأيتُ رجلاً دخل جنة فجعل يقطف كل غضة ويأنعه فيضمه إليه وبصيره تحته ، فعلمتُ أن الله غالبٌ [علي] أمره ، فما أردتُ أن أتحمّلها حياً وميتاً ، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إنهم من أهل الجنة ، وهم عليّ وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، فليختاروا منهم رجلاً ، فإذا لتوا والياً فأحسنوا موازرتة وأعينوه .

فخرجوا فقال العباس لعليّ : لا تدخل معهم . قال : إنني أكره الخلاف . قال : إذن ترى ما تكره . فلما أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن والزبير فقال لهم : إنني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وقد قبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عنكم راضٍ . وإنني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ولكني أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس ، فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذنها فتشاوروا فيها . ووضع رأسه وقد نزفه الدم .

فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر : سبحان الله ! إن أمير المؤمنين لم يمّت بعد . فسمعه عمر فأنبته وقال : [ألا] أعرضوا عن هذا فإذا متُّ فتشاوروا ثلاثة أيام وليصلّ بالناس صُهب ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم¹ ، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الأمر ، وطلحة شريككم في الأمر ، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضره أمركم ، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فأمضوا أمركم ، ومن لي بطلحة ؟ فقال سعد ابن أبي وقاص : أنا لك به ولا يخالف إن شاء الله تعالى . فقال عمر : أرجو أن لا يخالف إن شاء الله ، وما أظنّ يلي إلا أحد هذين الرجلين : عليّ أو عثمان ،

1) Om. Bodl.

فإن ولي عثمان فرجل فيه لين ، وإن ولي علي فففيه دُعاة ، وأحرى به أن يحملهم على طريق الحق ، وإن تولوا سعداً فأهله هو وإلا فليستن به الوالي ، فإنني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة ، ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف ، فاسمعوا منه وأطيعوا .

وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة ، إن الله طالما أعزّ بكم الإسلام فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم .
وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتوني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً .

وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما ، وإن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكّموا عبد الله بن عمر ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقي إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس .

فخرجوا فقال علي لقوم معه من بني هاشم : إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً ، وتلقاه عمه العباس فقال : عدتُ عنا ! فقال : وما علمك ؟ قال : قرن بني عثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر ، فإن رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ، فسعد لا يخالف ابن عمه ، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها أحدهما الآخر ، فلو كان الآخرا معي لم ينفعاني . فقال له العباس : لم أرفعك¹ في شيء إلا رجعت إلي مستأخراً لما أكره ، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت ، فأشرتُ عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت ، وأشرتُ

1) لم أدفك . ut B .

عليك حين سمّاك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت، احفظ عني واحدة: كلما عرض عليك القوم فقل: لا، إلا أن يولوك، واحذر هؤلاء الرهط فإنهم لا يرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم به لنا غيرنا، وإيم الله لا يناله إلا بشر لا ينفع معه خير! فقال علي: أما لئن بقي عثمان لأذكرنه ما أتى، ولئن مات ليتداولسها بينهم، ولئن فعلوا لتجدني حيث يكرهون، ثم تمثل:

حلفتُ برَبِّ الرّاقصاتِ¹ عشيةً غَدَوْنَ خِيفاً فابْتَدَرْنَ¹ الْمُحْصَبَا
ليخْتَلينَ رَهْطُ ابنِ يَعْمرَ قارناً² نجيعاً بنو الشَّدَاخِ ورداً مصَلِّبَا

والثفت فرأى أبا طلحة فكره مكانه، فقال أبو طلحة: لن تُراع³ أبا الحسن. فلما مات عمر وأخرجت جنازته صلى عليه صهيب، فلما دُفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة، وقيل: في بيت المال، وقيل: في حجرة عائشة بإذنها، وطلحة غائب، وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب، فحصبهما سعد وأقامهما وقال: تريدان أن تقولوا: حضرنا وكنا في أهل الشورى! فتنافس القوم في الأمر وكثر فيهم الكلام، فقال أبو طلحة: أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها، والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر، ثم أجلس في بيتي فأنظر ما تصنعون! فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟ فلم يجبه أحد. فقال: فأنا أنخلع منها. فقال عثمان: أنا أول من رضي. فقال القوم: قد رضينا. وعلي ساكت. فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطني موثقاً لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى

1) Br. Mus. فابتدرن .

2) B. قارناً .

3) Bodl. ندع .

ولا تخصّ ذاً رحم ولا تألو الأُمَّة [نُصحاً] . فقال . أعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي على من بدّل وغير وأن ترضوا من احترت لكم ، وعليّ ميثاق الله أن لا أخصّ ذاً رحم لرحمه ولا آلو المسلمين ؛ فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله ، فقال لعليّ : تقول إنّي أحقّ من حضر هذا الأمر لقربتك وسابقتك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد ، ولكن رأيت لو صُرف هذا الأمر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرّهط أحقّ به ؟ قال : عثمان . وخلا بعثمان فقال : تقول^١ شيخ من بني عبد مناف ، وصهر رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وابن عمّه ، ولي سابقة وفضل ، فأين يُصرف هذا الأمر عني ؟ ولكن لو لم تحضر^٢ أي هؤلاء الرّهط تراه أحقّ به ؟ قال : عليّ .

ولقي عليّ سعداً فقال له : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾^٣ ، أسألك برحم ابني هذا من رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وبرحم عمّي حمزة منك أن تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً^١ . ودار عبد الرحمن لياليه يلقي أصحاب رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس يشاورهم ، حتى إذا كان الليلة التي صبيحتها تستكمل الأجل أتى منزل المسور بن مخرمة فأيقظه وقال له : لم أذق في هذه الليلة كبير غمض ، انطلق فادعُ الزبير وسعداً . فدعاهما . فبدأ بالزبير فقال له : نخل بني عبد مناف وهذا الأمر . قال : نصيبي لعليّ . وقال لسعد : اجعل نصيبك لي . فقال : إن اخترت نفسك فنعم ، وإن

١) ظهر أ. C. P. & B.

١ يقول .

٢ يحضر .

٣ (سورة النساء ٤ ، الآية ١) .

اخترت عثمان فعلي^١ أحب إليّ ؛ أيها الرجل ، بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا . فقال له : قد خلعت نفسي على أن أختار ، ولو لم أفعل لم أردّها ، إنني رأيت روضة خضراء كثيرة العشب ، فدخل فحلّ ما رأيت أكرم منه فمرّ كأنه سهم لم يلتفت إلى شيء منها حتى قطعها لم يعرج ، ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج منها ، ثم دخل فحلّ عبقرى يجرّ خطامه ومضى قصد الأولين ، ثم دخل بعير^٢ رابع فرتع^٣ في الروضة ، ولا والله لا أكون الرابع ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه .

قال : وأرسل المسور فاستدعى عليّاً فناجاه طويلاً وهو لا يشكّ أنه صاحب الأمر ، ثم نهض ، ثم أرسل إلى عثمان فتناجيا حتى فرّق بينهما الصبح .

قال عمرو بن ميمون : قال لي عبد الله بن عمر : من أخبرك أنه يعلم ما كلم به عبد الرحمن بن عوف عليّاً وعثمان فقد قال بغير علم فوق قضاء ربك على عثمان . فلما صلّوا الصبح جمع الرهط وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار وإلى أمراء الأجناد فاجتمعوا حتى التجمّع^١ المسجد بأهله فقال : أيها الناس ، إن الناس قد أجمعوا^٢ أن يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم ، فأشيروا عليّ . فقال عمار : إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليّاً . فقال المقداد بن الأسود : صدق عمار ، إن بايعت عليّاً قلنا : سمعنا وأطعنا . قال ابن أبي سرح : إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان . فقال عبد الله بن أبي ربيعة : صدقت إن بايعت عثمان قلنا : سمعنا وأطعنا . فشمّ عمار^٣ ابن أبي سرح وقال^٤ : متى كنت تنصح المسلمين ؟ فتكلّم

١) B. ارنج .

٢) C. P. أحبوا .

١ فوق .

٢ التحم .

٣ . فشمّ عمار بن أبي سرح قال .

بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار : أيها الناس ، إن الله أكرمنا بنبيه وأعزنا
 بدينه فأنتي تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ؟ فقال رجل من بني
 مخزوم : لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ! فقال
 سعد بن أبي وقاص : يا عبد الرحمن ، افرغ قبل أن يفتن الناس . فقال عبد
 الرحمن : إنني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن أيتها الرهط على أنفسكم
 سبيلاً : ودعا علياً وقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة
 رسوله وسيرة الخليفين من بعده . قال : أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمي
 وطاقتي : ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي ، فقال : نعم نعمل¹ . فرفع
 رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال : اللهم اسمع واشهد اللهم
 أني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان ، فبايعه .

فقال علي : ليس هذا أول يوم² تظاهرتم فيه علينا . ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾
 وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١﴾ . والله ما ولت عثمان إلا نيرد³
 الأمر إليك . والله كل يوم في شأن ! فقال عبد الرحمن : يا علي ، لا تجعل
 على نفسك حجة وسبيلاً . فخرج علي وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله . فقال
 المقداد : يا عبد الرحمن : أما والله لقد تركته وإنه من الذين يقضون بالحق
 وبه يعدلون . فقال : يا مقداد ، والله لقد اجتهدت للمسلمين . قال : إن
 كنت أردت الله فأثابك الله ثواب المحسنين . فقال المقداد : ما رأيت مثل ما
 أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم . إنني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً
 ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالعدل ولا أعلم منه . أما والله لو أجد أعواناً
 عليه ! فقال عبد الرحمن : يا مقداد اتق الله فإنني خائف عليك الفتنة . فقال

1) Om. Br. Mus. et Bodl.

2) أمر C. P.

3) ليعد C. P.

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ١٨) .

رجل للمقداد : رحمتك الله ، من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل ؟ قال : أهل البيت بنو عبد المطلب ، والرجل عليّ بن أبي طالب . فقال عليّ : إن الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظروا بينها فتقول : إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت في غيرهم تداولتموها بينكم .

وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فقيل له : بايعوا لعثمان . فقال : كل قريش راضٍ به ؟ قالوا : نعم . فأتى عثمان ، فقال له عثمان : أنت علي رأس أمرك وإن أبيت رددتها . قال : أتردّها ؟ قال : نعم . قال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم . قال : قد رضيتُ لا أرغب عما أجمعوا عليه . وبإيعه .

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن : يا أبا محمد قد أصبت أن بايعت عثمان . وقال لعثمان : ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا . فقال عبد الرحمن : كذبت يا أعور ، لو بايعت غيري لبابعتته ولقلت هذه المقالة . قال : وكان المسور يقول : ما رأيت أحداً بذّ قوماً فيما دخلوا فيه بمثل ما بذّهم عبد الرحمن . قلتُ قوله : إن عبد الرحمن صهر عثمان ، يعني أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي معيط ، وهي أخت عثمان لأمه خلف عليها عُقبة بعد عثمان¹ .

وقد ذكر أبو جعفر رواية أخرى في الشورى عن المسور بن مخرمة وهي تمام حديث مقتل عمر . وقد تقدّم ، والذي ذكره ههنا قريب من الذي تقدّم آنفاً ، غير أنه قال : لما دُفن عمر جمعهم عبد الرحمن وخطبهم وأمرهم بالاجتماع وترك التفرّق ، فتكلّم عثمان فقال : الحمد لله الذي اتخذ محمداً نبياً وبعثه رسولاً وصدقته وعده ووهب له نصرته على كل من بعد نبياً أو قرّب رَحِيماً ،

1) صفان . Bodl.

صلى الله عليه وسلم، جعلنا الله له تابعين، وبأمره مهتدين، فهو لنا نور ونحن بأمره
نقوم عند تفرق الأهواء ومجادلة الأعداء . جعلنا الله بفضله أئمة ، وبطاعته أمراء ،
لا يخرج أمرنا منا ، ولا يدخل علينا غيرنا ، إلا من سفه الحق ونكل عن القصد ،
وأحربها^١ يا ابن عوف أن تترك ، وأحدر بها^٢ أن تكون^٣ إن خولف أمرك
وتترك دعاؤك ، فأنا أول مجيب [لك] وداع إليك وكفيل بما أقول زعيم ؛
وأستغفر الله لي ولكم .

ثم تكلم الزبير بعده فقال : أمّا بعد فإن داعي الله لا يُجهل ، ومجيبه لا يُخذل
عند تفرق الأهواء ولي الأعناق ، ولن يقصر عما قلت إلا غوي ، ولن يترك
ما دعوت إليه إلا شقي ، ولولا حدود الله فُرضت ، وفرائض الله حُدّت ،
تُراح على أهلها ونجيا ولا تموت^٤ ، لكان الموت من الإمارة نجاة ، والفرار
من الولاية عصمة ، ولكن لله علينا إجابة الدعوة وإظهار السنة لكلا نموت موة
عِمِيَّةً ، ولا نعمى عمى الجاهلية ، فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما
أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله لي ولكم .

ثم تكلم سعد فقال بعد حمد الله : وبمحمد . صلى الله عليه وسلم ،
أنارت الطُّرُقُ واستقامت السُّبُلُ وظهر كل حقّ ومات كل باطل ، إيتاكم
أيتها نفر وقول الزور وأمنية أهل الغرور ، وقد سلبت الأمانى قوماً قبلكم ورثوا
ما ورثتم ونالوا ما نلتُم فاتخذهم الله عدوًّا ولعنهم لعناً كبيراً . قال الله تعالى :

1) وقالوا ما قلم B) 1)

١ واحرهما .

٢ واحدر بها أن يكون .

٣ وفرائض الله حُدّت تُراح على الله أهلها ونجيا ولا يموت .

٤ الطريقين .

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى قوله : ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^١ ، إنني نكبتُ قرآني^١ وأخذتُ سهمي الفالَجُ^٢ وأخذتُ لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيتُ لنفسي ، فأنا به كفيل وبما أعطيتُ عنه زعيم والأمر إليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النصح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، وأستغفر الله لي ولكم . وأعوذ بالله من مخالفتكم .

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال : الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولاً ، فنحن بيت النبوة ، ومعدن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، لنا حق إن نُعطه نأخذُه ، وإن نُمنعه نركبُ أعجاز الإبل ولو طال السرى ، لو عهد إلينا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عهداً لأنفذنا عهدَه ، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت ، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقٍّ وصلة رحيم . لا حول ولا قوة إلا بالله ، اسمعوا كلامي وعوا منطقي ، عسى أن تروا . هذا الأمر^٢ بعد هذا المجمع تُنتضي فيه السيوف ، وتُخان فيه العهود ، حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم^٣ أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة ، ثم قال :

فإن تكُ جاسمٌ^٤ هلكتُ فإنني بما فعلتُ بنو عبد بن ضجيم^٣
مطيعٌ في الهواجرِ كلِّ غيِّ بصيرٌ بالنوى من كلِّ نجمِ

1) Corani 5, vss. 78, 79.

2) كلامي B.

3) Forte ضجيم legendum.

١ إنني مكبتُ قرآني (والقرآن هنا : اللعبة . أي أنه نثر ما في القرآن من تشاهج)

٢ الفالَجُ .

٣ بعضهم .

٤ جاسم .

فقال عبد الرحمن : أيكم يطيب نفساً أن يُخرج نفسه من هذا الأمر ؟
وذكر قريباً مما تقدم .

• • •

ثم جلس عثمان في جانب المسجد بعد بيعته ، ودعا عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان قتل [قاتل] أبيه أبا لؤلؤة ، وقتل جُفَيْيْنَةَ^١ رجلاً نصرانياً من أهل الحيرة كان ظهيراً لسعد بن مالك ، وقتل الهرمزان ، فلما ضربه بالسيف قال : لا إله إلا الله ! فلما قتل هؤلاء أخذه سعد بن أبي وقاص وحبسه في داره وأخذ سيفه وأحضره عند عثمان ، وكان عبيد الله يقول : والله لأقتلن رجلاً ممن شرك في دم أبي ، يعرض بالمهاجرين والأنصار ، وإنما قتل هؤلاء نفر لأن عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة قتل عمر : رأيتُ عشية أمس الهرمزان وأبا لؤلؤة ، وجُفَيْيْنَةَ^١ وهم يتناجون ، فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، وهو الخنجر الذي ضرب به عمر ، فقتلهم عبيد الله . فلما أحضره عثمان قال : أشيروا عليّ في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق ! فقال عليّ : أرى أن تقتله . فقال بعض المهاجرين : قُتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ! فقال عمرو بن العاص : إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان . فقال عثمان : أنا وليه وقد جعلتها دية وأحتملها في مالي . وكان زياد بن ليلى البياضي الأنصاري إذا رأى عبيد الله يقول :

ألا يا عبيدَ الله ما لك مهربٌ
أصبتَ دماً والله في غيرِ حِلِّهِ
على غيرِ شيء غيرَ أن قالَ قائلٌ
فقال سفيهٌ ، والحوادثُ جَمَّةٌ :
ولا ملجأ من ابنِ أروى ولا خفَرٌ
حراماً وقتلُ الهرمزانِ له خَطَرٌ
أتشهمونَ الهرمزانَ على عمرٍ
نعم إتهيمهُ قد أشارَ وقد أمرُ

١ حنية .

وكان سلاحُ العبدِ في جوفِ بيته يقلبُها والأمرُ بالأمرِ يُعتَبَرُ

فشكا عبيد الله إلى عثمان زياد بن لبيد ، فنهى عثمان زياداً ، فقال في عثمان :

أبا عمرو عبيدُ الله رهنٌ فلا تشكُّكُ^١ بقتلِ الهرمزانِ
فإنك إن غفرتَ^٢ الجرمَ عنه وأسبابَ الخطأِ فرساً رهانِ
أتعفو إذ عفوتَ بغيرِ حقٍّ فما لك بالذي تحكي يدانِ

فدعا عثمان زياداً فنهاه وشدَّ به .

وقيل في فداء عبيد الله غير ذلك ، قال الغمازيان^١ بن الهرمزان : كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض ، فمرَّ فيروز أبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه خنجر^٣ له رأسان فتناوله منه وقال : ما تصنع به ؟ قال : أسن^٢ به . فرآه رجل ، فلما أصيب عمر قال : رأيتُ الهرمزان دفعه إلى فيروز ، فأقبل عبيد الله فقتله ، فلما ولي عثمان أمكني منه فخرجتُ به وما في الأرض أحدٌ إلاّ معي إلاّ أنهم يطلبون إليّ فيه ، فقلتُ لهم : ألي^٣ قتلته ؟ قالوا : نعم ، وسبوا عبيد الله ، قلتُ لهم : أفلكم منعةٌ ؟ قالوا : لا ، وسبوه . فتركته لله ولهم . فحملوني ، فوالله ما بلغت المنزل إلاّ على رؤوس الناس .

والأول أصحّ في إطلاق عبيد الله لأنّ عليّاً لما ولي الخلافة أراد قتله فهرب منه إلى معاوية بالشام ، ولو كان إطلاقه بأمر ولي الدم لم يتعرض له عليّ .

1) C. P. العمادنان ; Br. Mus. الغمازيان .

2) Br. Mus. أنس ; Bodl. ايس .

3) C. P. أبي .

١ تشكُّل .

٢ عفوت .

٣ . فمرَّ فيروز بأبي لؤلؤة ومعه خنجر .

ذكر عدة حوادث

كان العمال فيها على مكة نافع بن عبد الحرث الخزاعي ، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي ، وعلى صنعاء يعلى بن منبته ، وعلى الحند عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة ، وعلى البصرة أبو موسى الأشعري ، وعلى مصر عمرو بن العاص ، وعلى حمص عمير بن سعد ، وعلى دمشق معاوية ، وعلى البحرين وما والاها عثمان بن أبي العاص الثقفي .

وفيهما غزا معاوية الصائفة ومعه عبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري وأبو ذرّ وشداد بن أوس .

وفيهما فتح معاوية عسقلان على صلح ، وكان على قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة كعب بن سور ، وقيل : إن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض . وفي هذه السنة توفي قتادة بن النعمان الأنصاري ، وهو الذي ردّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عينه ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ، وهو بدري ، وقيل : توفي سنة أربع وعشرين . وفي خلافة عمر توفي الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري ، وهو بدري ، وربيع بن الحرث بن عبد المطلب ، وهو أسنّ من العباس ، وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو ، وهو بدري ، وعمير بن وهب بن خلف الجمحي ، شهد أحدًا ، وعتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود ، وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحدًا² ، وعدي بن أبي الزغباء الجهني ، وهو عين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوم بدر وشهد غيرها أيضاً .

وفيهما مات عويم بن ساعدة الأنصاري ، وهو عقبني³ بدري ، وقيل :

1) حرب بدر .

2) Om. B.

3) C. P. عبي .

لأنه من بليّ وله حلف في الأنصار . وفيها مات سهيل بن رافع الأنصاري ،
شهد بدرأ ، ومسعود بن أوس بن زيد الأنصاري ، وقيل : بل عاش بعد ذلك
وشهد صفين مع عليّ . وفيها توفي واقد بن عبد الله التميمي حليف الخطّاب ،
وهو أوّل من قاتل في سبيل الله في الإسلام وقتل عمرو بن الحضرمي ، وكان
إسلامه قبل دخول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، دار الأرقم . وفيها
مات أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، وأخوه عبد الله ، وكان عبد الله بدرياً ،
ولم يشهدا أبو جندل لأن أباه سجنه بمكّة ومنعه من الهجرة إلى يوم الحديبية ،
وقد تقدم كيف خلّص . وفيها مات أبو خالد الحرث بن قيس بن خالد ، وكان
أصابه جرح باليمامة فاندمل ثمّ انتفض عليه فمات منه ، وهو عتقبي بدري .
وفيها مات أبو خراش الهذلي الشاعر ، وخبر موته مشهور . وفيها توفي غيلان
ابن سلّمة الثقفي ، وهو الذي أسلم وتحتة عشر نسوة . وفيها في آخرها مات
الصعب بن جثامة¹ بن قيس الليثي .

1) سهام .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين¹

ذكر بيعة عثمان بن عفان بالخلافة

في المحرم منها ثلاث مضيّن منه ببيع عثمان بن عفان، وقيل غير ذلك على ما تقدّم، وكان هذا العام يسمّى عام الرّعاف لكثرة فيه بالناس. واجتمع أهل الشورى عليه، وقد دخل وقت العصر، فأذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلّى بالناس وزادهم مائة مائة، ووفد² أهل الأمصار، وهو أول من صنع ذلك، وقصد المنبر وهو أشدهم كآبة، فخطب الناس ووعظهم وأقبلوا يبايعونه.

ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبي وقاص

وفيها عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة واستعمل سعد بن أبي وقاص عليها بوصية عمر، فإنه قال: أوصي الخليفة بعدي أن يستعمل سعداً فإنّي لم أعزله عن سوء ولا خيانة، فكان أول عامل بعثه عثمان، فعمل عليها سعد سنةً وبعض أخرى، وقيل: بل أقرّ عثمان عمال عمر جميعهم سنة لأن عمر أوصى بذلك، ثمّ عزل المغيرة بعد سنة واستعمل سعداً؛ فعلى هذا القول تكون

1) Hic incipit Cod. Clarissimi C. Scheferi = S. eximius.

2) ووفد إليه C. P. et B.

إمارة سعد سنة خمس وعشرين .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان ، وقيل : عبد الرحمن بن عوف بأمر
عثمان .

وقد تقدّم ذكر الفتوح التي ذكر بعض العلماء أنها كانت زمن عثمان
وذكرتُ الخلاف هناك .

وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن كعب الأنصاري ، وهو بدري ،
وهو أحد البكتّين في غزوة تبوك ؛ وسُرّاقه بن مالك بن جعشم المدبلي ، وقيل :
مات بعد ذلك ، وهو الذي أدرك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في هجرته .

ثم دخلت ستة خمس وعشرين

ذكر خلاف أهل الإسكندرية

في هذه السنة خالف أهل الإسكندرية ونقضوا صلحهم .

وكان سبب ذلك أن الروم عظم عليهم فتح المسلمين الإسكندرية وظنوا أنهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج لإسكندرية عن ملكهم ، فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم إلى نقض الصلح ، فأجابوهم إلى ذلك . فسار إليهم من القسطنطينية جيش كبير وعليهم مسويل الحصي ، فأرسوا بها ، واتفق معهم من بها من الروم ، ولم يوافقهم المسوقس بل ثبت على صلحه . فلما بلغ الخبر إلى عمرو بن العاص سار إليهم وسار الروم إليه فالتقوا واقتلوا قتالاً شديداً . فانهمز الروم وتبعهم المسلمون إلى أن أدخلوهم الإسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة ، منهم مسويل الحصي . وكان الروم لما خرجوا من الإسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى من واقفهم ومن خالفهم . فلما ظهر بهم المسلمون جاء أهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص إن الروم أخذوا دوابنا وأموالنا ولم يحالف من عليكم وكنا على الطاعة . فرد عليهم ما عرفوا من أموالهم بعد إمامة ليته وهدم عمرو سور الإسكندرية وتركها بغير سور .

وفيها بلغ سعد بن أبي وقاص عن أهل الري عزم على نقض الهدنة والغدر ، فمرسل إليهم وأصلحهم وغزا البيلم ثم انصرف .

ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة

في هذه السنة عزل عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن الكوفة في قول بعضهم ، واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو ، واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، وهو أخو عثمان لأمته ، وأمهما أروى بنت كرز ، وأمه البيضاء بنت عبد المطلب^١ .

وسبب ذلك أن سعداً اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضاً ، فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام ، فقال له سعد : ما أراك إلا ستلقى شراً ، هل أنت إلا ابن مسعود عبد من هذيل ؟ فقال : أجل والله إنني لابن مسعود وإنك لابن حمينة . وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حاضراً فقال : إنكما لصاحبا رسول الله . صلى الله عليه وسلم ، ينظر إليكما . فرفع سعد يده ليدعو على ابن مسعود ، وكان فيه حدة ، فقال : اللهم رب السموات والأرض . فقال ابن مسعود : ويلك قل خيراً ولا تلعن . فقال سعد عند ذلك : أمّا^١ والله لو لا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تحطئك . فواتى عبد الله سريعاً حتى خرج ، ثم استعان عبد الله بأناس على استخراج المال ، واستعان سعد بأناس على إنظاره ، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضاً : يلوم هؤلاء سعداً وهؤلاء عبد الله ، فكان أول ما نزع به بين أهل الكوفة ، وأول مصر نزع الشيطان بين أهله الكوفة . وبلغ الخبر عثمان فغضب عليهما فعزل سعداً وأقر عبد الله ، واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط مكان سعد ، وكان على عرب الجزيرة

عاملاً لعمر بن الخطّاب ، وعثمان بن عفّان بعده ، فقدم الكوفة والياً عليها ،
وأقام عليها خمس سنين ، وهو من أحبّ الناس إلى أهلها¹ . فلما قدم قال له
سعد : أكستَ بعدنا أم حمقنا بعدك ؟ فقال : لا تجز عنّ يا أبا إسحق ، كلّ
ذلك لم يكن وإنّما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون . فقال سعد : أراكم
جعلتموها ملكاً ! وقال له ابن مسعود : ما أدري أصلحتَ بعدنا أم فسد الناس !

ذكر صلح أهل أرمينية وأذربيجان

لما استعمل عثمانُ الوليدَ على الكوفة عزل عُتْبَةَ بن فرقد عن أذربيجان .
ففقضوا ، فغزاهم الوليدُ سنة خمس وعشرين ، وعلى مقدمته عبدُ الله بن شُبَيْلِ
الأحمسي ، فأغار على أهل مَوْقان والبَبَر والطَيْلسان ففتح وغنم وسبى ، فطلب
أهلُ كُورِ أذربيجان الصلح ، فصالحهم على صلح حُدَيْفة ، وهو ثمانمائة ألف
درهم ، وقبض المال . ثمّ بثّ سراياه ، وبعث سلمانَ بن ربيعة الباهليّ إلى أهل
أرمينية في اثني عشر ألفاً ، فسار في أرمينية يقتل ويسبي ويغنم ، ثمّ انصرف وقد
ملأ يديه حتى أتى الوليدَ ، فعاد الوليدُ وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ،
ثمّ أتى الحديثة فنزلها ، فأناه بها كتاب عثمان فيه أن معاوية بن أبي سفيان كتب
إليّ يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة ، وقد رأيتُ أن
يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة ، فابعث إليهم رجلاً له نجدة وبأس في ثمانية
آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام .

فقام الوليد في الناس وأعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي ،
فانتدب معه ثمانية آلاف ، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم ،

1) Om. C. P.

فقتلوا العذارى على أرض الروم فأصاب الثلث ما شقوا وانفتحوا حصونا كثيرة .
وقيل : إن النبي أمد حبيب بن مسلمة يسلمان بن ربيعة كان معيد بن العاصم ،
وكان حبيب ذلك أن عثمان كتب إلى معلومة يأمره أن يعزى حبيب بن مسلمة في
أهل الشام أرمينية ، فوجهه إليها ، فأتى قائلها فحصرها وخصيت على من فيها ،
فطلبوا الأمان على الجلاء أو الجزية ، فجيلا كثير منهم فاحتموا ببلاذ الروم ،
وأقام حبيب بها فيمن معه أشهراً .

وإنما سميت قائلها لأن المرأة بطريق أرمينية كان اسمها قالي بنت
عنه المدينة فسمتها قالي فقله ، تعني إحسان قالي ، فحربتها للعرب قتلت : قائلها .

ثم بلغه أن بطريق أرمينية ، وهي البلاد التي هي الآن بيد أولاد السلطان
قلاج أرسلان ، وهي منطوية وسيرال وبقونية وحا ولاها من البلاد إلى
خليج القسطنطينية ، والسمة للثورينك ، قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم .
فكتب حبيب إلى معلومة يخبره ، فكتب معلومة إلى عثمان ، فأرسل عثمان إلى
سعيد بن العاصم يأمره بإمداد حبيب ، فأمدته بمسلمان في ستة آلاف ، وأجمع
حبيب على تبني الروم ، فسمعه امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبي قتلت :
أين هو عندك ؟ فقال : سر العرق للثورينك . ثم بيتهم فقتل من وقف له ، ثم أتى
السر العرق فوجد امرأته قد سبقته إليه ، فكانت أولك المرأة من العرب ضرب عليها
حجاب سر العرق . ومات عنها حبيب فخلف عليها النصحك بن قيس فهي أم ولده .

ولما انهزمت الروم على حبيب إلى قائلها ، ثم ملأ منها فترك مريلا ،
فألقاه بطريق خلاط بيكتاب عياض بن غم بالمانه ، فأجراه عليه ، وحصل إليه
البيطريق ما عليه من الملك ، ونزل حبيب خلاط ، ثم ملأ منها فلقه صاحب
مكس ، وهي من ليستفركس ، فقاطعه على بلاصه ، ثم ما منها إلى الأزدي خلاط ،

وهي القرية التي يكون بها القيرميز الذي يُصبغ به، فنزل على نهر دَبِيل وسرح الخيول إليها فحصرها، فتحصن أهلها، فنصب عليهم منجنيقاً، فطلبوا الأمان، فأجابهم إليه وبث السرايا، فبلغت خيله ذات اللُجْم؛ وإنما سُميت ذات اللُجْم لأن المسلمين أخذوا لُجْمَ خيولهم فكبسهم الروم قبل أن يُلجموها ثم أُلجموها وقتلوهم فظفروا بهم؛ ووجه سرية إلى سراج طَيْر وبَغْرَوْنْد، فصالحه بطريقها على إتاوة. وقدم عليه بطريق البُسْفَرَّجان فصالحه على جميع بلاده.

وأتى السيسجان فحاربه أهلها. فهزمهم وغلب على حصونهم وسار إلى جُرْزَان¹، فأتاه رسولُ بطريقها يطلب الصلح فصالحه. وسار إلى تفلين فصالحه أهلها، وهي من جُرْزَان¹، وفتح عدة حصون ومدن تجاورها صلحاً. وسار سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أَرَّان ففتح البيلقان صلحاً على أن آمنهم على دمايتهم وأموالهم وحيطان مدينتهم، واشترط عليهم الجزية والخراج.

ثم أتى سلمان مدينة بَرْدَاة فعاقد على الثرثور، نهر بينه وبينها نحو فرسخ، فقاتله أهلها أياماً²، وشن الغارات في قراها، فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها؛ ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية. ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفروا بهم فأقر بعضهم على الجزية وأدى بعضهم الصدقة، وهم قليل؛ ووجه سرية إلى شَمَكُور ففتحوها، وهي مدينة قديمة، ولم تزل معمورة حتى أخرجها السناوردية³، وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن أسيد عن أرمينية فعظم أمرهم، فعمرها بغير سنة أربعين ومائتين وسمّاها المتوكلية نسبة إلى المتوكل.

وسار سلمان إلى مجمع أرس والكر ففتح قبيلة⁴، وصالحه صاحب سكر

1) B. et S. خزران ; C. P. et Bodl. sine punctis.

2) B. زمانا .

3) B. et Bodl. الشناوردية ; *al-Beladsort*, ed. DE GOEJE, p. 203 . الساوردية . 4) S. فيله .

وغيرها على الإتاوة ، وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط والشابران ومدينة الباب ثم امتنعت بعده .

ذكر غزوة معاوية الروم

وفيها غزا معاوية الروم فبلغ عمورية فوجد الحصون التي بين أنطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ، ثم أغزى بعد ذلك يزيد بن الحرّ العبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك ، ولما خرج هدم الحصون إلى أنطاكية .

ذكر غزوة إفريقية

في هذه السنة سير عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أطراف إفريقية غازياً بأمر عثمان ، وكان عبد الله من جند مصر ، فلما سار إليها أمدّه عمرو بالجنود فغنم هو وجنده ، فلما عاد عبد الله كتب إلى عثمان يستأذنه في غزو إفريقية ، فأذن له في ذلك .

ذكر عدة حوادث

وفيها أرسل عثمان عبد الله بن عامر إلى كابل ، وهي عمالة سجستان ، فبلغها في قول ، فكانت أعظم من خراسان¹ ، حتى مات معاوية وامتنع أهلها . وفيها ولد يزيد بن معاوية . وفيها كانت [غزوة] سابور الأولى ، وقيل : سنة ست وعشرين ، وقد تقدم ذلك . وحجّ بالناس عثمان .

1) Hic aliquid excidisse videtur.

ثم دخلت سنة ست وعشرين

ذكر الزيادة في الحرم

في هذه السنة أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم . وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه وابتاع من قوم فأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال . فصاحوا بعثمان ، فأمر بهم فخبسوا ، وقال لهم : قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به . فكلّمه فيهم عبدُ الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم .
(أسيد بفتح الهمزة وكسر السين) .

[ثم دخلت سنة سبع وعشرين]

ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر
وفتح إفريقية

في هذه السنة عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر، واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان أخا عثمان من الرضاة، فتباغيا^١، فكتب عبد الله إلى عثمان يقول: إن عمراً كسر على الخراج. وكتب عمرو يقول: إن عبد الله قد كسر على مكيدة الحرب. فعزل عثمان عمراً واستقدمه، واستعمل بدله عبد الله على حرب مصر وخراجها، فقدم عمرو مفضباً، فدخل على عثمان وعليه جبة محشوة [قُطناً]، فقال له: ما حشوا جبتك؟ قال: عمرو. قال: قد علمت [أن حشوها عمرو] ولم أرد هذا، [إنما سألت أقطن هو أم غيره؟].

وكان عبد الله من جند مصر، وكان قد أمره عثمان بغزو إفريقية سنة خمس وعشرين، وقال له عثمان: إن فتح الله عليك فلك من الفيء خمس الخمس نفلاً. وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحرث على جند وشرقهما [إلى الأندلس]، وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب إفريقية، ثم يقيم عبد الله في عمله. فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر

١) فتباغيا .

ووطنوا أرض إفريقية ، وكانوا في جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين ، فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول إفريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها .

ثم إن عبد الله بن سعد لما ولي أرسل إلى عثمان في غزو إفريقية والاستكثار من الجموع عليها وفتحها ، فاستشار عثمان من عنده من الصحابة ، فأشار أكثرهم بذلك ، فجهز إليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من أعيان الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس وغيره ، فسار بهم عبد الله بن سعد إلى إفريقية . فلما وصلوا إلى برقة لقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ، وكانوا بها ، وساروا إلى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم . وسار¹ نحو إفريقية وبث السرايا في كل ناحية ، وكان ملكهم اسمه جرجير ، وملكه من طرابلس إلى طنجة ، وكان هيرقل ملك الروم قد ولاه إفريقية فهو يحمل إليه الخراج كل سنة . فلما بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس ، والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سببيلة يوم ليلة ، وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك ، فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم ، وراسله عبد الله بن سعد يدعو إلى الإسلام أو الجزية ، فامتنع منهما وتكبر عن قبول أحدهما .

وانقطع خبر المسلمين عن عثمان ، فسير عبد الله بن الزبير في جماعة إليهم ليأتيه بأخبارهم ، فسار مجداً ووصل إليهم وأقام معهم ، ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين ، فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد أتاهم عسكر ، فقت ذلك في عضده . ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة إلى الظهر فإذا أذن بالظهر عاد كل فريق إلى خيامه ، وشهد القتال من الغد فلم ير

1) B. et C. P. . فساروا .

ابن أبي سرح معهم ، فسأل عنه ، فقيل إنه سمع منادي جرجير يقول : من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي ، وهو يخاف ، فحضر عنده وقال له : تأمر منادياً ينادي : من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده . ففعل ذلك ، فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله .

ثم إن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد : إن أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في أمداد متصلة وبلاد هي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم ، وقد رأيت أن نترك غداً جماعة سالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملوا ، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ، ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم¹ ، فأحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك .

فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخبوهم عندهم مسرجة ، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالاً شديداً . فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون ، فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً ، فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيه المسلمون وقتل جرجير ، قتله ابن الزبير ، وانهمزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذت ابنة الملك جرجير سبيته . ونازل عبد الله بن سعد المدينة ، فحصرها حتى فتحها سورلى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها ، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار .

1) ينصرنا .

ولما فتح عبد الله مدينة سُبَيْطَلَة بثّ جيوشه في البلاد فبلغت قَفْصَة ، فسبوا وغنموا ، وسيرَ عسكرياً إلى حصن الأَجَم ١ ، وقد احتفى به أهلُ تلك البلاد ، فحصره وفتحها بالأمان فصالحه أهل إفريقية على ألف وخمسمائة ألف دينار ، ونقلَ عبد الله بن الزبير ابنة الملك وأرسله إلى عثمان بالبشارة بفتح إفريقية ؛ وقيل : إن ابنة الملك وقعت لرجل من الأنصار فأركبها بعيراً وارتجز بها يقول :

يا ابنةَ جُرْجِيرٍ تَمْشِي عُقْبَتِكَ ٢
 إنَّ عليك بالحجاز ربَّتِكَ
 لتحملنَّ من قَبَاءِ قَرْبَتِكَ

ثمَّ إن عبد الله بن سعد عاد من إفريقية إلى مصر ، وكان مقامه بإفريقية سنة وثلاثة أشهر ، ولم يفقد من المسلمين إلا ثلاثة نفر ، قُتل منهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر فدُفِنَ هناك ، وحُمِلَ خمس إفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان ، وكان هذا مما أخذ عليه .

وهذا أحسن ما قيل في خمس إفريقية ، فإن بعض الناس يقول : أعطى عثمان خمس إفريقية عبدَ الله بن سعد ، وبعضهم يقول : أعطاه مروان بن الحكم . وظهر بهذا أنه أعطى عبدَ الله خمس الغزوة الأولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع إفريقية ، والله أعلم .

ذكر انتقاض إفريقية وفتحها ثانية

كان هِرَقْل ملك القسطنطينية يؤدي إليه كلُّ ملك من ملوك النصارى الخراج ، فهم من مصر وإفريقية والأندلس وغير ذلك ، فلما صالح أهل إفريقية

١) الأعمام B .

عبد الله بن سعد أرسل هرقل إلى أهلها بطريقاً له وأمره أن يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون ، فنزل البَطْرِيْق في قَرْطَاجَنَّة وجمع أهل إفريقية وأخبرهم بما أمره الملك ، فأبَوْا عليه ، وقالوا : نحن نُؤدِّي ما كان يُؤخذ منا ، وقد كان ينبغي له أن يسامحنا لما ناله المسلمون منا . وكان قد قام بأمر إفريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم ، فطرده البَطْرِيْق . بعد فِتْن كثيرة¹ ، فسار إلى الشام وبه معاوية وقد استقر له الأمر بعد قتل عليّ ، فوصف له إفريقية وطلب أن يرسل معه جيشاً ، فسير معه معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حُديج السَّكُونِي . فلما وصلوا إلى الإسكندرية هلك الرومي ومضى ابن حُديج فوصل إلى إفريقية وهي نار تضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل عند قَمُونِيَّة ، وأرسل البَطْرِيْق إليه ثلاثين ألف مقاتل . فلما سمع بهم معاوية سير إليهم جيشاً من المسلمين ، فقاتلهم ، فانهزمت الروم وحصر حصن جَلُولَاء فلم يقدر عليه فانهدم سور الحصن فملكه المسلمون وغنموا ما فيه ، وبث السرايا ، فسكن الناس وأطاعوا ، وعاد إلى مصر .

(حُديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم) .

ثم لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب إليهم أهل العراق واستثاروهم فشقوا² العصا ، وفرقوا بينهم إلى اليوم ، وكانوا يقولون : لا نخالف الأئمة بما تجني العمال . فقالوا لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك . فقالوا : حتى نخبرهم ، فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلاً فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم ، فدخلوا على الأبرش فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا ويجنده فإذا غنمنا نقلهم ، ويقول : هذا أخلص لجهادنا ، وإذا حاصرنا مدينة قدمنا وأخبرهم ، ويقول : هذا ازدياد في الأجر ، ومثلنا كفى إخوانه ؛ ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرون

1) Om. S.

2) B. add. عليه .

بطلوا عن سخطا يطلبون القراء الذين لا يعرفون الف سنة في
 جلد ، قاحلنا ذلك ، ثم إنهم سلموا أن يأخذوا كل جملة من بناتنا ، قلنا .
 لم نجد هنا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون ، فأحيينا أن نعلم أن رأي أمير
 المؤمنين هنا أم لا ؟ فقال عليهم القام وقتلت قتلهم ، فكبروا أسامعهم
 وفضروها إلى وزيره وقالوا : إن سألت أمير المؤمنين فأخبروه . ثم رجعوا
 إلى إفريقية فخرجوا على عامل هناك فقتلوه واستولوا على إفريقية ، وبلغ الخبر
 هناك عن الف فرغ أسامعهم فإذا هم الذين صنعوا ذلك .

ذكر غزوة الأندلس

لما انفتحت إفريقية أمر عثمانُ عبدَ الله بن قانع بن الحسين وعبدَ الله بن قانع
 ابن عبد القيس أن يسيرا إلى الأندلس . فأتياها من قبيل البحر ، وكب عثمان إلى
 من الخلب مهما : أما سعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبيل الأندلس .
 فخرجوا ومعهم البربر ، فتح الله على المسلمين وزاد في سلطان المسلمين مثل
 إفريقية . ولما عزل عثمانُ عبدَ الله بن سعد عن إفريقية ترك في عمله عبدَ الله بن
 قانع بن عبد القيس فكان عليها ، ورجع عبد الله إلى مصر ، وصح عبدُ الله إلى
 عثمان حلالاً قد حشد فيه ، فدخل عمرو على عثمان فقال له : يا عمرو هل تعلم
 أن تلك اللقاح حوت بملك ؟ قال عمرو : إن فصلها قد هلك .

ذكر عدة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة عثمان . وفيها كان فتح إصطخر الثاني على يد عثمان
ابن أبي العاص . وفيها غزا معاوية بن أبي سفيان قنّسرين . وفيها مات أبو
ذؤيب الهذلي الشاعر بمصر منصرفاً من إفريقية ، وقيل : بل مات بطريق مكة
في البادية ، وقيل : مات ببلاد الروم ، وكلّهم قالوا : مات في خلافة عثمان .
وفيها مات أبو رمثة البلوي بإفريقية ، له صحبة . وفيها ماتت حفصة بنت عمر
ابن الخطاب زوج النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ماتت سنة إحدى
وأربعين ، وقيل : سنة خمس وأربعين¹ .

1) In C. P. hæc extat nota : « لَمَّا سَلَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَحَوَادِثَهَا وَيَحْرُرُ الْعَرَبِيَّ حَالَهَا ،
et quidem in omnibus, quæ vidi, exemplaribus hic annu desideratur. In C. P hæc
etiam adscripta leguntur « ! l'année 27 ne se trouve dans aucun des exemplaires que
j'ai consultés » M. G. de Slane. Constantinople 1846.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر فتح قبرس

قيل : في سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية ، وقيل :
سنة تسع وعشرين ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل : إنما غزيت سنة
ثلاث وثلاثين لأن أهلها غدروا ، على ما نذكره ، فغزاها المسلمون . ولما
غزاها معاوية هذه السنة غزا معه جماعة من الصحابة فيهم أبو ذرّ وعُباد بن
الصامت ومعه زوجته أمّ حرام ، وأبو الدرداء وشداد بن أوس ، وكان معاوية
قد لجّ على عمر في غزو البحر وقرب الروم من حمص ، وقال : إن قرية من
قرى حمص ليسع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم . فكتب عمر إلى عمرو
ابن العاص : صيف لي البحر وراكبه . فكتب إليه عمرو بن العاص : إنني رأيتُ
خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغير ، ليس إلا السماء والماء ، إن ركد خرق القلوب ،
وإن تحرك أزاع العقول ، يزداد في اليقين قلّة ، والشكّ كثرة ، هم فيه
كندود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا برق . فلما قرأه كتب إلى معاوية :
والذي بعث محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً ،
وقد بلغني أن بمر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله في كل
يوم وليلة في أن يغرّق الأرض ، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر ! وبالله

تَمَسُّمٌ حَبَّ إِلَى مَا حَوَتْ الرُّومُ . وَإِنَّكَ أَنْ تَمْرُضَ إِلَى ، قَدْ عَلِمْتَ مَا
لَهُي الْعِلَاءُ مِنِّي .

قال وترك ملك الروم الغزوة وكاتب عمر وقاربه¹ . ومثت أم كلثوم ،
بنت علي بن أبي طالب ، زوج عمر بن الخطاب ، إلى امرأة ملك الروم بطيب
وشيء يصلح للنساء مع البريد ، فأبلغه إليها ، فأهدت امرأة الملك إليها هدية ،
منها عهد فاخر . فلما رجع البريد أخذ عمر ما معه وقادى . الصلاة جامعة ،
فاجتمعوا ، وأعلمهم الخبر ، قال القائلون : هو لها بالذي كان لها ، وليت
امرأة الملك بذمة فتصانعك . وقال آخرون : قد كما نُهَى لَنَسِيبٍ² . قال عمر :
لكن للرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم ، والمسلمون عظموها في صدرها
فأمر بردها إلى بيت المال وأعطائها بمدر نفقتها .

فلما كان زمن عثمان كتب إليه معلومة يسأده في غزو البحر مراراً ،
فأجابه عثمان بأخبرة إلى ذلك وقال له : لا تتخب الناس ولا تُفزع بينهم ،
خيرهم فمن اختار الغزوة طامعاً فأحمله وأعينه . قتل ، واستعمل عبد الله بن قيس
الجلبي حليف بني قزارة ، وسار المسلمون من الشام إلى قبر . وسار إليها
عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها ، فصالحهم أهلها على جره مئة ألف
دينار كل سنة يؤدون إلى الروم مثلها ، لا يمنعهم مسلمون عن ذلك وليس على
المسلمين منعهم ممن أرادهم ممن وراهم ، وعليهم أن يؤمنوا المسلمين بحسب
قدرهم من الروم إليهم ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم .

قال جبير بن نفير : ولما قُتحت قبرس ونهب منها النبي طرد إلى أبي
اللوهدا يكنى قنبلت : ما يُبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهل ، قال :
فصريح منكبي بيده وقال : ما أعون الخلق على الله ما تركوا أمره يساء هي لغة

طرد R 1)

النسب - نسبت C P 2)

بيده R 3)

ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك إذا تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى فسلط عليهم السباء ، وإذا سلط¹ السباء على قوم فليس له فيهم حاجة .

وفي هذه الغزاة ماتت أمّ حرام بنت ملحان الأنصارية ، ألقته بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت ، تصديقاً للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، حيث أخبرها أنها في أول من يغزو في البحر ، وبقي عبد الله بن قيس الجاسي على البحر فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البر² والبحر ، لم يفرق أحد ولم يُنكب ، فكان يدعو الله أن يعافيه في جنده ، فأجابه ، فلما أراد الله أن يصيبه في جسده خرج في قارب طليعه ، فاسهى إلى المرفأ من أرض الروم وعليه مساكين يسألون ، فتصدق عليهم ، فرجعت امرأة³ منهم إلى قريتها فقالت للرجال : هذا عبد الله بن قيس في المرفأ ؛ فثاروا إليه فهجموا عليه فقلوه بعد أن قاتلهم فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه فأعلمهم فجاؤوا حتى أرسوا بالمرفأ ، والخليفة عليهم سفيان بن عوف الأزدي . فحرح إليهم فقاتلهم فضجر فجعل يشتم أصحابه . فقالت جارية عبد الله : ما هكذا¹ كان يقول حين يقاتل ! فقال سفيان : فكيف كان يقول ؟ قالت : « العمراب ثمّ ينجلينا » . فلزمها بهولها . وأصيب في المسلمين يومئذ . وقيل لتلك المرأة بعد³ : بأي شيء عرفته² ؟ قال : كان كالتاجر فلما سأله أعطاني كالملك فعرفته بهذا .

• • •

وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم .

1) C. P. أظهر .

2) Om. C. P.

3) Om. S.

وفيها تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة¹، وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها . وفيها بنى عثمان الزوراء ، وحج بالناس عثمان هذه السنة .
(حرام بالحاء المهملة والراء . والجماسي بالجيم والسين المهملة . والفرافصة بفتح الفاء إلا الفرافصة بن الأحوص الكلبي الذي من ولده نائلة زوج عثمان²) .

ع

1) Vocolcs in S.

2) Om. B. et S.

١ (عبارة مضطربة ، والصحيح ما جاء في التاج : كل ما في العرب فرافصة ، مضموم انماء ، إلا الفرافصة بن الأحوص الكلبي فإنه مفتوح الفاء) .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر عزل أبي موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها

قيل : في هذه السنة عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة ، واستعمل عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وهو ابن خال عثمان¹ ، وقيل : كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان .

وكان سبب عزله أن أهل إيدج والأكراد كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان ، فنادى أبو موسى في الناس وحضهم² على الجهاد ، وذكر من فضل الجهاد ماشياً ، فحمل نفر على دوابهم وأجمعوا على أن يخرجوا رجالة . وقال آخرون : لا نعجل بشيء حتى ننظر ما يصنع ، فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل .

فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً ، فتعلقوا بعنانه وقالوا : احملنا على بعض هذه الفضول وارغب في المشي كما رغبتنا . فضرب القوم بسوطه ، فتركوا دابته ، فمضى . وأتوا عثمان فاستغفوه منه وقالوا : ما كل ما نعلم نحب³ أن تسألنا عنه ، فأبد لنا به⁴ . فقال : من تحبون ؟ فقال غيلان ابن خرسنة : في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا ! أمّا منكم

1) Om. S.

2) C. P. فنخطبهم ; R. فعرضهم .

3) Bodl. يجب ; B. 3)

4) C. P. سواء .

خسيس فرفعوه ؟ أما منكم فقير فتجبروه^١ ؟ يا معشر قريش ، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد ؟ فانتبه لها عثمان فعزل أبا موسى وولّى عبد الله ابن عامر بن كُرَيْز^١ . فلما سمع أبو موسى قال : بأتيكم غلام خراج ولاّج ، كريم الجدّات والحالات والعمّات ، يُجمع له^٢ الحندان^٢ . وكان عمر ابن عامر خمساً وعشرين سنة ، وجُمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي من عُمان والبحرين ، واستعمل على خراسان عُمَيْر بن عثمان بن سعد ؛ وعلى سجستان عبد الله بن عُمَيْر الليثي ، وهو من ثعلبة ، فأُتخّن فيها إلى كابل ، وأُتخّن عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة لم يدع دونها كورة إلاّ أصلحها ؛ وبعث إلى سُكران عُبَيْدَ الله بن مَعْمَرٍ فأُتخّن فيها حتى بلغ النهر ؛ وبعث على كَرْمَانَ عبد الرحمن بن عُبَيْس ؛ وبعث إلى الأهواز وفارس نقرّاً ؛ ثمّ عزل عبد الله بن عمير واستعمل عبد الله بن عامر فأقرّه عليها سنة ثمّ عزله ؛ واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبد الرحمن بن عُبَيْس ؛ وأعاد عديّ بن سُهَيْل بن عديّ وصرف عبيد الله بن معمر إلى فارس واستعمل مكانه عمير بن عثمان ؛ واستعمل على خراسان أمير بن أحمر اليشكري ؛ واستعمل على سجستان سنة أربع عِمْران بن الفضيل البرجمي . ومات عاصم بن عمرو بكرمان .

(عُبَيْس بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثمّ الباء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة . وأمير بضم الهمزة وفتح الميم وآخره راء . وكُرَيْز بن ربيعة بضم الكاف وفتح الراء^٣) .

1) S. hic add. وهو ابن خال عثمان .

2) B. بها .

3) Om. S.

١ فرفعونه . . . فتجبرونه .

٢ الحندان .

ذكر انتفاض أهل فارس

ثم إن أهل فارس انتقضوا ونكثوا بعبيد الله بن معمر، فسار إليهم، فالتقوا على باب إصطخر، فقتل عبيد الله وأنهزم المسلمون، وبلغ الخبر عبد الله بن عامر، فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس إلى فارس فالتقوا بإصطخر، وكان على ميمنته أبو برة الأسلمي، وعلى يسارته معقل بن يسار، وعلى الخيل عمران بن الحصين، ولكلهم صحبة، واشتد القتال، فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت إصطخر عنوة، وأتى دارا مجرد وقد عدر أهلها ففتحها. وسار إلى مدينة جور، وهي أردشير خوره، فانتقضت إصطخر فلم يرجع وتم السير إلى جور وحاصرها، وكان هريم بن حيان محاصراً لها، وكان المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فيأتون إصطخر ويعزرون نواحي كانت تنتقض عليهم، فلما نزل ابن عامر عليها فتحها.

وكان سبب فتحها أن بعض المسلمين قام يصلي ذات ليلة وإلى جانبه جراب له فيه خبز ولحم. فجاء كلب فجره وعدابه حتى دخل المدينة من المدخل لها خفي، فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة.

فلما فرغ منها ابن عامر عاد إلى إصطخر ففتحها عنوه بعد أن حاصرها واشتد القتال عليها، ورُميت بالمجانيق، وقتل بها خلقاً كثيراً من الأعاجم وأفنى أكثر أهل البيونات ووجوه الأساورة، وكانوا قد لحأوا إليها. وقيل: إن أهل إصطخر لما نكثوا عاد إليها ابن عامر قبل وصوله إلى جور فملكها عنوة وعاد إلى جور فأتى دارا مجرد فملكها، وكانت منتقضة أيضاً، ووطيء أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذل، وكتب إلى عثمان بالخبر، فكتب إليه أن يستعمل

بريرة. B. 1)

على بلاد فارس هَرِمَ بن حَيَّان اليشكري وهَرِمَ بن حَيَّان العبدي والحريّيت بن راشد والمِنْجَاب بن راشد والترجمان الهُجَيْمِي ، وأمره أن يفرق كُور خُرَاسان على جماعة فيجعل الأحنف على المروّين ، وحبيب بن قُرّة اليربوعي على بَلَخ ، وخالد بن عبد الله بن زهير على هَرَاة ، وأمير بن أحمر على طُوس ، وقيس بن هُبَيْرَة السُّلَمِي على نيسابور ، وبه تخرّج عبد الله بن خازم ، وهو ابن عمّه ، ثمّ جمعها عثمان قبل موته لقيس ، واستعمل أميرَ بن أحمر على سجستان ، ثمّ جعل عليها عبدَ الرحمن بن سَمُرَة ، وهو من آل حبيب بن عبد شمس ، فمات عثمان وهو عليها ، ومات وعمران على مُكران ، وعمير بن عثمان بن سعد على فارس ، وابن كِنْدِير القُشَيْرِي على كَرْمَان¹ .

ثمّ وفّد قيسُ بن هُبَيْرَة عبدَ الله بن خازم إلى ابن عامر في زمن عثمان ، وكان ابن عامر بكرمه ، فقال لابن عامر : اكتب لي على خراسان عهداً إن خرج عنها قيس . ففعل ، فرجع إلى خراسان ، فلما قُتل عثمان وجاش العدو قال ابن خازم لقيس : الرأي أن تخلفني وتمضي حتى تنظر فيما ينظرون فيه ، ففعل ، فأخرج ابن خازم بعده عهداً بخلافته وثبت على خراسان إلى أن قام عليّ بن أبي طالب وغضب قيس من صنيع ابن خازم .

(ه الحريّيت بكسر الحاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره تاء فوقها نقطتان²) .

1) C. P. et B. مكران .

2) Om. S.

ذكر الزيادة في مسجد النبي ، صلى الله عليه وسلم

في هذه السنة زاد عثمان في مسجد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في ربيع الأول ، وكان ينقل الحصص من بطن نخل ، وبناه بالحجارة المنقوشة ، وجعل عمده من حجارة فيها رصاص ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه على ما كانت أيام عمر ستة أبواب .

ذكر إتمام عثمان الصلاة بجمع وأول ما تكلم الناس فيه

حج بالناس هذه السنة عثمان ، وضرب فسطاطه بمنى ، وكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى ، وأتم الصلاة بها وبعرقة ، فكان أول ما تكلم به الناس في عثمان ظاهراً حين أتم الصلاة بمنى ، فعاب ذلك غير واحد من الصحابة ، وقال له علي : ما حدث أمر ولا قدم عهد ، ولقد عهدت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر وعمر يصلون ركعتين وأنت صدرأ من خلافتك ، فما أدري ما ترجع إليه . فقال : رأي رأيته . وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف وكان معه ، فجاءه وقال له : ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر ركعتين وصليتها أنت ركعتين ؟ قال : بلى ولكني أخبرت أن بعض من حج من اليمن وجفاة الناس قالوا : إن الصلاة للمقيم ركعتان ، واحتجوا بصلاتي ، وقد اتخذت بمكة أهلاً ولي بالطائف مال . فقال عبد الرحمن : ما في هذا عذر ، أما قولك : اتخذت بها أهلاً ، فإن زوجك بالمدينة تخرج بها إذا

١ يرجع .

شئت وإنما تسكن بسكنائك ، وأما مالك بالطائف فيبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال ،
وأما قولك عن حاج اليمن وغيرهم ، فقد كان رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم . ينزل عليه الوحي والإسلام قليل ، ثم أبو بكر وعمر ، فصلتوا ركعتين
وقد ضرب الإسلام بجرانه . فقال عثمان : هذا رأي رأيته .

فخرج عبد الرحمن فلقي ابن مسعود فقال : أبا محمد ، غير ما تعلم . قال :
فما أصنع ؟ قال : اعمل بما ترى وتعلم . فقال ابن مسعود : الخلاف شر وقد
صليت بأصحابي أربعاً . فقال عبد الرحمن : قد صليت بأصحابي ركعتين وأما
الآن فسوف أصلي أربعاً .

وقيل : كان ذلك سنة ثلاثين .

ثم دخلت سنة ثلاثين

ذكر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد

في هذه السنة عزل عثمانُ الوليدَ بن عُقبة عن الكوفة وولاهما سعيدَ بن العاص ، وقد تقدم سبب ولاية الوليد على الكوفة في السنة الثانية من خلافة عثمان وأنه كان محبوباً إلى الناس ، فبقي كذلك خمس سنين وليس لداره باب ، ثم إن شباباً من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي وكاثروه ، فنذر بهم وخرج عليهم بالسيف وصرخ ، فأشرف عليهم أبو شريح الخزاعي ، وكان قد انتقل من المدينة إلى الكوفة للقرب من الجهاد ، فصاح بهم أبو شريح فلم يلتفتوا وقتلوا ابن الحيسمان ، وأخذهم الناس وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي ، وشبيل بن أبي الأزدي وغيرهم ، فشهد عليهم أبو شريح وابنه ، فكتب فيهم الوليد إلى عثمان ، فكتب عثمان بقتلهم ، فقتلهم على باب القصر ، ولهذا السبب أخذ في القسامة بقول ولي المقتول عن ملا من الناس ليفطم الناس عن القتل .

وكان أبو زبيد الشاعر في الجاهلية والإسلام في بني تغلب ، وكانوا أخواله ، فظلموه ديناً له ، فأخذ له الوليد حقه إذ كان عاملاً عليهم ، فشكر أبو زبيد ذلك له وانقطع إليه وغشيه بالمدينة والكوفة ، وكان نصرانياً ، فأسلم عند الوليد

.....
1) ليفطم .

وحسن إسلامه ، فبينما هو عنده أتى أبا زينب وأبا مَورَع وجندباً ، وكانوا يحفرون للوليد منذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون ، فقال لهم : إن الوليد وأبا زينب يشربان الخمر ، فثاروا وأخذوا معهم نفرًا من أهل الكوفة فاقترحوا عليه فلم يروا ، فأقبلوا يتلاومون وسبهم الناس ، وكم الوليد ذلك عن عثمان .

وجاء جندبٌ ورهطٌ معه إلى ابن مسعود فقالوا له : إن الوليد يعتكف على الخمر ، وأذاعوا ذلك . فقال ابن مسعود : من استر عنّا لم نتبع عورته . فعاتبه الوليد على قوله حتى تغاضبا . ثم أتى الوليد بساحر ، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حدّه ، واعترف الساحر عند ابن مسعود ، وكان يخيل إلى الناس أنّه يدخل في دُبُر الحمار ويخرج من فيه ، فأمره ابن مسعود بقتله . فلما أراد الوليد قتله أقبل الناس ومعهم جندبٌ فضرب الساحر فقتله ، فحبسه الوليد وكتب إلى عثمان فيه ، وأمره بإطلاقه وتأديبه ، فغضب لجندب أصحابه وخرجوا إلى عثمان يستعفون من الوليد ، فردّهم خائبين . فلما رجعوا أتاهم كلٌّ موتور فاجتمعوا معهم على رأيهم ، ودخل أبو زينب وأبو مَورَع وغيرهما على الوليد فتحدثوا عنده ، فنام فأخذا خاتمه وسارا إلى المدينة ، واستيقظ الوليد فلم يرَ خاتمه ، فسأل نساءه عن ذلك ، فأخبرنه أن آخر من بقي عنده رجلان صفتهما كذا وكذا . فأتتهما وقال : هما أبو زينب وأبو مَورَع ، وأرسل يطلبهما ، فلم يوجد .

فقدما على عثمان ومعهما غيرهما وأخبراه أنّه شرب الخمر ، فأرسل إلى الوليد ، فقدم المدينة ، ودعا بهما عثمان فقال : أتشهدان أنّكما رأيتماه يشرب؟ فقالا : لا . قال : فكيف ؟ قالا : اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر . فأمر سعيد بن العاص فجلده ، فأورث ذلك عداوة بين أهليهما ، فكان على الوليد خميصة فأمر علي بن أبي طالب بنزعها لما جلد .

هكذا في هذه الرواية ، والصحيح أن الذي جلده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لأنّ علياً أمر ابنه الحسن أن يجلده ، فقال الحسن : ولّ حارّها من تولى

قارَها ! فأمر عبد الله بن جعفر فجلده أربعين . فقال عليّ : أمسك ، جلد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر أربعين وجلد عثمان ثمانين وكل سنة وهذا أحب إليّ .

وقيل : إن الوليد سكرَ وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعاً ثم التفت إليهم وقال : أزيدكم ؟ فقال له ابن مسعود : ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم ، وشهدوا عليه عند عثمان ، فأمر عليّاً بجلده ، فأمر عليّ عبد الله بن جعفر فجلده ، وقال الخطيئة :

شهدَ الخطيئةُ يومَ يلقى ربّه أنّ الوليدَ أحقُّ بالعدرِ
نادى وقد تمتّ صلاتهم : أزيدكم ؟ سكرأ وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفع والوترِ
كفوا عيناك إذ جرّيت ولو تركوا عيناك لم تزل تجرى

فلما علم عثمان من الوليد شرب الخمر عزله وولّى سعيد بن العاص بن أمية ، وكان سعيد قد ربي في حجر عمر ، فلما فتح الشام قدّمه ، فأقام مع معاوية ، فذكر عمر يوماً قريشاً ، فسأل عنه ، فأخبر أنه بالشام ، فاستقدمه ، فقدم عليه ، فقال له : قد بلغني عنك بلاء وصلاح فازدّد بيزدك الله خيراً . وقال له : هل لك من زوجة ؟ قال : لا . وجاء عمر بنات سفيان بن عوف ومعهن أمهن ، فقالت أمهن : هلك رجالنا وإذا هلك الرجال ضاع النساء ، فضعهن في أكفائهن . فزوج سعيداً إحداهن ، وزوج عبد الرحمن بن عوف أخرى . وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي فقلن له : قد هلك رجالنا وبقي الصبيان ، فضعنا في أكفائنا ؛ فزوج سعيداً إحداهن ، وجبّير بن مطعم الأخرى . وكان عمومته ذوي بلاء في الإسلام وسابقة ، فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال قريش . فلما استعمله عثمان سار حتى أتى الكوفة أميراً ورجع معه

الأشتر وأبو خشة الغفاري وجندب بن عبد الله [وجشامة] بن صعب¹ بن
جشامة ، وكانوا ممن شخص مع الوليد يعينونه فصاروا عليه ، فقال بعض شعراء
الكوفة :

فررتُ من الوليدِ إلى سعيدِ كأهل الحجرِ إذ جزعوا فباروا²
بَلِينَا¹ من قريشِ كلِّ عامِ أميرٌ مُحدثٌ أو مُستشارٌ
لنا نارٌ نُخَوِّفُهَا فنَحْشَى وليسَ لهم ، فلا ينجشون ، نارٌ

فلما وصل سعيد الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : والله
لقد بعثت إليكم وإني لكاره ، ولكني لم أجدُ بدءاً إذا أمرتُ أن أتمر ، ألا إن
الفتنة قد أطلعتْ خَطَمَهَا وعينها ، والله لأضربنَّ وجهها حتى أقمعها أو
تُعِينِي² ، وإني لرائد نفسي اليوم .

ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حال أهلها ، فكتب إلى عثمان أن
أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة ،
والغالب على تلك البلاد روادف قدمت ، وأعرابٌ لحقت ، حتى لا يُنظر إلى ذي
شرف وبلاء من نابتها ولا نازلتها .

فكتب إليه عثمان : أما بعد ففضل أهل السابقة والقُدْمة ومن فتح الله عليه
تلك البلاد ، وليكن من نزلها من غيرهم تبعاً لهم إلا أن يكونوا تهاقلوا عن الحق
ونركوا القيام به وقام به هؤلاء ، واحفظ لكل منزله ، وأعطهم جميعاً بقسطهم
من الحق ، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل .

1) أبو صعب بن مصعب C. P.

2) Bodl. فثاروا .

١ بَلِينَا .

٢ تَغِينِي .

فأرسل سعيد إلى أهل الأيَّام والقادسيَّة فقال : أنتم وجوه الناس ، والوجه
 ينبيء عن الجسد ، فأبلغونا حاجة ذي الحاجة . وأدخل معهم مَنْ يَحْتَمِلُ مِنَ
 اللواحق والروادف . وجعل القراء في سَمَرِهِ ، ففشت القالة في أهل الكوفة ،
 فكتب سعيد إلى عثمان بذلك ، فجمع الناس وأخبرهم بما كتب إليه . فقالوا
 له : أصبتَ ، لا تُطعمهم فيما ليسوا له بأهل ، فإنه إذا نهض في الأمور مَنْ
 ليس بأهل لها لم يَحْتَمِلْها وأفسدها . فقال عثمان : يا أهلَ المدينة استعدّوا واستمسكوا
 فقد دبت إليكم الفتن ، وإنِّي والله لأتخلّصنَ لكم الذي لكم حتى أنقله إليكم
 إن رأيتم حتى يأتي من شهد مع أهل العراق سهمه فيقيم معه في بلاده . فقالوا :
 كيف تنقل إلينا سهمنا من الأَرْضين ؟ فقال : يبيعه من شاء بما كان له بالحجاز
 واليمن وغيرهما من البلاد . ففرحوا وفتح الله لهم أمراً لم يكن في حسابهم ،
 وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كلِّ قبيلة وجاز لهم عن تراضٍ منهم ومن الناس
 وإقرار بالحقوق .

ذكر غزو سعيد بن العاص طبرستان

في هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان، فإنها لم يغزها أحد إلى هذه
 السنة . وقد تقدّم في أيَّام عمر الخلاف في ذلك ، وأن اصبهذه صالح¹ سويد
 ابن مقرن أيَّام عمر على مال بذله . وأمّا على هذا القول فإن سعيداً غزاها من
 الكوفة سنة ثلاثين ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر بن الخطاب
 وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وابن الزبير وناس من أصحاب
 النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق

1) ابن C. P. et B. add.

سعيداً ونزل نيسابور ، ونزل سعيد قوميس ، وهي صلح ، صالحهم حذيفة
 بعد نيهاوند فأتى جرّجان فصالحوه على مائتي ألف ، ثمّ أتى طميسه ،
 وهي كلّها من طبرستان متاخمة جرّجان ، على البحر ، فقاتله أهلها ، فصلّى
 صلاة الخوف ، أعلمه حذيفة كيفيتها ، وهم يقتتلون . وضرب سعيد يومئذ
 رجلاً بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه ، وحاصرهم ،
 فسألوا الأمان ، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ، ففتحوا الحصن
 فقتلوا جميعاً إلا رجلاً واحداً¹ : وحوى ما في الحصن . فأصاب رجل
 من بني نهد سَفَطاً عليه قفل ، فظنّ أن فيه جوهرأ ، وبلغ سعيداً فبعث إلى
 النهدي فأناه بالسَفَط ، فكسروا قفله فوجدوا فيه سَفَطاً ، ففتحوه فوجدوا
 خرقة حمراء فنشروها ، فإذا خرقة صفراء وفيها أبران كيت وورد . فقال
 شاعر بهجو بني نهد :

أَبَ الكرامُ بالسّبايا غنيمة¹ وآبَ بنو نهدٍ بأيرينِ في سَفَطٍ
 كُميتٍ ووردٍ وافرّينِ² كلاهما فظنّوها غنماً فناهيك من غلَطٍ

وفتح سعيد³ نامية² : وليست بمدينة ، هي صحارى .

ومات مع سعيد محمد بن الحَكَم بن أبي عقيل جدّ يوسف بن عمر . ثمّ
 رجع سعيد ، فمدحه كعب بن جُعيل فقال :

فَنِعَمَ الفتي إذ حالَ جيلانُ دونه وإذ هَبَطوا من دَسْتَبِي ثمّ أبهراً³

1) Om. S.

2) C. P. نافرّين .

1 وغنمه .

2 نامية .

3 وادٍ هبطوا من دسّبي وأبهرا .

في آيات . ولما صالح سعيد أهل جرجان كانوا يجبون أحياناً مائة ألف ،
وأحياناً مائتي ألف ، وأحياناً ثلاثمائة ألف . ويقولون : هذا صلح صلحنا ،
وربما منعه ، ثم امتنعوا وكفروا ، فانقطع طريق خراسان من ناحية قومييس
إلا على خوف شديد منهم . كان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كerman إلى
خراسان ، وأول من صير الطريق من قومييس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان .
وقدمها يزيد بن المهلب فصالح صولا . وفتح البحيرة ودهستان . وصالح أهل
جرجان على صلح سعيد .

ذكر غزو حذيفة . الباب وأمر المصاحف

وفيهما صرف حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مَدَدًا لعبد الرحمن بن
ربيعه ، وخرج معه سعيد بن العاص ، فبلغ معه أذربيجان ، وكانوا يجعلون الناس
ردءاً ، فأقام حتى عاد حذيفة ثم رجعا . فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص :
لقد رأيتُ في سفرتي هذه أمراً ، لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون
عليه أبداً . قال : وما ذلك ؟ قال : رأيتُ أناساً من أهل حمص يزعمون أن
قراءتهم خير من قراءة غيرهم وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد ، ورأيتُ أهل
دمشق يقولون : إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، ورأيتُ أهل الكوفة يقولون
مثل ذلك وإنهم قرأوا على ابن مسعود ، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك وإنهم
قرأوا على أبي موسى ويسمؤون مصحفه لُباب القلوب . فلما وصلوا إلى الكوفة
أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف : فوافقه أصحاب رسول الله .
صلّى الله عليه وسلم ، وكثير من التابعين . وقال له أصحاب ابن مسعود :

1) C. P. et B. أتى .

ما تنكر؟ ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حذيفة ومن وافقه، وقالوا: إنما أنتم أعراب فاسكتوا فإنكم على خطأ. وقال حذيفة: والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين، ولأشيرنّ عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك. فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام وتفرّق الناس، وغضب حذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى، وقال: أنا النذير العريان فأدركوا الأمة. فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة.

فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر: أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها. وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في أيام أبي بكر، فإن القتل لما كثر في الصحابة يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر: إن القتل قد كثر واستحرق القرآن يوم اليمامة، وإنني أخشى أن يستحرق القتل بالقراء فيذهب من القرآن كثير، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن: فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع والعُسب وصدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر ثمّ عند عمر، فلما توفي عمر أخذها حفصة فكانت عندها.

فأرسل عثمان إليها [من] أخذها منها وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان: إذا اختلفتم فاكبوا بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم؛ ففعلوا. فلما نسخوا الصحف ردّها عثمان إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف وحرق ما سوى ذلك وأمر أن يعنمدوا عليها ويدعوا ما سوى ذلك. فكلّ الناس عرف فضل هذا الفعل إلا ما كان من أهل الكوفة، فإن المصحف لما قدم عليهم فرح به أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، وإن أصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا الناس، فقام فيهم ابن مسعود وقال: ولا كلّ ذلك فإنكم والله قد سبقتم سباً بيتاً فاربعوا على ظلعكم. ولما قدم علي الكوفة قام إليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس على المصحف، فصاح به وقال: اسكت فعن ملائمتنا فعل ذلك، فلو وليتُ مه ما ولي عثمان لسلكتُ سبيله.

ذكر سقوط خاتم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في بئر أريس

وفيها وقع خاتم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من يد عثمان في بئر أريس ، وهي على ميلين من المدينة ، وكانت قليلة الماء ، فما أدرك قعرها بعد .

وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اتخذها لما أراد أن يكتب الأعاجم يدعوهم إلى الله تعالى ، فقيل له : إنهم لا يقبلون كتاباً إلا مختوماً ، فأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يُعمل له خاتم من حديد ، فلما عمل جعله في إصبعه ، فأناه جبرائيل فنهاه عنه ، فنبذه ، وأمر فعُمل له خاتم من نحاس وجعله في إصبعه ، فقال [له] جبرائيل : انبذه ، فنبذه ، وأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بخاتم من فضة ، فصنع له . فجعله في إصبعه ، فأمره جبرائيل أن يُقره . فأقره . وكان نقشه ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر : فتختّم به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى توفي ، ثمّ تختم به أبو بكر حتى توفي . ثمّ عمر حتى توفي ، ثمّ تختم به عثمان ست سنين . فحفروا بئراً بالمدينة شرباً للمسلمين ، فقعد على رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم فسقط من يده في البئر ، فطلبوه فيها ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدرُوا عليه . فجعل فيه مالا عظيماً لمن جاء به ، واغتمّ لذلك غمّاً شديداً . فلما يئس منه صنع خاتماً آخر على مثاله ونقشه فبقي في إصبعه حتى هلك ، فلما قُتل ذهب الخاتم فلم يُدرَ من أخذه .

ذكر نسيير أبي ذرّ إلى الرّبذة

وفي هذه السنة كان ما ذُكر في أمر أبي ذرّ وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة ، وقد ذُكر في سبب ذلك أمور كثيرة ، من سبّ معاوية إياه وتهديده

بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع ، لا يصح النقل به ، ولو صحّ لكان ينبغي أن يُعْتذر عن عثمان ، فإنّ للإمام أن يؤدّب رعيته ، وغير ذلك من الأعذار ، لا أن يُجعل ذلك سبباً للطعن عليه ، كرهتُ ذكرها .

وأما العاذرون فإنهم قالوا : لما ورد ابن السوداء إلى الشام لقي أبا ذرّ فقال : يا أبا ذرّ ألا تعجب من معاوية يقول : المال مال الله! إلاّ إنّ كلّ شيء لله ، كأنه يريد أن يحتجّه دون الناس ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذرّ فقال : ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله الساعة ؟ قال : يرحمك الله يا أبا ذرّ! ألسنا عبادَ الله والمال ماله ؟ قال : فلا تقله . قال : سأقول مال المسلمين . وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك . فقال : أظنك [والله] يهودياً ! فأتى عبادة بن الصامت فتعلّق به عبادةً وأتى به معاويةً فقال : هذا والله الذي بعث عليك أبا ذرّ .

وكان أبو ذرّ يذهب إلى أن المسلم لا ينبغي له أن يكون في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شيء ينفقه في سبيل الله أو يُعده لكريم¹ ، ويأخذ بظاهر القرآن : ﴿ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾² . فكان يقوم بالشام ويقول : يا معشر الأغنياء واسُوا الفقراء ، بَشِّرِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَكَوٍ مِنْ نَارٍ تُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، فما زال حتى ولىعَ الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء ، وشكا الأغنياء ما يلقون منهم . فأرسل معاوية إليه بألف دينار في جنح الليل فأنفقها . فلما صلتى معاوية الصبح دعا رسوله الذي أرسله إليه فقال : اذهب إلى أبي ذرّ فقل له : أنقذ جسدي من

1) C. P. et B. لغريم .

2) Corani 9, vs. 34.

عذاب معاوية فإنه أرسلني إلى غيرك وإني أخطأت بك . ففعل ذلك . فقال له أبو ذرّ : يا بني قل له : والله ما أصبح عندنا من دنائيرك دينار ولكن أخرجنا ثلاثة أيام حتى نجمعها . فلما رأى معاوية أن فعله يصدق قوله كتب إلى عثمان : إن أبا ذرّ قد ضيق عليّ ، وقد كان كذا وكذا ، للذي يقوله الفقراء . فكتب إليه عثمان : إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها¹ ولم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرح² وجهز أبا ذرّ إليّ وابعث معه دليلاً وكفكف الناس ونفسك ما استطعت . وبعث إليه بأبي ذرّ .

فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل جبل سلع قال : بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكارة . ودخل على عثمان فقال له : ما لأهل الشام يشكون ذرّ بلسانك ؟ فأخبره . فقال : يا أبا ذرّ عليّ أن أقضي ما عليّ وأن أدعو الرعية إلى الاجتهاد والاقتصاد وما عليّ أن أجبرهم على الزهد . فقال أبو ذرّ : لا ترضوا من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا إلى الجيران والإخوان ويصِلوا القرابات . فقال كتب الأخبار ، وكان حاضراً : من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه . فضربه أبو ذرّ فشجّه ، وقال له : يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا ؟ فاستوهب عثمان كعباً شجته ، فوهبه . فقال أبو ذرّ لعثمان : تأذن لي في الخروج من المدينة ، فإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلماً . فأذن له ، فنزل الرّبذة وبنى بها مسجداً ، وأقطع عثمان صيرمة³ من الإبل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه كل يوم عطاء ، وكذلك على رافع بن خديج ، وكان قد خرج أيضاً عن المدينة لشيء سمعه .

وكان أبو ذرّ يتعاهد المدينة مخافة أن يعود أعرابياً ، وأخرج معاوية إليه أهله ، فخرجوا معهم جراب مثقل⁴ يد الرجل ، فقال : انظروا إلى هذا الذي يزهد في الدنيا ما عنده ؟ فقالت امرأته : والله ما هو دينار ولا درهم ولكنها

1) عقبها . C. P.

2) القرح . S.

فلوس كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوساً لحوائجنا . ولما نزل الربذة أقيمت الصلاة وعليها رجل يلي الصدقة ، فقال : تقدّم يا أبا ذرّ . فقال : لا ، تقدّم أنت ، فإنّ رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، قال لي : اسمع وأطع وإن كان عليك عبد مجدّع ، فأنت عبد ولست بأجدع ؛ وكان من رقيق الصدقة اسمه مجاشع .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء . وفيها مات حاطب بن أبي بلتعة اللخمي وهو من أهل بدر .

(حاطب بالحاء المهملة . وبلتعة بالباء الموحدة ثمّ التاء المثناة من فوق بوزن مقرعة) .

وفيها مات عمرو بن أبي سرح الفهري وكان بدرياً . وفيها مات مسعود ابن الربيع ، وقيل : ابن ربيعة بن عمرو القاري ، من القارة ، أسلم قبل دخول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، دار الأرقم ، وشهد بدرأ ، وكان عمره قد جاوز الستين . وفيها مات عبد الله بن كعب بن عمرو الأنصاري ، شهد بدرأ ، وكان على غنائم النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، فيها وفي غيرها . وفيها مات عبد الله بن مظعون أخو عثمان وكان بدرياً ؛ وجبار بن صخر¹ ، وهو بدري أيضاً .

(جبار بالميم وآخره راء) .

1) صخرة .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ذكر غزوة الصواري

قيل : وفي هذه السنة كانت غزوة الصواري ، وقيل . كانت سنة أربع وثلاثين ، وقيل . في سنة إحدى وثلاثين كانت غزوة الأساورة ، وقيل : كانتا معاً سنة إحدى وثلاثين ، وكان على المسلمين معاوية ، وكان قد جمع الشام له أيام عثمان .

وسبب جمعه له أن أبا عبيدة بن الجراح لما حضر استخلف على عمله عياض بن غنم ، وكان حاله وابن عمه وكان جواداً مسهوراً ، وقيل : استخلف معاذ بن جبل ، على ما تقدم ، فمات عياض واستخلف عمر بعده سعيد بن حذيم الجمحي ، ومات سعيد وأمر عمر مكانه عدير بن سعد الأنصاري ، ومات عمر وعمير على حمص وقنسرين ، ومات يزيد بن أبي سفيان فجعل عمر مكانه أخاه معاوية ، فاجتمعت لمعاوية الأردن ودمشق ، ومرص عمير بن سعد فاستعفى عثمان وأساذنه في الجوع إلى أهله ، فأذن له ، وضم عثمان حمص وقنسرين إلى معاوية ، ومات عبد الرحمن بن علقمة ، وكان على فلسطين ، فضم عثمان عمله إلى معاوية فاجتمع الشام لمعاوية لسنتين من إمارة عثمان ، فهذا كان سبب اجتماع الشام له .

وأما سبب هذه الغزوة فإن المسلمين لما أصابوا من أهل إفريقية وقتلوهم بسببهم ، حرح مسنطين بن هرقل في جمع له لم يجمع الروم مثله مد كان

الإسلام ، فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة ، وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن أبي سفيان ، وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وكانت الرياح على المسلمين لما شاهدوا الروم ، فأرسي المسلمون والروم وسكنت الرياح ، فقال المسلمون : الأمان بيننا وبينكم ؛ فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويصلُّون ويدعون ، والروم يضربون بالنواقيس ، وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخنجر ، وقتل من المسلمين بشرٌ كثير ، وقتل من الروم ما لا يُحصى ، وصبروا يومئذٍ صبراً لم يصبروا في موطن قطّ مثله ، ثمّ أنزل الله نصره على المسلمين ، فانهزم قسطنطين جريماً ولم ينجُ من الروم إلاّ الشريد . وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري بعد الهزيمة أيتاماً ورجع . فكان أول ما تكلم به محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر في أمر عثمان في هذه الغزوة وأظهرا عيبه وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر ، ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلاً كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد أباح دمه ، ونزل القرآن بكفره ، وأخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قوماً أدخلهم ، ونزع أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر . فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا ، فركبا في مركب ما معهما إلاّ القبط ، فلقوا العدو ، فكانا أقلّ المسلمين نكابةً وقتالاً ، فقبل لهما في ذلك ، فقالا : كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد ؟ استعمله عثمان وعثمان فعل كذا وكذا . فأرسل إليهما عبد الله بنهما ويتهدّدهما ، ففسد الناس بقولهما ، وتكلموا ما لم يكونوا ينطقون به .

وأما قسطنطين فإنه سار في مركبه إلى صِقِلِيَّة ، فسأله أهلها عن حاله ، فأخبرهم . فقالوا : أهلكت النصرانية وأفنيت رجالها ! لو أتانا العرب لم يكن عندنا من

1) وترك B.

يمنعهم . ثم أدخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه في المركب . وأذنوا لهم في السير إلى القسطنطينية¹ .

• وقيل : في هذه السنة فتحت أرمينية على يد حبيب بن مسلمة ، وقد تقدم ذكر ذلك² .

ذكر مقتل يزدجرد بن شهریار

في هذه السنة هرب يزدجرد من فارس إلى خراسان في قول بعضهم ، وقد تقدم الخلاف فيه ، وكان ابن عامر قد خرج من البصرة حين وليها إلى فارس فافتتحها ، وهرب يزدجرد من جور ، وهي أردشير خوره ، في سنة ثلاثين ، فوجه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود ، وقيل : هريم بن حيان العبدي ، وقيل : هريم بن حيان اليشكري ، فاتبعه إلى كرمان ، فهرب يزدجرد إلى خراسان . وأصاب مجاشع بن مسعود ومن معه الثلج والدمق³ واشتد البرد ، وكان الثلج قيد³ رمح ، فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل معه جارية فشق بطن بعير فأدخلها فيه وهرب . فلما كان الغد جاء فوجدها حية فحملها . فسُمي ذلك القصر قصر مجاشع لأن جيشه هلكوا فيه ، وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان من أعمال كرمان .

هذا على قول من يقول : إن هرب يزدجرد من فارس كان هذه السنة .

1) S.

2) Om. S.

3) C. P. et B. قدر .

١ (الدمق : الريح الشديدة يصحبها ثلج ، فارسية) .

وأما سبب قتله ، على ما تقدم ذكره من فتح فارس وخراسان¹ ، فقد اختلف الناس في سبب قتله ، ف قيل : إنه هرب من كرمان في جماعة إلى مرو ومعه خُرَزَادُ أَخُو رَسَمَ ، فرجع عنه إلى العراق ووصى به ماهويه . رزبان مرو ، فسأله يزدجرد مالا فمنعه ، فخافه أهل مرو على أنفسهم فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه ، فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه ، فهرب يزدرد ماشياً إلى شطّ المَرَّغَابِ فَأَوَى إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ يَنْقُرُ الْأَرْحَاءَ ، فلما نام قتله ، وقيل : بل بيته أهلُ مرو ولم يستنصروا بالترك فقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النَّقَارُ ، وتبعوا أثره إلى بيت الذي ينقر الأرحاء فأخذوه وضربوه فأقرّ بقتله فقتلوه وأهله . وكان يزدجرد قد وطىء امرأة بها فولدت له غلاماً ذاهب الشق ، ولدته بعد قتله فَسُمِّيَ الْمُخْدَجُ ، فولد له أولاد بخراسان ، فوحد قُتَيْبَةَ بن مسلم حين افتتح الصُّغْدَ وغيرها جاريتين من ولد المخدج فبعث بهما أو بإحدهما إلى الحجّاج ، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص . وأخرج يزدجرد من النهر وجعل في تابوت وحمل إلى إصطخر فوضع في ناووس هناك .

وقيل : إن يزدجرد هرب بعد وقعة نِهاوند إلى أرض أصبهان وبها رجل يقال له مطيار² كان قد أصاب من العرب شيئاً يسيراً فصار له بها محلّ كبير ، فأتى مطيار يزدجرد ذات يوم فحجبه بوابه ليستأذن له ، فضربه وشجّه ، فدخل البواب على يزدجرد مدمى ، فرحل عن أصبهان من ساعته فأتى الري . فخرج إليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها ، فلم يجبه . وقيل : مضى من فوره ذلك إلى سجستان ، ثم سار إلى مرو في ألف³ فارس ،

1) C. P. et B. من أن فارس وخراسان كان فتحهما متقدماً .

2) C. P. h. 1. المطار . Postea sino art. بطيار صح cum supra scripto المطار .

3) B. ألفي .

وقيل : بل قصد فارس فأقام بها أربع سنين ثم أتى كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاثاً فطلب إليه دهقانه شيئاً فلم يجبه فحره برحله وطرده عن بلاده ، فسار إلى سيحستان فأقام بها نحواً من خمس سنين ، ثم عزم على قصد خراسان ليجمع الحموع ويسر بهم إلى العرب ، فسار إلى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعه فرخزاد . فلما قدم مرو كاتب ملوك الصين وملك فرغانة وملك كابُل وملك الخزر¹ يستمدهم ، وكان الدهقان يومئذ بمرو ماهويه أبو براز² ، فوكل ماهويه بمرو ابنه براز ليحفظها ويمنع عنها يزدجرد خوفاً من مكره ، فركب يزدجرد يوماً وطاف بالمدينة وأراد دخولها من بعض أبوابها ، فمنعه براز ، فصاح به أبوه ليفتح الباب فلم يفعل ، وأوماً إليه أبوه أن لا يفعل ، ففطن له رجل من أصحاب يزدجرد فأعلمه بذلك واستأذنه في قتله ، فلم يأذن له .

وقيل : أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهويه إلى سنجان³ ابن أخيه ، فبلغ ذلك ماهويه ، فعمل في هلاك يزدجرد ، فكتب إلى نيزك طرخان يدعوه إلى القدوم عليه ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه ، وضمن له إن فعل أن يعطيه كل يوم ألف درهم . فكتب نيزك إلى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وأنه يقدم عليه بنفسه إن أبعد عسكره وفرخزاد عنه . فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان : لست أرى أن تبعد عنك أصحابك وفرخزاد . وقال أبو براز : أرى أن تتألف نيزك وتجيئه إلى ما سأل . فقبل رأيه وفرق عنه جنده . فصاح فرخزاد وشق جيبه وقال : أظنكم قاتلي هذا ! ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط يده أنه أمين وأنه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه إلى ماهويه ، وأشهد بذلك . وأقبل نيزك فلقية يزدجرد بالزمير والملاهي ، أشار عليه بذلك أبو براز ، فلما لقيه تأخر عنه أبو براز فاستقبله نيزك ماشياً ، فأمر له يزدجرد

1) الجزيرة C. P.

2) نزار et بران ، براز ، براز Variat scriptura sic.

3) سنجان et سنجان ، سنجان ، سبجان : Hoc nomen sic et etiam scribitur.

بجنيبة من جنائبه ، فركبها ، فلما توسط عسكره توافقا فقال له نيزك فيما يقول : زوجني إحدى بناتك حتى أناصحك في قتال عدوك . فسبه يزدجرد ، فضربه نيزك بمقرعته ، وصاح يزدجرد ، وركض منهزماً . وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزدجرد وانتهى يزدجرد إلى بيت طحان فمكث فيه ثلاثة أيام لم يأكل طعاماً . فقال له الطحان : اخرج أيها الشقي فكل طعاماً فقد جعت ! فقال : لست أصل إلى ذلك إلا بزمزمة ، وكان عند الطحان رجل يزمزم ، فكلّمه الطحان في ذلك ففعل وزمزم له فأكل . فلما رجع المزمزم سمع بذكر يزدجرد ، فسأل عن حليته فوصفوه له فأخبرهم به وبجليته فأرسل إليه أبو براز رجلاً من الأساورة وأمره بخنقه وإلقائه في النهر ، وأتى الطحان فضربه ليدله عليه ، فلم يفعل وجحده . فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه : إني لأجد ريح مسك ؛ ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء فجذبه فإذا هو يزدجرد ، فسأله أن لا يقتله ولا يدلّ عليه وجعل له خاتمه ومنطقته وسواره . فقال له : أعطني أربعة دراهم وأخلّي عنك ؛ فلم يكن معه وقال : إن خاتمي لا يُحصى ثمنه فخذّه ، فأبى عليه ، فقال له يزدجرد : قد كنتُ أُخبرُ أنّي سأحتاج إلى أربعة دراهم فقد رأيتُ ذلك ، ثمّ نزع أحد قرطيه فأعطاه الطحان ليستر عليه ، وأرادوا قتله ، فقال : ويحكم ! إننا نجد في كتبنا أنه من قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا ، فلا تقتلوني واحملوني إلى الدهقان أو إلى العرب فإنهم يستبقون مثلي ! فأخذوا ما عليه وخنقوه بوتر القوس والقوه في الماء ، فأخذوه أسقفُ مرو وجعله في تابوت ودفنه . وسأل أبو براز عن أحد القرطين وأخذ الذي دلّ عليه فضربه حتى أتى على نفسه .

وقيل : بل سار يزدجرد من كترمان قبل ورود العرب إليها نحو مرو على الطّبسين وقوهستان في أربعة آلاف ، فلما قارب مرو لقيه قائدان يقال لأحدهما براز وللآخر سَنجان ! وكانا متباغضين ، فسعى براز بسنجان حتى همّ يزدجرد

1) C. P. سنجان et its post.

بقتله ، وأفشى ذلك إلى امرأة من نساؤه ، ففشا الحديث ، فجمع سنجان أصحابه وقصد قصر يزدجرد ، فهرب براز وخاف يزدجرد فهرب أيضاً إلى رحي على فرسخين من مرو ، فدخل بيت نقار الرحي ، فأطعمه الطحان ، فطلب منه شيئاً فأعطاه منطقته ، فقال : إنما يكفيني أربعة دراهم ، فلم يكن معه ، ثمّ نام يزدجرد فقتله الطحان بفأس كانت معه وأخذ ما عليه وألقى جثته^١ في الماء وشق بطنه وثقله .

وسمع بقتله مطران كان بمرو ، فجمع النصارى وقال : قتل ابن شهريار ، وإنما شهريار ابن شيرين المؤمنة التي قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتنا مع ما نال النصارى في ملك جدّه أنوشيروان من الشرف ، فينبغي أن نحزن لقتله ونبني له ناووساً ، فأجابوه إلى ذلك وبنوا له ناووساً وأخرجوا جثته وكفنوها ودفنوها في الناووس .

وكان ملكه عشرين سنة ، منها أربع سنين في دعة ، وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إيتاه وغلظتهم عليه ، وكان آخر من ملك من آل أردشير ابن بابك وصفا الملك بعده للعرب .

ذكر مسير ابن عامر إلى خراسان وفتحها

لما قُتل عمرُ بن الخطّاب نقض أهلُ خراسان وغدروا . فلما افتتح ابن عامر فارس قام^١ إليه حبيب بن أوس التميمي فقال له : أيها الأمير إن الأرض

.....
1) تم . B .

بين يديك ولم يُفتح منها إلا القليل ، فسِرَ فإن الله ناصرُك . قال : أو لم تأمر بالمسير ؟ وكره أن يُظهر أنه قبل رأيه . وقيل : إن ابن عامر لما فتح فارس عاد إلى البصرة واستخلف على إصطخر شريك بن الأعور الحارثي ، فبنى شريك مسجداً إصطخر . فلما دخل البصرة أتاه الأحنف بن قيس ، وقيل غيره ، فقال له : إن عدوك منك هارب ، ولك هائب ، والبلاد واسعة ، فسِرَ فإن الله ناصرُك ومعزُّ دينه . فتجهز وسار واستخلف على البصرة زناداً ، وسار إلى كرمان فاستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمي ، وله صحبة ، وأمره بمحاربة أهلها . وكانوا قد نكثوا أيضاً ، واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثي ، وكانوا أيضاً قد غدروا ونقضوا الصلح . وسار ابن عامر إلى نيسابور وجعل على مقدمته الأحنف بن قيس ، فأتى الطَّبَسِيْنَ ، وهما حصنان ، وهما بابا خراسان ، فصالحه أهلها ، وسار إلى قُوهِسْتَانَ فلقبه أهلها وقتلهم حتى أُلجأهم إلى حصنهم ، وفدم عليها ابن عامر فصالحه أهلها على ستمائة ألف درهم . وقيل : كان المتوجه إلى قُوهِسْتَانَ أمير بن أحمر ليشكري ، وهي بلاد بكر بن وائل ؛ وبعث ابن عامر سريةً إلى رستاق زام¹ من أعمال نيسابور ، ففصح عنوةً ، وفتح ناخرز من أعمال نيسابور أيضاً ، وفتح جُوَيْنَ من أعمال نيسابور أيضاً .

ووجه ابن عامر الأسود بن كلثوم العدري من عدي الرباب ، وكان ناسكاً ، إلى بيتهق ، من أعمالها أيضاً ، فقصده قصبته ودخل حيطان البلد من ثلثه كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فأخذ العدو عليهم تلك الثلثة ، فقاتل الأسود حتى قُتل هو وطائفة ممن معه ، وقام بأمر الناس بعده أخوه أدهم بن كلثوم ، فظفر وفتح بيتهق ، وكان الأسود يدعو الله أن يحشره من بطون السباع والطيور ، فلم يواره أخوه ، ودفن من أسس شهد من أصحابه . وفتح ابن عامر بُشْتَ من نيسابور .

1) S. et B. : رام . C. P. : ترم .

(وهذه بشت بالشين المعجمة ، وليست بيست التي بالسين المهملة ، تلك من بلاد الداؤن وهذه من خراسان من نيسابور) .

وافتح خَوَاف وأسفرايين وأرغِيان ، ثم قصد نيسابور بعدما استولى على أعمالها وافتتحها ، فحصر أهلها أشهراً ، وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه ، فطلب صاحب ربع من تلك الأرباع الأمان على أن يُدخِل المسلمين المدينة ، فأجيب إلى ذلك ، فأدخلهم ليلاً ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها الأكبر في حصنها ، ومعه جماعة ، وطلب الأمان والصلح على جميع نيسابور ، فصالحه على ألف ألف درهم ، وولّى نيسابورَ قيسَ بن الهيثم السُّلَمي ، وسير جيشاً إلى نسا وأبيورد فافتتحوها صلحاً ؛ وسير سريةً أخرى إلى سَرَخَس مع عبد الله ابن خازم السُّلَمي^١ ، فقاتلوا أهلها ثم طلبوا الأمان والصلح على أمان مائة رجل ، فأجيبوا إلى ذلك ، فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله ، ودخل سَرَخَس عنوةً .

وأتى مرزبان طوس إلى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم ؛ وسير جيشاً إلى هَرَاة عليهم عبد الله بن خازم ، وقيل غيره ، فبلغ مرزبان هَرَاة ذلك فسار إلى ابن عامر فصالحه عن هَرَاة وباذغيس وبوشنج . وقيل : بل سار ابن عامر في الجيش إلى هَرَاة فقاتله أهلها ثم صالحه مرزبانها على ألف ألف درهم ، ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد أرسل إليه مرزبانُ مرو فصالحه على ألفي ألف ومائتي ألف درهم ، وقيل غير ذلك ؛ وأرسل ابنُ عامر حاتمَ بن النُّعْمان الباهلي إلى مرزبانها ، وكانت مرو كلها صلحاً إلا قرية منها يقال لها سِنَج ، فإنها أخذت عنوة (وهي بكسر السين المهملة والنون الساكنة وآخرها جيم) . ووجه ابنُ عامر الأحنفَ بن قيس إلى طَخارستان ، فمرَّ برستاق يُعرف برستاق الأحنف ويدعى سوانجرد ، فحصر أهلها فصالحوه

1) S.

على ثلثمائة ألف درهم ، فقال الأحنف : أصالحكم على أن يدخل رجل منا
 القصر فيؤذّن فيه ويقيم فيكم حتى ينصرف . فرضوا بذلك ، ومضى
 الأحنف إلى مرو الروذ فقاتله أهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم ، وكان مرزبانها
 من أقارب باذان¹ صاحب اليمن ، فكتب إلى الأحنف : إنّه دعاني إلى الصلح
 إسلام باذان¹ ، فصالحه على ستمائة ألف ، وسير الأحنف سرية فاستولت على
 رُستاق بَغ² واستاقت منه مواشي ، ثم صالحوا أهله . وجمع له أهل طخارستان ،
 فاجتمع أهل الجوزجان والطاقان والفارياب ومن حولهم في خلق كثير ، فالتقوا
 واقتتلوا ، وحمل ملك الصغانيان على الأحنف فانتزع الأحنف الرمح من يده
 وقاتل قتالاً شديداً ، فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً كيف شاؤوا
 وعاد إلى مرو الروذ ، ولحق بعض العدو بالجوزجان ، فوجه إليهم الأحنف
 الأقرع بن حابس التميمي في خيل وقال : يا بني تميم تحابّوا وتباذلوا تعدل أموركم
 وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلّوا يسلم لكم
 جهادكم .

فسار الأقرع فلقى العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا
 فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوة ، فقال ابن الغريزة النهشلي :

سقى صوبُ السحابِ إذا استهلّتْ مصارع³ فتيةٍ بالجوزجانِ
 إلى القصرين من رُستاقِ خوت⁴ أقادهمُ هناك الأقرعانِ

وفتح الأحنف الطالقان صلحاً ، وفتح الفارياب ، وقيل : بل فتحها أمير بن
 أحمر ، ثم سار الأحنف إلى بلخ ، وهي مدينة طخارستان ، فصالحه أهلها على
 أربعمائة ألف ، وقيل : سبعمائة ألف ؛ واستعمل على بلخ أسيد بن المشمس ،

1) Codd. باذام .

2) B. et C. P. سنج .

3) C. P. مصالح .

4) B. خوف .

ثمّ سار إلى خوارزم ، وهي على نهر جيحون ، فلم يقدر عليها ، فاستشار أصحابه ، فقال له حُضَيْن بن المنذر : قال عمرو بن معديكرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ أَمْرًا فَدَعَهُ وَجَاوِزَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

فعاد إلى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ، ووافق وهو يجيبهم المهرجان ، فأهدوا له هدايا كثيرة من دراهم ودنانير ودواب وأوانٍ وثياب وغير ذلك ، فقال لهم : ما صالحناهم على هذا ! فقالوا : لا . ولكن هذا شيء نفعله في هذا اليوم بأمرائنا . فقال : ما أدري ما هذا ولعله من حقّي ولكن أقبضه حتى أنظر ، فقبضه حتى قدم الأحنف فأخبره : فسألهم عنه ، فقالوا ما قالوا لأسيّد . فحمّله إلى ابن عامر . وأخبره عنه ، فقال : خذه يا أبا بحر . قال : لا حاجة لي فيه . فأخذه ابن عامر . قال الحسن البصري : فضمه القرشي ، وكان مضماً .

ولما تمّ لابن عامر هذا الفتح قال له الناس : ما فُتِح لأحد ما فُتِح عليك . فارس وكرمان وسجستان وخراسان . فقال : لا جرم لأجعلن شكري لله على ذلك أن أخرج مُحَرِّمًا من موقفي هذا . فأحرم بعمره من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم ، فسار قيس بعد شخوصه في أرض طخارستان فلم يأتِ بلدًا منها إلاّ صالحه أهلّه وأذعنوا له . حتى أتى سمينجان فامتنعوا عليه ، فحصرهم حتى فتحها عنوة .

(أسيد بفتح الهمزة وكسر السين . وحضين بن المنذر بالضاد المعجمة) .

ذکر فتح کرمان

لما سار ابن عامر عن کرمان إلى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السُلَمي على کرمان ، على ما ذكرناه قبل ، أمره أن يفتحها ، وكان أهلها قد نكثوا

وغدروا . ففتح هَمِيدُ عَنُوةً واستبقى أهلها وأعطاهم أماناً وبنى بها قصرأ يُعرف بقصر مجاشع ، وأتى السَّيرجان ، وهي مدينة كرمان ، فأقام عليها أياماً يسيرة وأهلها متحصنون . فقاتلهم وفتحها عَنُوةً ، فجلا كثير من أهلها عنها ، وفتح جِيرَفَتَ عَنُوةً . وسار في كرمان فدوخ أهلها ، وأتى القُفص وقد تجمع له خلق كثير من الأعاجم الذين جلوا ، فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم ، وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمُكران وبعضهم بسِجستان ، فأقطعت العرب منازلهم وأراضيتهم فعمروها واحترفوا لها القني في مواضع منها وأدوا العشر منها .

ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما

قد تقدم ذكر فتح سِجستان أيام عمر بن الخطاب ، ثم إن أهلها نقضوا بعده . فلما توجه ابن عامر إلى خراسان سيرة إليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثي ، فقطع المفازة حتى أتى حصن زالِق ، فأغار على أهله يوم مهرجان وأخذ الدُّهقان ، فافتدى نفسه بأن غرز عَنَزَةَ وغمرها ذهباً وفضة وصالحه على صلح فارس . ثم أتى بلدة يقال لها كَرَكُوبِيَه ، فصالحه أهلها . وسار إلى زَرَنُج فنزل على مدينة رُوشْت بقرب زَرَنُج ، فقاتله أهلها وأصيب رجال من المسلمين . ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأتى الربيعُ نَاشِرُودَ ففتحها ، ثم أتى شَرُواد فغلب عليها ، وسار منها إلى زرنج فنازلها وقاتله أهلها فهزمهم وحصرهم ، فأرسل إليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فأمنه ، وجلس له الربيع على جسد من أجساد القتلى واتكأ على آخر وأمر أصحابه ففعلوا مثله ، فلما رأهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ، ودخل المسلمون المدينة . ثم سار منها إلى سَنارود ، وهي واد ، فعبره وأتى القرية التي بها مربوط فرس رسم الشديدي . فقاتله أهلها ، فظفر بهم

ثم عاد إلى زرنج وأقام بها نحو سنة ؛ وعاد إلى ابن عامر ، واستخلف عليها عاملاً ، فأخرج أهلها العامل وامتنعوا .

فكانت ولاية الربيع سنة ونصفاً . وسبى فيها أربعين ألف رأس . وكان كاتبه الحسن البصري . فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان ، فسار إليها فحصر زرنج ، فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيد . وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند ، وغلب من ناحية الرخج على ما بينه وبين الداون . فلما انتهى إلى بلد الداون حصرهم في جبل الزوزا¹ ثم صالحهم ودخل على الزوز ، وهو صنم من ذهب ، عيناه ياقوتتان ، فقطع يده وأخذ الياقوتتين ، ثم قال للمرزبان : دونك الذهب والجوهر ، وإنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع . وفتح كابل وزابليستان ، وهي ولاية غزنة² . ثم عاد إلى زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان ، فاستخلف عليها أمير بن أحمر الشكري وانصرف . فأخرج أهلها أمير بن أحمر وامتنعوا ؛ ولأمر يقول زياد بن³ الأعجم :

لولا أمير هلكت يشكر³ ويشكر هلكت على كل حال

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس هذه السنة عثمان . وفيها مات أبو الدرداء الأنصاري ، وهو بدري ، وقيل : سنة اثنتين وثلاثين . وفيها مات أبو طلحة الأنصاري ،

1) C. P. ; Br. Mus. ; B. ; الرود .

2) C. P. et B. add. بمهد .

3) Om. S.

وهو بلدي ، وقيل : سنة اثنتين وثلاثين¹ ، وقيل : سنة إحدى وخمسين .
وفيها مات أبو أسيد الساعدي ، وقيل : مات سنة ستين ، وهو على هذا القول
آخر من مات من البدرين .
(أسيد بضم الهمزة) .

وفيها مات أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، وأخوه
الطفيل² . وأبو سفيان بن حرب بن أمية ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة³ .

1) S.

2) Om. B.

3) Om. S.

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

• قيل : في هذه السنة غزا معاوية بن أبي سفيان مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة بنت قرظة ، وقيل فاخنة¹

ذكر ظهر الترك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة

في هذه السنة انتصرت الخزر والترك على المسلمين .

وسببه أن الغزوات لما تابعت عليهم تدامروا وقالوا : كنا [أمة] لا يُقْرَن² بنا أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة فصرنا لا نقوم لها . فقال بعضهم : إن هؤلاء لا يموتون وما أسيب منهم أحد في غزوهم . وقد كان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يُقتل منهم أحد ، فهذا ظنوا أنهم لا يموتون . فقال بعضهم : أفلا تجربون ؟ فكمّنتوا لهم في الفياض ، فمرّ بالكمين نفرٌ من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعد رؤوسهم إلى حربهم ثم اتعدوا يوماً . وكان عثمان قد كتب إلى عبد الرحمن ابن ربيعة وهو على الباب : إن الرعية قد أبطرها البيطنة فلا تقتحم بالمسلمين فلإني أخشى أن يُقتلوا . فلم يرجع عبد الرحمن عن مقصده ، فغزا نحو بلنجر ، وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً وقتل عبد الرحمن ،

1) Om. B.

2) يقر . C. P. ; يقوم . B.

وكان يقال له ذو النور¹ ، وهو اسم سيفه ، فأخذ أهل بلنجر جسدَه وجعلره في تابوت فهم يستسقون به ، فلما قُتل انهزم الناس وافترقوا فرقتين : فرقة نحو الباب ، فلقوا سلمان بن ربيعة أخا عبد الرحمن ، كان قد سيره سعيد بن العاص مددًا للمسلمين بأمر عثمان ، فلما لقوه نجّوا معه ، وفرقة نحو جيلان وجرجان ، فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة ، وكان في ذلك العسكر يزيد بن معاوية النخعي وعلقمة بن قيس ومعضد الشيباني وأبو مفرز التميمي في خباء واحد ، وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحلحال¹ بن ذري والقرثع² في خباء ، فكانوا متجاورين في ذلك العسكر ، وكان القرثع يقول : ما أحسن لمع الدماء على الثياب ! وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه : ما أحسن حمرة الدماء على بياضك ! ورأى يزيد بن معاوية أن غزالاً جيء به لم يُرَ أحسن منه فلفَّ في ملحفة ثم دُفن في قبر لم يُرَ أحسن منه عليه ثلاثة نفر قعود ، فلما استيقظ واقتل الناس رمي بحجر فهشم رأسه فمات ، فكانت ما زين ثوبه بالدماء وليس بتلطيف ، فدُفن في قبر على الصورة التي رأى .

وقال معضد لعلقمة : أعزني بُردك أعصب به رأسي ، ففعل ، فأتى برج بلنجر الذي أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم وأتاه حجر عرّادة ففضخ هامته ، فأخذه أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد ، وأخذ علقمة البرد فكان يغسله فلا يخرج أثر الدم منه ، وكان يشهد فيه الجمعة ويقول : يحملني على هذا أن دم معضد فيه . وأصاب عمرو بن عتبة جراحة فرأى قباهه كما اشتهى ثم قُتل . وأمّا القرثع فإنه قاتل حتى خُرق بالحراب ، فبلغ الخبر بذلك عثمان فقال : إننا لله ، انتكث³ أهل الكوفة ، اللهم تب عليهم وأقبل بهم !

1) C. P. et B. الخللخال .

2) B. ubique : القرثع .

3) C. P. اينكث ; B. et Br. Mus. اسكت , at hic in marg. اينكب .

وكان عثمان قد كتب إلى سعيد بن العاص أن يُنفذ سلمان إلى الباب للغزو ،
فسيره فلقى المهزومين ، على ما تقدم ، فنجّاهم الله به . فلما أصيب عبد
الرحمن استعمل سعيداً سلمان بن ربيعة على الباب ، واستعمل على الغزو بأهل
الكوفة حذيفة بن اليمان ، وأمدّهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة ،
فتأمّر عليهم سلمان وأبي حبيب حتى قال أهل الشام : لقد هممنا بضرب سلمان .
فقال الكوفيون : إذن والله نضرب حبيباً ونحبسه وإن أبيتم كثرت القتلى فينا وفيكم ؛
وقال أوس بن مغراء في ذلك :

إن تضربوا سلمان نضرب حبيبكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل
وإن تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا وهذا أمير في الكتاب مقبل
ونحن ولاة الأمر كُنّا حماته ليالي نرمي كل ثغر ونعكّل

وأراد حبيب أن يتأمّر على صاحب الباب كما يتأمّر أمير الجيش إذا جاء
من الكوفة ، فكان ذلك أوّل اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام . وغزا حذيفة
ثلاث غزوات ، فقتل عثمان في الثالثة ، ولقيهم¹ مقتل عثمان فقال حذيفة بن
اليمان : اللهم العن قتلته وشتمه ! اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا فاتخذوا ذلك
سُلماً إلى الفتنة ! اللهم لا تمتهم إلاّ بالسيوف !

ذكر وفاة أبي ذرّ

ومها مات أبو ذرّ ، وكان قد قال لابنته : استشرني يا بنية هل ترين أحداً ؟
قالت : لا . قال : فما جاءت ساعتى بعد . ثمّ أمرها فذبحت شاةً ثمّ طبختها

.....
1) وأغهم B .

ثم قال : إذا جاءك الذين يدفنونني فإنه سيشهدني قوم صالحون فقولي لهم : يقسم عليكم أبو ذرّ أن لا تركبوا حتى تأكلوا . فلما فضجت قدرها قال لها : انظري هل ترين أحداً؟ قالت : نعم هؤلاء ركب . قال : استقبلي بي الكعبة ، ففعلت . فقال : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم مات ، فخرجت ابنته فتلقتهم وقالت : رحمكم الله ، اشهدوا أبا ذرّ . قالوا : وأين هو؟ فأشارت إليه ، قالوا : نعم ونعمة عين ! لقد أكرمنا الله بذلك . وكان فيهم ابن مسعود فبكى وقال : صدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يموت وحده ويُبعث وحده . فغسلوه وكفّنوه وصلّوا عليه ودفنوه . وقالت لهم ابنته : إن أبا ذرّ يقرأ عليكم السلام ، وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا ؛ ففعلوا وحملوا أهلهم معهم حتى أقدموهم مكة ونعّوه إلى عثمان ، فضمّ ابنته إلى عياله وقال : يرحم الله أبا ذرّ ويغفر له نزوله الرّبذة .

ولما حضروا شمّوا من الحباء ريح مسك فسألوها عنه فقالت : إنّه لما حضر قال : إن الميت يحضره شهود يجدون الريح لا يأكلون ، فدوني لهم مسكاً بماء ورشي به الحباء .

وكان نفر الذين شهدوه : ابن مسعود ، وأبا مفرز ، وبكر بن عبد الله التميمي ، والأسود بن يزيد ، وعلقمة بن قيس ، ومالك الأشتر النخعي ، والحلحال² الضبي ، والحارث بن سويد التميمي ، وعمرو بن عتبة السلمي ، وابن ربيعة السلمي ، وأبا رافع المزني ، وسويد بن شعبة التميمي ، وزباد بن معاوية النخعي ، وأخا القرث الضبي ، وأخا معضد الشيباني . وقيل : كان موته سنة إحدى وثلاثين .

وقيل : إن ابن مسعود لم يحمل أهل أبي ذرّ معه إنما تركهم حتى قدم على عثمان بمكة فأعلمه بموته ، فجعل عثمان طريقه عليهم فحملهم معه .

1) B.

2) B. & C. P. الخلل .

قارن فظفر به وكتب بالفتح إلى ابن عامر فأقره على خراسان ؛ ولم يزل أهل
البصرة يغزون من لم يكن صالحاً من أهل خراسان ، فإذا عادوا تركوا أربعة
آلاف نجدة .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة مات العباس عم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان عمره
يوم مات ثمانياً وثمانين سنة ، كان أسنّ من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
بثلاث سنين . وفيها مات عبد الرحمن بن عوف وعمره خمس وسبعون
سنة . وعبد الله بن مسعود وصلى عليه عمّار بن ياسر ، وقيل عثمان . وتوفي
عبد الله بن زيد بن عبد ربّه الذي أرى الأذان .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

في هذه السنة كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم بناحية مَلَطِيَّة .
 وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد إفريقية الثانية حين نقض أهلها العهد ؛ وفيها
 كان مسير الأحنف إلى خراسان وفتح المَرَوَيْن ، ومسير ابن عامر إلى نيسابور
 وفتحها ، في قول بعضهم ، وقد تقدم ذكر ذلك ؛ وفيها كانت غزوة قبرس ،
 في قول بعضهم ، وقد تقدم ذكرها مستوفى ، وقيل إن فتحها كان سنة ثمان
 وعشرين ، فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعان أهلها الروم على الغزاة في البحر
 بمراكب أعطوهم إياها ، فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين ففتحها عنوة فقتل
 وسبى ثم أقرهم على صلحهم وبعث إليهم اثني عشر ألفاً فبنوا المساجد وبنى
 مدينة . وقيل : كانت غزوته الثانية سنة خمس وثلاثين .

ذكر نسير من سِير من أهل الكوفة إلى الشام

وفي هذه السنة سِير عثمان نقرأ من أهل الكوفة إلى الشام . وكان السبب في
 ذلك أن سعيد بن العاص لما ولاه عثمان الكوفة حين شُهد على الوليد بشرب الخمر
 أمره أن يسير الوليد إليه ، فقدم سعيد الكوفة وسير الوليد وغسل المنبر ، فنهاه
 رجال من بني أمية كانوا قد خرجوا معه عن ذلك ، فلم يجبهم واختار سعيد

1) C. P. et B. add. أطراف .

وجوه الناس وأهل القادسية وقرآء أهل الكوفة ، فكان هؤلاء دخلته إذا خلا^١ ،
وأما إذا خرج فكلّ الناس يدخل عليه ، فدخلوا عليه يوماً ، فبينما هم يتحدثون
قال حُبَيْش بن فلان الأسدي ما أجود طلحة بن عبيد الله ! فقال سعيد : إن من
له مثل النشاستج^٢ لحقيق أن يكون جواداً ، والله لو أن لي مثله لأعاشكم^٤ الله به
عيشاً رغداً . فقال عبد الرحمن بن حُبَيْش : وهو حدث : والله لو ددت أن هذا
الملطاط لك ، يعني لسعيد ، وهو ما كان للأكاسرة على جانب الفرات^١ الذي يلي
الكوفة . قالوا : فضّ الله فاك ! والله لقد هممنا بك ! فقال أبوه : غلام فلا
تجازوه . فقالوا : يتمنى له سوادنا . قال : ويتمنى لكم أضعافه ، فثار به الأشر
وجندب وابن ذي الحنكة وصعصعة وابن الكواء وكُمَيْل وعُمير بن ضابئ
فأخذوه ، فثار أبوه ليمنع عنه ، فضربوهما حتى غشي عليهما ، وجعل سعيد
بناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطراً . فسمعتُ بذلك بنو أسد فجاؤوا وفيهم
طليحة فأحاطوا بالقصر وركبت القبائل فعادوا بسعيد ، فخرج سعيد إلى الناس
فقال : أيّها الناس قوم تنازعوا وقد رزق الله العافية . فردّهم فراحوا . وأفاق
الرجلان فقالا : قاتلنا غاشيتك^٢ . فقال : لا يغشوني أبداً ، فكفّا ألسنتكما ولا
تخزبا الناس^٣ . ففعلا ، وقعد أولئك النفر في بيوتهم وأقبلوا يقعون في عمان .

وقيل : بل كان السبب في ذلك أنه كان يسمر عند سعيد بن العاص وجوه
أهل الكوفة منهم : مالك بن كعب الأرحبي والأسود بن يربد وعلمة بن قيس

1) S. ubique . المرأة .

2) B. حاشيتك .

3) C. P. et B. تخزبا .

١ داخل

٢ فينهم .

٣ (ضبعة بالكوفة كانت لطلحة بن عبيد الله التيمي وكانت عظيمة الدخل) .

٤ لأعشاكم

النَّخَعِيَّانِ وَمَالِكِ الْأَشْجَرِ وَغَيْرِهِمْ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : إِنَّمَا هَذَا السَّوَادُ بَسْتَانِ قَرِيشٍ .
 فَقَالَ الْأَشْجَرُ : أَتَزْعِمُ أَنَّ السَّوَادَ الَّذِي أَفَاءَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِنَا بَسْتَانِ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ؟
 وَتَكَلَّمْتَ الْقَوْمَ مَعَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَسَدِيُّ ، وَكَانَ عَلَى شَرْطَةِ سَعِيدٍ :
 أتردُّونَ عَلَى الْأَمِيرِ مَقَالَتَهُ ؟ وَأَغْلَظَ لَهُمْ . فَقَالَ الْأَشْجَرُ : مَنْ هَهُنَا ؟ لَا يَفُوتُنْكُمْ
 الرَّجُلُ ! فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَوَطَّئُوهُ وَطَأُّ شَدِيداً حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَرُّوا بِرِجْلِهِ ،
 فَضُضِحَ بِمَاءِ فَأَفَاقَ فَقَالَ : قَتَلَنِي مِنْ انْتَجَبْتِ^٢ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَسْمُرُ عِنْدِي أَحَدٌ
 أَبَدًا . فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ يَشْتَمُونَ عَثْمَانَ وَسَعِيداً ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ
 حَتَّى كَثُرُوا ، فَكَتَبَ سَعِيدٌ وَأَشْرَافُ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى عَثْمَانَ فِي إِخْرَاجِهِمْ ،
 فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يُلْحَقُوهُمْ بِمَعَاوِيَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ : إِنْ نَفَرْنَا قَدْ خُلِقُوا لِلْفِتْنَةِ
 فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ ، فَإِنْ آتَيْتَ مِنْهُمْ رَشْداً فاقْبَلْ وَإِنْ أَعْيُوكَ فَارْدُدْهُمْ عَلَيَّ .

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى مَعَاوِيَةَ أَنْزَلَهُمْ كَنِيسَةَ مَرْيَمَ وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ مَا كَانَ لَهُمْ بِالْعِرَاقِ
 بِأَمْرِ عَثْمَانَ . وَكَانَ يَتَغَدَّى وَيَتَعَشَّى مَعَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ يَوْمًا :

إِنَّكُمْ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ لَكُمْ أَسْنَانٌ وَالسَّنَةُ ، وَقَدْ أَدْرَكْتُمْ بِالْإِسْلَامِ شَرْفًا وَغَلْبَةً
 الْأُمَمِ وَحَوَيْتُمْ مَوَارِيثَهُمْ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ نَقَمْتُمْ قَرِيشًا ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ قَرِيشٌ
 كُنْتُمْ أَذَلَّةً ، إِنْ أَثْمَتَكُمْ لَكُمْ جُنَّةٌ فَلَا تَفْتَرِقُوا عَنْ جُنَّتِكُمْ ، وَإِنْ أَثْمَتَكُمْ يَصْبِرُونَ
 لَكُمْ عَلَى الْجُورِ وَيَحْتَمِلُونَ مِنْكُمْ الْمُؤُونَةَ . وَاللَّهِ لَتَنْتَهُنَّ^١ أَوْ لَيَبْتَلِيَنَّكُمْ اللَّهُ بِمَنْ^١
 يَسُومُكُمْ السُّوءَ وَلَا يَحْمَدُكُمْ عَلَى الصَّبْرِ ثُمَّ تَكُونُونَ شُرَكَاءَهُمْ فِيمَا جَرَرْتُمْ
 عَلَى الرَّعِيَّةِ^٢ فِي حَيَاتِكُمْ وَبَعْدَ وِفَاتِكُمْ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، وَهُوَ صَعْصَعَةٌ : أَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَرِيشٍ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ

1) من S.

2) أسار B. add.

١ جرُّوا .

٢ انتجبت .

أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا ، وأما ما ذكرت من الحنة فإن الحنة إذا احترقت^١ خلص إلينا .

فقال معاوية : عرفتمكم الآن وعلمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول ، وأنت خطيبهم ولا أرى لك عقلاً ، أعظم عليك أمر الإسلام وتذكرني بالجاهلية ! أخزى الله قوماً عظّموا أمركم ! افقهوا عني ، ولا أظنكم تفقهون ، أن قريشاً لم تغز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله تعالى ، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم ، ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً ، وأحضرهم أنساباً ، وأكملهم مروءة ، ولم يمتنعوا في الجاهلية ، والناس يأكل بعضهم بعضاً ، إلا بالله ، فبؤأهم حرماً آمناً يتخطف الناس من حولهم ! هل تعرفون عربياً أو عجمياً أو أسوداً أو أحمر إلا وقد أصابه الدهر في بلده وحرمة إلا ما كان من قريش فإنهم لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل ، حتى أراد الله أن يستنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة ، فارتضى لذلك خيراً خلقه ثم ارتضى له أصحاباً فكان خيارهم قريشاً ، ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك إلا عليهم ، فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم ، أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه ؟ أف لك ولأصحابك !

أما أنت يا صعصعة فإن قريتك شر القرى ! أنتها بيتاً ، وأعمقها وادياً ، وأعرفها بالشر ، والأمها جيراناً ! لم يسكنها شريف قط ولا وضع إلا سب بها ، ثم كانوا الأم العرب ألقاباً وأصهاراً ، نزع^٢ الأمم ، وأنتم جيران الخط ، وفعلة

١) أراكم C. P.

١) احترقت .

٢) (نزع : جمع نزع ، وهو الغريب) .

فارس ، حتى أصابتكم دعوة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لم تسكن البحرين
فتشركهم في دعوة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فانت شر قومك ، حتى إذا
أبرزك الإسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي دين الله عوجاً ، وتترع إلى الذلّة ،
ولا يضرّ ذلك قريشاً ولا يضرّهم ولن يمنعهم من تأديّة ما عليهم ، إن الشيطان
عنكم غير غافل ، قد عرفكم بالشرّ فأغرى بكم الناس ، وهو صارعكم ،
ولا تدركون بالشرّ أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شرّاً منه وأخزى .

ثمّ قام وتركهم فتقاصرت إليهم أنفسهم . فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال :
إنّي قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم أحداً أبداً ولا يضرّه
ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة ، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا يبطنكم
الإنعام ، فإن البطر لا يعترى الخيار ، اذهبوا حيث شئتم فسأكتب إلى أمير المؤمنين
فيكم .

فلما خرجوا دعاهم وقال لهم : إنّي معيد عليكم أن رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، كان معصوماً فولاني وأدخلني في أمره ، ثمّ استخلف أبو بكر
فولاني ، ثمّ استخلف عمر فولاني ، ثمّ استخلف عثمان فولاني ، ولم يولني
أحدٌ إلاّ وهو عني راضٍ ، وإنّما طلب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغنّاء ، وإن الله ذو سطوات ونقّمات يمكر
بمن مكر به ، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تُظهرون ،
فإن الله غير تارككم حتى يختبركم ويبيدي للناس سرائركم .

وكتب معاوية إلى عثمان : إنّه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ،
أضجرهم العدل ، لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجّة ، إنّما همّهم الفتنة
وأموال أهل الذمة ، والله مبتليهم ومختبرهم ثمّ فاضحهم ومخزيهم ، وليسوا بالذين

ينكون! أحداً إلا مع غيرهم ، فأنه سعيداً ومن عنده عنهم ، فإنهم ليسوا
لأكثر من شغب ونكير .

فخرجوا من دمشق فقالوا: لا ترجعوا بنا إلى الكوفة فإنهم يشمتون بنا، ولكن
ميلوا إلى الجزيرة ، فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان على حمص ،
فدعاهم فقال : يا آله الشيطان لا مرحباً بكم ولا أهلاً ، قد رجع الشيطان
محسوراً وأنتم بعدُ نِشاط ، خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم ، يا معشر من
لا أدري أعرب هم أم عجم ، لا تقولوا لي ما بلغني أنكم قلم معاوية ، أنا ابن
خالد بن الوليد ، أنا ابن من قد عجمت العاجمات ، أنا ابن فاقى² الردة¹ والله
لئن بلغني يا صعصعة أن أحداً ممن معي دق أنفك ثم أمصك³ لأطيرن بك طيرة
بعيدة المهوى ! فأقامهم شهراً كلما ركب أمشاهم ، فإذا مرّ به صعصعة قال :
يا ابن الحطيئة ، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشرّ؟ ما لك لا تقول
كما بلغني أنك قلت لسعيد ومعاوية؟ فيقولون : نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله .
فما زالوا به حتى قال : تاب الله عليكم . وسرح الأشرّ إلى عثمان ، فقدم
إليه ثانياً ، فقال له عثمان : احلل حيث شئت . فقال : مع عبد الرحمن بن خالد .
فقال : ذلك إليك ، فرجع إليه .

قيل : وقد روي أيضاً نحو ما تقدّم وزادوا فيه أن معاوية لما عاد إليهم من
القابلة وذكرهم كان ممّا قال لهم : وإنّي والله لا آمركم بشيء إلا وقد بدأت
فيه بنفسى وأهل بيتي ، وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن
أكرمها إلا ما جعل الله لنبيّه ، صلى الله عليه وسلم ، فإنه انتخبه وأكرمه ،
وإنّي لأظن أن أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلا حازماً . قال صعصعة : قد

1) بيلون . B .

2) عافى . C . P .

3) مضك . B .

كذبت! قد ولد لهم خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر
 الملائكة فسجدوا له ، وكان فيهم البَرّ والفاجر ، والأحمق والكيس . فخرج تلك
 الليلة من عندهم ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلاً ثم قال : أيها القوم ردوا
 خيراً أو اسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهاليكم والمسلمين
 فاطلبوه . فقال صعصعة : لست بأهل ذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية
 الله . فقال : أليس أول من ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة نبيه وأن
 تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ؟ قالوا : بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء
 به النبي ، صلى الله عليه وسلم . فقال : إني آمركم الآن إن كنتُ فعلتُ¹
 فأتوب إلى الله وأمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه ، صلى الله عليه وسلم .
 ولزوم الجماعة وأن توقروا أثمتكم وتدلوهم على أحسن ما قدرتم عليه . فقال
 صعصعة : فإننا نأمرك أن تعتزل عملك فإن في المسلمين من هو أحقّ به منك .
 من كان أبوه أحسن قدماً في الإسلام من أبيك وهو أحسن في الإسلام قدماً منك .
 فقال : والله إن لي في الإسلام قدماً ولغيري كان أحسن قدماً مني ولكنه² ليس
 في زماني أحد أقوى على ما أنا فيه مني ، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب ، فلو
 كان غيري أقوى مني لم تكن عند عمر هوادة لي ولا لغيري ، ولم أحدث من
 أحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي ، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إليّ
 فاعتزلتُ عمله ، فمهلاً فإن في ذلك وأشباهه ما يتمنى¹ الشيطان ويأمر ، ولعمري
 لو كانت الأمور تُقضى على رأيكم وأمانيتكم² ما استقامت لأهل الإسلام يوماً
 ولا ليلة ، فعاودوا الخير وقولوه ، وإن لله لسطوات ، وإني لخائف عليكم

1) B. add. فتوبوا .

2) B. ولكي

أن تتابعوا في مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيُحِلَّتْكُمْ ذلك دار الهوان في العاجل والآجل . فوثبوا عليه وأخذوا رأسه ولحيته ، فقال : مه إن هذه ليست بأرض الكوفة ، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم ، فلعمري إن صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً !

ثمّ قام من عندهم وكتب إلى عثمان نحو الكتاب المتقدّم ، فكتب إليه عثمان يأمره أن يردّهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردّهم فأطلقوا ألسنتهم ، فضجّ سعيد منهم إلى عثمان ، فكتب إليه عثمان أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بجمص ، فسيّرهم إليها ، فأنزلهم عبد الرحمن وأجرى عليهم رزقاً ، وكانوا : الأشتر وثابت بن قيس الهمداني وكُمَيْل بن زياد وزيد بن صُوحان وأخاه صعصعة وجندب بن زهير الغامدي وجندب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو ابن الحَمِقِ الخزاعي وابن الكوّاء .

قيل : سأل معاويةُ ابنَ الكوّاء عن نفسه قال : أنت بعيد الثرى كثير المرعى طيب البديهة بعيد الغور ، الغالب عليك الحلم ، ومكن من أركان الإسلام ، سُدَّتْ بك فرجة مخوفة . قال : فأخبرني عن أهل الأحداث من الأمصار فإنك أعقل أصحابك . قال : أمّا أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشرّ وأعجزهم عنه ، وأمّا أهل الكوفة فإنهم يردون جميعاً ويصدرون شتى ، وأمّا أهل مصر فهم أوفى الناس بشرّ وأسرعهم ندامة ، وأمّا أهل الشام فهم أطوع الناس لمرشدتهم وأعصاهم لمغويهم .

ذكر تسير من سِيرَ من أهل البصرة إلى الشام

ولما مضت ثلاث سنين من إمارة عبد الله بن عامر بلغه أن [في عبد القيس] رجلاً نازلاً على حُكَيْمِ بنِ جَبَلَةَ العبدي ، وكان عبد الله بن سبأ ، المعروف

بابن السوداء ، هو الرجل النازل عليه ، واجتمع إليه نفر فطرح إليهم ابن السوداء ولم يسرح¹ ، فقبلوا منه . فأرسل إليه ابن عامر فسأله : من أنت ؟ فقال . رجل من أهل الكتاب رغبت في الإسلام وفي جوارك . فقال : ما يبلغني ذلك ، اخرج عني . فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها ، فقصد مصر فاستقر بها وجعل يكاتبهم ويكاتبونه وتختلف الرجال بينهم .

وكان حُمران بن أبان قد تزوج امرأة في عدتها ففرق عثمان بينهما وضربه وسيره إلى البصرة ، فلزم ابن عامر فتذاكروا يوماً المرور بعامر بن عبد القيس ، فقال حُمران : ألا أسبقكم فأخبره ؟ فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف فقال : الأمير يريد المرور بك فأحبيت أن أعلمك ؛ فلم يقطع قراءته فقام من عنده ، فلما انتهى إلى الباب لقيه ابن عامر فقال : [جئتك من عند امرئ] لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً ؛ ودخل عليه ابن عامر فأطبق المصحف وحدته ، فقال له ابن عامر : ألا تعشانا ؟ فقال : سعد بن أبي القرحاء يحب الشرف . فقال : ألا نستعملك ؟ فقال : حصين بن الحُرّ يحب العمل . فقال : ألا تزوجك ؟ فقال : ربيعة بن عيسل يعجبه النساء . فقال : إن هذا يزعم أنك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلاً ! فتصفح المصحف . فكان أول ما وقع عليه ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾² .

فسمى³ به حُمران ، وأقام حُمران بالبصرة ما شاء الله ، وأذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم . فسعوا بعامر بن عبد القيس أنه لا يرى الترويح ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة ، فألقه بمعاوية ، فلما قدم عليه رأى عنده ثريداً فأكل

1) B. يسرح .

2) Corani 3 , vs. 33.

3) مشقي S.

١ (في الطبري . العرجاء) .

أكلًا عربيًا ، فعرف أن الرجل مكذوب عليه ، فعرفه معاوية سبب إخرابها ، فقال :
 أما الجمعة فإني أشهدا في مؤخر المجلس ثم أرجع في أوائل الناس ، وأما
 الترويح فإني خرجت وأنا بخطب علي ، وأما اللحم فقد رأيت ولكني لا آكل
 ذبائح القضاة منذ رأيت قصاباً يجر شاة إلى مذبحها ثم وضع السكين على حلقها
 فما زال يقول : النفاق النفاق ، حتى ذبحها . قال : فارجع . قال : لا أرجع
 إلى بلد استحل أهله مني ما استحلوا ؛ . فكان يكون² في السواحل ، فكان يلقي
 معاوية فيكثر معاوية أن يقول : ما حاجتك ؟ فيقول : لا حاجة لي . فلما أكثر
 عليه قال : ترد علي من حر البصرة شيئاً لعل الصوم أن يشتد علي فإنه يخف
 علي في بلادكم .

ذكر عدة حوادث

ع

وحج بالناس عثمان . وفيها مات المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن
 الأسود صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأوصى أن يصلّي عليه
 الزبير . وفيها توفي الطفيل والحُصَيْن ابنا الحرث بن عبد المطلب بن هاشم بن
 عبد مناف ، وشهدا بدرًا وأحُدًا ، . وقيل : ماتا سنة إحدى وثلاثين ،
 وقيل اثنتين وثلاثين³ .

1) C. P. أواخر .

2) C. P. فأقام .

3) Om. S.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قيل : فيها كانت غزوة الصواري ، في قول بعضهم ، وقد تقدم ذكرها .
وفيهما تكاتب المنحرفون عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون
أنهم نقموا عليه .

ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجمرعة

قد ذكرنا خبر المسيّرين من الكوفة ومقامهم عند عبد الرحمن بن خالد بن
الوليد ، ووفد سعيد بن العاص إلى عثمان سنة إحدى عشرة من خلافة عثمان ،
وكان سعيد قد وتى قبل مخرجه إلى عثمان بسنة وبعض أخرى الأشعث بن قيس
أذربيجان ، وسعيد بن قيس الريّ ، والنُسَيْر العِجْلِيّ همدان ، والسائب بن الأقرع
أصبهان ، ومالك بن حبيب ماه ، وحكيم بن سلام¹ الحِزَامِيّ² الموصل ، وجريّر
ابن عبد الله قرقيسيا ، وسلمان بن ربيعة الباب ، وجعل القعقاع بن عمرو على
الحرب ، وعلى حلوان عتبية بن النهاس ، وخلت الكوفة من الرؤساء . فخرج
يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم ،
فأخذ القعقاع بن عمرو فقال : إنما نستعفي من سعيد . فقال : أما هذا فنعم ،
فركه وكاتب يزيد المسيّرين في القدوم عليه ، فسار الأشتر والذين عند عبد الرحمن

1) B. et C. P. سلامة .

2) B. الحزامي ; C. P. sine punctis.

ابن خالد ، فسبقهم الأشتر ، فلم يفجز الناس يوم الجمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول : جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان وتركتم سعيداً يريد على نقصان نسائكم على مائة درهم ، وردّ أولي البلاء منكم إلى ألفين ، ويزعم أن فيثكم بستان قريش . فاستخف الناس وجعل أهل الرأي ينهونهم فلا يُسمع منهم . فخرج يزيد وأمر منادياً ينادي : من شاء أن يلحق بيزيد لردّ سعيد فليفعل ، فبقي أشراف الناس وحلماءؤهم في المسجد . وعمرو بن حُرَيْث¹ يومئذ خليفة سعيد ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمرهم بالاجتماع والطاعة ، فقال له القعقاع : أتردُّ السيل عن أدراجه ؛ هيهات لا والله لا يسكن الغوغاء إلا المشرفيّة ويوشك أن تنتضي ويعجّون عجيج العدان ويتمنون ما هم فيه اليوم فلا يرده الله عليهم أبداً ، فاصبر . قال : أصبر . وتحول إلى منزله ، وخرج يزيد بن قيس فنزل الجرعة ، وهي قريب من القادسية ، ومعه الأشتر . فوصل إليهم سعيد ابن العاص ، فقالوا : لا حاجة لنا بك . قال : إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً وإليّ رجلاً ، وهل يخرج الألف لهم عقول إلى رجل واحد ؛ ثمّ انصرف عنهم ، وتحسّوا² بمولى له على بعير قد حسر فقال : والله ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع . فقتله الأشتر . ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فأخبره بما فعلوا وأنهم يريدون البدل وأنهم يختارون أبا موسى ، فجعل أبا موسى الأشعري أميراً ، وكتب إليهم :

أما بعد فقد أمرت عليكم من اخرتم وأعفيتكم من سعيد . والله لأقرضنكم عرضي ولأبدلن لكم¹ صبري ولأستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيئاً أبيتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه ، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا ما

1) خرّيت . C. P.

2) ونجسوا . B.

استعفيتم منه ، أنزل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون لكم على الله حُجَّة ، ولنصبرن كما أمرنا حتى تبلغوا ما تريدون . ورجع من الأمراء مَنْ قرب من الكوفة ، فرجع جرير من قَرْقِيسيا ، وعُتَيْبَةُ بن النَّهَّاس من حُلوان ، وخطبهم أبو موسى وأمرهم بلزوم الجماعة ، وطاعة عثمان¹ ، فأجابوا إلى ذلك وقالوا : صل بنا . فقال : لا إلَّا على السمع والطاعة لعثمان . قالوا : نعم . فصلت بهم وأتاه ولايته فوليهم .

وقيل : سبب يوم الحرَّة أنه كان قد اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان فأجمع رأيهم ، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري ، وهو الذي يدعى عامر بن عبد القيس . فاتاه فدخل عليه فقال له : إن ناساً من المسلمين اجتمعوا ونظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أموراً عظيماً ، فاتق الله وتب إليه . فقال عثمان : انظروا إلى هذا فإن الناس يزعمون أنه قارىء ثم هو يجيء يكلمني في المحقرات ، والله ما يدري أين الله ! فقال عامر : بلى والله إنني لأدري أن الله لبالمرصاد !

فأرسل عثمان إلى معاوية وعبد الله بن سعد وإلى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر فجمعهم فشاورهم وقال لهم : إن لكل امرئ وزراء ونصحاء وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي ، وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إليّ أن أعزل عمالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون ، فاجتهدوا رأيكم . فقال له ابن عامر : أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلتوا لك ولا يكون همّة أحدهم إلَّا في نفسه وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته . وقال سعيد : احسم عنك الداء فاقطع عنك الذي تخاف ، إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر . فقال عثمان : إن هذا هو الرأي لولا ما فيه . وقال معاوية : أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد

1) Om. S.

فيكفيك كلُّ رجلٍ منهم ما قبِلَه وأكفيك أنا أهل الشام . وقال عبد الله بن سعد : إن الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف¹ عليك قلوبهم . ثمَّ قام عمرو ابن العاص فقال : يا أمير المؤمنين إنك قد ركبتَ الناسَ بمثل بني أمية فقلتَ وقالوا وزغتَ وزاغوا ، فاعتدل² أو اعتزل³ ، فإن أبيتَ فاعتزم عزمًا واقدم² قدماً . فقال له عثمان : ما لك قمل فروعك؟ أهذا الجِدُّ منك؟ فسكتَ عمرو حتى تفرَّقوا فقال : والله يا أمير المؤمنين لأنتَ أكرمَ عليّ من ذلك ولكني علمتُ أن بالباب من يُبلغُ الناسَ قول كلِّ رجلٍ منا فأردتُ أن يبلغهم قولي فينقوا بي فأقود إليك خيراً وأدفع عنك شراً .

فردَّ عثمان عمالَه إلى أعمالهم وأمرهم بتجهيز الناس في البعوث وعزم على تحريم إعطياتهم ليطيعوه³ ، وردَّ سعيداً إلى الكوفة ، فلقية الناس من الحرّعة وردَّوه ، كما سبق ذكره . قال أبو ثور الحداني : جلستُ إلى حذيفة وأبي مسعود الأنصاري بمسجد الكوفة يوم الحرّعة ، فقال أبو مسعود : ما أرى أن تُردَّ عليّ عقيبها حتى يكون فيها دماء . فقال حذيفة : والله لتُردَّ عليّ عقيبها ولا يكون فيها محجمة دم وما أرى اليوم شيئاً إلا وقد علمته والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، حي . فرجع سعيد إلى عثمان ولم يُسفك دم ، وجاء أبو موسى أميراً ، وأمر عثمان حذيفة بن اليمان أن يغزو الباب فسار نحوه .

ذكر ابتداء قتل عثمان

في هذه السنة تكاتب نفرٌ من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم⁴ بعضهم إلى بعض : أن اقدموا فإن الجهاد عندنا ، وعظّم الناسُ عليّ

1) لتعطف . B.

2) وامض . S.

3) ليقطموه . B.

4) Om. S.

عثمان ونالوا منه ، وليس أحد من الصحابة ينهى ولا يذب إلا نفرٌ ، منهم :
 زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ،
 فاجتمع الناس فكلّموا عليّ بن أبي طالب ، فدخل على عثمان فقال له : الناسُ
 وراثي وقد كلّموني فيك ، والله ما أدري ما أقول لك ولا أعرف شيئاً تجهله
 ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما أعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك
 عنه ولا خلونا بشيء فنبلغك وما خصصنا بأمر دونك ، وقد رأيت وصحبت
 رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وسمعت منه ونلت صهره ، وما ابن أبي
 قحافة بأولى بعمل الحق منك^١ ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك ،
 وأنت أقرب إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رحماً ، ولقد نلت من
 صهر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما لم ينالاه ، وما سبقاك إلى شيء ،
 فالله الله في نفسك ، فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهالة ، وإن
 الطريق لو اوضح بين . وإن أعلام الدين لقائمة . اعلم يا عثمان أن أفضل عباد
 الله إمامٌ عادلٌ هُدي وهدى فأقام سنّة معلومةً وأمات بدعةً متروكةً ، فوالله
 إن كُلاًّ ليين ، وإن السنن لقائمة لها أعلام ، وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وإن
 شرّ الناس عند الله إمامٌ جائرٌ ضلّ وأضلّ فأمات سنّة معلومةً وأحيا بدعةً
 متروكةً ، وإنّي أهدرك الله وسطواته ونقيماته ، فإن عذابه شديد أليم ، وأحذرك
 أن تكون إمام هذه الأمة الذي يُقتل فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ،
 ويلبس أموراً عليها ويتركها شيعاً لا يبصرون الحق لعلوا الباطل ، يمجون
 فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً .

فقال عثمان . قد علمت والله ليقولنّ الذي قلت ، أما^٢ والله لو كنت مكاني
 ما عنفتك ولا أسلمتُك ولا عبتُ عليك ولا نشتُ منكراً أن وصلت رحماً

١ بأولى بالعمل منك بالحق .

٢ أم .

وسددت خلة^١ وآويت ضائعاً ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي . أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أن عمر ولاه ؟ قال : نعم . قال : فلم تلومني أن ولت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ قال علي : إن عمر كان يظأ على صيماخ من ولتي إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى العقوبة وأنت لا تفعل ، ضعفت^١ ورققت على أقربائك . قال عثمان : وهم أقرباؤك أيضاً ! قال : أجل ، إن رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل في غيرهم . قال عثمان : هل تعلم ان عمر ولتي معاوية ؟ فقد ولتته . فقال علي : أنشدك الله ، هل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ ، غلام عمر ، له ؟ قال : نعم . قال علي : فإن معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للناس هذا أمر عثمان . وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه .

ثم خرج علي من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال : أما بعد فإن لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة ، وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون^٢ طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون ، يقولون لكم ويقولون ، أمثال النعام يتبعون أول ناعق ، أحب مواردهم إليهم البعيد ، لا يشربون إلا نغصاً ولا يردون إلا عكراً ، [لا] يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الأمور^٣ ، ألا فقد والله عبت علي ما أقررت لابن الخطاب بمثله ، ولكنه وطنكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدينتم له على ما أحببتم وكرهتم ، ولنت لكم وأوطأنكم كتفي وكفت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي . أما والله لانا أعز نفراً وأقرب ناصرأ وأكثر عدداً وأحرى ، إن قلت لهم أتبي إلي ، ولقد عدت لكم أقراناً ، وأفضلت عليكم فضولاً ، وكشرت

1) Om. S.

2) C. P. عتابون .

3) Om. C. P.

لكم عن نابي ، وأخرجتم مني خُلُقاً لم أكن أحسنه ومنطقاً لم أنطق به ، فكفوا عني ألسنتكم وعيبيكم وطعنكم على ولائكم ، فإنني كفتُ عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرَضِيتُ منه بدون منطقي هذا . ألا فما تفقدون من حقكم؟ والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلي ولم تكونوا تختلفون عليه .

فقام مروان بن الحكم فقال : إن شتم حكمتنا والله ما بيننا وبينكم السيف ، نحن وأنتم والله كما قال الشاعر :

فرشنا لكم أعراضنا فنسبتُ بكم معارسكم¹ تبنون في دمن الشرى

فقال عثمان : اسكت لا مسكت ، دعني وأصحابي ، ما منطلقك في هذا ! ألم أتقدم إليك أن لا تنطق ؟ فسكت مروان ونزل عثمان . عن المنبر ، فاشتد قوله على الناس وعظم وزاد تألبهم عليه¹ .

ذكر عدة حوادث

وحجّ هذه السنة بالناس عثمان . وفي هذه السنة توفي كعب الأحبار ، وهو كعب بن ماتع . وأسلم أيام عمر . وفيها مات أبو عيس² عبد الرحمن بن جبر الأنصاري ، شهد بدرآ . وفيها مات مسطح بن أثاثة المطلبي ، وهو ابن ست وخمسين سنة ، وقيل : بل عاش وشهد صيفين مع عليّ ، وهو الأكثر ، وكان بدرياً . وفيها توفي عبادة بن الصامت الأنصاري ، وهو ممن شهد العقبة ، وكان نقيباً بدرياً ، . وعامل بن البكير ، وهو بدري أيضاً³ .

1) S.

2) B. عيس .

3) Om. S.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ذكر مسير من سار إلى حصر عثمان

قيل: في هذه السنة كان مسير من سار من أهل مصر إلى ذي حُشْب ، ومسر من سار من أهل العراق إلى ذي المروة .

وكان سبب ذلك أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً ، وأسلم أيام عثمان . ثم تنقل في الحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام يريد إضلال الناس فلم يقدر منهم على ذلك ، فأخرجه أهل الشام ، فأتى مصر فأقام فيهم وقال لهم : العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع ، ويكذب أن محمداً يرجع ، فوضع لهم الرجعة ، فقُبلت منه ، ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان لكل نبي وصي ، وعلي وصي محمد ، فمن أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله ، صلي الله عليه وسلم ، ووثب على وصيه . وإن عثمان أخذها بغير حق ، فانهضوا في هذا الأمر وابدأوا بالظن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس .

وبث دعائه ، وكاتب من استفسد في الأمصار وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما هو عليه رأيهم وصاروا يكتبون إلى الأمصار يكتب يضعونها في عيب ولائهم ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون ، حتى تثارلوا بذلك المدينة وأوسعوا بذلك الأرض إذاعة ، فيقول أهل كل مصر : إنا لفي عافية

1) ملوا C. P.

مما ابتلي به هؤلاء ، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا : إنا لفي عافية مما فيه الناس . فأتوا عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين أباتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ فقال : ما جاءني إلا السلامة وأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فأشيروا عليّ . قالوا : نشير عليك أن تبعث رجلاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم .

فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرّق رجلاً سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا : ما أنكرنا شيئاً أيتها الناس ولا أنكروه¹ أعلام المسلمين ولا عوامهم . وتأخر عمار حتى ظنوا أنه قد اغتيل ، فوصل كتاب من عبد الله بن أبي سرح يذكر أن عماراً قد استماله قوم² وانقطعوا إليه ، منهم : عبد الله بن السوداء ، وخالد بن مَلْجَم² ، وسودان بن حمران ، وكنانة بن بشر .

فكتب عثمان إلى أهل الأمصار : [أمّا بعد] فإنني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم : وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يُشْتَمون ويُضْرَبون ، فمن ادّعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني أو من عمالي ، أو تصدّقوا فإن الله يجزي المتصدقين . فلما قُرىء في الأمصار بكى الناس ودعوا لعثمان . وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه في الموسم : عبد الله بن عامر ، وعبد الله بن سعد ، ومعاوية ، وأدخل معهم سعيد بن العاص وعمراً ، فقال : ويحكم ما هذه الشكاية والإذاعة ؟ إنني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم وما يُعصَب³ هذا إلا بني ! فقالوا له : ألم تبعث ؟ ألم يرجع إليك الخبر عن العوام ؟ ألم يرجع رسلك ولم يشافهم أحد بشيء ؟ والله ما صدقوا ولا برؤوا ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً

1) C. P. أنكرنا .

2) S. sine punctis.

3) C. P. تعصب ; Bodl. يقنض ; B. يقنض .

ولا يجمل الأخذ بهذه الإذاعة ! فقال : أشيروا عليّ . فقال سعيد : هذا أمر مصنوع يُلقى في السر فيتحدث به الناس ، ودواء ذلك طلب هؤلاء وقتل الذين يخرج هذا من عندهم . وقال عبد الله بن سعد : خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم فإنه خير من أن تدّعهم . وقال معاوية : قد وليتني فوليت قوماً لا يأتبك عنهم إلاّ الخير ، والرجلان أعلم بناحيتيهما ، والرأي حسن الأدب . وقال عمرو : أرى أنك قد لنت لهم ورخيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك فتشتد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين .

فقال عثمان : قد سمعتُ كل ما أشرتم به عليّ ولكل أمر باب يؤتى منه . إن هذا الأمر الذي يُخاف على هذه الأمة كائن ، وإن بابه الذي يُغلق عليه ليفتح فنكفكفه باللين والمؤاتاة إلاّ في حدود الله ، فإن فتح فلا يكون لأحد عليّ حُجّة حق . وقد علم الله أنني لم آلُ الناس خيراً ، وإن رحي الفتنة لدائرة . فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها . سكتوا الناس وهبوا لهم حقوقهم ، فإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدّهنوا فيها . فلما نفر عثمان وشخص معاوية والأمراء معه واستقل¹ على الطريق رجز به الحادي فقال :

قد علمت ضوامر المطيِّ وضُمّرات عوجِ القيسيِّ
 أن الأمير بعدهُ عليٌّ وفي الزبير خلف² رضيُّ
 [وطلحة الحامي لها وليُّ]

فقال كعب : كذبت بل يلي بعده صاحب البغلة الشهباء . يعني معاوية .
 فطمع فيها من يومئذ .

فلما قدم عثمان المدينة دعا عليّاً وطلحة والزبير وعنده معاوية ، فحمد

1) B. واستقبل .

2) C. P. et B. خلق .

الله معاوية ثم قال : أنتم أصحاب رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، وخيرته من خلفه وولاية أمر هذه الأمة ، لا يطمع فيه أحد غيركم ، اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع ، وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريباً مع أني أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغه ذلك . وقد فشت مقالة خفتها عليكم¹ فما عتبتم² فيه من شيء ، فهذه يدي لكم به ، ولا تطمعوا الناس في أمركم ، فوالله إن طمعوا فيه لا رأيتم منها أبداً إلا إدياراً .

قال عليّ : ما لك ولذلك لا أمّ لك ؟ قال : دع أمي فإنها ليست بشرّ أمهاتكم ، قد أسلمت وبايعت النبيّ ، صلتى الله عليه وسلم . وأجيني عمّاً أقولُ لك . فقال عثمان : صدق ابن أخي ، أنا أخبركم عني وعمّا وليت ، إن صاحبيّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً . وإن رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، كان يعطي قرابته وأنا في رهط أهل عيلة وقلة معاش ، فبسطت يدي في شيء من ذلك لما أقوم به فيه . فإن رأيتم ذلك خطأ فردّوه فأمرني لأمركم تبع . فقالوا : قد أصبت وأحسنت . قد أعطيت عبد الله ابن خالد بن أسيد خمسين ألفاً . وأعطيت مروان خمسة عشر ألفاً . فأخذ منهما ذلك ، فرضوا وخرجوا راضين .

وقال معاوية لعثمان : اخرج معي إلى الشام فإنّهم على الطاعة قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به . فقال : لا أبيع جوار رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم . شيء وإن كان فيه خيط عنقي . قال : فإن بعثت إليك جنداً منهم يقيم معك لئلا تابت ؟ قال : لا أضيق على جيران رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم . فقال : والله لتُغتالان ولتُغزى ! فقال : حسبي الله ونعم الوكيل !

ثم خرج معاوية فمرّ على نفر من المهاجرين فيهم عليّ وطلحة والزبير وعنه

1) غفيتها عنكم B.

2) غييم B.

ثياب السفر ، فقام عليهم وقال : إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان الناس يتغالبون عليه حتى¹ بعث الله نبيّه ، صلّى الله عليه وسلّم ، وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقُدْمة والاجتهاد ، فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم والناس لهم تبع ، وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك وردّه الله إلى غيرهم ، وإن الله على البذل لقادر ، وإنّي قد خلّفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك . ثمّ ودعهم ومضى . فقال عليّ : [ما] كنت أرى في هذا خيراً . فقال الزبير : والله ما كان قط أعظم في صدرك وصدورنا منه اليوم .

واتعد المنحرفون عن عثمان يوماً يخرجون فيه بالأمصار جميعاً إذا سار عنها الأمراء ، فلم ينهياً لهم ذلك ، ولما رجع الأمراء ولم يتم لهم الوثوب [صاروا] يكتابون في القدوم إلى المدينة لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عن أشياء لتطير في الناس . وكان بمصر محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة بحرسان على عثمان .

فلما خرج المصريون خرج فيهم عبد الرحمن بن عدّيس البلوي في خمسمائة ، وقيل : في ألف ، وفيهم كنانة بن بيشر الليثي² وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني ، وعليهم جميعاً الغافقي بن حرب العمكبي ؛ وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزبياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري ، وهم في عداد أهل مصر ؛ وخرج أهل البصرة فيهم حكيم بن جبلة العبدي وذريح³ بن عبّاد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش⁴ ، وهم بعداد أهل مصر ، وأميرهم حرقوص بن زهير السعدي ؛ فخرجوا

1) C. P. حين .

2) Hinc in S. lacuna longior incipit.

3) C. P. دريغ .

4) C. P. المحرش ; B. المحن .

جميعاً في شوال وأظهروا أنهم يريدون الحج ، فلما كانوا من المدينة على ثلاث
تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشْب ، وكان هواهم في طلحة ، وتقدم
ناس من أهل الكوفة ، وكان هواهم في الزبير ، وتركوا^١ الأعوص ، وجاءهم
ناس من أهل مصر ، وكان هواهم في عليّ ، ونزلوا عامتهم بذي المروة ، ومشى
فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم وقالوا لهم :
لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد لكم ، فقد بلغنا أنهم عسكروا لنا ، فوالله
إن كان هذا حقاً واستحلّوا قتالنا بعد علم حالنا إن أمرنا لباطل ، وإن كان الذي
بلغنا باطلاً رجعنا إليكم بالخبر . قالوا : اذهب . فذهب فدخل المدينة فلقيا أزواج
النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وعليّاً وطلحة والزبير ، فقالوا : إنما نريد
هذا البيت ونستعفي من بعض عمالنا ، واستأذناهم في الدخول ، فكلهما أبى
ونهاهما ، فرجعا إلى أصحابهما . فاجتمع نفر من أهل مصر فأتوا عليّاً ، ونفر
من أهل البصرة فأتوا طلحة ، ونفر من أهل الكوفة فأتوا الزبير ، وقال كل
فريق منهم : إن بايعنا صاحبنا وإلاّ كذبناهم وفرّقنا جماعتهم ثمّ رجعنا عليهم
حتى نبغتهم^١ . فأتى المصريون عليّاً وهو في عسكر عند أحجار الزيت متقلداً
سيفه ، وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه ، فسلموا عليه وعرضوا
عليه ، فصاح بهم وطردهم وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة
وجيش ذي خُشْب والأعوص ملعونون على لسان محمد ، صلى الله عليه وسلم ،
فانصرفوا عنه . وأتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك ، وكان قد أرسل
ابنيه إلى عثمان ؛ وأتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك ، وكان قد أرسل
ابنه عبد الله إلى عثمان .

١) Br. Mus. نبغتهم .

فرجعوا وتفرقوا عن ذي خُشْب وذو المروة والأعوص إلى عسكرهم ليتفرق
أهل المدينة ثم يرجعوا إليهم . فلما بلغوا عسكرهم تفرق أهل المدينة ، فرجعوا
بهم ، فلم يشعر أهل المدينة إلا والتكبير في نواحيها ، ونزلوها وأحاطوا بعثمان
وقالوا : مَنْ كَفَّ يده فهو آمن . وصلى عثمان بالناس أيتاماً ، ولزم الناس
بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه ، وأتاهم أهل المدينة وفيهم عليّ فقال لهم :
ما ردكم بعد ذهابكم ؟ فقالوا : أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا . وأتى طلحة
الكوفيّين فسألهم عن عودهم فقالوا مثل ذلك . وأتى الزبير البصريّين فقالوا مثل
ذلك . وكلّ منهم يقول : نحن نمنع إخواننا وننصرهم ، كأنما كانوا على ميعاد .
فقال لهم عليّ : كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر
. قد سرتم مراحل حتى رجعت علينا ؟ هذا والله أمر أبرم بليل ! فقالوا : ضعوه¹
كيف شئتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزل عنا . وعثمان يصلي بهم وهم
يصلون خلفه . وهم أدق في عينه من التراب ، وكانوا يمنعون الناس من الاجتماع .
وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستنجدهم ويأمرهم بالحثّ للمنع عنه
ويعرفهم ما الناس فيه . فخرج أهل الأمصار على الصعب والذلول ، فبعث
معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج ،
وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو وقام بالكوفة نفر يحضون على إعانة أهل
المدينة . منهم : عتبة بن عامر وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب وغيرهم
من أصحاب النبيّ . صلى الله عليه وسلم ، ومن التابعين . مسروق والأسود
وشمر بن ذرّ بن عبد الله بن حكيم وغيرهم . قام بالبصرة : عمران بن حصين وأنس
ابن مالك . وقد بعث بن عامر وغيرهم من الصحابة ومن التابعين : كعب بن سور
وهريم بن حبان وغيرهما . وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين وكذلك بمصر .
جاءت الجمعة لبي على أثر خولهم المدينة . خرج عثمان فصلى بالناس

1) صبحه . B .

ثم قام على المنبر فقال: يا هؤلاء، الله الله! فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، فامحوا الخطأ بالصواب. فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهد بذلك، فأقعدته حكيم بن جبلة، وقام زيد بن ثابت فأقعدته محمد بن أبي قتيبة¹، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صُرع عن المنبر مغشياً عليه، فأدخل داره واستقتل¹ نفر من أهل المدينة مع عثمان، منهم: سعد بن أبي وقاص والحسين بن عليّ وزيد بن ثابت وأبو هريرة. فأرسل إليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف، فانصرفوا، وأقبل عليّ وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ويشكون إليه ما يجدون، وكان عند عثمان نفر من بني أمية فيهم مروان بن الحكم، فقالوا كلهم لعلي: أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع، والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا! فقام مغضباً وعاد هو والجماعة إلى منازلهم. وصلى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً، ثم منعه الصلاة، وصلى بالناس أميرهم الغافقي، وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج إلا بسيفه ليتمنع به، وكان الحصار أربعين يوماً ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح.

وقد قيل: إن محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان، وسار محمد بن أبي بكر مع من سار إلى عثمان، وأقام ابن أبي حذيفة بمصر وغلب عليها لما سار عنها عبد الله بن سعد، على ما يأتي. فلما خرج المصريون إلى قصد عثمان أظهروا أنهم يريدون العمرة وخرجوا في رجب وعليهم عبد الرحمن بن عديس البكوي²، وبعث عبد الله بن سعد رسولا إلى عثمان

١) ب. 1

١) واستقبل .

يخبره بحالهم وأنهم قد أظهروا العمرة وقصدتهم خلعه أو قتله ، فخطب عثمان الناس وأعلمهم حالهم ، وقال لهم : إنهم قد أسرعوا إلى الفتنة واستطالوا عمري ، والله لئن فارقتهم ليتمنون أن عمري كان عليهم مكان كل يوم سنة مما يرون من الدماء المسفوكة والإحْن والأثرَة الظاهرة والأحكام المغيّرة .

وكان عبد الله بن سعد قد خرج إلى عثمان في آثار المصريين بإذنه له ، فلما كان بأيلة بلغه أن المصريين رجعوا إلى عثمان فحصره ، وأن محمد بن أبي حذيفة غلب على مصر واستجابوا له ، فعاد عبد الله إلى مصر فمُنع عنها ، فأتى فلسطين فأقام بها حتى قُتل عثمان .

فلما نزل القوم ذا خُشْب يريدون قتل عثمان إن لم يتزع عما يكرهون ، ولما رأى عثمان ذلك جاء إلى عليّ فدخل عليه بيته فقال له : يا ابن عم ، إن قرابي قريبة ولي عليك حقّ عظيم ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبّحي ، ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك ، وأحبّ أن تركب إليهم فتردهم عني ، فإن في دخولهم عليّ توهيناً لأمرى وجرأة عليّ ! فقال عليّ : على أي شيء أردتهم عنك ؟ قال : على أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيتني لي . فقال عليّ : إنني قد كلمتك مرّة بعد أخرى فكلّ ذلك نخرج ونقول ثمّ ترجع عنه ، وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد ، فإنك أطعتهم وعصيتني . قال عثمان : فأنا أعصيه وأطيعك .

فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلاً فيهم سعيد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبّير بن مُطعم وحكيم بن حزام ومروان وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ، ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ، ومن العرب نيار¹ بن

1) قباد .

مكرز ، فأتوا المصريين فكلموهم ، وكان الذي يكلمهم عليّ ومحمد بن مسلمة ، فسمعوا مقالتهما ورجعوا إلى مصر . فقال ابن عُدَيْس لمحمد بن مسلمة : أتوصينا بحاجة ؟ قال : نعم ، تتقي الله وترد من قبلك عن إمامهم فإنه قد وعدنا أن يرجع وبتزع . قال ابن عُدَيْس : أفعل إن شاء الله . ورجع عليّ ومن معه إلى المدينة ، فدخل علي عثمان فأخبره برجوعهم وكلمه بما في نفسه ثم خرج من عنده ، فمكث عثمان ذلك اليوم ، وجاءه مروان بكرة الغد فقال له : تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه . ففعل عثمان ، فلما خطب الناس قال له عمرو بن العاص : اتق الله يا عثمان ، فإنك قد ركبت أموراً وركبناها معك ، فتب إلى الله نتب . فناداه عثمان : وإنك هنالك يا ابن النابغة ! قملت والله جبتك منذ عزلتك عن العمل ! فنودي من ناحية أخرى : تب إلى الله . فرفع يديه وقال : اللهم إني أول تائب !

وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين ، وكان يقول : والله إني كنت لألقى الراعي فأحرّضه على عثمان . وأتى علياً وطلحة والزبير فحرّضهم على عثمان ، فبينما هو بقصره بفلسطين ومعه ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي إذ مرّ به راكب من المدينة ، فسأله عمرو عن عثمان ، فقال : هو محصور . قال عمرو : أنا أبو عبد الله ، قد يضطر العير والمكواة في النار . ثم مرّ به راكب آخر فسأله فقال : قُتل عثمان . فقال عمرو : أنا أبو عبد الله ، إذا حككت قرحة نكأتها² . فقال له سلامة بن روح : يا معشر قريش كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه ! فقال : أردنا أن نُخرج الحق من

1) Vid. *Meldani Proverbia II*, p. 248.

2) Vid. *Ib. I*, p. 43.

خاصرة الباطل ليكون الناس في الحق شراً سواء .

وقيل : إن علياً لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم إلى عثمان قال له : تكلمت كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليك ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والأمانة ، فإن البلاد قد تمخضت عليك ، فلا آمن أن يجيء ركبٌ آخر من الكوفة والبصرة فتقول : يا عليّ اركب إليهم ، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعتُ رحمك واستخففتُ بحقك . فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال : أنا أول من اتعظ ، أستغفر الله مما فعلتُ وأتوبُ إليه ، فمثلي نزع وتاب¹ ، فإذا نزلتُ فليأتني أشرافكم فليروا في رأيهم ، فوالله لئن ردّني الحقّ عبداً لأستننّ بسنة العبد ولأذلنّ ذلّ العبد وما عن الله مذهب إلاّ إليه ، فوالله لأعطينكم الرضا ولأنحينّ مروان وذويه ولا أحتجب عنكم ! فرقّ الناس وبكوا حتى أخضلوا لحاهم وبكى هو أيضاً .

فلما نزل عثمان وجد مروان وسعيداً ونفراً من بني أمية في منزله لم يكونوا شهدوا خطبته ، فلما جلس قال مروان : يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أسكت ؟ فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان : لا بل اصمّت فإنّهم والله قاتلوه ومؤثموه ، إنّه قد قال مقالةً لا ينبغي له أن يتزع عنها . فقال لها مروان : ما أنتِ وذاك ! فوالله قد مات أبوك وما يحسن يتوضأ ! فقالت : مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء ! تخبر² عن أبي وهو غائب تكذب عليه وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ؟ أمّا¹ والله لولا أنّه عمه . وأنّه يناله غمّه³ لأخبرتُك عنه ما لن أكذب عليه . قالت : فأعرض عنها مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أسكت ؟

1) ب. يرتاب .

2) B. بالخير .

3) Om. B.

قال : تكلم . فقال مروان : بأبي أنت وأمي ، والله لو ددت^١ أن مقاتلك هذه كانت وأنت مستنع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها . ولكنك قلت ما قلت وقد بلغ الحزام^١ الطَّبَّيِّينِ أو خَلَّفَ السَّيْلُ الزُّبَيَّ^٢ . وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل^٣ ؛ والله لإقامة على خطيئة يُستغفر منها أجمل من توبة يخوف عليها ، وأنت إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقر بالخطيئة ؛ وقد اجتمع بالباب أمثال الجبال من الناس . فقال عثمان : فاخرج إليهم فكلهم فإني أستحي أن أكلهم . فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً . فقال : ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جنتم لنهب ؛ شأهت الوجوه ! إلا^٢ من أريد ؛ جنتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ! اخرجوا عنا . والله لئن رمتونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم . ارجعوا إلى منازلكم فإننا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا . فرجع الناس وأتى بعضهم علياً فأخبره الخبر .

فأقبل عليّ على عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فقال : أحضرت خطبة عثمان ؟ قال : نعم . قال : أفحضرت مقالة مروان للناس ؟ قال : نعم . فقال عليّ : أي عباد الله ! يا للمسلمين ! إنني إن قعدت في بيتي قال لي : تركتني وقرابتي وحقي ، وإنني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقنة^٣ له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم . وقام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال له : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرّك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة بقاد حيث يسار به^٣ ؟

1) Vid Meidani Prov. I, p. 293.

2) Ibid p. 151.

١ لو أردت .

٢ إلى .

٣ يشاء ربه .

والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه ! وايمُ الله إنّي لأراه يوردك ولا يصدرك ! وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أذهبتَ شرفك وغلبتَ على رأيك .

فلما خرج عليّ دخلت عليه امرأته نائلة ابنة الفرافصة فقالت : قد سمعتُ قول عليّ لك وليس يعاودك وقد أطعتَ مروان يقودك حيث شاء . قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقي الله وتتبع سنة صاحبك ، فإنك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة ، وإنما تركك الناس لمكانه ، فأرسل¹ إلى عليّ فاستصلحه فإن له قرابة وهو لا يُعصى . فأرسل عثمان إلى عليّ فلم يأتَه وقال : قد أعلمته أنّي غير عائد . فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجلس بين يدي عثمان فقال : يا ابنة الفرافصة ! فقال عثمان : لا تذكرها بحرف¹ فأسود وجهك ، فهي والله أنصح² لي ! فكفّ مروان .

وأتى عثمان إلى عليّ بمنزله ليلاً وقال له : إنّي غير عائد ، وإنّي فاعل . فقال له عليّ : بعدما تكلمت على منبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وأعطيت من نفسك ثمّ دخلت بيتك فخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم . فخرج عثمان من عنده وهو يقول : خذلني وجرأت الناس عليّ . فقال عليّ : والله إنّي لأكثر الناس ذباً عنك ، ولكني كلما جئتُ بشيء أظنه لك رضا جاء مروان بأخرى فسمعتَ قوله وتركتَ قولي .

ولم يعد عليّ يعمل ما كان يعمل إلى أن منع عثمان الماء . فقال عليّ لطلحة : أريد أن تُدخل عليه الروايا ، وغضب غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان .

1) B. بسره .

2) C. P. *supra*scr. اصلح صح .

قال : وقد قيل إن علياً كان عند حصر عثمان بنخبر ، فقدم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة ، وكان ممن له فيه أثر ، فلما قدم عليّ أتاه عثمان وقال له : أمّا بعد فإنّ لي حقّ الإسلام وحقّ الإخاء والقرابة والصُّهر ، ولو لم يكن من ذلك شيء وكنا في الجاهليّة لكان عاراً على بني عبد مناف أن يتترع أخو بني تميم^١ ، يعني طلحة ، أمرهم . فقال له عليّ : سيأتيك الخبر ، ثمّ خرج إلى المسجد فرأى أسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة ، وهو [في] خلوة من الناس ، فقال له : يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه ؟ فقال : يا أبا الحسن بعدما مسّ الحزام الطيبين . فانصرف عليّ حتى أتى بيت المال فقال : افتحوه ، فلم يجدوا المفاتيح ، فكسر الباب وأعطى الناس ، فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده ، وسُرّ بذلك عثمان ، وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له : يا أمير المؤمنين أردتُ أمراً فحال الله بيني وبينه ! فقال عثمان والله ما جئت تائباً ، ولكن جئت مغلوباً ، الله حسبيك يا طلحة !

ذكر مقتل عثمان

قد ذكرنا سبب مسير الناس إلى قتل عثمان ، وقد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتله لعل دعوت إلى ذلك ، ونذكر الآن كيف قُتل وما كان بدء ذلك وابتداء الجراءة عليه قبل قتله .

فكان من ذلك أن إبلاً من إبل الصدقة قدم بها على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم ، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف ، فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان في الدار .

١ بني تميم :

قيل : وكان اول من اجزأ على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدي ،
مرّ به عثمان وهو في نادي قومه وبيده جامعة ، فسلم فردّ القوم ، فقال جبلة :
لم تردّون على رجل فعل كذا وكذا؟ ثمّ قال لعثمان : والله لأطرحن هذه الجامعة
في عنقك أو لتركن بطانتك هذه الخبيثة : مروان وابن عامر وابن سعد ، منهم
من نزل القرآن بدمه وأباح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، دمه . فاجترأ
الناس عليه ، وقد تقدّم قول عمرو بن العاص له في خطبته .

قيل : وخطب يوماً وبيده عصا كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأبو
بكر وعمر يخطبون عليها ، فأخذها جهجاه الغفاري من يده وكسرها على ركبته
فرمي في ذلك المكان بأكلة .

وقيل : كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق
منهم : إن أردتم الجهاد فهلموا إليه فإن دين محمد ، صلى الله عليه وسلم ،
قد أفسده خليفتمكم فأقيموه . فاختلفت قلوب الناس ، على ما تقدّم ذكره .
وجاء المصريون ، كما ذكرنا ، إلى المدينة ، فخرج إليهم عليّ ومحمد بن مسلمة ،
كما تقدم ، فكلّمهم فعادوا ثمّ رجعوا ، فلما رجعوا انطلق إليهم محمد بن
مسلمة فسألهم عن سبب عودهم ، فأخرجوا صحيفة في أنبوبة رصاص وقالوا :
وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من إبل الصدقة ، ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذه
الصحيفة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحميق وعروة بن
البياع وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم . وقيل : إن الذي أخذت
منه الصحيفة أبو الأعور السلمي . فلما رأوه سألوه عن مسيره وهل معه كتاب
فقال : لا . فسألوه في أي شيء هو ، فتغير كلامه ، فأنكروه وفتشوه وأخذوا
الكتاب منه وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون . فلما عاد أهل مصر أخبروا
بذلك محمد بن مسلمة وقالوا له : قد كلّمنا عليّاً ووعدنا أن يكلمه ، وكلّمنا

١ أفسد خلفكم .

سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فقالا : لا ندخل في أمركم . وقالوا لمحمد ابن مسلمة ليحضر مع علي عند عثمان بعد الظهر ، فوعدهم بذلك ، فدخل عليّ ومحمد بن مسلمة على عثمان فاستأذنا للمصريين عليه ، وعنده مروان ، فقال : دعني أكلّمهم . فقال عثمان : اسكت فضّ الله فاك ! ما أنت وهذا الأمر ؟ اخرج عني ! فخرج مروان . وقال عليّ ومحمد لعثمان ما قال المصريون ، فأقسم بالله : ما كتبه ولا عليم [لي] به . فقال محمد : صدق ، هذا من عمل مروان .

ودخل عليه المصريون فلم يسلموا عليه بالخلافة ، فعرفوا الشرّ فيهم ، وتكلموا فذكر ابن عدّيس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين وأهل الذمة والاستئثار في الغنائم ، فإذا قيل له في ذلك قال : هذا كتاب أمير المؤمنين . وذكروا شيئاً ممّا أحدث بالمدينة ، وقالوا له : وخرجنا من مصر ونحن نريد قتلك فردّنا عليّ ومحمد ابن مسلمة وضمّنا لنا التروع عن كلّ ما تكلمنا فيه ، فرجعنا إلى بلادنا فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس .

فحلف عثمان أنّه ما كتب ولا أمر ولا عليم . فقال عليّ ومحمد : صدق عثمان . قال المصريون : فمن كتبه ؟ قال : لا أدري . قالوا : فيُجترأ عليك ويُبعث غلامك وجملاً من الصدقة ويُنقش على خاتمك ويُبعث إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة وأنت لا تعلم ؟ قال : نعم . قالوا : ما أنت إلاّ صادق أو كاذب ، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا بغير حق ، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الأمر وغفلتك وخبث بطانتك ، ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تُقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته ، فاخلع نفسك منه كما خلعتك الله ! فقال : لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله ، ولكني أتوب وأنزع . قالوا : لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا ، ولكننا رأيناك تتوب ثمّ تعود ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى ،

وإن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص¹ إليك . فقال : أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل أحب إليّ من ذلك ، وأما قولكم تقتلون من منعي فإنني لا آمر أحداً بقتالكم ، فمن قاتلكم فبغير أمري قاتل ، ولو أردتُ قتالكم لكتبتُ إلى الأجناد فقدموا عليّ أو لحقتُ ببعض أطرافي . وكثرت الأصوات واللغط¹ .

فقام عليّ فخرج وأخرج المصريين ومضى عليّ إلى منزله ، وحصر المصريون عثمان ، وكتب إلى معاوية وابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدهم ويأمرهم بالعجل وإرسال الجنود إليه . فتربص به معاوية ، فقام في أهل الشام يزيد بن أسد القسري² جد خالد بن عبد الله القسري² فتبعه خلق كثير ، فسار بهم إلى عثمان ، فلما كانوا بوادي القريّ بلغهم قتل عثمان فرجعوا . وقيل : بل سار من الشام حبيب بن مسلمة الفهري ، وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي ، فلما وصلوا الربذة ونزلت مقدمتهم صيراراً بناحية المدينة أتاهم قتل عثمان فرجعوا .

وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره ، فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ يطلب إليه أن يردّهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه إمداده . فقال : إنهم لا يقبلون التعلل ، وقد كان مني في المرة الأولى ما كان . فقال مروان : أعطهم ما سألك وطاولهم ما طاولوك ، فإنهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم . فدعا عليّاً فقال له : قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي ، فارددهم عني فإنني أعطيتهم ما يريدون من الحق من نفسي وغيري . فقال عليّ : الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ، ولا يرضون إلاّ بالرضا ، وقد كنت أعطيتهم أولاً عهداً فلم تف به فلا تغرّني² هذه المرة فإنني معطيهم عليك الحق . فقال :

1) يخلعوك .

2) القشيري .

١ واللفظ .

٢ تغرّني .

أعطهم فوالله لأفين لهم . فخرج عليّ إلى الناس فقال لهم : إنما طلبتم الحقّ وقد أعطيتموه وقد زعم أنه منصفكم من نفسه . فقال الناس : قبلنا فاستوثق منه لنا فإننا لا نرضى بقول دون فعل . فدخل عليه عليّ فأعلمه فقال : اضرب بيني وبينهم أجلاً فإنني لا أقدر على أن أرد ما كرهوا في يوم واحد . فقال عليّ : أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك . قال : نعم ، فأجلني فيما في المدينة ثلاثة أيام . فأجابه إلى ذلك ، وكتب بينهم كتاباً على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه .

فكفّ الناس عنه ، فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح واتخذ جنداً ، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغير شيئاً ثار به الناس ، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري إلى المصريين فأعلمهم الحال ، وهم بندي خُشِب ، فقدموا المدينة وطلبوا منه عزل عماله وردّ مظالمهم . فقال : إن كنت مستعملاً من أردتم وعازلاً من كرهتم فلست في شيء والأمر أمركم . فقالوا : والله لتفعلن أو لتُخلعن أو لتُقتلن . فأبى عليهم وقال : لا أنزع سربالاً سربلني الله . فحصره واشتدّ الحصار عليه ، فأرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف عليهم فقال : يا أيها الناس اجلسوا . فجلسوا المحارب والمسلم . فقال لهم : يا أهل المدينة أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي ، ثمّ قال : أنشدكم بالله هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم ؟ أتقولون إن الله لم يستجب لكم وهنم عليه وأنتم أهل حقه ؟ أم تقولون : هان على الله دينه فلم يبال من ولي والدين لم يتفرّق أهله يومئذ ؟ أم تقولون : لم يكن أخذ¹ عن مشورة إنما كان مكابرة فوكل الله الأمة إذا عصته ولم يشاوروا في الإمامة ؟ أم تقولون : إن الله لم يعلم عاقبة أمري ! وأنشدكم بالله

1.) B. sine punctis.

أتعلمون لي من سابقة خير وقدم خير قدمه الله لي ما يوجب^١ على كل من جاء بعدي أن يعرفوا لي فضلها ! فمهلًا لا تقتلوني فإنه لا يحلّ إلاّ قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصانه ، أو كفر بعد إيمانه ، أو قتل نفساً بغير حقّ ، فإنكم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثمّ لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً .

قالوا : أمّا ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثمّ ولوك فإن كلّ ما صنع الله خيرة ، ولكن الله جعلك بليّة ابتلى بها عباده ، وأمّا ما ذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقد كنت كذلك وكنت أهلاً للولاية ، ولكن أحدثت ما علمته ولا نترك إقامة الحقّ عليك مخافة الفتنة عاماً قابلاً ، وأمّا قولك : إنه لا يحلّ إلاّ قتل ثلاثة، فإننا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت ، قتل من سعى في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ثمّ قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحقّ ومنعه وقاتل دونه ، وقد بغيت ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تُقيد من نفسك من ظلمت ، وقد تمسكت بالإمارة علينا ، فإن زعمت أنك لم تكابرنّا عليه فإن الذين قاموا دونك ومنعوك منّا إنّما يقاتلون لتمسكك بالإمارة ، فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك !

فسكت عثمان ولزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم ، فرجعوا إلاّ الحسين بن علي وابن عباس^١ ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباهاً لهم ، واجتمع إليه ناس كثير ، فكانت مدة الحصار أربعين يوماً ، فلما مضت ثماني عشرة ليلة قدم ركبان من الأمصار فأخبروا بنجر من تهبأ إليهم من الجنود وشجعوا الناس ، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كلّ شيء حتى الماء . فأرسل

1) Om. C. P.

عثمان إلى عليّ سرّاً وإلى طلحة والزبير وأزواج النبيّ ، صلى الله عليه وسلّم : إنهم قد منعوني الماء فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا ماء فافعلوا . فكان أولهم إجابة عليّ ، وأمّ حبيبة زوج النبيّ ، صلى الله عليه وسلّم ، فجاء عليّ في الغلّس فقال : يا أيّها الناس إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين ، فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة ، فإن الروم وفارس لتأسر فتطمع وتسقي ! فقالوا : لا والله ولا نعمة عين ! فرمى بعمامته في الدار بأني قد نهضت ورجعت ، وجاءت أمّ حبيبة على بغلة لها مشتملة على إداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت : إن وصايا بني أمية عند هذا الرجل ، فأحبيتُ أن أسأله عنها لئلاّ تهلك أموال الأيتام والأرامل . فقالوا : كاذبة ، وقطعوا حبل البغلة بالسيف ، فنفرت وكادت تسقط عنها ، فتلقّاها الناس فأخذوها وذهبوا بها إلى بيتها .

فأشرف عثمان يوماً فسلم عليهم ثمّ قال : أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت بئر رومة بمالي ليُستعذب بها فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين ؟ قالوا : نعم . قال : فلم تمنعوني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ؟ ثمّ قال : أنشدكم بالله هل تعلمون أني اشتريت أرض كذا فزردتها في المسجد ؟ قيل : نعم . قال : فهل علمتم أن أحداً منع أن يصلي فيه قبلي ؟ ثمّ قال : أنشدكم بالله أتعلمون أن النبيّ ، صلى الله عليه وسلّم ، قال عني كذا وكذا ؟ أشياء في شأنه . ففشا النهي في الناس يقولون : مهلاً عن أمير المؤمنين . فقام الأشتر فقال : لعله مكر به وبكم . وخرجت عائشة إلى الحجّ واستتبت أخاها محمداً فأبى ، فقالت^١ : والله لئن استطعتُ أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن . فقال له حنظلة الكاتب : تستبعك أمّ المؤمنين فلا تتبعها وتتبع ذؤبان العرب إلى ما [لا] يحل ؟ وإن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف . ثمّ رجع حنظلة إلى الكوفة وهو يقول :

١ قال .

عجبتُ لما يخوضُ الناسُ فيه يرومونَ الخلافةَ أنْ تزُولَا
ولو زالتْ لزالَ الحَيْرُ عنهمُ ولاقوا بعدَها ذُلًّا ذليلاً
وكانوا كاليهودِ وكالنصارى سواءَ كلهم ضلُّوا السبيلَا

وبلغ طلحة والزبير ما لقي عليّ وأمّ حبيبة فلزموا بيوتهم وبقي عثمان يسقيه
آل حزم في الغفلات . فأشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره
أن يحج بالناس ، وكان ممن لزم الباب ، فقال : جهاد هؤلاء أحب إليّ من
الحج . فأقسم عليه فانطلق .

قال عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة : دخلتُ على عثمان فأخذ بيدي
فأسمعني كلام من عليّ بابيه ، فمنهم من يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم من يقول :
انظروا عسى أن يراجع . قال : فبينما نحن واقفون إذ مرّ طلحة فقال : أين ابن
عديس ؟ فقام إليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه : لا تركوا أحداً
يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده . فقال لي عثمان : هذا ما أمر به طلحة .
اللهم اكفني طلحة فإنه حمل عليّ هؤلاء وألبهم عليّ ! والله إنني لأرجو أن
يكون منها صفراً وأن يسفك دمه ! قال : فأردتُ أن أخرج فمنعوني حتى أمرهم
محمد بن أبي بكر فتركوني أخرج . وقيل : إن الزبير خرج من المدينة قبل أن
يقتل عثمان ، وقيل : أدرك قتله .

ولما رأى المصريون أن أهل الموسم يريدون قصدهم وأن يجمعوا ذلك إلى
حجهم مع ما بلغهم من مسير أهل الأمصار قالوا : لا يخرجنا من هذا الأمر
الذي وقعنا فيه إلاّ قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك . فراموا الباب فمنعهم
الحسنُ وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم
من أبناء الصحابة واجتلدوا ، فزجرهم عثمان وقال : أنتم في حلّ من نصرتي ،
فأبوا ، ففتح الباب لمنعهم ، فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء
وأقسم عثمان على أصحابه ليدخلن فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين ، فقام

رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض ، وكان من الصحابة ، فنادى عثمان ، فيينا هو يناشده أن يعتزلهم إذ رماه كثير بن الصلت الكندي بسهم فقتله .

فقالوا لعثمان عند ذلك : ادفع إلينا قاتله لنقتله به . قال : لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي . فلما رأوا ذلك ثاروا إلى الباب ، فلم يمنعهم أحد منه ، والباب مغلق لا يقدر على الدخول منه ، فجاؤوا بنار فأحرقوه والسقيفة التي على الباب ، وثار أهل الدار ، وعثمان يصلي قد افتتح طه فما شغله ما سمع ، ما يخطيء وما يتتبع ، حتى أتى عليها ، فلما فرغ جلس إلى المصحف يقرأ فيه ، وقرأ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ لَسْنَا بِمُؤْمِنِينَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^١ فقال لمن عنده بالدار : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه ، ولم يحرقوا الباب إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه ، فأخرج^٢ على رجل أن يستقل أو يقاتل ، وقال للحسن : إن أباك الآن لفي أمر عظيم من أمرك فأقسمت عليك لما خرجت إليه . فتقدموا فقاتلوا ولم يسمعوا قوله ، فبرز المغيرة بن الأخنس بن شريق ، وكان قد تعجل من الحج . في عصابة لينصروا عثمان وهو معه في الدار ، وارتجز يقول :

قد علمت ذات القرون الميل والحلبي والأنامل الطفول
لتصدقن^٢ ببيعتي خليلي بصارم ذي رونق مصقول^١
لا أستقبل إذ أقلت قبلي

1) Corani 3, vs. 173.

2) Versus B. Om.

١ فأخرج .
٢ لتصدقن .

وخرج الحسن بن عليّ وهو يقول :

لا دينُهُم ديني ولا أنا منهمُ حتى أسيرَ إلى طَمَارِ شَمَامِ

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابنُ مَنْ حامى عليه بأحدُ¹ ورداً أحزاباً على رغم مَعَدِّ¹¹

وخرج² سعيد بن العاص وهو يقول :

صبرنا غداة الدّار والموتُ واقبُ² بأسيافنا دونَ ابنِ أروى نضاربُ

وكنّا غداة الرّوعِ في الدّارِ نُصرّة³ نشافهم بالضربِ والموتُ نائبُ

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير فكان يحدث عن عثمان بآخر ما كان

عليه ، وأقبل أبو هريرة والناس محجمون فقال : هذا يوم طاب فيه الضرب !

ونادى : ﴿ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى

النَّارِ ﴾³ ، وبرز مروان وهو يقول :

قد علمتُ ذاتُ القرونِ الميلِ والكفُ والأناملِ الطُفُولِ

أنّي أروعُ أولَ الرّعبِ بغارةٍ مثلِ القِطَا الشَّلِيلِ

فبرز إليه رجل من بني ليث يدعى البياع ، فضربه مروان وضرب هو مروان

على رقبتة فأثبته وقطع إحدى عيلاويه ، فعاش مروان بعد ذلك أوقص ، وقام

1) B. versum om. et add. وقيل فقال هذا الشعر . 2) Om. B. 3) C. P. قصره .

١ سعد .

٢ واقفت .

٣ (سورة غافر ٤٠ ، الآية ٤١) .

إليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليدفّف عليه ، فقامت فاطمة أم إبراهيم بن عدي ، وكانت أرضعت مروان وأرضعت له ، فقالت : إن كنت تريد قتله فقد قُتل ، وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح ! فركه وأدخلته بيتها ، فعرف لها بنوه ذلك واستعملوا ابنها إبراهيم بعد . ونزل إلى المغيرة بن الأخنس بن شريق رجل فقتل المغيرة ، قال : فلما سمع الناس يذكرونه قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له عبد الرحمن بن عدّيس : ما لك ؟ فقال : رأيتُ فيما يرى النائم هاتفاً¹ يهتف فقال : بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار ، فابتُلّيت به .

واقترح الناسُ الدار من الدور التي حولها ودخلوها من دار عمرو بن حزم إلى دار عثمان حتى ملأوها ولا يشعر من بالباب ، وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلاً يقتله ، فانتدب له رجل ، فدخل عليه البيت فقال : اخلعها وندعك . فقال : ويحك ! والله ما كشفتُ امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغنيتُ¹ ولا تمنيتُ² ولا وضعتُ يميني على عورتي منذ بايعتُ رسولَ³ الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولستُ خالماً قميصاً كسانيه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة ! فخرج عنه ، فقالوا : ما صنعتُ ؟ فقال : والله لا ينجيننا² من الناس إلا قتله ولا يحلّ لنا قتله . فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث فقال له : لست بصاحبني لأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، دعا لك أن تُحفظَ يوم كذا وكذا ولن تضيع . فرجع عنه وفارق القوم . ودخل عليه رجل من قريش فقال له : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دماً حراماً . فرجع وفارق أصحابه . وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله

1) C. P. نغيت ; B. تغيت .

2) B. مهنت .

3) Finis lacunae in S.

١ هاتف .

٢ ينجيتها .

فقال : يا قوم لا تسلبوا سيف الله فيكم ، فوالله إن سللتموه لا تغمدوه ! ويلكم !
إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة ، فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف . ويلكم ! إن
مدينتكم محفوفة بالملائكة فإن قتلتموه ليركسها . فقالوا : يا ابن اليهودية ما أنت
وهذا ! فرجع عنهم . وكان آخر من دخل عليه ممن رجع محمد بن أبي بكر ،
فقال له عثمان : ويلك أعلى الله تغضب ؟ هل لي إليك جرم إلا حقه أخذته
منك ؟

فأخذ محمد لحيته وقال : قد أخزأك الله يا نعثل ! فقال : لستُ بنعثل ولكني
عثمان وأمير المؤمنين ، وكانوا يلقبون به عثمان . فقال محمد : ما أغنى عنك
معاوية وفلان وفلان ! فقال عثمان : يا ابن أخي فما كان أبوك ليقبض عليها .
فقال محمد : لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك ، والذي أريد بك
أشد من قبضي عليها ! فقال عثمان : أستنصر الله عليك وأستعين به ! فتركه
وخرج .

وقيل : بل طعن جبينه بمشقص كان في يده . والأول أصح .

قال : فلما خرج محمد وعرفوا انكساره ثار قتيبة¹ وسودان بن حمران
والغافقي ، فضربه الغافقي بحديدة¹ معه وضرب المصحف برجله ، فاستدار المصحف
واستقر بين يديه وسالت عليه الدماء ، وجاء سودان ليضربه ، فأكبت عليه
امراته واتقت السيف بيدها ، فنفع أصابعها فأطن أصابع يدها وولت ، فغمز
أوراكها وقال : إنها لكبيرة العجز ! وضرب عثمان فقتله .

وقيل : الذي قتله كنانة بن بشر التميمي . وكان عثمان رأى النبي ، صلى
الله عليه وسلم ، تلك الليلة يقول له : إنك تفطر الليلة عندنا . فلما قُتل سقط

1) قتيبة . B . 1)

من دمه على قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾¹ . ودخل غلطة لعثمان مع القوم لينصروه وكان عثمان قد أعتق من كف يده منهم : فلما ضربه سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله ، ووثب قتيبة² على الغلام فقتله ، وانتهبوا ما في البيت وخرجوا ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى ، فلما خرجوا وثب غلام لعثمان على قتيبة² فقتله ، وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى أخذوا ما على النساء ، وأخذ كلثوم التُّجيبِي ملاءةً من على نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وتنادوا : أدركوا بيت المال ولا تُسبقوا إليه ، فسمع أصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه إلا غرارتان ، فقالوا : النجاء فإن القوم إنما يحاولون الدنيا ! فهربوا ، وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس .

وقيل : إنهم ندموا على قتله . وأما عمرو بن الحمق فوثب على صدره وبه رمق فطعنه نسع طعنات ، قال : فأما ثلاث منها فإنني طعنتهن إياه لله تعالى ، وأما ست فلما كان في صدري عليه . وأرادوا قطع رأسه فوقعت نائلة عليه وأم البنين فصاحتا وضربتا¹ الوجوه . فقال ابن عُدَيْس : اتركوه . وأقبل عمير ابن ضابىء فوثب عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : سجت أبي حتى مات في السجن .

وكان قتله لثمانى عشرة نخلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة ، وكانت خلافته اثني عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، وقيل : إلا ثمانية أيام ، وقيل : بل كان قتله لثمانى عشرة نخلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ، وقيل : بل قتل أيام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة ، وقيل : ثمانياً وثمانين سنة ، وقيل : تسعين سنة ، وقيل : خمساً وسبعين سنة ، وقيل : ستاً وثمانين سنة .

1) Corani 2, vs. 137.

2) قتيبة B.

1 فصحن وضربن .

ذكر الموضع الذي دُفن فيه ومنّ صلى عليه

قيل : بقي عثمان ثلاثة أيام لا يُدفن ، ثم إن حكيم بن حزام القرشي وجبير ابن مطعم كلّمَا عليّاً في أن يأذن في دفنه ، ففعل ، فلما سمع من قصده بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة . وخرج به ناس يسير من أهله وغيرهم ، وفيهم الزبير والحسن وأبو جهم بن حذيفة ومروان . بين المغرب والعشاء ، فأتوا به حائطاً من حيطان المدينة يسمّى حش كوكب . وهو خارج البقيع ، فصلّى عليه جبير بن مطعم . وقيل : حكيم بن حزام ، وقيل : مروان . وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه ثم تركوهم خوفاً من الفتنة . وأرسل عليّ إلى من أراد أن يرمي سريره ممّن جلس على الطريق لما سمع بهم فمنعهم عنه . ودُفن في حش كوكب . فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بذلك الحائط فهُدّم وأدخل في البقيع وأمر الناس فدفنوا أمواتهم حول قبره حتى اتصل الدفن بمقابر المسلمين . وقيل : إنّما دُفن بالبقيع ممّا يلي حش كوكب . وقيل : شهد جنازته عليّ وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعامة من ثمّ من أصحابه . قال : وقيل لم يُغسل وكُفن في ثيابه .

ذكر بعض سيرة عثمان

قال الحسن البصري : دخلتُ المسجد فإذا أنا بعثمان متكئاً على ردايه ، فأتاه سقّاءان يختصمان إليه ، ففضى بينهما . وقال الشعبي : لم يمّت عمر بن الخطاب حتى ملته قریش وقد كان حصرهم بالمدينة ، وقال : أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد ، فإن كان الرجل منهم ليستأذنه في الغزو فيقول : قد

كان لك في غزوك مع رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، ما يبلغك ، وخير لك من غزوك اليوم أن لا ترى الدنيا ولا تراك . وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش ولم يكن يفعله بغيرهم من أهل مكة . فلما ولي عثمان خلتى عنهم فانتشروا في البلاد وانقطع إليهم الناس وكان أحب إليهم من عمر . قيل : وحجّ عثمان بالناس سنوات خلافته كلها ، وحجّ بأزواج النبي . صلتى الله عليه وسلم ، كما كان يصنع عمر . وكتب إلى الأمصار أن يوافيه العمال في الموسم ومن يشكو منهم ، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر . وأتته مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً .

وقيل : كان أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا طيران الحمام والرمي على الجلاهيقات ، وهي قوس البندق . واستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان من خلافته . فقصر الطيور² وكسر الجلاهيقات .

قيل : وسأل رجل سعيد بن المسيّب عن محمد بن أبي حذيفة ما دعاه إلى الخروج على عثمان ، فقال : كان يتيماً في حجر عثمان وكان والي أيتام أهل بيته ومحتلاً كلّهم ، فسأل عثمان العمل . فقال : يا بني لو كنت راضاً لاستعملتك . قال : فأذن لي فأخرج فأطلب الرزق . قال : اذهب حيث شئت . وجهزه من عنده وحمله وأعطاه . فلما وقع إلى مصر كان فيمن أعان عليه حين منعه الإمارة . قال : وعمّار بن يامر؟ قال : كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام فصر بهما عثمان فأورث ذلك تعادياً بين أهل عمّار وأهل عباس . وكانا تقاذفاً . قيل : سئل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر ما دعاه إلى ركوب عثمان ؟ قال : الغضب والطمع ، كان من الإسلام بمكان ففرّه أقوام فطمع ، وكانت له دالة فلزمه حق ، فأخذه عثمان من ظهره ، فاجتمع هذا إلى ذلك فصار مذمماً

1) C. P. superscr. . صبح الدماء .

2) Om. S.

بعد أن كان محمدًا . قيل : واستخفّ رجل بالعباس بن عبد المطلب فضربه
 عثمان فاستحسن منه ذلك ، فقال : أيفخّم رسولُ الله ، صلتى الله عليه وسلّم ،
 عمّه وأرخّص في الاستخفاف به ! لقد خالف رسولَ الله ، صلتى الله عليه
 وسلّم ، من فعل ذلك ورضي به . قيل : وكان كعب بن ذي الحبكة^١ النهدي
 يلعب بالنارنجيات ، فبلغ عثمان ، فكتب إلى الوليد أن يوجهه ضرباً ، فعزّره
 وأخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان ، وفيه : إنّه قد جدّ بكم فجذّوا
 وإياكم والهزل . فغضب كعب وكان في الذين خرجوا عليه ، وكان سيره إلى
 دُنباوند ، فقال في ذلك للوليد^٢ :

لعمري لئن طردّني ما إلى التي طمعت بها من سقطني لسبيل^٣
 رجوت رجوعي يا ابن أروى ورجعتي إلى الحقّ دهرأ ، غال ذلك غول^٤
 فإن اغترابي في البلاد وجفوتني وشتمي في ذات الإله قليل^٤
 وإن دعائي كلّ يومٍ وليّة عليك بدنباوندكم لتطويل^٤

قال : وأما ضابيء بن الحرث البرجمي فإنه استعار في زمن الوليد بن عقبة
 من قوم من الأنصار كلباً يدعى قرحان^١ يصيد الطباء فحبسه عنهم . فانتزعه
 الأنصاريون منه قهراً ، فهجاهم وقال :

تجشّم دوني وفدُ قرحان خطة^٢ تفل لها الوجناء وهي حسير^٣

١) قرحان C. P.

١ الحنكة .

٢ الوليد .

٣ سبيل .

٤ منهم .

فباتوا شبياعاً طاعمين كأنما جباهم بيت المرزبان أميراً^١
فكلبكم لا تركوا فهو أمكم فإن عقوق الأمهات كبير

فاستعدوا عليه عثمان ، فعزّره وحبسه ، فما زال في السجن حتى مات فيه .
وقال في الفتك^٢ معتذراً إلى أصحابه :

همت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلالته^٣
وقائلة قد مات في السجن ضابئاً^٤ ألا من لحصم لم يجد من يجادلته^٥

فلذا صار ابنه عمير سبئياً^٣ . قال : وأما كميل بن زياد وعمير بن ضابئ^٤
فإنهما سارا إلى المدينة لقتل عثمان ، فأما عمير فإنه نكل عنه ، وأما كميل
فإنه جسر وثاوره^٤ ، فوجأ عثمان وجهه فوق على استه فقال : أوجعتني يا أمير
المؤمنين ! قال : أولست بفاتك ؟ قال : لا والله . فقال عثمان : فاستقد مني ،
وقال : دونك . فعفا عنه ، وبقي إلى أيام الحجاج فقتلها ، وسيرد ذكر ذلك
إن شاء الله تعالى .

قيل : وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفاً . فقال له يوماً :
قد تهبأ مالك فاقبضه . قال : هو لك معونة على مروءتك . قيل : فلما حُصر
عثمان قال عليّ لطلحة : أنشدك الله ألا رددت الناس عن عثمان ! قال : لا والله
حتى تعطيني^٥ بنو أمية الحق من أنفسها .

1) B. سير .

2) B. القتل .

3) C. P. سبياً .

4) B. وبادره .

5) S. تعطي .

١ خباهم .

٢ يجاوله .

٣ سبائياً .

وكان عثمان يلقَّب ذا النورين لأنه جمع بين ابني النبي ، صلى الله عليه وسلم .

قال الأصمعي : استعمل عبدُ الله بن عامر قطنَ بن عبد عوف على كرمان ، فأقبل جيش للمسلمين فمنعهم سبيل في واد من العبور ، وخشي قطن الفوت فقال : مَنْ عبر له ألف درهم . فحملوا أنفسهم وعبروا ، وكانوا أربعة آلاف ، فأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم ، فأبى ابن عامر أن يُجري ذلك له وكتب إلى عثمان ، فكتب عثمان : أن احسبها له فإنه إنما أعان بها في سبيل الله ، فلذلك سُميت الجوائز لإجازة الوادي .

وقال حسان بن زيد : سمعتُ عليّاً وهو يخطب الناس ويقول بأعلى صوته : يا أيها الناس إنكم تكثرون فيّ وفي عثمان . فإن مثلي ومثله كما قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾¹ . وقال أبو حميد الساعدي ، وهو بدري وكان مجانباً لعثمان ، فلما قُتل عثمان قال : والله ما أردنا قتله ، اللهم لك عليّ أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى ألقاك .

ذكر نسبه وصفته وكنيته

أما نسبه فهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمتها أم حكيم بنت عبد المطلب .

وأما صفته فإنه كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير ، حسن الوجه ،

1) Corani 15, vs. 47.

رقيق البشرة ، بوجهه أثر جُدْرِيّ ، كبيراً اللحية عظيمها ، أسمر اللون ،
أصلع ، عظيم الكراديس ، عظيم ما بين المنكبين ، يصفّر لحيته ، وقيل : كان
كثير شعر الرأس ، أروح الرجلين .

وأما كنيته فإنه كان يكنى أبا عبد الله بولد جاءه من رقيّة بنت رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، اسمه عبد الله : توفي وعمره ست سنين ، نقره ديك
في عينه فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، وقيل : كان
يكنى أبا عمرو .

ذكر وقت إسلامه وهجرته

قيل : كان إسلامه قديماً قبل دخول رسول الله . صلى الله عليه وسلم .
دار الأرقم . وكان ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية ومعه فيهما
امراته رُقيّة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ذكر أزواجه وأولاده

تزوج رُقيّة وأمّ كلثوم ابني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولدت
له رُقيّة عبد الله . وتزوج فاخنة بنت غزوان ، فولدت له عبد الله الأصغر ،
هلك ، وتزوج أمّ عمرو بنت جندب بن عمرو بن حُمّة الدوسية ، ولدت له

1) جمعة . C. P.

عمرًا وخالداً وأباناً وعمر ومريم ؛ وتزوج فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية ،
ولدت له الوليد وسعيداً وأم سعيد ؛ وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن
الفزارية ، ولدت له عبد الملك ، هلك ؛ وتزوج رملة بنت شيبه بن ربيعة ،
ولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ؛ وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية ،
ولدت له مريم بنت عثمان ، وقيل : ولدت له أم البنين بنت عيينة عبد الملك
وعتبة ، وولدت له نائلة عنيسة ، وكان له منها أيضاً ابنة تدعى أم البنين ، وكانت
عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان ؛ وقُتل عثمان وعنده رملة ابنة شيبه ونائلة
وأم البنين ابنة عيينة وفاخته بنت غزوان ، غير أنه طلق أم البنين وهو محصور .
فهؤلاء أزواجه في الجاهلية والإسلام وأولاده .

ذكر أسماء عمّاله في هذه السنة

كان عماله هذه السنة على مكة : عبد الله بن الحضرمي ، وعلى الطائف
القاسم بن ربيعة الثقفي ، وعلى صنعاء يعلى بن منية ، وعلى الحنّاء عبد الله بن
ربيعة ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، خرج منها ولم يول عثمان عليها أحداً .
وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان ، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن
خالد ، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى الأردن أبو الأعور
السلمي ، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكناني ، وعلى البحر عبد الله بن قيس
الفزاري ، وعلى القضاء أبو الدرداء في قول بعضهم ، والصحيح أنه كان قد
توفي قبل أن قُتل عثمان ، وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى على الصلاة ،
وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزني ، وهو صاحب المسناة إلى جانب الكوفة ،
وسماك الأنصاري ، وعلى حربها القعقاع بن عمرو ، وعلى قرقيسيا جرير بن
عبد الله ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس الكندي ، وعلى حلاوان عثيبة بن

النَّهَّاسُ، وعلى ماه مالك بن حبيب ، وعلى همذان النَّسِير ، وعلى الري سعيد بن قيس ، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع ، وعلى مَاسَبَذَانِ خُنَيْسٍ^١ ، وعلى بيت المال عقبة بن عامر ، وكان على قضاء عثمان زيد بن ثابت .

هـ (عُتَيْبَةُ بن النَّهَّاسِ بالتاء فوقها نقطتان ، وبعدها ياء تحتها نقطتان ، وآخره باء موحدة . وَعُيَيْبَةُ بن حصن بالياء تحتها نقطتان ، وياء ثانية ، وآخره نون ، تصغير عين . والنَّسِير بالنون ، والسين المهملة ، تصغير نسر)^١ .

ذكر الخبر عمن كان يصلّي في مسجد النبيّ ، صلّى الله عليه
وسلم ، حين حُصِرَ عثمان

قيل : وجاء ذلك اليوم الذي مُنِعَ فيه عثمانُ الصلاةَ سعدُ القَرَظُ ، وهو المؤذن ، إلى عليّ بن أبي طالب ، فقال : من يصلّي بالناس ؟ فقال : ادعُ خالد ابن زيد ، فدعاه ، فصلّى بالناس ، فهو أوّل يومٍ عُرِفَ أن اسم أبي أيّوب الأنصاري خالد بن زيد ، فصلّى أيّاماً ثمّ صلّى بعد ذلك بالناس ، وقيل : بل أمر عليّ سهل بن حنيفة فصلّى بالناس من أوّل ذي الحجّة إلى يوم العيد ، ثمّ صلّى عليّ بالناس العيد ، ثمّ صلّى بهم حتى قُتِلَ عثمان . وقد تقدم غير ذلك في ذكر قتله .

1) Om. S.

١ (في الطبري : حَيْش) .

ذکر ما قبل فیہ من الشعر

قال حسّان بن ثابت الأنصاري :

أترکتُمُ غزوَ الدّروبِ وراءکم
فلبئسَ هدًیُ المسلمینَ هدیتُمُ
إن تُقدّموا نجعلُ قِری سَروانکم
أو تُدبروا فلبئسَ ما سافرتُمُ
وکانَ أصحابَ النبیّ عشیةً
أبکی أبا عمرو لحسنِ بلائہ
وغزّوتُمونا عندَ قبرِ محمدٍ
ولبئسَ أمرُ الفاجرِ المتعمّدِ
حولَ المدينةِ کلّ لَینٍ منودٍ
ولمِثْلُ أمرِ أميرکم لم یترشدِ
بُدنٌ تُذَبّحُ عندَ بابِ المسجدِ
أمتی ضَجیعاً فی بقیعِ الغرقَدِ

وقال أيضاً :

إن تُمسّ دارُ ابنِ أروى اليومَ خاویة
فقد یصادفُ باغی الخیر حاجتہ
یا أيّها الناسُ أبدوا ذاتِ أنفسیکم
قوموا بحقّ ملکِ الناسِ تعرّفوا
فیہم حیبُ شهابِ الموتِ یقندُ مہم
بابُ صریحٌ وبابٌ مُحرقٌ خربُ
فیہا ویہوی إليها الذّکرُ والحسبُ
لا یستوی الصدقُ عندَ اللہِ والکذبُ
بغارةٍ عصبٍ من خلتِہا عصبُ
مستلثماً قد بدا فی وجہہ الغضبُ

وقال أيضاً :

من سرّہ الموتُ صیرفاً لا میزاجَ لہ
فلیأتِ مأسدةً فی دارِ عثماناً

1) سیلیما C. P.

۱ المعتمد .

۲ مقیلاً .

مستشعري حلق الماذي قد شفيعت
صبراً فدئى لكم أمي وما ولدت
فقد رضىنا بأهل الشام نافرة
لاني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا
لتسمعن وشيكاً في ديارهم :
ضحوا بأشمط عنوان السجود به
قبل المخاطيم بيئض زان أبدانا
قد ينفع الصبر في المكروه أحياناً
وبالأمير وبالإخوان إخواناً
ما دمت حياً وما سميت حساناً
الله أكبر يا ثارات عثماناً
يقطع الليل نسيحاً وقرآناً

قال أبو عمر بن عبد البر، وقد ذكر بعض هذه الأبيات فقال : وقد زاد فيها أهل الشام ، ولم أرَ لذكره وجهاً ، يعني ما فيها من ذكر علي ، وهو :

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفاناً
وقال الوليد بن عتبة بن أبي معيط يحرض أخاه عمارة :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة
فإن بك ظني بابن أمي صادقاً
بيت وأوتار ابن عفان عنده
فأجابه الفضل بن العباس :

وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو
وتنسى أباه إذ تسامي أولي الفخر
وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
أتطلب ثراً لست منه ولا له
كما اتصلت بنت الحمار بأمها
ألا إن خير الناس بعد ثلاثة

وأول من صلتى وصينو نبيته
 فلو رأت الأنصار ظلم ابن أمكم
 وأول من أوردى الغواة¹ لدى بدر
 بزعمكم كانوا له حاضري النصر
 كفى² ذاك عيباً أن يُشيروا بقتله
 وأن يُسلموه للأحابيش من مصر

قوله : وأين ابن ذكوان ، فإن الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو
 اسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، ويذكر جماعة من النسابين أن ذكوان
 مولى لأمية ، فتبناه وكناه أبا عمرو ، ويعني : إنك مولى لست من بني أمية حتى
 تكون ممن يطلب بثأر عثمان .

وقال غيرهم من الشعراء أيضاً بعد مقتله فمن بين مادم وهاج ، ومن ناع
 وباك ، ومن سار فرح ، فمن مدحه حسان ، كما تقدم ، وكعب بن مالك في
 آخرين غيرهم كذلك³ .

ذكر بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

وفي هذه السنة بويح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقد اختلفوا في كيفية
 بيعته ، فقيل : إنه لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله ، صلتى الله عليه
 وسلم ، من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير ، فأتوا علياً فقالوا له :
 إنه لا بد للناس من إمام . قال : لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيتُ به .
 فقالوا : ما نختار غيرك ، وترددوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك : إننا لا نعلم
 أحداً أحق به منك ، لا أقدم سابقه ، ولا أقرب قرابة من رسول الله ، صلتى

1) B. الغزاة .

2) C. P. لقي .

3) Hic explicit Cod. B. et incipit codex nobilissimi H. Rawlinsonii = R.

4) C. P. أقدم .

الله عليه وسلم . فقال : لا تفعلوا فلأني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً . فقالوا : والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك . قال : ففي المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد . وكان في بيته ، وقيل : في حائط لبي عمرو بن مبدول ، فخرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق¹ وعمامة خزّ ونعلاه في يده متوكئاً على قوس ، فبايعه الناس ؛ وكان أول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله ، فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال : إنا لله ! أول من بدأ بالبيعة يد شلاء ، لا يتم هذا الأمر ! وبايعه الزبير . وقال لهما عليّ : إن أحببنا أن تبايعاني وإن أحببنا بايعتكما . فقالا : بل نبايعك . وقال بعد ذلك : إنما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا ، وعرفنا أنه لا يبايعنا . وهربا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر . وبايعه الناس ، وجاؤوا بسعد بن أبي وقاص ، فقال عليّ : بايع . فقال : لا ، حتى يبايع الناس ، والله ما عليك مني بأس . فقال : خلّوا سبيله . وجاؤوا ببن عمر فقالوا : بايع . قال : لا ، حتى يبايع الناس . قال : اتني بكفيل . قال : لا أرى كفيلاً . قال الأشتر : دعني أضرب عنقه ! قال عليّ : دعوه أنا كفيله ، إنك ما علمت لسيء الخلق صغيراً وكبيراً .

وبايعت الأنصار إلا نفيراً يسيراً ، منهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلّد ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان ابن بشير ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عَجْرَة² ، وكانوا عثمانية ؛ فأما حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع ، وأما زيد ابن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال ، فلما حُصر عثمان قال : يا معشر الأنصار كونوا أنصاراً لله ، مرتين ، فقال له أبو أيوب : ما تنصره إلا لأنه أكثر لك من العبدان . وأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك له ما أخذ منهم ؛ ولم يبايعه عبد الله بن سلام ، وصهيب بن سنان ، وسلمة بن سلامة

1) C. P. et B. وقيل .

2) مجرد B. ; بحر C. P.

ابن وقش ، وأسامة بن زيد ، وقدامة بن مطعون ، والمغيرة بن شعبة .

فأمّا النعمان بن بشير فإنه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قُطعت وقميص عثمان الذي قُتل فيه وهرب به فلحق بالشام ، فكان معاوية يعلّق قميص عثمان وفيه الأصابع ، فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظاً وجرماً في أمرهم ، ثمّ رفعه ، فإذا أحسّ منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص : حرّك لها حوارها تحنّ¹ ، فيعلقها .

وقد قيل : إن طلحة والزبير إنّما بايعا عليّاً كرهاً ، وقيل : لم يبايعه الزبير ولا صهيب ولا سلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد .

فأمّا على قول من قال : إن طلحة والزبير بايعا كرهاً فقال² : إن عثمان لما قُتل بقيت المدينة خمسة أيّام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيئهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه ، ووجدوا طلحة في حائط له ، ووجدوا سعداً والزبير قد خرجا من المدينة ، ووجدوا بني أمية قد هربوا إلّا من لم يطق الهرب ، وهرب سعيد والوليد ومروان إلى مكة ، وتبعهم غيرهم ، فأتى المصريون عليّاً فباعدهم ، وأتى الكوفيون الزبير فباعدهم ، وأتى البصريون طلحة فباعدهم ، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن³ يلي الخلافة . فأرسلوا إلى سعد يطلبونه ، فقال : إنّي وابن عمر لا حاجة لنا فيها ، فأتوا ابن عمر فلم يجبهم ، فبقوا حيارى . وقال بعضهم لبعض : لئن رجع الناس إلى أمصارهم بغير إمام لم نأمن الاختلاف وفساد الأمة . فجمعوا أهل المدينة فقالوا لهم : يا أهل المدينة أنتم أهل الشورى ، وأنتم تعقدون الإمامة ، وحكمكم جائر على الأمة ، فانظروا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبعٌ ، وقد أجّلناكم⁴ يومكم ، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلنّ غداً عليّاً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً ! فغشي الناسُ عليّاً فقالوا :

1) Vid. Meidanii Prov. I, p. 340.

2) S. Ceteri hæc modo habent : هذا .

3) R. على من .

4) R. أخيلناكم .

نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من بين القرى . فقال عليّ : دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تقوم به¹ القلوب ولا تثبت عليه العقول . فقالوا : نشدك الله ! ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى الإسلام ؟ ألا ترى الفتنة ؟ ألا تخاف الله ؟ فقال : قد أجبتكم ، واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم ، وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم ، إلاّ أنّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه . ثمّ افترقوا على ذلك واتعدوا الغد .

وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا : إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت ، فبعث البصريون إلى الزبير حكيم بن جبلة وقالوا : احذر لا تحابه ، ومعه نفر ، فجاؤوا به يحدونه بالسيف ، فبايع ، وبعثوا إلى طلحة الأشتر ومعه نفر ، فأتى طلحة ، فقال : دعني أنظر ما يصنع الناس ، فلم يدعه ، فجاء به يتله تلاًّ عنيفاً ، وصعد المنبر فبايع . وكان الزبير يقول : جاءني لص من لصوص عبد القيس فبايعتُ والسيف على عنقي ، وأهل مصر فرحون بما¹ اجتمع عليه أهل المدينة ، وقد خشع أهل الكوفة والبصرة أن صاروا² أتباعاً لأهل مصر وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً .

ولما أصبحوا يوم البيعة ، وهو يوم الجمعة ، حضر الناس المسجد ، وجاء عليّ فصعد المنبر وقال : أيّها الناس ، عن ملاّ وإذن ، إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حقّ إلاّ من أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمر وكنتم كارهاً لأمركم ، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم ، ألا وإنه ليس لي دونكم إلاّ مفاتيح ما لكم معي وليس

1) C. P. .

١ قلماً .

٢ كانوا .

لي أن آخذ درهماً دونكم ، فإن شتمت قعدت لكم وإلا فلا أجيد^١ على أحد^١ .
 فقالوا : نحن على ما فارقناك عليه بالأمس . فقال : اللهم اشهد . ولما جاؤوا
 بطلحة ليبايع قال : إنما أبايع كرهاً . فبايع ، وكان به شلل ، فقال رجل
 يعتاف : إننا لله وإننا إليه راجعون ، أول يد بايعت يد شلاء ، لا يتم هذا الأمر !
 ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع ، وفي الزبير اختلاف ، ثم جيء بعده بقوم
 كانوا قد تخلفوا فقالوا : نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزير
 والدليل ، فبايعهم ، ثم قام العامة فبايعوا ، وصار الأمر أمر أهل المدينة وكانهم
 كما كانوا فيه وتفرقوا إلى منازلهم .

وبويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة ، والناس يحسبون بيعته من
 [يوم] قُتِلَ عثمان^٢ .

وأول خطبة خطبها عليّ حين استُخلف حميد الله وأثنى عليه ثم قال :
 إن الله أنزل كتاباً هادياً يبين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر ،
 الفرائض الفرائض أدوها إلى الله تعالى يؤمّدكم إلى الجنة . إن الله حرّم حرّمات
 غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرّم كلّها ، وشدّ بالإخلاص والتوحيد
 حقوق المسلمين ، فالمسلم من سلّم المسلمون من لسانه ويده إلاّ بالحق ، لا يحلّ
 دم امرئ مسلم إلاّ بما يجب . بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم^٢ الموت ، فإن
 الناس أمامكم وإن ما [من] خلفكم الساعة تحذوكم . تخففوا تلحقوا ، فإنما ينتظر
 الناس أخراهم . اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده ، إنكم مسؤولون حتى
 عن البقاع والبهائم . أطيعوا الله فلا تعصوه ، إذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا

1) R. add. فقالوا الحق .

2) إذا أخذكم R.

١ أحد .

٢ قبل .

رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَدَعُوهُ ، ﴿ وَآذُكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي
الْأَرْضِ ﴾^١ . ولما فرغ من الخطبة وهو على المنبر قالت السبئية :

خُذْهَا إِلَيْكَ واحذرن^١ أبا حسن^٢ إِنَّا^٢ نُمِرَ الْأَمْرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ
صَوْلَةَ أَقْوَامٍ كَأَشْدَادِ السُّفُنِ بِمَشْرِفِيَّاتِ كَغُدْرَانِ اللَّبَنِ
وَنَطْعِنُ^١ الْمَلِكَ بِلَيْسِنِ كَالشَّطْنِ حَتَّى يُمَرَّنَ^٣ عَلَى غَيْرِ عَنَنِ

فقال علي :

لَئِنِّي عَجَزْتُ عِجْزَةً لَا أَعْتَدِرُ سَوْفَ أَكْبِسُ بَعْدَهَا وَأَسْتَمِرُّ
أَرْفَعُ مِنْ ذَيْلِي مَا كُنْتُ أَجْرُ وَأَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّتِيَّتَ الْمُنْتَشِرُ
إِنْ لَمْ يُشَاغِبْنِي الْعَجُولُ الْمُنْتَصِرُ إِنْ تَتْرَكُونِي وَالسَّلَاحَ يَبْتَدِرُ

ورجع علي إلى بيته ، فدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة فقالوا :
يا علي إننا قد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا
الرجل وأحلوا بأنفسهم . فقال : يا إخوتاه إنني لست أجهل ما تعلمون ، ولكن
كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم
وثابت إليهم أعرابكم وهم خيلاطكم^٢ يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً
لقدره على شيء مما تريدون ؟ قالوا : لا . قال : فلا والله لا أرى إلا رأياً
تروونه أبدأ إلا أن يشاء الله . إن هذا الأمر أمر جاهلية وإن هؤلاء القوم مادة ،
وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض [مَنْ] أخذ بها أبدأ . إن الناس

1) يتقطع R .

2) جلا بكم C. P .

١ (سورة الأنفال ٨ ، الآية ٢٦) .

٢ إنما .

٣ يُمررن .

من هذا الأمر إن حرك على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا ، حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق ، فاهدأوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثمّ عودوا . واشتدّ على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها ، وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية وتفرق القوم ، فبعضهم يقول ما قال عليّ ، وبعضهم يقول : نقضي الذي علينا ولا تؤخره ، والله إن علياً لمستغنٍ برأيه وليكونن أشد على قريش من غيره .

فسمع ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وأنه ليس له من سلطانهم . إلاّ ذلك^١ والأجر من الله عليه ، ونادى : برئت الذمة من عبد لا يرجع إلى مولاه . فتدامرت السبئية والأعراب وقالوا : لنا غداً مثلها ولا نستطيع نحتجّ فيهم بشيء . وقال : أيتها الناس أخرجوا عنكم الأعراب فليلحقوا ببياهم ، فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب . فدخل عليّ^٢ بيته ، ودخل عليه طلحة^٣ والزبير وعدة من أصحاب النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : دونكم ثأركم فاقتلوه . فقالوا : عسوا^١ عن ذلك^٢ . فقال : هم والله بعد اليوم أعشى^٣ ! وقال :

ولو أن قومي طاوعتني سراتهم أمرتهمُ أمراً بديعُ الأعاديا^٣

وقال طلحة : دعني آتِ البصرة فلا يفجأك إلاّ وأنا في خيل . وقال الزبير : دعني آتِ الكوفة فلا يفجأك إلاّ وأنا في خيل . فقال : حتى أنظر في ذلك .

1) R. الأول .

2) عتوا عتوا R .

3) اعنى R .

١ عسوا .

٢ أعشى .

٣ بديع الأعاديا .

قيل : وقال ابن عباس : أتيتُ عليّاً بعد قتل عثمان عند عودي من مكة
 فوجدتُ المغيرةَ بنَ شعبة مستخلياً به ، فخرج من عنده ، فقلت له : ما قال لك هذا ؟
 فقال : قال لي قبل مرته هذه : إن لك حقّ الطاعة والنصيحة ، وأنت بقية الناس ،
 وإن الرأي اليوم تُحرز به ما في غد ، وإن الضياع اليوم يضيع به ما في غد ،
 أقرر معاوية وابنَ عامر وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيتك بيعتهم ويسكن
 الناسُ ، ثمّ اعزل من شئتَ ، فأبيتُ عليه ذلك وقلت : لا أداهن في ديني ولا
 أعطي الدنيا في أمري . قال : فإن كنتَ أيتَ عليّ فانزع من شئتَ واترك
 معاوية ، فإن في معاوية جرأة ، وهو في أهل الشام يُسمع منه ، ولك حُجّة في
 إثباته ، كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام . فقلت : لا والله لا أستعمل معاوية
 يومين ! ثمّ انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يودّ أنّي مخطيء ، ثمّ عاد
 إليّ الآن فقال : إنّي أشرتُ عليك أوّل مرّة بالذي أشرتُ وخالفني فيه ،
 ثمّ رأيتُ بعد ذلك أن تصنع الذي رأيتَ فتعزلم وتستعين بمن تثق به ، فقد كفى
 الله وهم أهونُ شوكة ممّا كان . قال ابن عباس : فقلتُ لعليّ : أمّا المرّة
 الأولى فقد نصحك ، وأمّا المرّة الثانية فقد غشّك . قال : ولمّ نصحتني ؟ قلتُ :
 لأنّ معاوية وأصحابه أهل دنيا فمضى تثبتهم لا يبالوا من وليّ هذا الأمر ، ومتى
 تعزلم يقولوا : أخذ هذا الأمر بغير شوري وهو قتل صاحبنا : ويؤلبون
 عليك ، فتتفض عليك الشامُ وأهلُ العراق ، مع أنّي لا آمن طلحة والزبير
 أن يكرّأ عليك ، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية ، فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه
 من منزله ، وقال عليّ : والله لا أعطيه إلاّ السيف ! ثمّ تمثّل :

وما مينةٌ إن متها غير عاجزٍ بعارٍ إذا ما غالتِ النفسَ غولها

1) أتم R.

1 فمضى تثبتهم لا يبالون من وليّ هذا الأمر ، ومتى تعزلم يقولون .

فقلت : يا أمير المؤمنين أنت رجلٌ شجاعٌ لست صاحب رأي في الحرب ،
أما سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : الحرب خدعة ؟ فقال :
بلى . فقلتُ : أمّا¹ والله لئن أطعني لأصدرنّهم بعد وِرد¹ ، ولأتركنّهم ينظرون
في دبر الأبور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا إثم لك . فقال :
يا ابن عباس لست من هنالك ولا من هنات معاوية في شيء . قال ابن عباس :
فقلت له : أطعني والحق بما لك بيّنْبُع وأغلق بابك عليك ، فإن العرب تجول جولة
وتضطرب ولا تجد غيرك ، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك
الناسُ دمَ عثمان غداً . فأبى عليٌّ فقال : تشير عليٌّ وأرى فإذا عصيتك فأطعني .
قال : فقلت : أفعلُ ، إن أيسر ما لك عندي الطاعة . فقال له عليٌّ : تسير إلى
الشام فقد وليتكها² . فقال ابن عباس : ما هذا برأي ، معاوية رجل من بني أمية
وهو ابن عم عثمان وعامله ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان ، وإن أدنى
ما هو صانعٌ أن يجسني فيتحكّم³ عليٌّ لقرابتي منك ، وإن كل ما حُمِل عليك
حُمِل عليٌّ ، ولكن اكتب إلى معاوية فمته وعيده . فقال : لا والله ، لا كان هذا
أبدأ !

وكان المغيرة يقول : نصحته فلما لم يقبل غششته . وخرج فلحق بمكة .

1) C. P. et R. الورود .

2) R. أعطيتكها .

3) R. فيتحكّم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ، أعني سنة خمس وثلاثين ، سار قسطنطين بن هرقل في ألف مركب يريد أرض المسلمين ، قبل قتل عثمان¹ ، فسَلَطَ الله عليهم ريحاً عاصفاً فغرقتهم ونجا قسطنطين فأتى صِقلية ، فصنعوا له حماماً ، فدخله فقتلوه فيه وقالوا : قتلت رجالنا . هكذا قال أبو جعفر² .

وهذا قسطنطين هو الذي هزمه المسلمون في غزوة الصواري سنة إحدى وثلاثين ، وقتله أهل صِقلية في الحمام ، وإن كانوا قد اختلفوا في السنة التي كانت الواقعة فيها ، فلولا قوله : إن المراكب غرقت ، لكانت هذه الحادثة هي تلك ، فإنها في قول بعضهم : كانت سنة خمس وثلاثين .

وفي خلافة عثمان مات أوس بن خَوْلِيّ الأنصاري ؛ وفي خلافة عثمان أيضاً مات الجُلاس بن سويد الأنصاري ، وكان من المنافقين على عهد رسول الله ، صَلَّى الله عليه وسلم ، وحَسُنَتْ توبته ؛ وفيها مات الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، والد الملقب ببيبة ؛ وفي آخرها مات الحكم بن أبي العاص ، وهو والد مروان وعم عثمان ؛ وفيها مات حَبَّان بن مُنْقذ الأنصاري ، وهو والد يحيى بن حَبَّان ، بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة ؛ وفيها مات عبد الله ابن قيس بن خالد الأنصاري ، وقيل : بل قُتِلَ بأحد شهيداً ؛ وفي خلافته مات قُطَيْبَةُ بن عامر الأنصاري ، وهو عَقَبِيٌّ بدري ؛ وفي خلافته مات زيد بن خارجة بن زيد الأنصاري ، وهو الذي تكلم بعد موته ؛ وفيها قُتِلَ مَعْبَدُ بن العباس بن عبد المطلب بإفريقية في آخر خلافة عثمان ؛ وفيها مات مُعَيَّقِيْبُ³ بن أبي فاطمة ، وكان من مهاجرة الحبشة ، وكان على خاتم رسول الله ، صَلَّى الله عليه وسلم ،

1) Om. S.

2) S. add قيل .

3) C. P. معنب .

وقيل : بل مات سنة أربعين في خلافة عليّ ؛ وفيها مات مطيع بن الأسود العدويّ ،
وكان إسلامه يوم الفتح ؛ وفي خلافته مات نُعَيْم بن مسعود الأشجعيّ ، وقيل :
بل قُتِل في وقعة الجمل مع مُجاشع بن مسعود ؛ وفي خلافته مات عبد الله بن
حُذافة السهميّ ، وهو بدريّ ، وكان فيه دُعاية ؛ وفيها مات عبد الله بن أبي
ربيعة المخزوميّ والد عمر الشاعر ، وكان قد جاء من اليمن لينصر عثمان لما حُصِر
فسقط عن راحته فمات ؛ وأبو رافع مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
وقيل : مات في خلافة عليّ ، وهو أصحّ ؛ وفي خلافته توفي أبو سبرة بن أبي
رُهْم العامريّ من عامر بن لؤي ، وهو بدريّ ؛ وفيها مات هاشم بن عتبة بن
ربيعة خال معاوية ، أسلم يوم الفتح وكان صالحاً ؛ وفيها مات أبو الدرداء ،
وقيل : عاش بعده ، والأوّل أصحّ .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين

ذكر تفرق¹ عليّ عمّاله وخلف معلوية

وفي هذه السنة فرّق عليّ عمّاله على الأمصار ، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة ، وكانت له هجرة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام .

فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيلٌ فقالوا : مَنْ أنت ؟ قال : أمير . قالوا : عليّ أيّ شيء ؟ قال : عليّ الشام . قالوا : إن كان بعثك عثمان فحيّ هلاً بك² ، وإن كان بعثك غيره فارجع . قال : أوّما سمعتم بالذي كان ؟ قالوا : بلى . فرجع إلى عليّ . وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيلة لقيته خيلٌ فقالوا له : مَنْ أنت ؟ قال : من فالة عثمان ، فأنا أطلب من آوي إليه فأنصر به لله . قالوا : مَنْ أنت ؟ قال : قيس بن سعد . قالوا : امض . فمضى حتى دخل مصر . فافترق أهل مصر فرقاً ، فرقة دخلت في الجماعة فكانوا معه ، وفرقة اعتزلت بخرّنبا وقالوا : إن قُتل قتلة عثمان فنحن معكم ، وإلا فنحن على جديلتنا حتى نُحرّك أو نصيب حاجتنا ، وفرقة قالوا : نحن مع عليّ ما لم يُقيد من إخواننا ، وهم في ذلك مع الجماعة . وكتب قيس إلى عليّ بذلك .

وأما عثمان بن حنيف فسار ولم يردّه أحد عن دخول البصرة ولم يجد لابن عامر

1) اتصال .

2) فحيّ أهلاً بك .

في ذلك رأياً ولا استقلالاً بحرب ، وافترق الناسُ بها ، فاتبعت فرقةُ القوم ، ودخلت فرقةٌ في الجماعة ، وقالت فرقة : ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا . وأمّا عُمارة بن شهاب فلما بلغ زُبالة لقيه طُليحة بن خُوَيْلِد ، وكان خرج يطلب بثأر عثمان وهو يقول : لهفي على أمر لم يسبقني ولم أدركه ! وكان خروجه عند عود القعقاع من إغاثة عثمان ، فلما لقي عُمارة قال له : ارجع ، فإن القوم لا يريدون بأمرهم بدلاً ، فإن أبيتَ ضربتُ عنقك . فرجع عُمارة إلى عليّ بالخبر . وانطلق عبيد الله بن عباس إلى اليمن ، فجمع بَعْلَى بن مُنْبَةَ كلَّ شيء من الجباية وخرج به إلى مكة فقدمها بالمال ، ودخل عبيد الله اليمن .

ولما رجع سهل بن حنيف من الشام وأتت عليّاً الأخبار دعا طلحة والزبير فقال : إن الأمر الذي كنتُ أحذركم قد وقع ، وإن الذي قد وقع لا يُدرَك إلا بإماتته¹ . وإنها فتنة كالنار كلما سُعرت ازدادت واستثارت . فقالا له : ائذن لنا نخرج من المدينة فإمّا أن نكائر وإمّا أن تدعنا . فقال : سأمسك الأمر ما استمسك . فإذا لم أجد بُدّاً فأخر الداء الكي .

وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى . فكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ، وبيّن الكارهة منهم للذي كان والراضي ومن بين ذلك حتى كان عليّ كأنه يشاهدهم . وكان رسولَ عليّ إلى أبي موسى معبداً الأسلمي ، وكان رسوله إلى معاوية سبرة الجُهَني ، فقدم عليه ، فلم يجبه معاوية بشيء ، كلما تنجّز² جوابه لم يزد على قوله :

أدم إدامة حصن² أو خذا بيدي حرباً ضروراً تشبّ الجزل والضرماً

1) بامانته .

2) حمر .

١ بامانته .

٢ يتجّز .

في جاركم وابنكم إذ كان مقتله شنعاء شيبت الأصداع واللممات
أعياء المسود بها والسيدون فلم يوجد لنا¹ غيرنا مولى ولا حكماً

حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية رجلاً من
بني عبس يدعى قبيصة فدفع إليه طوماراً مختوماً عنوانه² : من معاوية إلى علي ،
وقال له : إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ، ثم أوصاه بما يقول ،
وأعاد رسول عليّ معه . فخرجا فقدا المدينة في ربيع الأول ، فدخلها العبسي
كما أمره قد رفع الطومار ، فتبعه الناس ينظرون إليه ، وعلموا أن معاوية معترض ،
ودخل الرسول على عليّ فدفع إليه الطومار ، ففضّ ختمه فلم يجد فيه كتاباً .
فقال للرسول : ما وراءك ؟ قال : آمن أنا ؟ قال : نعم ، إن الرسول لا يقتل .
قال : ورائي أني تركتُ قوماً لا يرضون إلا بالقود . قال : ممن ؟ قال :
من خيط رقبتي . وتركت ستين ألف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو
منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق . قال : أمني يطلبون دم عثمان ، ألسنتُ
موتوراً كثيرة عثمان ؟ اللهم إنني أبرأ إليك من دم عثمان ! نجا والله قتلة
عثمان إلا أن يشاء الله ، فإنه إذا أراد أمراً أصابه ، اخرج . قال : وأنا آمن ؟
قال : وأنت آمن . فخرج العبسي وصاحت السبيبة³ وقالت : هذا الكلب رسول
الكلاب ، اقتلوه ! فنادى : يا آل مضر ! يا آل قيس ! الخيل والنبيل ! أقسم
بالله ليردّنها عليكم أربعة آلاف خصي ، فانظروا كم³ الفحول والركاب !
وتعاونوا عليه ، فمنعته مضر ، فجعلوا يقولون له : اسكت ، فيقول : لا والله
لا يفلح هؤلاء أبداً ، أتاهم ما يوعدون ، لقد حلّ بهم ما يحذرون² ، انتهت

1) C. P. et R. لها .

2) غير أنه S .

3) تركوا R. add .

١ السبابة .

٢ يحلون .

واقه أعمالهم وذهبت ریحهم ، فواقه ما أمسوا حتى عرف الذلّ فيهم .
 وأحبّ أهل المدينة أن يعلموا رأي عليّ في معاوية وقتاله¹ أهل القبلة ،
 أيحسر عليه أم ينكل عنه ؟ وقد بلغهم أن ابنه الحسن دعاه إلى القعود وترك الناس ،
 فلمسوا زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعاً إلى علي فجلس إليه ساعة ، فقال
 له عليّ : يا زياد تيسر² ، فقال : لأي شيء ؟ فقال : لغزو الشام . فقال
 زياد : الأناة والرفق أمثل ، وقال :

ومن لم يصانع في أمورٍ كثيرةٍ
 بضرسٍ بأنيابٍ ويوطأ بمنسَمِ

فتمثل عليّ وكأنه لا يريدُه :

متى تجمع القلبَ الركيّ وصارماً
 وأنفاً حمياً تجتنبك³ المظالمُ

فخرج زياد والناس يتظرونه وقالوا : ما وراءك ؟ فقال : السيف يا قوم .
 فعرفوا ما هو فاعل . واستأذنه طلحة والزبير في العمرة ، فأذن لهما ، فلحقا
 بمكة ؛ ودعا عليّ محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء ، وولى عبد الله بن عباس
 ميمته ، وعمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ولاء ميسرته ،
 ودعا أبا ليلي بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح فجعله على مقدمته ،
 واستخلف على المدينة قُثم بن العباس ، ولم يولّ ممن خرج على عثمان أحداً ،
 وكتب إلى قيس بن سعد وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبي موسى أن يندبوا الناس
 إلى أهل الشام . ودعا أهل المدينة إلى قتالهم وقال لهم : إن في سلطان الله عصمة
 أمرٍكم فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها ، والله لتفعلنّ³ أو لينقلنّ³ الله
 عنكم سلطان الإسلام ثمّ لا يتقله إليكم أبداً حتى يارز الأمر إليها ، انهضوا إلى
 هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعلّ الله يصلح بكم ما أفسد أهل

1) وقالت R .

2) نسير R ; نسير C. P .

3) يتخيك R .

الآفاق وتفضون الذي عليكم .

• (خَرَّنَبَا بفتح الحاء المعجمة ، وسكون الراء ، وفتح النون ، والباء
الموحدة ، وآخره ألف)¹ .

ذكر ابتداء وقعة الحمل

فبينما هم كذلك على التجهز لأهل الشام أتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة
وأهل مكة بنحو آخر² وأنتهم على الخلاف ، فأعلم عليّ الناس ذلك ، وأن
عائشة وطلحة والزبير قد سخطوا إمارته ودعوا الناس إلى الإصلاح ، وقال
لهم : سأصبر ما لم أخف على جماعتكم ، وأكف إن كفتوا ، وأقتصر على ما
بلغني .

ثم أتاه أنهم يريدون البصرة ، فسرّه ذلك وقال : إن الكوفة فيها رجال
العرب وبيوتاتهم . فقال له ابن عباس : إن الذي سرّك من ذلك ليسوءني ، إن الكوفة
فسطاط فيه [أعلام] من أعلام العرب ، ولا يحملهم عدة القوم ، ولا يزال فيها
من يسمو إلى أمر لا يناله ، فإذا كان كذلك شغب عليّ الذي قد نال ما يريد
حتى تكسر حدته .

فقال عليّ : إن الأمر ليشبه ما تقول ، وتنبأ للخروج إليهم ، فندب أهل المدينة
للمسير معهم فتأقلوا ، فبعث إلى عبد الله بن عمر كُمَيْلاً النَّخَعِيّ ، فجاء به ،
فدعاه إلى الخروج معه ، فقال : إنما أنا من أهل المدينة وقد دخلوا في هذا الأمر
فدخلت معهم ، فإن يخرجوا أخرج معهم ، وإن يقعدوا أقعد . قال : فأعطني
كفيلاً . قال : لا أفعل . فقال له عليّ : لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيراً

1) Om. S.

2) بخروجهم R.

وكبيراً لأنكرتني¹ ، دعوه فأنا كفيhle . فرجع ابن عمر إلى المدينة وهم يقولون :
والله ما ندري كيف نصنع ، إن الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء² لنا .
فخرج من تحت ليلته وأخبر أم كلثوم ابنة علي ، وهي زوجة عمر ، بالذي
سمع ، وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة علي ما خلا النهوض . فأصبح عليّ
فقيل له : حدث الليلة حدث هو أشد من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية . قال :
وما ذاك ؟ قالوا : خرج ابن عمر إلى الشام فأتى السوق وأعد الظهر والرجال
وأخذ لكل طريق طلاباً وماج الناس . فسمعت أمّ كلثوم فأتت علياً فأخبرته
الخبر ، فطابت نفسه وقال : انصرفوا ، والله ما كذبت ولا كذب ، والله إنه
عندي ثقة . فانصرفوا .

وكان سبب اجتماعهم بمكة أن عائشة كانت خرجت إليها ، وعثمان
محصور ، ثم خرجت من مكة تريد المدينة . فلما كانت بسرف لقيها رجل
من أخوالها من بني ليث يقال له عبّيد بن أبي سلّمة ، وهو ابن³ أم كلاب ، فقالت
له : مهّيم ؟ قال : قُتل عثمان وبقوا ثمانياً . قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ قال :
اجتمعوا على بيعة عليّ . فقالت : ليت هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر
لصاحبك ! ردوني ردوني ! فانصرفت إلى مكة وهي تقول : قُتل والله عثمان
مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه ! فقال لها : ولم ؟ والله إن أول من أمار حرفه لأنت ،
ولقد كنتِ تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر . قالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه ،
وقد قلتُ وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول . فقال لها ابن أم كلاب :

فمنكِ البداءُ ومنكِ الغيّرُ ومنكِ الرياحُ ومنكِ المطرُ
وأنتِ أمرتِ بقتلِ الإمامِ وقلتِ لنا إنه قد كفرُ
فهبتنا أظعنكِ في قتلهِ وقاتلهُ عندنا من أمرُ

1) لا تكذبني R .

2) يضيء R .

3) C. P. et R. add. هم .

4) فنحن C. P. .

5) وعامله R .

ولم يسقطِ السقفُ من فوقنا ولم ينكسِفُ شمسُنَا والقمرُ
وقد بايعَ الناسُ ذا تُدرِإِ يزيلُ الشبَا ويقيمُ الصعْرُ^١
ويلبسُ للحربِ أثوابها وما من وفَى مثلُ من قد غدرُ

فانصرفت إلى مكة فقصدت الحجر فسترت فيه ، فاجتمع الناسُ حولها ، فقالت : أيتها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه ، وقد استعمل أمثالهم قبله ، ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها . فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام ، والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ! ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درته إذ ماصوه كما يماصُ الثوب بالماء ، أي يغسل .

فقال عبد الله بن عامر الحضرمي ، وكان عامل عثمان على مكة : ها أنا أول طالب ! فكان أول مجيب ، وتبعه بنو أمية على ذلك ، وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة ورفعوا رؤوسهم ، وكان أول ما تكلموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عتبة وسائر بني أمية ، وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ، ويعلى بن أمية ، وهو ابن منية ، من اليمن ومعه ستمائة بغير وستمائة ألف درهم ، فأناخ بالأبطح ، وقدم طلحة والزبير من المدينة فلقيا عائشة ، فقالت : ما وراءكما ؟ فقالا : إننا تحمّلنا هراًباً من المدينة من غوغاء

١) بدره .

وأعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا يُنكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم . فقالت : انهضوا إلى هذه الغوغاء . فقالوا : نأتي الشام . فقال ابن عامر : قد كفاكم الشام معاوية^١ ، فأتوا البصرة فإن لي بها صنائع ولهم في طلحة هوى . قالوا : قبحك الله ! فوالله ما كنت بالمسلم ولا بالمحارب ، فهلاً أقمت كما أقام معاوية فنكفى بك ثم نأتي الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب ؟ فلم يجدوا عنده جواباً مقبولاً ، فاستقام الرأي على البصرة ، وقالوا لها : نترك المدينة فإننا خرجنا فكان معنا من لا يطيق من بها من الغوغاء ونأتي بلداً مضيعاً سيحتجون علينا ببيعة علي^٢ فتنهضينهم كما أنهضت أهل مكة ، فإن أصلح الله الأمر كان الذي أردنا ، وإلا دفننا بجهدنا حتى يقضي الله ما أراد .

فأجابتهم إلى ذلك . ودعوا عبد الله بن عمر ليسير معهم ، فأبى وقال : أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون . فتركوه .

وكان أزواج النبي^٣ ، صلى الله عليه وسلم ، معها على قصد المدينة ، فلما تغير رأيها إلى البصرة تركن ذلك ، وأجابتهم حفصة إلى المسير معهم : فمنعها أخوها عبد الله بن عمر . وجهزهم يعلى بن منية بستمائة بعير وستمائة ألف درهم ، وجهزهم ابن عامر بمال كثير ، ونادى منادياها : إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن أراد إعزاز الإسلام وقاتل المنحلين^٤ والطلب بثأر عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت ! فحملوا ستمائة على ستمائة بعير وساروا في ألف ، وقيل : في تسعمائة من أهل المدينة ومكة ، ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل . وبعثت أم الفضل بنت الحرث أم عبد الله بن عباس رجلاً

1) المتحلين R .

من جُهينة يدعى ظفراً¹ فاستأجرته على أن يأتي علياً بالخبر، فقدم على علي² بكتابها .

وخرجت عائشة ومن معها من مكة، فلما خرجوا منها أذن مروان بن الحكم، ثم جاء حتى وقف على طلحة والزبير فقال : علي أيكما أسلم بالإمرة وأوذن بالصلاة ؟ فقال عبد الله بن الزبير : علي أبي عبد الله ، يعني أباه الزبير . وقال محمد بن طلحة : علي أبي محمد ، يعني أباه طلحة . فأرسلت عائشة إلى مروان وقالت له : أتريد أن تفرق أمرنا ! ليصل بالناس ابن أختي ، تعني عبد الله بن الزبير . وقيل : بل صلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد حتى قُتل . فكان معاذ ابن عبيد يقول : والله لو ظفرنا لاقتلنا ، ما كان الزبير يترك طلحة والأمر ولا كان طلحة يترك الزبير والأمر .

وتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عِرق فبكوا على الإسلام . فلم يُرَ يوم كان أكثر باكياً وباكيةً من ذلك اليوم ، فكان يسمى يوم النحيب . فلما بلغوا ذات عِرق لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بها فقال : أين تذهبون وتتركون ثاركم على أعجاز الإبل وراءكم ؟ يعني عائشة وطلحة والزبير ، اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم . فقالوا : نسير² فلعلنا نقتل قتل عثمان جميعاً . فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال : إذ ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ اصدقاني . قالا : نجعله لأحدنا أيما اختاره الناس . قال : بل تجعلونه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه . فقالا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائنا³ ! قال : فلا أراني أسعى إلا لإخراجها من بني عبد مناف . فرجع ورجع عبد الله ابن خالد بن أسيد ، وقال المغيرة بن شعبة : الرأي ما قال سعيد ، من كان مهنا من ثقيف فليرجع . فرجع ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان .

1) خفراً R .

2) أبطر R .

3) لأبنائهم R ; لولدهم C. P .

وأعطى يعلى بن مُنْبة عائشةَ جملًا اسمه عسكر اشتراه بثمانين ديناراً ،
فركبته ، وقيل : بل كان جملها لرجل من عُرَينة .

قال العُرَني : بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال : أتبيع
جملك ؟ قلت : نعم . قال : بكم ؟ قلت : بألف درهم . قال : أجنون
أنت ؟ قلت : ولم ؟ والله ما طلبتُ عليه أحداً إلا أدركته ولا طلبني وأنا عليه
أحدٌ إلا فُتته . قال : لو تعلم لمن نريده ! إنما نريده لأمّ المؤمنين عائشة !
فقلت : خذه بغير ثمن . قال : بل ترجع معنا إلى الرحل فنعطيك ناقة
ودراهم . قال : فرجعت معه فأعطوني ناقة مَهْرية وأربعمائة درهم أو ستمائة ،
وقالوا لي : يا أخا عُرَينة هل لك دلالة بالطريق ؟ قلتُ : أنا من أدلّ الناس .
قالوا : فسر معنا . فسرتُ معهم فلا أمرَ على واد إلا سألوني عنه ، حتى
طرقنا الحوَاب ، وهو ماء ، فنبحتنا كلابه ، فقالوا : أيّ ماء هذا ؟ فقلتُ :
هذا ماء الحوَاب . فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت : إنا لله وإنا إليه
راجعون ، إنني لهيئة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول وعنده
نساؤه : « ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحوَاب ! » ثمّ ضربت عضد بعيرها
فأناخته وقالت : ردوني ، أنا والله صاحبة ماء الحوَاب . فأناخوا حولها يوماً وليلة ،
فقال لها عبد الله بن الزبير : إنه كذب ، ولم يزل بها وهي تمتنع ، فقال لها :
النجاء النجاء ! قد أدرككم عليّ بن أبي طالب . فارتحلوا نحو البصرة ، فلما كانوا
بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمي وقال : يا أمّ المؤمنين أنشدك الله أن تقدمي
اليوم على قوم لم تراسلي منهم أحداً فعجّلني ابن عامر فإن له بها صنائع فليذهب
إليهم ليلقوا الناس إلى أن تقدمي ويسمعوا ما جثم به . فأرسلته فاندس إلى البصرة ،
فأتى القوم ، وكتبت عائشة إلى رجال من أهل البصرة وإلى الأحنف بن
قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم وأقامت بالحفير تنتظر الجواب .

1) عنها وعن أبيها . R. add.

ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجل عامه، والزّه¹ بأبي الأسود الدثلي، وكان رجل خاصة، وقال لهما: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها. فخرجا فانتھيا إليها بالحفير، فأذنت لهما، فدخلتا وسلّتا وقالتا: إن أميرنا بعثنا إليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مغبرتنا؟ فقالت: والله ما مثلي يُعطي لبيته الخبر، إن الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حرّم رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، وأحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا تيرة ولا عذر فاستحلّوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه ورائنا وما ينبغي لهم من إصلاح هذه القصة، وقرأت: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾² الآية، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه.

فخرج عمران وأبو الأسود من عندهما فأتيا طلحة وقالوا: ما أقدمك؟ فقال: الطلب بدم عثمان. فقالا: ألم تباع علينا؟ فقال: بلى والسيف على عنقي وما أستقبل علينا البيعة إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان. ثم أتيا الزبير فقالا له مثل قولهما لطلحة، وقال لهما مثل قول طلحة، فرجعا إلى عثمان بن حنيف ونادى مناديا بالرحيل، فدخلتا على عثمان فبادر أبو الأسود عمران فقال:

يا ابن حنيف قد أتيت فانفيري وطاعن القوم وجالد واصبر¹
وابرز لهم مستلثما وشمري

1) C. P. الزمه.

2) Corani 4, vs. 114.

فقال عثمان : إنا لله وإنا إليه راجعون ، دارت رحى الإسلام ورب الكعبة فانظروا بأي زَيْفَانٍ تَزِيْفُ¹ . فقال عمران : إي والله لتعركنكم عركاً طويلاً . قال : فأشر علي يا عمران . قال : اعتزل فإني قاعد . قال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين . فانصرف عمران إلى بيته وقام عثمان في أمره ، فأناه هشام بن عامر فقال : إن هذا الأمر الذي تريده يُسلم إلى شرّ ممّا تكره ، إن هذا فتق لا يرتق ، وصدع لا يجبر ، فارفق بهم وسامحهم حتى يأتي أمر علي . فأبى ونادى عثمان في الناس وأمرهم بلبس السلاح ، فاجتمعوا إلى المسجد . وأمرهم بالتجهز ، وأمر رجلاً دسه إلى الناس خديعاً كوفياً قيسياً ، فقام فقال : أيها الناس أنا قيس بن العَقْدِيَّةِ الحُمَيْسِي ، إن هؤلاء القوم إن كانوا جاؤوا خائفين فقد أتوا من بلد يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان ، فأطيعوني وردوهم من حيث جاؤوا . فقام الأسود ابن سريع السعدي فقال : أوزعموا أنا قتلة عثمان ؟ إنما أتوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا . فحصبه الناس فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً فكسره ذلك .

فأقبلت عائشةُ فيمن معها حتى انتهوا إلى الميربَدِ فدخلوا من أعلاه ووقفوا حتى خرج عثمانُ فيمن معه وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها ، فاجتمع القوم بالميربَدِ ، فتكلم طلحةُ وهو في ميمنة الميربَدِ وعثمان في ميسرته ، فأنصتوا له ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمانَ وفضله وما استحل منه ودعا إلى الطلب بدمه وحثهم عليه ، وكذلك الزبير . فقال من في ميمنة الميربَدِ : صدقاً وبراً . وقال من في ميسرته : فجراً وغدراً وأمرًا بالباطل ،

1) نَزَف . Mus. Br. et Bodl. ; شريف C. P.

فقد بايعا علياً ثم جاءا يقولان ، وتحاشى¹ الناس وتخاصبوا وأرهبوا .

فتكلمت عائشة ، وكانت جهوربة الصوت ، فحمدت الله وقالت : كان الناس يتجنون على عثمان ويؤرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما نخبروننا عنهم ، فنظر في ذلك فنجده بريئاً تقيماً وفيماً ، ونجدهم فجرة غدرة كذبة ، وهم يحاولون غير ما يُظهرون ، فلما قوا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر ، إلا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان وإقامة كتاب الله . وقرأت : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ﴾² الآية ؛ فافترق أصحاب عثمان فرقتين . فرقة قالت : صدقت وبرت ، وقال الآخرون : كذبتم والله ما نعرف ما جثم به ! فتحاشوا وتخاصبوا . فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر أهل المينة مفارقين لعثمان بن حنيف حتى وقفوا في المربد في موضع الدباغين ، وبقي أصحاب عثمان على حالهم ، ومال بعضهم إلى عائشة وبقي بعضهم مع عثمان .

وأقبل جارية بن قدامة السعدي وقال : يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الحمل الملعون عرضة للسلاح ! إنه قد كان لك من الله سر وحرمة فهتكت سرك وأبجت حرمتك ! إنه من رأى قتالك يرى قتلك ! لئن كنت أتيتنا طائعة فارجمي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتنا مكرمة فاستعيني بالناس .

وخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير فقال : أما أنت يا زبير فحواري رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيدك وأرى أمكما معكما فهل

1) تحاشى .

2) Corani 3, vs. 23.

جئتما بنسائكما ؟ قالا : لا . قال : فما أنا منكم في شيء ؛ واعتزل وقال
في ذلك :

صنم حلائلكم وقُدتم أممكم هذا لعمرك قلة الإنصاف
أمرت بجرّ ذيوها في بيتها فهوت تشقّ البيد بالإيجاف^١
غرضاً يقاتل^٢ دونها أبناؤها بالنبل والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها هذا المخبر عنهم والكافي

وأقبل حكيم بن جبلة العبدي وهو على الخيل ، فأنشب القتال ، وأشرع أصحاب عائشة رماحهم وأمسكوا ليمسك حكيم وأصحابه ، فلم ينته وقتلهم وأصحاب عائشة كافون يدفعون عن أنفسهم وحكيم يدمر خيله ويركبهم بها ، فاقتلوا على فم السكة ، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا إلى مقبرة بني مازن وحجز الليل بينهم ، ورجع عثمان إلى القصر ، وأتى أصحاب عائشة إلى ناحية دار الرزق وباتوا يتأهبون وبات الناس يأتونهم واجتمعوا بساحة دار الرزق . فغاداهم حكيم بن جبلة وهو يسب ويبيده الرمح ، فقال له رجل من عبد القيس : من هذا الذي نسبه ؟ قال : عائشة . قال : يا ابن الحبيثة ألام المؤمنين تقول هذا ؟ فطعنه حكيم فقتله . ثم مرّ بامرأة وهو يسبها أيضاً ، فقالت له : ألام المؤمنين تقول هذا يا ابن الحبيثة ؟ فطعنها فقتلها . ثم سار فاقتلوا بدار الرزق قتالاً شديداً إلى أن زال النهار وكثر القتل في أصحاب عثمان بن حنيف وكثر الجراح في الفريقين . فلما عضت الحرب تنادوا إلى الصلح وتوادعوا ، فكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة يسأل أهلها ، فإن كان طلحة والزبير أكرها خرج عثمان ابن حنيف عن البصرة وأخلاها لهما ، وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير ،

١ الإيجاف .

٢ يقابل .

وكتبوا بينهم كتاباً بذلك . وسار كعب بن سُور إلى أهل المدينة يسألهم . فلما قدمها اجتمع الناس إليه ، وكان يوم الجمعة ، فقام وقال : يا أهل المدينة ، أنا رسول أهل البصرة ، نسألکم هل أكره طلحة والزبير على بيعة عليّ أم أتياها طائعين ؟ فلم يجبه أحد إلاّ أسامة بن زيد فإنه قام وقال : إنهما بايعا وهما مكرهان . فأمر به تمام بن العباس فوائبه سهل بن حنيف والناس وثار صُهيب وأبو أيوب في عدّة من أصحاب النبيّ . صلّى الله عليه وسلّم ، فيهم محمد بن مسّلمة حين خافوا أن يُقتل أسامة فقالوا : اللهم نعم . فتركوه ، وأخذ صُهيب أسامة بيده إلى منزله وقال له : أما وسعك ما وسعنا من السكوت ؟ قال : ما كنت أظن أن الأمر كما أرى . فرجع كعب وبلغ عليّاً الخبر ، فكتب إلى عثمان يعجزه وقال : والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل ، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا .

فقدم الكتابُ على عثمان . وقدم كعب بن سُور ، فأرسلوا إلى عثمان ليخرج . فاحتجّ بالكتاب وقال : هذا أمر آخر غير ما كنّا فيه . فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح ومطر ثمّ قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء . وكانوا يؤخرونها ، فأبطأ عثمان . فقدّمَا عبد الرحمن بن عتاب . فشهّر الزرطّ والسّياجة¹ السلاح ثمّ وضعوه فيهم ، فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد فقتلوا . وهم أربعون رجلاً ، فأدخلا الرجال على عثمان فأخرجوه إليهما . فلما وصل إليهما [توطّؤوه] وما بقيت¹ في وجهه شعرة ، فاستعظما ذلك وأرسلوا إلى عائشة يعلمانها الخبر ، فأرسلت إليهما أن خلتوا سبيله .

وقيل : لما أخذ عثمان أرسلوا إلى عائشة يستشيرونها في أمره ، فقالت :

1) السبايه C. P.

اقتلوه . فقالت لها امرأة : نشدتك الله في عثمان وصحبته لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! فقالت لهم : احبسوه . فقال لهم مجاشع بن مسعود : اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه . فضربوه أربعين سوطاً وانتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه ثم أطلقوه وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق .

وقد قيل في إخراج عثمان غير ما تقدم ، وذلك أن عائشة وطلحة والزبير لما قدموا البصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان : من عائشة أم المؤمنين حبيبة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان . أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا ، فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي . فكتب إليها : أما بعد فأنا ابنك الخالص ، لئن اعتزلت ورجعت إلى بيتك وإلا فأنا أول من نابذك .

وقال زيد : رحم الله أم المؤمنين ! أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل ، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت بما أمرنا به ونهتنا عنه .

وكان على البصرة عند قدومها عثمان بن حنيف فقال لهم : ما نعمتم على صاحبكم ؟ فقالوا : لم نره أولى بها منا وقد صنع ما صنع . قال : فإن الرجل أمرني فأكتب إليه فأعلمه ما جثم به علي أن أصلي أنا بالناس حتى يأتينا كتابه . فوقفوا عنه ، فكتب فلم يلبث إلا يومين أو ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به وأرادوا قتله ثم خشوا غضب الأنصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه . وقام طلحة والزبير خطيبين فقالا : يا أهل البصرة توبة لحوبة ، إنما أردنا أن نستعذب أمير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه ! فقال الناس لطلحة : يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا .

1) نستحيته .

فقال الزبير : هل جاءكم مني كتاب في شأنه ؟ ثم ذكر قتل عثمان وأظهر عيب عليّ ، فقام إليه رجل من عبد القيس فقال : أيها الرجل أنصت حتى نتكلم . فأنصت . فقال العبدي : يا معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم ، فلما توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بايعتم رجلاً منكم¹ فرضينا وسلمنا ولم تستأمرونا في شيء من ذلك ، فجعل الله للمسلمين في إمارته بركة ، ثم مات واستخلف عليكم رجلاً فلم تشاورونا في ذلك فرضينا وسلمنا ، فلما توفي جعل أمركم إلى ستة نفر فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورتنا ، ثم أنكرتم منه شيئاً فقتلتموه عن غير مشورة منا ، ثم بايعتم علياً عن غير مشورة منا ، فما الذي نقيم عليه فنقاتله ؟ هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحق أو أتى شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه ، وإلا فما هذا ؟ فهموا بقتل ذلك الرجل ، فمنعته عشيرته ، فلما كان الغد وثبوا عليه² وعلى من معه فقتلوا منهم سبعين . وبقي طلحة والزبير بعد أخذ عثمان بالبصرة ومعهما بيت المال والحرس والناس ، ومن لم يكن معهما استتر .

وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال : لست أخاف الله إن لم أنصره ! فجاء في جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة وتوجه نحو دار الرزق ، وبها طعام أراد عبد الله بن الزبير أن يرزقه أصحابه ، فقال له عبد الله : ما لك يا حكيم ؟ قال : نريد أن نرتزق من هذا الطعام وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم عليّ ، وإيم الله لو أجد أعواناً عليكم ما رضيتُ بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم ، ولقد أصبحتم وإن دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم ، أما تخافون الله ؟ بم تستحلون الدم الحرام ؟ قال : بدم عثمان . قال : فالذين قتلتم هم قتلوا عثمان ، أما تخافون مقت الله ؟ فقال له عبد الله : لا نرزقكم

1) C. P. add. فرضيت .

2) C. P. et R. على عثمان .

من هذا الطعام ولا نخلي سبيل عثمان حتى تخلع علياً . فقال حكيم : اللهم إنك حكم عدل فاشهد . وقال لأصحابه : لست في شك من قتال هؤلاء القوم . فمن كان في شك فليصرف . وتقدم فقاتلهم . فقال طلحة¹ والزبير : الحمد لله الذي جمع لنا ثارنا من أهل البصرة ، اللهم لا تبقى منهم أحداً ! فاقتلوا قتالاً شديداً ، ومع حكيم أربعة قواد ، فكان حكيم بجبال طلحة ، وذريح بجبال الزبير ، وابن المحترش بجبال عبد الرحمن بن عتاب ، وحر قوص بن زهير بجبال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلثمائة ، وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول :

أضربهم باليابسِ ضربَ غلامِ عابسِ
 من الحياةِ آيسِ في الغرُفاتِ نافيسِ

فضرب رجله فقطعها ، فحبا حتى² أخذها فرمى بها صاحبه فصرعه وأتاه فقتله ثم انكأ عليه وقال :

يا سافي لن تُراعي إن معي ذراعي
 أحمي بها كُراعي

وقال أيضاً :

ليسَ عليّ أن أموتَ عارُ والعارُ في الناسِ هو الفِرارُ
 والمجدُ لا يفضحُه الدمارُ

فأتى عليه رجل وهو رثب³ ، رأسه على آخر ، فقال : مالك يا حكيم ؟ قال : قُتلتُ . قال : من قتلك ؟ قال : وِسادي . فاحتمله وضمه في سبعين من

1) Om. R.

2) C. P. فاحتى .

3) R. ترتب .

أصحابه ، وتكلم يومئذ حكيم وإنه لقائم على رجل واحدة ، وإن السيوف لتأخذهم وما يتتبع ويقول : إنا خلفنا هذين ، وقد بايعا علياً وأعطياه الطاعة ثم أقبلا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان ، ففرقنا بيننا ونحن أهل دار وجوار ، اللهم إنهما لم يريدا عثمان ! فناداه مناد : يا خبيث ! جزعت حين عضك نكال الله إلى كلام من نصبك وأصحابك بما ركبت من الإمام المظلوم وفرقتم [من] الجماعة وأصبت من الدماء ، فذُق وبال الله وانتقامه . وقتلوا وقتل معهم ، قتله يزيد بن الأسحم الحُداني ، فوجد حكيم قتيلاً بين يزيد وأخيه كعب .

وقيل : قتله رجل يقال له ضُخيم وقتل معه ابنه الأشرف وأخوه الرُّعل بن جبلة . ولما قُتل حكيم أرادوا قتل عثمان بن حنيف فقال لهم : أما إن سهلاً بالمدينة فإن قتلتموني انتصر ، فخلتوا سبيله ، فقصد علياً . وقتل ذريح ومن معه ، وأفلت حرقوص بن زهير في نفر من أصحابه ، فلجأوا إلى قومهم ، فنادى منادي طلحة والزبير : من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم ، فجيء بهم فقتلوا ولم ينج منهم إلا حرقوص بن زهير ، فإن عشيرته بني سعد منعه ، وكان منهم ، فنالهم من ذلك أمر شديد ، وضربوا فيه أجلاً وخشوا صدور بني سعد . وكانوا عثمانية ، فاعتزلوا ، وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قُتل منهم بعد الواقعة ومن كان هرب إليهم إلى ما هم عليه من لزوم الطاعة لعلي ، فأمر طلحة والزبير للناس بأعطياتهم وأرزاقهم وفضلاً أهل السمع والطاعة ، فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين منعهم الفضول فبادروهم إلى بيت المال وأكب عليهم الناس فأصابوا منهم وخرجوا حتى نزلوا على طريق علي . وأقام طلحة والزبير وليس معهما ثأر إلا حرقوص بن زهير ، وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه ، وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة بما كان منهم

وتأمرهم أن يشبطوا الناس عن عليّ ونحّتهم على طلب قتلة عثمان ، وكتبت إلى أهل البصرة وإلى أهل المدينة بما كان منهم أيضاً ، وسيّرت الكتب .

وكانت هذه الواقعة لحمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

وبايع أهل البصرة طلحة والزبير ، فلما بايعوهما قال الزبير : ألا ألف فارس

أسير بهم إلى عليّ أقتله بيّناً أو صباحاً قبل أن يصل إلينا ! فلم يجبه أحد ، فقال :

إن هذه للفتنة التي كنّا نُحدّث عنها . فقال له مولاه : أتسميها فتنة وتقاتل فيها ؟

قال : ويلك ! إنا نُبصّر¹ ولا نُبصِر¹ . ما كان أمر قطّ إلا وأنا أعلم موضع

قدمي فيه غير هذا الأمر فإنّي لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر ! وقال علقمة بن

وقاص الليثي : لما خرج طلحة والزبير وعائشة رأيتُ طلحة وأحبّ المجالس

إليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على صدره ، فقلت : يا أبا محمد أرى أحب

المجالس إليك أخلاها وأنت ضارب بلحيتك على صدرك ، إن كرهت شيئاً

فاجلس . قال : فقال لي : يا علقمة بينا نحن يد واحدة على من سوانا إذ صرنا

جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً ، إنّه كان مميّ في عثمان شيء ليس توبتي

إلا أن يُسفك دمي في طلب دمه . قال : فقلت : فرد ابنك محمداً فإن لك ضيعة

وعيالاً ، فإن يكُ شيء يخلفك . قال : فامنع . قال : فأتيت محمداً ابنه فقلت له :

لو أقمت فإن حدث به حدث كنت تخلفه في عياله وضيعته . قال : ما أحب أن

أسأل عنه الرُّكبان .

(يعلى بن مُنية بضم الميم ، وسكون النون ، والياء المعجمة باثنتين من تحتها .

وهي أمه ، واسم أبيه أميّة . عبد الله بن خالد بن أسيد بفتح همزة أسيد . جارية

ابن قدامة بالجيم . حكيم بن جبلة بضم الحاء ، وفتح الكاف ، وقيل بفتح

الحاء ، وكسر الكاف . وصوحان بضم الصاد ، وآخره نون) .

1) C. F. نصبر .

ذكر مسير عليّ إلى البصرة والوقعة

قد ذكرنا فيما تقدّم تجهز عليّ إلى الشام ، فبينما هو على ذلك أتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عزموا عليه ، فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلّا بما صلح [به] أوّله ، فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم . فتثاقلوا ، فلما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس انتدب إلى عليّ وقال له : من تثاقل عنك فإننا نخف معك فنقاتل دونك . وقام رجلان صالحان من أعلام الأنصار ، أحدهما أبو الهيثم ابن التّيهان ، وهو بدري ، والثاني خزيمة بن ثابت ، قيل : [هو ذو الشهادتين] ، وقال الحكم : ليس بذي الشهادتين¹ ، مات ذو الشهادتين أيام عثمان ، فأجابته إلى نصرته .

قال الشعبي : ما نهض في تلك الفتنة إلّا ستة نفر بدريون ما لهم سبع . وقال سعيد بن زيد : ما اجتمع أربعة من أصحاب النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، خير يعملونه إلّا وعليّ أحدهم ، قيل : وقال أبو قتادة الأنصاري لعليّ : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قلّدني هذا السيف وقد أغمدته زماناً وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين [لا] بالون¹ الأمة غشاً ، وقد أحببت أن تقدّمني فقدمني . وقالت أم سَلِمة : يا أمير المؤمنين لولا أن أعصى الله وأنتك لا تقبله مني لخرجت معك ، وهذا ابن عمّي ، وهو والله أعز عليّ من نفسي ، يخرج معك ويشهد مشاهدك . فخرج معه وهو لم² يزل معه ، واستعمله

1) C. P. add. لأنه .

2) S. وهو , sequenti spatio , lacunam minorem significante , et tum habet.

علي على البحرين ثم عزله واستعمل النعمان بن عجلان الزُرقي . فلما أراد علي
المسير إلى البصرة وكان يرجو أن يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل وصولهما
إلى البصرة أو يوقع بهما ، فلما سار استخلف على المدينة تمام بن العباس ، وعلى
مكة قُشَم بن العباس ، وقيل : أمر علي المدينة سهل بن حنيف ، وسار علي من
المدينة في تعبته التي تعبها لأهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ،
فقال أخت علي بن عدي من بني عبد شمس :

لاهُم فاعقِرْ بعليّ جملته ولا تُبارك في بعيرِ حملته
ألاّ عليّ بنُ عديّ ليس له

وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين¹ متخفّفين في تسعمائة ، وهو
يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج أو يأخذهم ، فلقبه عبد الله بن
سلام فأخذ بعنانه وقال : يا أمير المؤمنين لا تخرج منها ، فوالله إن خرجت منها
لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ! فسبّوه . فقال : دعوا الرجل من أصحاب
محمد ، صلى الله عليه وسلم .

وسار حتى انتهى إلى الرّبذة ، فلما انتهى إليها أتاه خبر سبقهم ، فأقام بها
بأمر ما يفعل ، وأتاه ابنه الحسن في الطريق فقال له : لقد أمرتك فعصيتني فتقتل
غداً بمضيعة¹ لا ناصر لك . فقال له عليّ : إنك لا تزال تحنّ خنين الجارية ،
وما الذي أمرني فعصيتك ؟ قال : أمرتك يوم أحبط بعثمان أن تخرج من المدينة
فيقتل ولست بها ، ثمّ أمرتك يوم قُتل أن لا تباع حتى تأتيك وفود العرب
وبيعة أهل كلّ مصر فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك ، فأبيت عليّ ، وأمرتك حين

1) R. et C. P. المصريين .

خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فإن كان الفساد كان على يد غيرك ، فعصيتني في ذلك كله .

فقال : أي بني ! أما قولك : لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به ، وأما قولك : لا تباع حتى يباع أهل الأمصار ، فإن الأمر أمر أهل المدينة ، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر ، ولقد مات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني ، فباع الناس أبا بكر الصديق فبايعته ، ثم إن أبا بكر . انتقل إلى رحمة الله¹ وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني ، فباع الناس عمر فبايعته ، ثم إن عمر . انتقل إلى رحمة الله¹ وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر مني فجعلي سهماً من ستة أسهم ، فباع الناس عثمان فبايعته ، ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين ، فأنا مقاتل من خالفي بمن أطاعني حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين² . وأما قولك أن أجلس في بيتي حين يخرج طلحة والزبير ، فكيف لي بما قد لزمني أو من تريدني ؟ أتريدني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست ههنا حتى يحل عرقوباها حتى تخرج ! وإذا لم أنظر فيما يلزمي من هذا الأمر ويعينني فمن ينظر فيه ؟ فكفّ عنك يا بني .

ولما قدم عليّ الرّبذة وسمع بها خبر القوم أرسل منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر وكتب إليهم : إنني اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً وانهضوا إلينا ، فالإصلاح يريد لتعود هذه الأمة إخواناً . فمضيا وبقي عليّ بالرّبذة ، وأرسل إلى المدينة فأتاه ما يريد من دابة وسلاح وأمير أمره وقام في الناس فخطبهم وقال : إن الله تبارك وتعالى أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلّة وتباغض وتباعد ،

1) S. ملك .

2) Verba inde a وكرهنا in C. P. inducta sunt , quia , ut in

marginè dicitur , ea in nullo alio exstant codice.

فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان ليتزغ بين . هذه الأمة ! ألا إن هذه الأمة لا بدّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلها ، فنعوذ بالله من شرّ ما هو كائن ؛ . ثمّ عاد ثانية وقال : إنّه لا بدّ ممّا هو كائن² أن يكون ، ألا وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تتحلني ولا تعمل بعلمي . وقد أدركتم ورأيتم¹ ، فالزموا دينكم واهدوا بهديي فإنه هدي نبيكم واتبعوا سنته وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً ومحمداً نبياً وبالقرآن حكماً وإماماً :

فلما أراد المسير من الرّبذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال : يا أمير المؤمنين أيّ شيء تريد وأين تذهب بنا ؟ فقال : أمّا الذي تريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه . قال : فإن لم يجيبونا إليه ؟ قال : ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر . قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا . قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم . قال : فنعم إذا . وقام الحجاج بن غزية³ الأنصاري فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول ؛ وقال :

دَرَاكِهَا دَرَاكِهَا قَبْلَ الصَّوْتِ . فَانْفِرْ بِنَا وَاسْمُ بِنَا نَحْوَ الصَّوْتِ
لَا وَأَلْتَهُ نَفْسِي إِنْ كَرِهْتُ الْمَوْتَ

والله لنصرنّ الله كما سمّانا أنصاراً ! ثمّ أتاه جماعة من طيء وهو بالرّبذة،

1) C. P. الناس .

2) Om. C. P.

3) R. عونة .

4) R. راكب ; Br. Mus. رالت .

1 أدركتم ورأيتم .

فقبل لعلّي : هذه جماعة قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك . قال : جزى الله كليهما¹ خيراً وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً . فلما دخلوا عليه قال لهم : ما شهدتمونا به ؟ قالوا : شهدناك بكل ما تحب . فقال : جزاكم الله خيراً فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتهم بصدقاتكم المسلمين . فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال : يا أمير المؤمنين إن من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه ، وإنني والله ما أجد لساني يعبر عما في قلبي ، وسأجهد وبالله التوفيق ، أما أنا فسأنصح لك في السر والعلانية ، وأقاتل عدوك في كل موطن ، وأرى من الحق لك ما لا أراه لأحد غيرك² من أهل رمانك لفضلك وقرابتك . فقال : رحمك الله ! قد أدّى لسانك عما يُجن ضميرك . فقتل معه بصيفين .

وسار عليّ من الرّبذة وعلى مقدمته أبو ليلي بن عمر بن الجراح ، والراية مع محمد بن الحنفية ، وعليّ على ناقة حمراء بقود فرساً كيناً .

فلما نزل بفيء أته أسد وطيء فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : الزموا قراركم ، في المهاجرين كفاية . وأتاه رجل بفيء من الكوفة ، فقال له : من الرجل ؟ قال : عامر بن مطر الشيباني . قال : أخبر عما وراءك . فأخبره ، فسأله عن أبي موسى ، فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه . فقال عليّ : والله ما أريد إلا الصلح حتى يرد علينا .

ولما نزل عليّ الثعلبية أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه فأخبر

1) S. كلا .

2) Om. S.

أصحابه الخبر فقال : اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير . فلما انتهى إلى الإسناد أتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقتلة عثمان فقال : الله أكبر ! ما ينجي من طلحة والزبير إن أصابا ثأرهما ! وقال :

دعا حكيم دعوة الزماع حل بها منزلة النزاع

فلما انتهى إلى ذي قار أتاه فيها عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعرة ، وقيل : أتاه بالربذة ، وكانوا قد نتفوا شعر رأسه ولحيته ، على ما ذكرناه ، فقال : يا أمير المؤمنين بعثني ذا لحية وقد جئتك أمرد . فقال : أصبت أجراً وخيراً ، إن الناس وليهم قبلي رجلان فعلا بالكتاب والسنة¹ ، ثم وليهم ثالث فقالوا وفعلوا ، ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير ، ثم نكثا بيعتي وألبا الناس علي ، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وعثمان² وخلافهما علي ، والله إنهما ليعلمان أنني لست بدون رجل ممن تقدم³ ، اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما أحكما في أنفسهما وأرهما المساءة فيما قد عملا ! وأقام بذي قار ينتظر محمداً ومحمداً ، فأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس ، فقال : عبد القيس خير ربيعة وفي كل ربيعة خير ، وقال :

يا لهف نفسي على ربيعه ربيعة السامعة المطيعة

قد سبقتني فيهم الوقيعة دعا علي دعوة سميعه

حلوا بها المنزلة الرفيعة

وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لها ما قال لطيء وأسد . وأما محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فأتيا أبا موسى بكتاب علي وقاما في الناس بأمره ، فله يجابا إلى شيء . فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجى على أبي موسى

1) Om. S.

2) Om. R. et S.

3) C. P. يقدمي .

4) R. الحجاز .

فقالوا : ما ترى في الخروج ؟ فقال : كان الرأي بالأمس ليس اليوم ، إن الذي تهاونتم [به] فيما مضى هو الذي جرّ عليكم ما ترون ، إنما هما أمران : القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا ، فاختراروا . فلم ينفر إليه أحد ، فغضب محمد ومحمد وأغلظا لأبي موسى . فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بدّ من قتال لا نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتل عثمان حيث كانوا .

فانطلقا إلى عليّ فأخبراه الخبر وهو بذى قار ، فقال للأشتر ، وكان معه : أنت صاحبنا في أبي موسى والمعرض في كلّ شيء ، اذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت . فخرجا فهدما الكوفة فكلّما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهل الكوفة ، فقام لهم أبو موسى وخطبهم وقال : أيها الناس إن أصحاب النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، الذين صحبوه أعلم بالله وبرسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا لحقاً ، وأنا مؤدّ إليكم نصيحة ، كان الرأي أن لا تستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترثوا على الله وأن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الإمامة ، وهذه فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من الساعي ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فأغمدوا السيوف وانصلوا الأسنة واقطعوا الأوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة .

فرجع ابن عباس والأشتر إلى عليّ فأخبراه الخبر ، فأرسل ابنه الحسن وعمّار ابن ياسر ، وقال لعمّار : انطلق فأصلح ما أفسدت . فأقبلا حتى دخلا المسجد ،

1) وأوفوا R.

وكان أول من أتاها المسروق بن الأجدع فسلم عليهما ، وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان ؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب أبنائنا . قال : فوالله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين . فخرج أبو موسى فلقى الحسن فضمه إليه وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا فأحلت نفسك مع الفُجَّار ؟ فقال : لم أفعل ولم يسؤني . فقطع الحسن عليهما الكلام وأقبل على أبي موسى فقال له : لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء . فقال : صدقت يا بأبي أنت وأمي ، ولكن المستشار مؤتمن : سمعتُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب . وقد جعلنا الله إخواناً وقد حرّم علينا دماءنا وأموالنا . فغضب عمار وسبّه وقام وقال : يا أيها الناس إنما قال له وحده : أنت فيها قاعداً خير منك قائماً . فقام رجل من بني تميم فسبّ عماراً وقال : أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا ! وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس . ووقف زيد على باب المسجد ومعه كتاب إليه من عائشة تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها . وكتاب إلى أهل الكوفة بمعناه . فأخرجهما فقرأهما على الناس ، فلما فرغ منهما قال : أمرت أن تقرّ في بيتها وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به . فقال له شيب بن ربعي : يا عُمانيُّ - لأنه من عبد القيس وهم يسكنون عُمان - سرقت بجلولاء فقُطعت يدك وعصيت أم المؤمنين ! وتهاوى الناس .

وقام أبو موسى وقال : أيها الناس أطيعوني وكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي إليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف ، إن الفتنة إذا أقبلت شبّهت

1) R. شيب .

فلذا أدبرت بيئت¹ ، وإن هذه الفتنة فاقرة كداء البطن تجري بها الشمال والجنوب والصبأ والدبور تذر الحليم وهو حيران كابن أمس ، شيموا سيوفكم وقصدوا رماحكم وقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم ، خلوا قريشاً إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل علم بالأمراء ، استنصحوني ولا تستغشوني ، أطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بخرّ هذه الفتنة من جناها .

فقام زيد فسال يده المقطوعة فقال : يا عبد الله بن قيس ردّ الفرات على أدراجه ، اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد ، فدع عنك ما لست مدركه ! سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين ، انفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق .

فقام القعقاع بن عمرو فقال : إنني لكم ناصح وعليكم شفيق ، أحبّ لكم أن ترشدوا ولأقولن لكم قولاً هو الحق ، أما ما قال الأمير فهو الحق² لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا الأمر فلا تستنصحوه ، والقول الذي هو الحق أنه لا بدّ من إمارة تنظّم الناس وتزع² الظالم وتعزّ المظلوم ، وهذا أمير المؤمنين وليّ بما وليّ وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .

وقال عبد الخير الخيراني : يا أبا موسى هل بايع طلحة والزبير ؟ قال : نعم . قال : هل أحدث عليّ ما يحلّ به نقض بيعته ؟ قال : لا أدري . قال : لا دريت ، نحن نتركك حتى تدري ، هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة ؟ إنما الناس أربع فرق : عليّ بظهر الكوفة ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ،

1) R. سمت .

2) Om. C. P.

١ وهو .

٢ وتزع .

وفرقه بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها عدو . فقال أبو موسى : أولئك خير الناس ، وهي فتنة . فقال عبد الحير : غلب عليك غشك يا أبا موسى ! فقال سيحان ابن صوحان : أيتها الناس لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ يدفع الظالم ويعزّ المظلوم ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه ، وهو المأمون على الأمة الفقيه في الدين ، فمن نهض إليه فإننا سائرون معه . فلما فرغ سيحان قال عمّار : هذا ابن عم رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، يستنفركم إلى زوجة رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وإلى طلحة والزبير ، وإنّي أشهد أنّها زوجته في الدنيا والآخرة ، فانظروا ثمّ انظروا في الحقّ فقاتلوا معه . فقال له رجل : أنا مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له . فقال له الحسن : اكفف عنا فإن للإصلاح أهلاً . وقام الحسن بن عليّ فقال : أيتها الناس أجيئوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم فإنّه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لأنّ^٢ يليه أولو النهي أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة^٣ ، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإنّي أذكر الله رجلاً رعى حقّ الله إلا نفر ، فإن كنت مظلوماً أعاني وإن كنت ظالماً أخذ مني ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني وأول من غدر ، فهل استأثرتُ بما أو بدلت حكماً ؟ فانفروا فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر . فسامح^١ الناس وأجابوا ورضوا . وأتى قوم من طيء عدي بن حاتم فقالوا : ماذا ترى وما تأمر ؟ فقال : قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا إلى جميل وإلى هذا الحدث العظيم لتنظر فيه ، ونحن سائرون وناظرون .

1) فتسامح . R .

١ إلى هذا .

٢ لتن .

٣ العاقبة .

فقام هند بن عمرو فقال : إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رسله حتى جاءنا ابنه ، فاسمعوا إلى قوله وانتهوا إلى أمره وانفروا إلى أميركم فانظروا معه في هذا الأمر وأعينوه برأيكم .

وقام حجر بن عدي فقال : أيها الناس أجيئوا أمير المؤمنين وانفروا خفاً وثقالاً ، مروا وأنا أولكم . فأذعن الناس للمسير ، فقال الحسن : أيها الناس إنني غادٍ فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ومن شاء في الماء . فنفر معه قريب [من] تسعة آلاف ، أخذ في البر ستة آلاف ومائتان ، وأخذ في الماء ألفان وأربعمائة .

وقيل : إن علياً أرسل الأشتر بعد ابنه الحسن وعمار إلى الكوفة ، فدخلها والناس في المسجد وأبو موسى يخطبهم ويثبطهم والحسن وعمار معه في منازعة ، وكذلك سائر الناس ، كما تقدم ، فجعل الأشتر لا يمر بقبيلة فيها جماعة إلا دعاهم ، ويقول : اتبعوني إلى القصر ، فانتهي إلى القصر في جماعة الناس ، فدخله وأبو موسى في المسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن يقول له : اعتزل عملنا لا أم لك ! وتتح عن منبرنا ! وعمار ينازعه ، فأخرج الأشتر غلمان أبي موسى من القصر ، فخرجوا يعدون وينادون : يا أبا موسى هذا الأشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا . فنزل أبو موسى فدخل القصر فصاح به الأشتر : اخرج لا أم لك أخرج الله نفسك ! فقال : أجلني هذه العشية . فقال : هي لك ولا تبين في القصر الليلة . ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسى ، فمنعهم الأشتر وقال : أنا له جار . فكفوا عنه . فنفر الناس في العدد المذكور :

وقيل : إن عدد من سار من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل . قال أبو الطفيل : سمعتُ علياً يقول ذلك قبل وصولهم ، فقعدت فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً . وكان على كنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة معقل

1) Om. R.

ابن يسار الرياحي ، وكان على سُبُع قيس¹ سعد بن مسعود الثقفي عم المختار ، وعلى بكر وتغلب وعلة بن محدوج² الذهلي ، وكان على مذحج والأشعرين حجر ابن عدي ، وعلى بجيلة وأنمار وخنعم والأزد مخنف بن سُلَيْم الأزدي ، فقدموا على أمير المؤمنين بذي قار ، فلقبهم في ناس معه فيهم ابن عباس فرحب بهم وقال : يا أهل الكوفة أنتم قاتلتم³ ملوك العجم وفضضتم جمعهم حتى صارت إليكم موارثهم فمنعتم⁴ حوزتكم وأعنتم³ الناس على عدوهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك الذي نريد ، وإن يلجئوا⁴ داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بظلم ، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله . واجتمعوا عنده بذي قار وعبد القيس بأسرها في الطريق بين عليّ [وأهل] البصرة ينتظرونه وهم ألوف .

وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين : القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند ابن عمرو والهيثم بن شهاب ، وكان رؤساء النُقَّار⁵ : زيد بن صُوحان والأشتر وعدي بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس ، وأمثال لهم ليسوا دونهم ، إلا أنهم لم يؤمروا ، منهم حجر بن عدي . فلما نزلوا بذي قار دعا عليّ القعقاع فأرسله إلى أهل البصرة وقال : الق هذين الرجلين ، وكان القعقاع من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فادعُهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة ، وقال له : كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس عندك فيه وصاة⁶ [مني] ؟ قال : نلقاهم بالذي أمرت به . فإذا جاء منهم ما ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا رأينا

1) R. اتبع .

2) R. مجنوع .

3) C. P. فأنعيم .

4) R. يلحقوا ، C. P. يلحقوا .

5) R. النقادة .

6) R. نضاة .

١ وليتم .

٢ فأنعيم .

وكلّمناهم كما نسمع ونرى أنّه ينبغي . قال : أنت لما . فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة فسلم عليها وقال : أي أمّه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أي بني الإصلاح بين الناس . قال : فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما . فبعثت إليهما ، فجاءا ، فقال لهما : إنني سألتُ أمّ المؤمنين ما أقدمها . فقالت : الإصلاح بين الناس ، فما تقولان أنتما ، أمتابعان أم مخالفتان ؟ قالا : متابعان . قال : فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولن أنكرناه لا نصلح . قالا : قتلة عثمان ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن . قال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف ، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون ، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديبوا عليكم فالذي حذرتم وقويتم به هذا الأمر أعظم ممّا أراكم تكرهون ، وإن أنتم منعم مضر وربيعه من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير .

قالت عائشة : فماذا تقول أنت ؟ قال : أقول : إن هذا الأمر دواؤه التسكين ، فإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامته شر وذهاب هذا المال ، فأثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ، ولا تعرّضونا للبلاء فتعرّضوا له فيصرعنا وإياكم . وإيم الله إنني لأقول هذا القول وأدعوكم إليه ! وإنني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قلّ متاعها ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس

١ يصلح .

يُقَدَّر ، وليس كقتل الرجلِ الرجلَ ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل . قالوا :
 قد أصبتَ وأحسنتَ فارجع ، فإن قدم عليّ وهو عليّ مثل رأيتك صلح هذا الأمر .
 فرجع إلى عليّ فأخبره فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من
 كرهه ورضيه من رضيه . وأقبلت وفود العرب من أهل البصرة نحو عليّ بندي قار
 قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة وعلى أي حال نهضوا
 إليهم وليعلموهم أن الذي عليه رأيهم الإصلاح ولا يخطر لهم قتالهم على بال .
 فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقاتلهم وأدخلوهم
 على عليّ فأخبروه بخبرهم ، وسأل عليّ جرير بن شرس¹ عن طلحة والزبير فأخبره
 بدقيق أمرهما وجليله وقال له : أمّا الزبير فيقول : بايعنا كرهاً ، وأمّا طلحة
 فيتمثل¹ الأشعار ويقول :

ألا أبلغ بني بكرٍ رسولاً فليس إلى بني كعبٍ سبيلُ
 سيرجع ظلمتكم منكم عليكم طويلُ الساعدينِ له فضولُ

فتمثل عليّ عندها :

ألم تعلم أبا سمعانَ أننا نردّ الشيخَ مثلكَ ذا الصداعِ
 ويذهل عقله بالحربِ حتى يقومَ فيستجيبَ لغيرِ داعِ
 فدافعَ عن خزاعة جمعُ بكرٍ وما بك يا سُرّاقه من دفاعِ

ورجعت وفود أهل البصرة برأي أهل الكوفة ، ورجع القعقاع من البصرة ،
 فقام عليّ خطيباً فحمد الله وذكر الجاهلية وشقاءها والإسلام والسعادة وإنعام الله

1) C. P. سوس .

على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثمّ الذي يليه ثمّ الذي يليه ، ثمّ حدث هذا الحدث الذي جرّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا وحسدوا من أفاءها الله عليه وعلى الفضيلة وأرادوا ردّ الإسلام والأشياء على أديبارها ، والله بالغ أمره . ألا وإنّي راحل غداً فارتحلوا ، ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس ، وليغن السفهاء عني أنفسهم . فاجتمع نفر ، منهم : علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسي وشريح بن أوفى والأشتر في عدة ممّن سار إلى عثمان ورضي بسير من سار ، وجاء معهم المضربون وابن السوداء وخالد بن ملجم فتشاوروا فقالوا : ما الرأي ؟ وهذا عليّ وهو والله أبصر بكتاب الله ممّن يطلب قتلة عثمان وأقرب إلى العمل بذلك ، وهو يقول ما يقول ولم ينفر إليه سواهم والقليل من غيرهم ، فكيف به إذا شامّ القوم وشامّوه ورأوا قلتنا في كثرتهم ، وأنتم والله ترادون وما أنتم بالحي من شيء !

فقال الأشتر : قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا ، وأما عليّ فلم نعرف رأيه إلى اليوم ، ورأي الناس فينا واحد ، فإن بصطلحوا مع عليّ فعلى دماننا ، فهلمّوا بنا نثب على عليّ فنلحقه ! بعثمان فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون . فقال عبد الله بن السوداء : بشس الرأي رأيت ، أنتم يا قتلة عثمان بذي قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة ، وهذا ابن الحنظلية ، يعني طلحة ، وأصحابه في نحو من خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلاً . فقال علباء ابن الهيثم : انصرفوا بنا عنهم ودعوهم ، فإن قتلوا كان أقوى لعدوهم عليهم ، وإن كثروا كان أحرى أن بصطلحوا عليكم ، دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تقوون به وامتنعوا من الناس . فقال ابن السوداء : بشس ما رأيت ، ودّ والله الناس أنكم انفردم ولم تكونوا مع أقوام برآء ، ولو انفردم

1) وطلحة ونلحقهما C. P.

لتخطفكم الناس¹ كل شيء . فقال عدي بن حاتم : والله ما رضيت ولا كرهت ، ولقد عجبت من تردد من² تردد عن قتله في خوض الحديث ، فأما إذا وقع ما وقع ونزل من الناس³ بهذه المنزلة فإن لنا عتاداً³ من خيول وسلاح ، فإن أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أمسكنا . فقال ابن السوداء : أحسنت . وقال سالم ابن ثعلبة : من كان أراد بما أتى الدنيا فإنني لم أرد ذلك ، والله لئن لقيتهم غداً لا أرجع إلى شيء ، وأحلف بالله إنكم لتفرقن⁴ السيف فترق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى السيف . فقال ابن السوداء : قد قال قولاً . وقال شريح بن أوفى : أبرموا أموركم قبل أن تُخرجوا ، ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم تعجيله⁴ ، ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم تأخيره ، فإننا عند الناس بشر المنازل وما أدري ما الناس صانعون إذا ما هم التقوا . وقال ابن السوداء : يا قوم إن عزكم في خلطة الناس ، فإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر⁵ ، فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله عيماً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون . فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون .

وأصبح عليّ على ظهر ومضى ، ومضى معه الناس حتى نزل على عبد القيس فانضموا إليه ، وسار من هناك فنزل الزاوية . وسار من الزاوية يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة ، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد . فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مرحوم العبدي أن اخرج فإذا خرجت⁶ فمل بنا إلى عسكر عليّ . فخرجوا في عبد القيس وبكر بن وائل فعدلوا إلى عسكر عليّ ، فقال الناس : من كان هؤلاء منه غلب . وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال ، فكان يرسل عليّ إليهم يكلمهم ويدعوهم ، وكان نزولهم في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، ونزل بهم عليّ وقد

1) Om. S.

2) R. السماء .

3) R. عاراً .

4) C. P. تقدمه

5) R. نودهم النصر .

6) C. P. خرج الناس .

سبني أصحابه وهم يتلاحقون به . فلما نزل قال أبو الجرباء للزبير : إن الرأي أن تبعث ألف فارس إلى عليّ قبل أن يوافي إليه أصحابه . فقال : إننا لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم ، من لم يلق الله فيه بعدر انقطع عذره يوم القيامة ، وقد فارقنا وفدهم على أمر وأنا أرجو أن يتمّ لنا الصلح فأبشروا واصبروا . وأقبل صبرة بن شيمان فقال لطلحة والزبير : انتهزنا بنا هذا الرجل فإن الرأي في الحرب خير من الشدة . فقالا : إن هذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن أو يكون فيه سنة من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد زعم قوم أنه لا يجوز تحريكه ، وهم عليّ ومن معه ، وقلنا نحن : إنه لا ينبغي لنا أن نتركه ولا نؤخره ، وقد قال عليّ : ترك هؤلاء القوم شرّ وهو خير من شرّ منه ، وقد كان يتبين لنا ، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بأعمّها منفعة . وقال كعب بن سور : يا قوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم ، فأجابوه بنحو ما تقدّم . وقام عليّ فخطب الناس . فقام إليه الأعور بن بنان¹ المنقري فسأله عن إقدامهم على أهل البصرة ، فقال له عليّ : على الإصلاح وإطفاء النائرة¹ لعلّ الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم . قال : فإن لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا . قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا . قال : فهل لهم من هذا مثل الذي عليهم ؟ قال : نعم .

وقام إليه أبو سلامة² الدألاني فقال : أتري لهؤلاء القوم حُجّة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك ؟ قال : نعم . قال : أفترى لك حُجّة بتأخير ذلك ؟ قال : نعم ، إن الشيء إذا كان لا يدرك فإن² الحكم فيه أحوطه وأعمه

1) سنن R .

2) R. et C. P. سلام .

١ (النائرة : العداوة والشحناء) .

٢ إن .

نفعاً . قال : فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إنني لأرجو أن لا يُقتل منا
ومنهم أحد نقى قلبه لله إلاّ أدخله الله الجنة .

وقال في خطبته : أيها الناس املكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألستكم
وإيّاكم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم . وبعث إليهم حكيم بن
سلامة¹ ومالك بن حبيب : إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى نترل
وننظر في هذا الأمر . وخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين قد منعوا
حرقوص بن زهير وهم معتزلون ، وكان الأحنف قد بايع علياً بالمدينة بعد
قتل عثمان لأنه كان قد حجّ وعاد من الحجّ فبايعه . قال الأحنف : ولم أبايع
علياً حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة وأنا أريد الحجّ وعثمان محصور ،
فقلت لكلّ منهم : إن الرجل مقتول فمن تأمروني أبايع ؟ فكلّهم قال : بايع
علياً . فقلت : أترضونه لي ؟ فقالوا : نعم . فلما قضيت حجّي ورجعت إلى
المدينة رأيت عثمان قد قتل فبايعت علياً ورجعت إلى أهلي ورأيت الأمر قد
استقام . فبينما أنا كذلك إذ أتاني آت فقال : هذه عائشة وطلحة والزبير بالحرّبية
يدعونك . فقلت : ما جاء بهم ؟ قال : يستنصرونك على قتال عليّ في دم عثمان ،
فأتاني أظع أمر ، فقلت : إن خيذلاني أمّ المؤمنين وحواري رسول الله ، صلى
الله عليه وسلّم ، لشديد² ، وإن قتال ابن عم رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ،
وقد أمروني ببيعته أشد³ ، فلما أتيتهم قالوا : جئنا لكذا وكذا . قال : فقلت :
يا أمّ المؤمنين ويا زبير ويا طلحة ، نشدتكم الله أقلت لكم : من تأمروني أبايع ؟
فقلتم : بايع علياً . فقالوا : نعم ولكنه بدل وغير . فقلت : والله لا أقاتلكم
ومعكم أمّ المؤمنين ولا أقاتل ابن عم رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، وقد
أمرتموني ببيعته ، ولكني أعتزل . فأذنوا له في ذلك ، فاعتزل بالحلحاء³ ومعه
زهراء ستة آلاف ، وهي من بصرة عا، فرسخين . فلما قدم عليّ أتاه الأحنف

1) C. P. et R. سلام .

2) R. et S. لشديد

3) R. بالحلحاء .

فقال له : إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً قتلت رجالهم وسبيت نساءهم . قال : ما مثلي يُخاف هذا منه ، وهل يحلّ هذا إلا لمن تولّى وكفر وهم قوم مسلمون ؟ قال : اختر مني واحدة من اثنتين ، إما أن أقاتل معك وإما أن أكفّ عنك عشرة آلاف سيف . قال : فكيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال ؟ قال : إن من الوفاء لله قتالهم . قال : فاكف عنا عشرة آلاف سيف . فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود ونادى : يا آل خنيدف ! فأجابه ناس ، ونادى : يا آل تميم ! فأجابه ناس ، ثم نادى : يا آل سعد ! فلم يبق سعدى إلا أجابه ، فاعتزل بهم ونظر ما يصنع الناس ، فلما كان القتال وظفر عليّ دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرير .

فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح ، فقيل لعليّ : هذا الزبير . فقال : أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله تعالى أن يذكر¹ .

وخرج طلحة فخرج إليهما عليّ حتى اختلفت أعناق دوابهم ، فقال عليّ : لعمرى² قد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً ، فاتقيا الله ولا تكونا ﴿ كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾¹ ، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرمت دمكما ، فهل من حدث أحلّ لكما دمي ؟ قال طلحة : ألّبت على عثمان . قال عليّ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُؤَفِّيهِمْ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾³ . يا طلحة ، تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان ! يا طلحة ، أجت بعرس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت ! أما بايعتني ؟ قال : بايعتك والسيف على عنقي . فقال عليّ للزبير : يا زبير ما أخرجك ؟ قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً

1) C. P. يتذكره .

2) R. لهما .

3) Corani 24 , vs. 25

١ (سورة النحل ١٦ ، الآية ٩٢) .

ولا أولى به منا^١ . فقال له عليّ: ألسنّ له أهلاً بعد^١ عثمان؟ قد كنّا نعدّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا . وذكره أشياء ، وقال له : تذكر يوم مررت مع رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، في بني غنم فنظر إليّ فضحك وضحكُ إليه فقلتُ له لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال لك رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم : ليس به زهواً ، لتقاتلنه وأنت ظالم له . قال : اللهم نعم ، ولو ذكرتُ ما سرت مسيري هذا ، والله لا أقاتلك أبداً . فانصرف عليّ إلى أصحابه فقال : أمّا الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم . ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها : ما كنتُ في موطن منذ عقلتُ إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا . قالت : فما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أدعهم وأذهب . قال له ابنه عبد الله : جمعت بين هذين الغارين^٢ حتى إذا حدّد بعضهم لبعض^٤ أردت أن تركهم وتذهب ، لكنك خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أنّها تحملها فتية^٥ أنجاد^٥ وأن تحتها الموت الأحمر فجبنت . فأحفظه ذلك . وقال : إنّي حلفت أن لا أقاتله . قال : كَفَرَّ عن يمينك وقَاتِلْهُ . فأعتق غلامه مكحولاً ، وقيل سرجس ، فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي :

لم أرَ كالِيومِ أخا إخوان^٢ أعجبَ مِنِ مُكفِّرِ الأيمانِ

الآيات . وقيل : إنّما عاد الزبير عن القتال لما سمع أن عمّار بن ياسر

١) R. مني .

٢) C. P. الإخوان .

١ لست له أهل أبعد .

٢ . بمزه .

٣ الغارين .

٤ لبعضهم .

٥ من يكفر .

مع عليّ ، فخاف أن يقتل عمّاراً ، وقد قال النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم :
 « يا عمّار تقتلك الفئة الباغية » ، فردّه ابنه عبد الله ، كما ذكرناه . وافترق
 أهلُ البصرة ثلاث فرق : فرقة مع طلحة والزبير ، وفرقة مع عليّ ، وفرقة
 لا ترى القتال ، منهم الأحنف وعمران بن حصّين وغيرهما . وجاءت عائشة
 فتزلت في مسجد الحُدّان في الأزدي ، ورأس الأزدي يومئذ صبرة بن شيمان ،
 فقال له كعب بن سور : إن الجموع إذا تراءت لم تستطع ، إنما هي بحور تدافق ،
 فأطعني ولا تشهدهم واعتزل بقومك فإنني أخاف أن لا يكون صلح ، ودع مضر
 وربيعه فهما أخوان فإن اصطلحا فالصلح أردنا وإن اقتتلا كنا حكماً عليهم غداً .

وكان كعب في الجاهلية نصرانياً ، فقال له صبرة : أخشى أن يكون فيك شيء
 من النصرانية ! أتأمرني أن أغيب عن إصلاح بين الناس وأن أخذل أمّ المؤمنين
 وطلحة والزبير إن¹ ردوا عليهم الصلح وأدع الطلب بدم عثمان ؟ والله لا أفعل
 هذا أبداً ! فأطبق أهل اليمن على الحضور ، وحضر مع عائشة المنجاب بن راشد
 في الرّباب ، وهم : تيم ، وعديّ ، وثور ، وعُكل بنو عبد مناف بن أدّ بن
 طابخة بن إلياس بن مضر ، وضبة بن أدّ بن طابخة ، وحضر أيضاً أبو الجرباء
 في بني عمرو بن تميم ، وهلال بن وكيع في بني حنظلة ، وصبرة بن شيمان على
 الأزدي ، ومجاشع بن مسعود السُّلّمي على سلّيم ، وزُفر بن الحرث في بني عامر
 وغطفان ، ومالك بن مسمع على بكر ، والحيريت² بن راشد على بني ناجية ،
 وعلى اليمن ذو الآجرة الحميري .

ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعاً وهم لا يشكّون في الصلح ،
 ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكّون في الصلح ، ونزلت اليمن أسفل منهم
 ولا يشكّون في الصلح ، وعائشة في الحُدّان ، والناس بالزابوقة على رؤسائهم
 هؤلاء ، وهم ثلاثون ألفاً ، وردّوا حكيماً ومالكاً إلى عليّ إننا على ما فارقتنا عليه

1) إذ R .

2) الحارث C. P. & R .

القعقاع ، ونزل عليّ بجياهم ، فنزلت مضر إلى مضر ، وربيعة إلى ربيعة ، واليمن إلى اليمن ، فكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكر ولا الصلح ، وكان أصحاب عليّ عشرين ألفاً ، وخرج عليّ وطلحة والزبير فتواقفوا^١ فلم يروا أمراً أمثل من الصلح ووضع الحرب ، فافترقوا على ذلك . وبعث عليّ من العشي عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير ، وبعثا هما محمد بن أبي طلحة إلى عليّ ، وأرسل عليّ إلى رؤساء أصحابه ، وطلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما بذلك ، فباتوا ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصلح ، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة وقد أشرفوا على الهلكة ، وباتوا يتشاورون ، فاجتمعوا على إنشأب الحرب ، فعدّوا مع الغلّس وما يُشعر بهم ، فخرجوا متسلّين وعليهم ظلمة ، فقصد مضرهم إلى مضرهم ، وربيعتهم إلى ربيعتهم ، ويمنهم إلى يمنهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهلُ البصرة وثار كلُّ قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم ، وبعث طلحة والزبير إلى الميمنة ، وهم ربيعة ، أميراً عليها عبد الرحمن بن الحرث ، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب ، وثبتاء في القلب وقالوا : ما هذا ؟ قالوا : طرقتنا أهلُ الكوفة ليلاً . فقالوا : قد علمنا أن علينا غير منته حتى يسفك الدماء وأنه لن يطاوعنا . فردّ أهلُ البصرة أولئك الكوفيتين إلى عسكرهم .

فسمع عليّ وأهل الكوفة الصوت وقد وضع السبئية^٢ رجلاً قريباً منه يخبره بما يريد ، فلما قال عليّ : ما هذا ؟ قال ذلك الرجل : ما شعرنا إلا وقوم منهم قد بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس . فأرسل عليّ صاحب الميمنة إلى الميمنة وصاحب الميسرة إلى الميسرة وقال : لقد علمتُ أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وأنهما لن يطاوعانا والسبئية^٢ لا تفر^٢ [إنشأباً] ، ونادى عليّ في الناس : كفوا فلا شيء ، وكان من رأيهم

1) الشيبانية R. l.

2) تغير R.

جميعاً في تلك الفتنة أن لا يقتلوا حتى يبدأوا، يطلبون بذلك الحُجَّةَ، وأن لا يقتلوا مُدبراً ولا يُجهزوا على جريح ولا يستحلّوا سلباً ولا يرزأوا بالبصرة سلاحاً ولا ثياباً ولا متاعاً . وأقبل كعب بن سُور حتى أتى عائشة فقال : أدركي فقد أبى القوم إلا القتال لعلّ الله أن يصلح بك .

فركبت وألبسوا هودجها الأذراع ، فلما برزت من البيوت وهي على الحمل بحيث تسمع الغوغاء وقفت واقتتل الناس وقاتل الزبير فحمل عليه عمّارُ ابن ياسر فجعل يحوزه بالرمح والزبير كافٌّ عنه ويقول : أتقتلني يا أبا اليقظان ؟ فيقول : لا يا أبا عبد الله . وإنما كَفَّ الزبير عنه لقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « تقتل عمّاراً الفئة الباغية » ، ولولا ذلك لقتله . وبينما عائشة واقفة إذ سمعت ضجةً شديدةً فقالت : ما هذا ؟ قالوا : ضجة العسكر . قالت : بخير أو بشر ؟ قالوا : بشر ، فما فجأها¹ إلا الهزيمة ، فمضى الزبير من وجهه إلى وادي السباع ، وإنما فارق المعركة لأنه قاتل تعذيراً لما ذكر له عليّ . وأما طلحة فأتاه سهمٌ غرَّبٍ فأصابه فشكَّ رجله بصفحة الفرس وهو ينادي : إلیّ إلیّ عبادَ الله ! الصبرَ الصبرَ ! فقال له القعقاع بن عمرو : يا أبا محمد إنك لجريح وإنك عمّا تريد لعليل ، فادخل البيوت . فدخل ودمه يسيل وهو يقول : اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى ، فلما امتلأ خفه دمًا وثقل قال لغلامه : أردني وأمسكني وأبلغني مكاناً أنزل فيه . فدخل البصرة ، فأنزله في دار خربة فمات فيها ، وقيل : إنه اجتاز به رجل من أصحاب عليّ فقال له : أنت من أصحاب أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : امدد يدك أبياعك له ، فبايعه ، فخاف أن يموت وليس في عنقه بيعة . ولما قضى دُفن في بني سعد ، وقال :

1) تحتها R .

لم أرَ شيخاً أضيع دماً مني . وتمثل عند دخول البصرة مثله ومثل الزبير :

فإن تكُنْ¹ الحوادِثُ أقصدتني وأخطأهنّ سهمي حينَ أُمي
فقد ضُيِّعتُ حينَ تَبَّعتُ سهماً سفاهاً² ما سفهتُ وُضِلَّ² حلمي
ندمتُ ندامَةً الكُسي³ لما شَرَّيتُ رضا بني سَهْمٍ برغمي
أطعتُهُمْ بفرقة آلِ لَأيٍ فألقوا للسَّبَّاعِ دمي ولحمي

وكان الذي رمى طلحة مروان بن الحكم ، وقيل غيره . وأما الزبير فإنه مرّ بعسكر الأحنف بن قيس فقال : والله ما هذا انخياز ، جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضاً لحق بيته . وقال الأحنف للناس : من يأتيني بخبره ؟ فقال عمرو بن جرموز لأصحابه : أنا ، فاتبعه ، فلما لحقه نظر إليه الزبير قال : ما وراءك ؟ قال : إنما أريد أن أسألك . فقال غلام للزبير اسمه عطية : إنه مُعد . قال : ما يهولك من رجل ! وحضرت الصلاة ، فقال ابن جرموز : الصلاة . فقال الزبير : الصلاة ، فلما نزلا استدبره ابن جرموز فطعنه في جربان درعه فقتله وأخذ فرسه وسلاحه وخاتمه وخلّى عن الغلام فدفنه بوادي السباع ورجع إلى الناس بالخبر . وقال الأحنف لابن جرموز : والله ما أدري أحسنت أم أسأت . فأتى ابن جرموز عليّاً فقال لحاجبه : استأذن لقاتل الزبير . فقال عليّ : ائذن له وبشره بالنار . وأحضر سيف الزبير عند عليّ فأخذه فنظر إليه وقال : طالما جلّيتي به الكرب عن وجه رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ! وبعث به إلى عائشة لما انجلت الوقعة وانهمز الناس يريدون البصرة ، فلما رأوا الخيل أطافت بالحمل عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا وعادوا في أمر جديد ، ووقفت ربيعة بالبصرة

1) Br. Mus. تكرر .

2) R. فلل .

3) Cfr. Meidanil Proverb. II, p. 776 sq.

ميمينه وبعضهم ميسرة ، وقالت عائشة ، لما انجلت الوقعة وانهزم الناس¹ لكعب بن سور : نخل عن الحمل وتقدم بالمصحف فادعوا إليه . وناولته مصحفاً . فاستقبل القوم والسبئية أمامهم فرموه رشقاً واحداً فقتلوه ورموا أم المؤمنين في هودجها ، فجعلت تنادي : البقية البقية يا بني ! ويعلو صوتها كثرة : الله الله ! اذكروا الله والحساب ! فيأبون إلا إقداماً ، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت : أيها الناس العنوا قنلة عثمان وأشياعهم . وأقبلت تدعو ، وضج الناس بالدعاء . فسمع علي فقال : ما هذه الضجة ؟ قالوا : عائشة تدعو على قنلة عثمان وأشياعهم . فقال علي : اللهم العن قنلة عثمان ! فأرسلت إلى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام أن اثبتا مكانكما ، وحرّضت الناس حين رأت القوم يريدونها رلاً يكفؤوا ، فحملت مضر البصرة حتى قصفت مضر الكوفة حتى زحم علي فنخس قفا ابنه محمد ، وكانت الراية معه ، وقال له : احمل ! فتقدم حتى لم يجد متقدماً إلا علي سنان رمح ، فأخذ علي الراية من يده وقال : يا بني بين يدي .

وحملت مضر الكوفة ، فاجتلدوا قدام الحمل حتى ضرسوا والمجنبتان على حالهما لا تصع شيئاً . ومع علي قوم من غير مضر . منهم زيد بن صوحان ، طلبوا ذلك منه . فقال له رجل : تنح إلى قومك ، ما لك ولهذا الموقف ؟ ألس تعلم أن مضر بجيالك والحمل بين يديك وأن الموت دونه ؟ فقال : الموت خير من الحياة ، الموت أريد ، فأصيب هو وأخوه سيحان وارتئت صعصعة أخوهما واشتدت الحرب ، فلما رأى علي ذلك بعث إلى ربيعة وإلى اليمن أن جمعوا من يليكم . فقام رجل من عبد القيس من أصحاب علي فقال : ندعوكم إلى كتاب الله . فقالوا : وكيف يدعونا إليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله وقد قن كعب بن سور داعي الله ! ورمته ربيعة رشقاً واحداً فقتلوه ، فقام مسلم بن

1) Om. S.

عبد الله العجلي مكانه فرشقوه رِشْقاً واحداً فقتلوه ، ودعت يمن الكوفة بمن البصرة فرشقوهم ، وأبى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة ، فذكرت أصحابها فاقتتلوا¹ حتى نادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فاقتتلوا وتزاحف الناس وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم ، وربيعه البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم ، ثم عاد يمن الكوفة فقتل على رايتهم عشرة ، خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن . فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبتت في يده وهو يقول :

قد عشت يا نفسي وقد عشتُ دهرًا فقدك² اليوم ما بقيتُ
أطلبُ طولَ العمرِ ما حييتُ

وإنما تمثلها ، وقال ابن أبي نمران الحمداني :

جردتُ سيفي في رجال الأزدِ أضربُ في كهولهم والمُردِ
كلَّ طويلِ السَّاعدين نَهْدِ

ورجعت ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل على رايتهم ، وهم في الميسرة : زيد وعبد الله بن رقة وأبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول : اللهم أنت هديتنا من الضلالة واستنقذتنا من الجهالة وابتليتنا بالفتنة فكنا في شبهة وعلى ربيعة ، وقتل . واشتد الأمر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبيهم وميسرة أهل البصرة بقلبيهم ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبيهم وإن كانوا إلى جنبهم ، وفعل مثل ذلك ميسرة أهل الكوفة بميمنة أهل البصرة ، فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر نادوا: طرفوا³ إذا فرغ الصبر ، فجعلوا يقصدون الأطراف الأيدي والأرجل ، فما رؤي وقعة كانت أعظم منها قبلها ولا بعدها ولا أكثر ذراعاً مقطوعة ولا رجلاً مقطوعة ، وأصيبت يد عبد الرحمن

1) فآقبلوا R.

2) نهبك R.

3) أطرقوا C. P. & R.

ابن عتاب قبل قطه . فنظرت عائشة من يارها فقالت : من القوم عن يساري ؟
قال صبرة بن شيمان : بنوك الأزدي . فقالت : يا آل غسان حافظوا اليوم [على]
جلادكم الذي كنا نسمع به . وتمثلت :

وجالده من غسان أهل حفاظها وهنبا وأوس جالده وشيب

فكان الأزدي يأخذون بعر الحمل بشمونه ويقولون : بعر جمل أمنا ريح
ريح المسك . وقالت لمن عن يمينها : من القوم عن يميني ؟ قال : بكر بن وائل .
قالت : لكم يقول القائل :

وجاؤوا إلينا في الحديد كأنهم من العزة القعاء بكر بن وائل

إنما يلزائكم عبد القيس . فاقتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك . وأقبلت على
كبية بين يديها فقالت : من القوم ؟ قالوا : بنو ناجية . قالت : يخ يخ سيوف
أبطحية قرشية ! فجالدوا جلاداً يُغادي منه . ثم أطافت بها بنو ضبة فقالت :
ويها جمره الحمراء ! فلما رقتوا خالطهم بنو عدي بن عبد مناة وكثروا
حوافاً . فقالت : من أنتم ؟ قالوا : بنو عدي خالطنا إخواننا ، فأقاموا رأس الحمل
وضربوا ضرباً شديداً ليس بالتعذير ولا يعدلون بالتطريف . حتى إذا كثر ذلك
وظهر في العسكرين جميعاً راموا الحمل وقالوا : لا يزال القوم أو يُصرخ الحمل ،
وصار مجنباً علي إلى القلب ، وفعل ذلك أهل البصرة ، وكره القوم بعضهم بعضاً .
وأخذ عميرة بن يربني برأس الحمل وكان قاضي البصرة قبل كعب بن سور .
فشهد الحمل هو وأخوه . عبد الله² ، فقال علي : من يحمل على الحمل ؟ فانتدب

1) R. وكعب .

2) Om. S.

له هند بن عمرو الجملي المرادي ، فاعترضه ابن يثربي فاختلفا ضربتير فقتله
ابن يثربي ، ثم حمل علباء بن الهيثم فاعترضه ابن يثربي فقتله وقتل سيحان بن
صوحان وارتثت صعصعة ، وقال ابن يثربي :

أنا لمن ينكرني ابن يثربي قاتل علباء وهند الجملي
وابن لصوحان علي دين علي

وقال ابن يثربي أيضاً :

أضربهم ولا أرى أبا حسن كفى بهذا حزناً من الحزن
إننا نسير الأمر إمرار الرسن

فناداه عمار : لقد عذت بحريز وما إليك من سبيل ، فإن كنت صادقاً فاحرج
من هذه الكتيبة إلي . فترك الزمام في يد رجل من بني عدي ، حتى إذا كان بين
الصفين تقدم عمار ، وهو ابن تسعين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، عليه فرو قد
شدت وسطه بجبل ليف ، وهو أضعف من بارزه ، واسترجع الناس وقالوا :
هذا لاحق بأصحابه ، وضربه ابن يثربي فاتقاه عمار بدرقته فنشب سيفه فيها
فعالجه فلم يخرج ، وأسف عمار لرجليه فضربه فقطعهما فوقع على استه وأخذ
أسيراً أتى به إلى علي ، فقال : استبقني . فقال : أبعد ثلاثة تقتلهم ! وأمر به
فقتل . وقيل : إن المقتول عمرو بن يثربي وإن عميرة بقي حتى ولي قضاء البصرة
مع معاوية ، ولما قتل ابن يثربي تولّى ذلك العلوي الزمام فركه بيد رجل من بني
عدي وبرز ، فخرج إليه ربيعة العقيلي يرتجز ويقول :

يا أمّنا أعتق أمّ نعلمُ والأمّ تغذو ولداً وترحمُ
ألا ترين كم شجاع يكلمُ وتختلي منه يدٌ وميعصمُ

كذب فهي من أبر أمٍ نعلم¹. ثم اقتتلا فأئخذ كل واحد منهما صاحبه ،
فأنا جميعاً ، وقام مقام العدوي الحرث الضبي ، فما رؤي أشد منه ، وجعل
يقول :

نحنُ بنو ضبة أصحابُ الحملِ نبارزُ القيرنَ إذا القيرنُ نزلُ
دمي ابنَ عفانٍ بأطرافِ الأسلِ الموتُ أحلى عندنا من العسلِ
ردوا علينا شيخنا ثم بجعلُ

وقيل : إن هذه الأبيات لوسيم بن عمرو الضبي ، وكان عمرو يخرض
أصحابه يوم الحمل ، وقد أخذ الحطام ، ويقول :

نحنُ بنو ضبة لا نفرُ حتى نرى جماجماً نخرُ
يخرُ منها العلقُ المحمرُ

ويقول :

يا أمّتا يا عيشُ لن تُراعي كلُّ بنيكٍ بطلُ شجاعُ

ويقول :

يا أمّتا يا زوجةَ النبيِّ يا زوجةَ المباركِ المهديِّ

ولم ينزل الأمر كذلك حتى قُتل على الحطام أربعون رجلاً . قالت عائشة :
ما زال جملي معتدلاً حتى فقدتُ أصوات بني ضبة . قال : وأخذ الحطام سبعون
رجلاً من قريش كلهم يُقتل وهو أخذ بخطام الحمل ، وكان ممن أخذ بزمام
الحمل محمد بن طلحة ، وقال : يا أمّتا مريني بأمرك . قالت : أمرٌ أن تكون²
خير بني آدم إن تركت³ ، فجعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل [عليه] ، وقال :

1) Om. R.

2) C. P. add. من خيار .

3) R. نزلت .

حاميم لا يُخبرون ، واجتمع عليه نفر كلهم ادعى قتله ، المكعب الأسدي ،
والمكعب الضبي ، ومعاوية بن شداد العبي ، وعفّار السعدي النصري ، فأنفذه
بعضهم بالرمح ، ففي ذلك يقول :

وأشعث قوام بآيات ربه
هتكت له بالرمح جيب قميصه
بذكرني حاميم والرمح شاجر
على غير شيء غير أن ليس تابعا
قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
فخر صريعا للبين وللقسم
فهلا تلا حاميم قبل التقدم
عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وأخذ الحطام عمرو¹ بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحد إلا خبطه بالسيف ،
فأقبل إليه الحرث بن زهير الأزدي وهو يقول :

يا أمّنا يا خير أمّ نعلم
وتسختلى هامته والمعصم

فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وأحدق أهل النجدات
والشجاعة بعائشة ، فكان لا يأخذ الحطام أحد إلا قتل ، وكان لا يأخذه والراية
إلا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب : أنا فلان بن فلان ، فوالله إن كان
ليقاتلون عليه وإنه للموت لا يوصل إليه إلا بطلبة وعنت ، ما دامه أحد من
أصحاب علي إلا قتل أو أفلت ثم لم يعد ، وحمل عدي بن حاتم الطائي عليهم
فقتلت عينه ، وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم فقالت : من أنت ؟ فقال :
ابنك ابن أختك . قالت : واثكن أسماء ! وانتهى إليه الأشتر ، فاقتلا ، فضربه
الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً ، وضربه عبد الله ضربة خفيفة ، واعتنق
كل رجل منهما صاحبه وسقطا إلى الأرض يعتركان ، فقال ابن الزبير :

1) C. P. على .

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي¹

فلو يعلمون من مالك لقتلوه ، إنما كان يُعرف بالأشتر ، فحمل أصحاب عليّ وعائشة فخلّصوهما . قال الأشتر : لقيت عبد الرحمن بن عتاب فلقيت أشدّ الناس وأخرقه ما لبثت² أن قتله ، ولقيت الأسود بن عوف فلقيت أشدّ الناس وأشجعهم فما كدت أنجو منه فتمنيت أني لم أكن لقيته ، ولحقني جندب بن زهير الغامدي فضربته فقتلته³ ، قال : ورأيتُ عبد الله بن حكيم بن حزام وعنده راية قريش وهو يقاتل عدي بن حاتم وهما يتصاولان تصاول الفحلين فتعاورناه فقتلناه . قال : وأخذ الخطام الأسود بن أبي البخري فقتل ، وهو قرشي أيضاً ، وأخذه عمرو بن الأشرف فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته ، وهو أزدي ، وجرح مروان بن الحكم ، وجرح عبد الله بن الزبير سبعمائة وثلاثين جراحة من طعنة ورمية ، قال : وما رأيتُ مثل يوم الجمل ما ينهزم منا أحد وما نحن إلا كالجبل الأسود ، وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلا قتل حتى ضاع الخطام ، ونادى عليّ : اعقروا الجمل فإنه إن عُقر تفرّقوا ، فضربه رجل فسقط فما سمعتُ صوتاً قطّ أشدّ من عجاج الجمل . وكانت راية الأزدي من أهل الكوفة مع مخنف² بن سليم فقتل وأخذها الصقعب³ ، وأخوه عبد الله بن سليم فقتل ، وأخذها العلاء بن عروة ، فكان الفتح وهي بيده . وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل ، وقتل معه زيد وسيحان ابنا صوحان ، وأخذها عدة نفر فقتلوا ، منهم عبد الله بن ربيعة ، ثم أخذها

1) Om. S. et R.

2) Br. Mus. لقيته .

3) S. فضربه فقتله .

١ لبثته .

٢ مخنف .

٣ الصقعب .

• نُشَقِدُ بن النعمان فدفعها إلى ابنه مُرَّة بن منقذ فانقضت الحرب وهي في يده ،
 وكا . راية بكر بن وائل في بني ذُهل مع الحرث بن حسان الذهلي . فأقدم
 وقال : يا عشر بكر لم يكن أحد له من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
 مثل منزلة صاحبكم [فأنصروه] ، فتقدم وقاتلهم فقتل ابنه وخمسة من بني
 أهله ، وقتل الحرث ، فقبل فيه :

أنعى الرئيسَ الحرثَ بنَ حسانَ لآلِ ذُهلِ وِآلِ شيبانِ
 وقال رجل من بني ذهل :

تنعى لنا خيرَ امرئ من عدنانَ عند الطعانِ ونزال الأقرانِ
 وقال أخوه بشر بن حسان :

أنا ابن حسان بن خوط وأبي رسولُ بكرِ كلِّها إلى النبي
 وقتل رجال من بني معدوج ، وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلاً ،
 وقال رجل لأخيه وهو يقاتل : يا أخي ما أحسن قتالنا إذ كنا على الحق ! قال :
 فإننا على الحق ، إن الناس أخذوا يميناً وشمالاً ، وإننا تمسكنا بأهل بيت نبينا .
 فقاتلنا حتى قُتِلنا . وجرح يومئذ عمير بن الأهلبي الضببي ، فمرَّ به رجل
 من أصحاب عليّ وهو في الجرحى يفحص برحليه ويقول :

لقد أوردتنا حومة الموتِ أمنا نلم ننصرف إلا ونحنُ رواءُ
 لقد كان في نصر¹ ابن ضبة أمه وشيعتها مندوحةٌ وغناء
 أطمعنا قريشاً ضيلةً من² حلومنا ونصرتنا أهلَ الحجازِ عناء

1) C. P. نصر .

2) Bodl. من سفاه R. .

أطعنا بني تيم بن مرة شقوةً وهل تيم إلا أعبُدُ وإماء
فقال له الرجل : قل لا إله إلا الله . قال : ادنُ مني فلقنني في صمم .
فدنا منه الرجل ، فوثب عليه فعضَّ أذنه فقطعها .

وقيل في عقر الحمل : إن القعقاع لقي الأشتر وقد عاد من القتال عند الحمل
فقال : هل لك في العود ؟ فلم يجبه . فقال : يا أشتر بعضنا أعلم بقتال بعض
منك ، وحمل القعقاع والزمام مع زفر بن الحرث ، وكان آخر من أخذ الخطام ،
فلم يبقَ شيخ من بني عامر إلا أصيب قدام الحمل ، وزفر بن الحرث يرتجز
ويقول :

يا أمّنا مثلك لا يرَاعُ كلُّ بنيكِ بطلٌ شجاعٌ
ليس بيهواهٍ ولا يرَاعُ

وقال القعقاع :

إذا ورَدنا آجناً² جهرناه ولا يطاقُ وِرْدُ ما منَعناه

وزحف إلى زفر بن الحرث الكلابي ، وتسرعت عامر إلى حربه فأصيبوا ،
فقال القعقاع لبجير بن دلجة ، وهو من أصحاب علي : يا بجير بن دلجة صبحُ
بقومك فليعقروا الحمل قبل أن تصابوا وتصاب أمّ المؤمنين . فقال بجير : يا آل
ضبة ! يا عمرو بن دلجة ! ادعُ بي إليك ، فدعاه ، فقال : أنا آمن حتى أرجع
عنكم ؟ قال : نعم . فاجتث ساق البعير فرمى نفسه على شقه وجرجر البعير ،
فقال القعقاع لمن يليه : أنتم آمنون . واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير
وحملا الهودج فوضعا ، وإنه كالقنفذ لما فيه من السهام ، ثم أطافا به ، وفرَّ
من وراء ذلك من الناس . فلما انهزموا أمر عليّ منادياً فنادى : ألا لا تتبعوا

1) R. add. رأيت .

2) Br. Mus. إذا أردنا أمراً .

مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور . وأمر عليّ نقرأ أن يحملوا
 الهودج من بين القتلى ، وأمر أخاها محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبة ،
 وقال : انظر هل وصل إليها شيء من جراحة ؟ فأدخل رأسه في هودجها ،
 فقالت : من أنت ؟ فقال : أبغضُ أهلك إليك . قالت : ابن الخثعمية ؟ قال :
 نعم . قالت : يا بآبي ، الحمد لله الذي عافاك !

وقيل : لما سقط الحمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار فاحتملا
 الهودج فنحياه ، فأدخل محمد يده فيه ، فقالت : من هذا ؟ فقال : أخوك البرّ .
 قالت : عتق ! قال : يا أختي هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أنت وذاك ؟ قال :
 فمن إذا الضُّلَّال ؟ قالت : بل الهداة . وقال لها عمار : كيف رأيتِ ضرب بنيك
 اليوم يا أمّاه ؟ قالت : لستُ لك بأم . قال : بلى وإن كرهتِ . قالت : فخرتم
 أن ظفرتم وأتيتم مثل الذي نقمتم ، هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه !

فأبرزوا هودجها فوضعوها ليس قربها أحد ، وأتاها عليّ فقال : كيف أنت
 يا أمه ؟ قالت : بخير . قال : يغفر الله لك . قالت : ولك . وجاء أعين بن ضبيعة
 ابن أعين¹ المجاشعي حتى اطلع في الهودج ، فقالت : إليك لعنك الله ! فقال :
 والله ما أرى إلا حميراً ! فقالت له : هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى
 عورتك . فقتل بالبصرة ، وسُلب ، وقُطعت يده² ورُمي عُرياناً في خربة من
 خربات الأزد . ثمّ أتى وجوه الناس عائشة وفيهم القعقاع بن عمرو فسلم عليها
 فقالت : إنّي رأيتُ بالأمس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك³ ؟
 قال : نعم ، ذلك الذي قال : أعق أمّ نعلم ، وكذب ، إنك لأبرّ أمّ نعلم
 ولكن لم تطاعي . قالت : والله لوددتُ أنّي متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة .

• وخرج من عندها فأتى عليّاً ، فقال له عليّ : والله لوددتُ أنّي متّ

1) Om. S. et R.

2) R. add. ورجله .

3) R. ذينك .

من قبل اليوم بعشرين سنة¹ ، وكان عليّ يقول ذلك اليوم بعد الفراغ من القتال :

إليك أشكو عَجْرِي وبُجْرِي ومِعْشراً أغشوا عليّ بصري
قتلتُ منهم مُضْراً بمُضْرِي شَفَيْتُ نَفْسِي وِقتلتُ مَعْشْرِي

فلما كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر البصرة فأنزلها في دار عبد الله ابن خلف الخزاعي على صفية بنت الحرث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار ، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف ، وتسلسل الجرحى من بين القتلى ليلاً فدخلوا البصرة ، فأقام عليّ بظاهر البصرة ثلاثاً وأذن للناس في دفن موتاهم ، فخرجوا إليهم فدفنهم ، وطاف عليّ في القتلى ، فلما أتى على كعب بن سور قال : أزعمت أنه خرج معهم السفهاء وهذا الخبر قد ترون ! وأتى عليّ عبد الرحمن بن عتاب فقال : هذا يعسوب القوم ، يعني أنهم كانوا يطيفون به ، واجتمعوا على الرضا به² لصلاتهم ، ومرّ عليّ طلحة بن عبيد الله وهو صريع فقال : لهفي عليك يا أبا محمد ! إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى ، أنت والله كما قال الشاعر :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وجعل كلما مرّ برجل فيه خير قال : زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم . وصلى عليّ على القتلى من أهل البصرة والكوفة ، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء ، وأمر فدّنت الأطراف في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به إلى مسجد البصرة وقال : من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان . وكان جميع القتلى عشرة آلاف نصفهم من أصحاب عليّ ونصفهم من أصحاب عائشة ،

1) C. P.

2) على الضايه Bodl ; على الرصاة R.

وويل غير ذلك ، وقتل من ضبة ألف رجل ، وقتل من بني عدي حول الحمل سبعون رجلاً كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ . ولما فرغ عليّ من الواقعة أتاه الأحنف بن قيس في بني سعد . وكانوا قد اعتزلوا القتال ، فقال له عليّ : تربصت ؟ فقال : ما كنت أراني إلا وقد أحسنت وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين . فارق فإن طريقك الذي سلكت بعيد وأنت إليّ عدداً أحوج منك أمس . فاعرف إحساني واستصف مودتي لغيري ولا تقل مثل هذا فإنني لم أزل لك ناصحاً .

ثم دخل عليّ البصرة يوم الاثنين فبايعه أهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمة ، وأتاه عبد الرحمن بن أبي بكر في المستأمنين أيضاً فبايعه ، فقال له عليّ : و [ما] عمل المتربص المتقاعد بي أيضاً ؟ يعني أباه أبا بكر ! فقال : والله إنّه لمريض وإنّه على مسرتك لحريص . فقال عليّ : امش أمامي ! فمشى معه إلى أبيه . فلما دخل عليه عليّ قال له : تقاعدت بي وتربصت ؟ ووضع يده على صدره وقال : هذا وجع بيني ، واعتذر إليه . فقبل عذره ، وأراده على البصرة ، فامتنع وقال : رجل من أهلك يسكن إليه الناس وسأشير عليه . فافترقا على ابن عباس ، وولّى زياداً على الحجاج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع منه ويطيع ، وكان زياد معتزلاً . ثم راح إلى عائشة . وهي في دار عبد الله بن خلف ، وهي أعظم دار بالبصرة ، فوجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف ، وكان عبد الله قُتل مع عائشة وعثمان قُتل مع عليّ ، وكانت صفيّة زوجة عبد الله مختصرة تبكي ، فلما رآته قالت له : يا عليّ ! يا قاتل الأحبة ! يا مفرق الجمع ! أينم الله منك بنيك كما أبتمت ولد عبد الله منه ! فلم يردّ عليها شيئاً . ودخل

نمة C. P. 1)

١ يسكر .

على عائشة فسلم عليها . فعد عندها ، ثم قال : جبهتنا صفيّة ، أما إنّي لم أرها منذ كانت جارية .

فلما خرج عليّ أعادت عليه انقول ، فكفّ بغلته وقال : لقد هممتُ أن أفتح هذا الباب ، وأشار إلى باب في الدار ، وأقتل من فيه ، وكان فيه ناس من الجرحى ، فأخبر عليّ بمكانهم فتغافل عنهم فسكت ، وكان مذهبه أن لا يقتل مدبراً ولا يُذفف على جريح ولا يكشف سراً ولا يأخذ مالا .

ولما خرج عليّ من عند عائشة قال له رجل من أزد : والله لا تغلبنا هذه المرأة ! فغضب وقال : مه ! لا تهتكُنّ سراً ولا تدخلن دياراً ولا تهيجن امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفهن أمراءكم وصلحاءكم ، فإن النساء ضعيفات ، ولقد كنا نؤمر بالكفّ عنهن وهن مشركات ، فكيف إذا هنّ مسلمات ؟

ومضى عليّ فلحقه رجل فقال له : يا أمير المؤمنين قام رجلان على الباب فتناولا من هو أمض شتيمة لك من صفيّة . قال : ويحك لعلها عائشة ! قال : نعم . قال أحدهما : جزيتنا عنا أمنا عقوقاً . وقال الآخر : يا أمي توبي فقد أخطأت . فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب ، فأقبل بمن كان عليه^١ ، فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة ، وهما : عجلان وسعد ابنا عبد الله ، فضربهما مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما .

وسألت عائشة يوماً عن قتل من الناس منهم معها ومنهم عليها والناس عندها ، فكلما نعي واحد من الجميع قالت : يرحمه الله . فقيل لها : كيف ذلك ؟ قالت : كذلك قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلان في الجنة ، وفلان

١) Bodl. حزنت .

في الجنة ، وقال عليّ : إني لأرجو أن لا يكون أحد نقى قلبه لله من هؤلاء إلاّ
أدخله الله الجنة .

ثمّ جهز عليّ عائشة بكلّ ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك
وبعث معها كلّ من نجا ممّن خرج معها إلاّ من أحبّ المقام ، واختار لها أربعين
امرأة من نساء البصرة المعروفات ، وسيّر معها أخاها محمد بن أبي بكر ، فلما
كان اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها عليّ فوقف لها وحضر الناس فخرجت وودعتهم
وقالت : يا بَنِيّ لا يعتب بعضنا على بعض ، إنّه والله ما كان بيني وبين عليّ في
القديم إلاّ ما يكون بين المرأة وبين أحماها ، وإنّه على معتبي لمن الأخيار .
وقال عليّ : صدقت ، والله ما كان بيني وبينها إلاّ ذاك ، وإنّها لزوجة
نبيكم في الدنيا والآخرة .

وخرجت يوم السبت غرة رجب وشيّعها أميالاً وسرح بنيه¹ معها يوماً ،
فكان وجهها إلى مكة ، فأقامت إلى الحجّ ثمّ رجعت إلى المدينة ، وقال لها عمار
حين ودّعها : ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك ! قالت : والله إنك
ما علمتُ لقوال² بالحقّ . قال : الحمد لله الذي قضى على لسانك لي .

وأما المنهزمون فقد ذكرنا حالهم ، وكان منهم : عتبة بن أبي سفيان ،
فخرج هو وعبد الرحمن وبجبيّ ابنا الحكم فساروا في البلاد ، فلقبهم عصمة
ابن أبيير³ التيمي فقال لهم : هل لكم في الجوار؟ فقالوا⁴ : نعم . فأجارهم وأنزلهم
حتى برأت جراحهم وسيّرهم نحو الشام في أربعمئة راكب ، فلما وصلوا إلى
دومة الجندل⁴ قالوا : قد وفيت ذمتك وقضيت ما عليك . فرجع . وأما ابن عامر

1) R. بنته .

2) أقول R. ; لقواك C. P. .

3) R. أثير .

4) Om. S. .

فإنه خرج أيضاً فلقبه رجل من بني حرقوص يدعى مئري ، فأجاره وسيّره إلى الشام . وأما مروان بن الحكم فاستجار بمالك بن مسمع ، فأجاره ووفى له . وحفظ له بنو مروان ذلك في خلافتهم وانتفع بهم وشرفوه بذلك . وقيل : إن مروان نزل مع عائشة بدار عبد الله بن خلف وصحبها إلى الحجاز ، فلما سارت إلى مكة سار إلى المدينة . وأما عبد الله بن الزبير فإنه نزل بدار رجل من الأزد يدعى وزيراً ، فقال له : ائت أم المؤمنين فأعلمها بمكاني ولا يعلم محمد بن أبي بكر . فأتى عائشة فأخبرها ، فقالت : عليّ بمحمد . فقال لها : إنه قد نهاني أن يعلم محمد . فلم تسمع قوله وأرسلت إلى محمد وقالت : اذهب مع هذا الرجل حتى تأتيني بابن أختك . فانطلق معه ، وخرج عبد الله ومحمد حتى انتهيا إلى دار عائشة في دار عبد الله بن خلف .

ولما فرغ عليّ من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة ، فقسمها على من شهد معه ، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة خمسمائة ، فقال لهم : إن أظفركم الله بالشام فلکم مثلها إلى أعطياتكم . فخاض في ذلك السبئية ، وطعنوا على عليّ من وراء وراء ، وطعنوا فيه أيضاً حين نهاهم عن أخذ أموالهم ، فقالوا : ما [له] يُحلّ لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم ؟ فقال لهم عليّ : القوم أمثالكم ، من صفح عنا فهو منا ومن لجّ حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر .

وقال القعقاع : ما رأيتُ شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الحمل بقتال صيفين ، لقد رأيتنا ندافعهم بأسنتنا ونتكئ على أزجتنا وهم مثل ذلك ، حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت بهم . وقال عبد الله بن سنان الكاهلي : لما كان يوم الحمل ترامينا بالنبل حتى فئت ، وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتشبكت في صدورنا وصدورهم حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت . ثم قال عليّ : السيوف يا بني المهاجرين ! فما شبهت أصواتها إلا بضرب القصارين

وعلم أهل المدينة بالوقعة يوم الحرب قبل أن تغرب الشمس من نسر مرت بماء حول المدينة ومعه شيء معلق فسقط منه فإذا كف فيه خاتم نقشه : عبد الرحمن بن عتاب . وعلم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل إليهم النور من الأيدي : الأقدام .

وأراد عليّ المقام بالبصرة لإصلاح حالها فأعجلته السبئية عن المقام ، فإنهم ارتحلوا بغير إذنه ، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إلا أرادوه .

[رواية أخرى في وقعة الجمل]

وقد قيل في سبب القتال يوم الجمل غير ما تقدم مع الاتفاق على مسير أصحاب عائشة ونزولهم بالبصرة والوقعة الأولى مع عثمان بن حنيف وحكيم . وأما مسير عليّ وعزل أبي موسى فقبل فيه : إن علياً لما أرسل محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى وجري له ما تقدم سار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى علي بالربذة فأعلمه الحال ، فأعاده عليّ إلى أبي موسى يقول له : أرسل الناس فلنني لم أولئك إلا لتكون من أعواني على الحق . فامتنع أبو موسى ، فكتب هاشم إلى عليّ : إنني قدمت على رجل غالي مشاقق¹ ظاهر الشنان ، وأرسل الكتاب مع المحيل ابن خليفة الطائي ، فبعث عليّ الحسن ابنه وعمار بن ياسر يستنفران الناس ، وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميراً ، وكتب معه إلى أبي موسى : إنني قد بعثت الحسن وعماراً يستنفران الناس ، وبعثت قرظة

1) منافق .

ابن كعب والياً على الكوفة ، فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً ، وإن لم تفعل
فإنني قد أمرته أن ينادك ، فإن نابدته فظفر بك يقطعك إرباً إرباً . فلما قدم
الكتاب على أبي موسى اعتزل ، واستنفر الحسن الناس ، فنفروا نحو ما تقدم ،
وسار عليّ نحو البصرة ، فقال جَوْن بن قتادة : كنتُ مع الزبير فجاء فارس
يسير فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فردّ عليه ، فقال : إن هؤلاء القوم قد
أتوا مكان كذا وكذا فلم أرَ أثراً سلاحاً ولا أقلّ عدداً ولا أربع قلوباً
منهم . ثمّ انصرف عنه ، وجاء فارس آخر فقال له : إن القوم قد بلغوا
مكان كذا وكذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العدد والعدّة فخافوا فولّوا
مدبرين . فقال الزبير : إيهأ عنك ! فوالله لو لم يجد عليّ بن أبي طالب إلاّ
الرفج لدب إلينا فيه . فانصرف .

وجاء فارس ، وقد كادت الخيل تخرج من الرهج ، فقال : هؤلاء القوم
قد أتوك فلقبتُ عماراً فقلتُ له وقال لي . فقال الزبير : إنه ليس فيهم ! فقال
الرجل : بلى والله إنه فيهم . فقال الزبير : والله ما جعله الله فيهم . فقال الرجل :
بلى والله . فلما كرّر عليه أرسل الزبير رجلين ينظران .، فانطلقا ثمّ رجعا فقالا :
صدق الرجل . فقال الزبير : يا جدع أنفاه ! يا قطع ظهراه ! ثمّ أخذته رعدة
فجعل السلاح يتنفض . قال جَوْن : فقلتُ ثكلتني أمي ! هذا الذي كنتُ أريد
أن أموت معه أو أعيش ، ما أخذه هذا الأمر إلاّ لشيء سمعه من رسول الله ،
صلّى الله عليه وسلّم . وانصرف جَوْن فاعتزل ، وجاء عليّ ، فلما تواقف
الناس دعا الزبيرَ وطلحةَ فتواقفوا ، وذكر من أمر الزبير وعوده وتكفيره عن
يمينه مثل ما تقدم ، فلما أبوا إلاّ القتال قال عليّ : أبكم يأخذ هذا المصحف
يدعوهم إلى ما فيه فإن قُطعت يده أخذه بيده الأخرى فإن قُطعت أخذه بأسنانه
وهو مقتول ؟ فقال شاب : أنا . فطاف به على أصحابه فلم يجبه إلاّ ذلك الشاب ،

ثلاث مرّات ، فسلمه إليه ، فدعاهم ، فقُطعت يده اليمنى ، فأخذه باليسرى ،
 فقُطعت ، فأخذه بصدرة والدماء تسيل على قبائه ، فقُتل ، فقال عليّ : الآن
 حلّ قناهم . فقالت أمّ الفتي :

لاهمّ إنّ مسلماً دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
 وأمّهم قائمة تراهم تأمرهم بالقتل لا تنهاهم
 قد خضبت من علق ليحاهم

وحملت ميمنة عليّ على ميسرتهم ، فاقتلوا ، فلاذ الناس بعائشة ، وكان
 أكثرهم من ضبّة والأزد ، وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر
 ثمّ انهزموا ، ونادى رجلٌ من الأزد : كرّوا ، فضربه محمد بن عليّ فقطع يده ،
 فقال : يا معشر الأزد فرّوا ، واستحرّ القتل في الأزد فنادوا : نحن على دين
 عليّ . فقال رجل من بني ليث :

سائلٌ بنا حين لقينا الأزدا واغليلٌ تعدو أشقراً وورداً
 لما قطعنا كبدهم والزندا سحفاً لهم في رأيهم وبعداً

وحمل عمّار بن ياسر على الزبير فجعل يحوزه بالرمح ، فقال : أتريد أن
 تقتلني يا أبا اليقظان ؟ فقال : لا يا أبا عبد الله ، انصرف ، فانصرف ، وجرح
 عبدُ الله بن الزبير فألقى نفسه في الجرحى ثمّ برأ . وعقر الحمل ، واحتمل محمد
 ابن أبي بكر عائشة فأنزلها وضرب عليها قبة ، فوقف عليّ عليها وقال لها :
 استنفرت الناس وقد فرّوا وألّبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً ، في كلام كثير .
 فقالت عائشة : ملكت فأسجّع¹ ، نعم ما ابتليت قومك اليوم ! فسرحها وأرسل

1) فاسح R .

معها جماعة من رجال ونساء وجهتها بما تحتاج .

• • •

لم أدر في وقفة الجمل إلا ما ذكره أبو جعفر إذ كتبت، أوثق من نقل التاريخ ،
فإن الناس قد حشوا تواريخهم بمقتضى أهوائهم .

وممن قُتل يوم الجمل عبدُ الرحمن بن عبيد الله أخو طلحة، له صحبة ،
وعمر بن عبد الله بن أبي قيس بن عامر بن لؤي، له صحبة. وفيها قُتل المحرز
ابن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس، له صحبة، واستعمله عمر على
مكة ثم عزله ، وفيها قُتل مُعرض بن عذرة السلمي أخو الحجاج بن عيلان ،
قُتل مع عليّ ، وفيها قُتل مجاشع ومجالد ابنا مسعود السلميان مع عائشة ، لهما
صحبة ، فأما مجاشع فلا شك أنه قُتل في الجمل ، وقُتل عبد الله بن حكيم بن
حزام الأسدي القرشي مع عائشة . وكان إسلامه يوم الفتح ، وفيها قُتل هند
ابن أبي هالة الأسيدي ، أمه خديجة بنت خويلد زوج النبي ، صلى الله عليه
وسلم ، مع عليّ ، وقيل : مات بالبصرة ، والأول أصح .

(الأسيدي بضم الهمزة ، منسوب إلى أسيّد بتشديد الياء ، وهم بطن
من تميم) .

وقُتل هلال بن وكيع بن بشر التميمي مع عائشة . له صحبة . وفيها قُتل
مُعاذ بن عفراء أخو معوذ² ، وهما ابنا الحرث بن رفاعة الأنصاريان ، وشهدا
بدرأ . وقُتل مع عليّ . وقيل : عاش وقُتل في وقعة الحرّة .

(التيهان بفتح التاء فوقها نقطتان ، وتشديد الياء تحتها نقطتان ، وآخره نون .
وشبّث بفتح الشين المعجمة ، والباء الموحدة ، وآخره ثاء مثلثة . وسبيحان بفتح
السين المهملة ، وسكون الياء تحتها نقطتان ، وفتح الحاء المهملة ، وآخره نون .

1) عبيد . B .

2) مسعود . C. P. et R .

وسمّية بفتح النون والجيم ، والباء الموحدة . وعميرة بفتح العين ، وكسر الميم . وأبير بضم الهمزة ، وفتح الباء الموحدة . والخيريت بكسر الخاء المعجمة ، والراء المشددة ، وسكون الياء المثناة من تحتها نقطتان ، وفي آخره تاء فوقها نقطتان¹ .

ذكر قصد الخوارج سجستان²

في هذه السنة بعد الفراغ من وقعة الحمل خرج حسكة³ بن عتاب الحبّطي وعمران بن الفضيل البرجمي في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سجستان ، وقد نكث أهلها ، فأصابوا منها مالا ثم أتوا زرنج وقد خافهم مرزبانها فصالحهم ودخلوها ، فقال الراجز :

بشّر سجستان بجوعٍ وحربٍ ببن الفضيل وصعاليك العرب
لا فضة تغنيهم ولا ذهب

فبعث عليّ عبد الرحمن بن جرو الطائي ، فقتله حسكة ، فكتب عليّ إلى عبد الله بن العباس يأمره أن يولي سجستان رجلاً ويسيره إليها في أربعة آلاف ، فوجه ربعي بن كاس العنبري ومعه الحصين بن أبي الحرّ العنبري ، فلما ورد سجستان قاتلهم حسكة وقتلوه ، وضبط ربعي البلاد ، وكان فيروز حصين يُنسب إلى الحصين بن أبي الحرّ هذا ، وهو من سجستان .

1) Hic explicit Codicis C. P. Vol. IIum.

2) Initium voluminis terui Cod. C. P. , in quo inscriptio modo capitis hujus exstat.

3) R. ubique جيلة ; S. حسكة .

ذكر قتل محمد بن أبي حذيفة¹

في هذه السنة قُتل محمد بن أبي حذيفة، وكان أبوه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قد قُتل يوم اليمامة، وترك ابنه محمداً هذا، فكفله عثمان ابن عفان وأحسن تربيته، وكان فيما قيل: أصاب شراباً فحدّه عثمان، ثمّ تنسك محمد وأقبل على العبادة وطلب من عثمان أن يوليّه عملاً، فقال: لو كنت أهلاً لذلك لوليتك. فقال له: إنّي قد رغبتُ في غزو البحر فأذن [لي] في إتيان مصر، فأذن له وجهزه، فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظّموه، وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصواري.

وكان محمد يعيب ويعيب عثمان بتوليته ويقول: استعمل رجلاً أباح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دمه. فكتب عبدُ الله إلى عثمان: إن محمداً قد أفسد عليّ البلاد هو ومحمد بن أبي بكر. فكتب إليه: أمّا ابن أبي بكر فإنه يوهب لأبيه ولعائشة، وأمّا ابن أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي وتربيته وهو فرخ قريش. فكتب إليه: إن هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبقَ إلاّ أن يطير. فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم ويجعل عليه كسوة، فوضعها محمد في المسجد ثمّ قال: يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه! فازداد أهل مصر تعظيماً له وطعناً على عثمان، وبابعوه على رياستهم²، فكتب إليه عثمان يذكره بيرة به وتربيته إياه وقيامه بشأنه، ويقول: إنك كفرت إحساني أحوج ما كنتُ إلى شكرك. فلم يردّه ذلك عن ذمّه وتأليب الناس عليه وحثهم على المسير إلى حصره ومساعدة من يريد ذلك. فلما سار المصريون إلى عثمان، أقام هو بمصر، وخرج عنها عبد الله بن

1) Om. C. P.

2) Om. C. P.

سعد بن أبي سرح ، فاستولى عليها¹ وضبطها فلم يزل بها مقيماً حتى قُتل عثمان وبويح عليّ ، واتفق معاوية وعمرو بن العاص على خلاف عليّ ، فسار إلى مصر قبل قدوم قيس بن سعد إليها أميراً ، فأراد دخولها فلم يقدر على ذلك ، فخدع² محمداً حتى خرج منها إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها ، فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتل .

وهذا القول ليس بشيء لأن عليّاً استعمل قيساً على مصر أوّل ما بويح له ، ولو أن ابن أبي حذيفة قتله معاوية وعمرو قبل وصول قيس إلى مصر لاستوليا عليها لأنه لم يكن بها أمير يمنعها عنها ، ولا خلاف أن استيلاء معاوية وعمرو عليها كان بعد صيفين ، والله أعلم .

وقيل غير ذلك ، وهو أن محمد بن أبي حذيفة سيّر المصريين إلى عثمان ، فلما حصروه أخرج محمدٌ عبد الله بن سعد عن مصر . وهو عامل عثمان ، واستولى عليها ، فنزل عبد الله على تخوم مصر وانتظر أمر عثمان ، فطلع عليه راكب فسأله ، فأخبره بقتل عثمان ، فاسترجع ، وسأله عما صنع الناس بعده ، فأخبره ببيعة عليّ ، فاسترجع ، فقال له : كأن إمرة عليّ تعدل عندك قتل عثمان ! قال : نعم . قال : أظنك عبد الله بن سعد . فقال : نعم . فقال له : إن كانت لك في نفسك حاجة فالنجاه النجاه ، فإن رأي أمير المؤمنين عليّ فيك وفي أصحابك إن ظفر بكم أن يقتلكم أو ينفيكم . وهذا بعدي أمير يقدم عليك . فقال : من هو ؟ قال : قيس بن سعد بن عبادة . قال عبد الله بن سعد : أبعده الله محمد بن أبي حذيفة ، فإنه بغى على ابن³ عمته وسعى عليه ، وقد كفله ورباه وأحسن إليه ، فأساء جواره وجهز إليه الرجال حتى قُتل ثم ولّى عليه من هو أبعده منه ومن عثمان ولم يمتعه بسُلطان بلاده شهراً ولم يره لذلك أهلاً . وخرج عبد الله

1) Om. S.

2) S. فخدعاً .

3) Om. C. P.

هارباً حتى قدم على معاوية .

وهذا القول يدلّ على أن قيساً وليّ مصر ومحمد بن أبي حذيفة حيّ ، وهو الصحيح .

وقيل : إن عمراً سار إلى مصر بعد صيفين ، فلقبه¹ محمد بن أبي حذيفة في جيش ، فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل إليه ، فالتقيا واجتمعا ، فقال له عمرو : إنّه قد كان ما ترى وقد بايعتُ هذا الرجل ، يعني معاوية ، وما أنا براصٍ بكثير من أمره ، وإنّي لأعلم أن صاحبك عليّاً أفضل من معاوية نفساً وقديماً وأولى بهذا الأمر ، فواعِدني موعداً ألتقي معك فيه في غير جيش ، تأتي في مائة وآتي في مثلها ، وليس معنا إلاّ السيف في القُرب . فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتعدا العريش ، ورجع عمرو إلى معاوية ، فأخبره الخبر ، فلما جاء الأجل سار كلّ واحد منهما إلى صاحبه في مائة ، وجعل عمرو له جيشاً خلفه لينطوي خبره ، فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على أثره ، فعلم محمد أنه قد غدر به ، فدخل قصرأ بالعريش فتحصّن به ، فحصره عمرو ورماه بالمنجنيق حتى أخذ أسيراً ، وبعث به عمرو إلى معاوية فسجنه ، وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمّة محمد بن أبي حذيفة أمّها فاطمة بنت عبّبة ، فكانت تصنع له طعاماً ترسله إليه ، فأرسلت إليه يوماً في الطعام مبارد ، فبرد بها قيوده وهرب فاختفى في غار فأخذ وقتل ، والله أعلم .

وقيل : إنّه بقي محبوساً إلى أن قُتل حُجر بن عدي ، ثمّ إنّه هرب ، فطلبه مالك بن هُبيرة السكوني فظفر به فقتله غضباً لحجر ، وكان مالك قد شفع إلى معاوية في حجر فلم يشفّعه : وقيل : إن محمد بن أبي حذيفة لما قُتل محمد بن أبي بكر خرج في جمع كثير إلى عمرو . فأمنه عمرو² ثمّ غدر به وحمله إلى معاوية

1) C. P. فآمه .

2) Om. C. P.

بمسطبين فحبسه ، ثمّ إنّه هرب ، فأظهر معاوية للناس أنّه كره هربه وأمر بطلبه ، فسار في أثره عبّيد الله بن عمرو بن ظلّام الخثعمي فأدرکه بحوران في غار ، وجاءت حمُرُ تدخل الغار ، فلما رأت محمداً نفرت منه ، وكان هناك ناس يحصدون ، فقالوا : والله إن لنفرة هذه الحمر لشأناً . فذهبوا إلى الغار فرأوه ، فخرجوا من عنده ، فوافقهم¹ عبّيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم ، فقالوا : هو في الغار . فأخرجه وكره أن يأتي به معاوية فيخلي سبيله ، فضرب عنقه ، وكان ابن خال معاوية .

ذكر ولاية قيس بن سعد مصر

وفي هذه السنة في صفر بعث عليّ قيس بن سعد أميراً على مصر ، وكان صاحب راية الأنصار مع رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وكان من ذوي الرأي والبأس ، فقال له : سير إلى مصر فقد وليتكمها واخرج إلى رحلك واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أربع لعدوك وأعزّ لوليك ، وأحسن إلى المحسن واشتد على المريب ، وارفق بالعامّة والخاصة ، فإن الرنق يُمن . فقال له قيس : أمّا قولك : اخرج إليها بجند ، فوالله لئن لم أدخلها إلاّ بئند آتيها² به من المدينة لا أدخلها أبداً ، فأنا أدع ذلك الجند لك ، فإن كنت احتجت إليهم كانوا منك قريباً ، وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدّة . فخرج قيس حتى دخل مصر في سبعة من أصحابه على الوجه الذي تقدّم ذكره ، فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب أمير المؤمنين

1) C. فلاقاه .

2) R. أتيتها .

فقرىء على أهل مصر بإمارته ويأمرهم بمبايعته ومساعدته وإعانتته على الحق، ثم قام قيس حطياً وقال :

الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين ، أيتها الناس إننا قد بايعنا خيراً من نعلم بعد نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، فقوموا أيتها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله ، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم .

فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر ، وبعث عليها عماله إلا قرية منها يقال لها خرنبا فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان ، عليهم رجل من بني كنانة ثم من بني مدلج اسمه يزيد¹ بن الحرث ، فبعث إلى قيس يدعو إلى الطلب ، بدم عثمان . وكان مسلمة بن مخلد قد أظهر الطلب أيضاً بدم عثمان ، فأرسل إليه قيس : ويحك أعليّ تب ! فوالله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وأنتي قتلتك ! فبعث إليه مسلمة : إنني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر .

وبعث قيس ، وكان حازماً ، إلى أهل خرنبا : إنني لا أكرهكم على البيعة وإنني كاف عنكم ؛ فهادنهم وجبى الحراج ليس أحد ينازعه ، وخرج أمير المؤمنين إلى الحمل ورجع وهو بمكانه ، فكان أثقل خلق الله على معاوية لقربه من الشام ومخافة أن يقبل عليّ في أهل العراق وقيس في أهل مصر فيقع بينهما معاوية ، فكتب معاوية إلى قيس :

سلام عليك ، أما بعد فإنكم نعمتم على عثمان ضربه بسوط أو شتيمة² رجل أو تسيراً آخر واستعمال، فني ، وقد علمتم أن دمه لا يحل لكم ، فقد ركبتم عظيماً

1) C. P. et R. زيد .

2) C. P. شتمة .

وجئتم أمراً إدياً ، فتبُّ إلى الله يا قيس ، فإنك من المجلبين على عثمان ، فأما صاحبك فإننا استيقنا أنه الذي أغرى [به] الناس وحملهم حتى قتلوه ، وإنه لم يسلم من دمه عظيم قومك ، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يُطالب بدم عثمان فافعلْ وتابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيتْ ولمن أحببت من أهلك سلطانُ الحجاز ما دام لي سلطان ، وسلي ما شئتْ فإنني أعطيك واكتبُ إليّ برأيك .

فلما جاءه الكتاب أحبَّ أن يدافعه ولا يبدي له أمره ولا يتعجل إلى حربه ، فكتب إليه : أمّا بعد فقد فهمتُ ما ذكرته من قتلة عثمان فذلك شيء لم أقاربه ، وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى به حتى قتلوه ، وهذا ممّا لم أطلع عليه ، وذكرت أن عظيم عشيرتي لم تسلم [من دم عثمان] ، فأول الناس كان فيه قياماً عشيرتي ، وأمّا ما عرضته من متابعتك فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة ، وليس هذا ممّا يسرع إليه ، وأنا كافّ عنك وليس يأتيك من قبلي شيء نكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله تعالى .

فلما قرأ معاوية كتابه رآه مقارباً مباعداً ، فكتب إليه :

أمّا بعد فقد قرأتُ كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلماً ولا متباعداً فأعدك حرباً ، وليس مثلي¹ بصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعه عدد الرجال ويديه [أعنة الخيل] ، والسلام .

فلما قرأ قيس كتابه ورأى أنه لا يفيد معه المدافعة والمماثلة أظهر له ما في نفسه ، فكتب إليه : أمّا بعد فالعجب من اغترارك بي وطمعك في استسقاطك إيتاي ، أتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالإمارة وأقولهم¹ بالحق وأهداهم

1) . وأقودهم B . 1)

سبيلاً وأقربهم من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وسيلة وتأمري بالدخول في طاعتك ، طاعة أبعاد الناس من هذا الأمر وأقولهم بالزور وأضلتهم سبيلاً وأبعدهم من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وسيلة ، ولد ضالين مضلين ، طاغوت من طواغيت إبليس ! وأما قولك إنني ماليء عليك مصر خيلاً ورجالاً ، فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون أهم إليك إنك لذو جدٍ ، والسلام .

فلما رأى معاوية كتابه أيس منه وثقل عليه مكانه ولم تنجع حيله فيه ، فكاده من قبيل عليّ ، فقال لأهل الشام : لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلى غزوه فإنه لنا شيعة قد تأتينا كتبه ونصيحته سرّاً ، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خربنا ، يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويحسن إليهم ! وافتعل كتاباً عن قيس إليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك وقرأه على أهل الشام .

فبلغ ذلك عليّاً ، أبلغه ذلك محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، وأعلمته عيونهم بالشام ، فأعظمه وأكبره ، فدعا ابنه وعبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك . فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، اعزل قيساً عن مصر . فقال عليّ : إنني والله ما أصدق بهذا عنه . فقال عبد الله : اعزله فإن كان هذا حقاً لا يعتزل لك . فإنهم كذلك إذ جاءهم كتاب من قيس يخبر أمير المؤمنين بحال المعتزلين وكفه عن قتالهم . فقال ابن جعفر : ما أخوفني أن يكون ذلك ممالة منه ، فمره بقتالهم . فكتب إليه يأمره بقتالهم ، فلما قرأ الكتاب كتب جوابه : أما بعد فقد عجبت لأمرك تأمري بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لعدوك ومتى حاددناهم¹ ساعدوا عليك عدوك ، فأطعني يا أمير المؤمنين واكف عنهم فإن الرأي تركهم ، والسلام . فلما قرأ عليّ الكتاب قال

1) صاددناهم C. P.

ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر واعزل قيساً ،
فقد بلغني أن قيساً يقول : إن سلطاناً لا يستقيم إلاّ بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان
سوء .

وكان ابن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمته ؛ فبعث عليّ محمد بن أبي بكر
إلى مصر ، وقيل : بعث الأشتر النخعي ، فمات بالطريق ، فبعث محمداً ، فقدم
محمد على قيس بمصر ، فقال له قيس : ما بال أمير المؤمنين ؟ ما غيره¹ ؟
أدخل أحد بني وبينه ؟ قال : لا ، وهذا السلطان سلطانك . قل : لا والله لا
أقيم . وخرج منها مقبلاً إلى المدينة وهر غضبان لعزله ، فجاءه حسان بن ثابت ،
وكان عثمانياً ، يشمت به ، فقال له : قتلت عثمان ونزعك عليّ ، فبقي
عليك الإثم ولم يُحسن لك الشكر ! فقال له قيس : يا أعمى القلب والبصر² !
والله لولا أن ألتني بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك³ ! اخرج عني !
ثم أخاف مروان بن الحكم قيساً بالمدينة ، فخرج منها هو وسهل⁴ بن حنيف إلى
عليّ فشهدا معه صيفين . نكتب معاوية إلى مروان يتغيظ عليه ويقول له :
لو أمددت عليّاً بمائة ألف مقاتل لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه
ومخانه .

فلما قدم قيس على عليّ وأخبره الخبر ، علم أنه كان يقاسي أموراً عظيماً
من المكابدة ، وجاءهم خبر قتل محمد بن أبي بكر ، فعظم محل قيس عنده وأطاعه
في الأمر كله ، ولما قدم محمد مصر قرأ كتاب عليّ على أهل مصر ثمّ قام فخطب
فقال :

الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا وإياكم

1) R. أغره .

2) C. P. et R. والبصيرة .

3) C. P. add. تم .

4) C. P. سهيل .

كثيراً مما كان عمي عنه الجاهلون . ألا إن أمير المؤمنين ولاّني أمركم وعهد إليّ ما سمعتم ، وما توفيتني إلاّ بالله ، عليه توكلتُ وإليه أنيب ، فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة لله فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فإنّه هو الهادي له ، وإن رأيتم عاملاً لي عمل بغير الحقّ فارفعوه إليّ وعاتبوني فيه فإنّي بذلك أسعد وأنتم [بذلك] جديرون ، وفقنا الله وإيتاكم لصالح الأعمال برحمته .

ثمّ نزل ولبث شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادعهم قيس ، فقال لهم : إمّا أن تدخلوا في طاعتنا وإمّا أن تخرجوا عن بلادنا . فأجابوه : إنّنا لا نفعل ، فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمرنا فلا تعجل لحربنا . فأبى عليهم ، فامتنعوا [منه] وأخذوا حذرهم ، فكانت وقعة صيفين وهم هائبون لمحمد .

فلما رجع عليّ عن معاوية وصار الأمر إلى التحكيم طمعوا في محمد وأظهروا له المبارزة ، فبعث محمد الحرث بن جُمهان الجُعفيّ إلى أهل خربنا وفيها يزيد بن الحرث مع بني كنانة ومن معه . فقاتلهم فقاتلوه وقتلوه . فبعث محمد إليهم أيضاً ابن مَضاهم الكلبي فقتلوه .

وقد قيل : إنّه جرى بين محمد ومعاوية مكاتبات كرهتُ ذكرها فإنّها ممّا لا يحتمل سماعها العامة .

وفيها قدم أبراز¹ مرزبان مرو إلى عليّ بعد الحمل مُقرّاً بالصلح ، فكتب له كتاباً إلى دهاقين مرو والأساورة ومن بمرو ، ثمّ إنهم كفروا وأغلقوا نيسابور ، فبعث عليّ خُليد بن قُرّة ، وقيل : ابن طريف² اليربوعي ، إلى خراسان .

1) ابراز بن C. P. et B. Mus. ; ابراه بن R. 1)

2) طويب R. 2)

ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له ¹

قيل : كان عمرو بن العاص قد سار عن المدينة ، قبل أن يُقتل عثمان ، نحو فلسطين .

وسبب ذلك أنه لما أحيط بعثمان قال : يا أهل المدينة لا يقيم أحد فيلركه قتل هذا الرجل إلاّ ضربه الله بذل ، من لم يستطع نصره فليهرب . فسار ، وقيل غير ذلك ، وقد تقدّم ، وسار معه ابنه عبد الله ومحمد ، فسكن فلسطين ، فمرّ به راكب من المدينة ، فقال له عمرو : ما اسمك ؟ قال : حصيرة . قال عمرو : حُصير الرجل ! فما الخبر ؟ قال : تركتُ عثمان محصوراً . ثمّ مرّ به راكب آخر بعد أيام فقال له عمرو : ما اسمك ؟ قال : قتّال . قال : قُتل الرجل ! فما الخبر ؟ قال : قُتل عثمان ، ولم يكن ² شيء إلى أن سرتُ . ثمّ مرّ به راكب من المدينة ، فقال له عمرو : ما اسمك ؟ قال : حرب . قال عمرو : يكون ¹ حرب ، وقال له : ما الخبر ؟ فقال : بايع الناس علياً . فقال سلّم ³ بن زنباع : يا معشر العرب كان بينكم وبين العرب باب فكسر فاتخذوا باباً غيره . فقال عمرو : ذلك الذي نريده . ثمّ ارتحل عمرو راجلاً معه ابنه يبكي كما تبكي المرأة وهو يقول : واعثماناه ! أنعى الحياء والدين ! حتى قدم دمشق ، وكان قد علم الذي يكون فعل عليه ، لأن النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، كان قد بعثه إلى عُمان ، فسمع من حبر هناك شيئاً عرف مصداقه ، فسأله عن وفاة النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، ومن يكون بعده ، فأخبره بأبي بكر وأن مدّته قصيرة ،

1) R. مبايعته .

2) C. P. et R. add. له .

3) R. مسلم .

ثم يلي بعده رجل من قومه مثله تطول مدته ويُقتل غيلة ثم يلي بعده رجل من قومه تطول مدته ويُقتل عن¹ ملا، قال: ذلك أشد¹، ثم يلي بعده رجل من قومه يتشر الناس عليه ويكون على رأسه حرب شديدة، ثم يُقتل قبل أن يجتمع الناس عليه، ثم يلي بعده أمير الأرض المقدسة فيطول ملكه وتجمع عليه أهل تلك الفرقة ثم يموت.

وقيل: إن عمراً لما بلغه قتل عثمان قال: أنا أبو عبد الله أنا قتلته وأنا بوادي السباع، إن يَلِ هذا الأمر طلحة فهو في العرب سيأ²، وإن يله² ابن أبي طالب فهو أكره من يليه إلي. فبلغه بيعة علي فاشتد عليه وأقام ينتظر ما يصنع الناس، فأتاه مسير عائشة وطلحة والزبير، فأقام ينتظر ما يصنعون، فأتاه الخبر بوقعة الجمل فأرتج عليه أمره، فسمع أن معاوية بالشام لا يبايع علياً وأنه يعظم شأن عثمان، وكان معاوية أحب إليه من علي، فدعا ابنه عبد الله ومحمداً فاستشارهما وقال: ما تريان؟ أما علي فلا خير عنده، وهو يدل بسابقته، وهو غير مشركي في شيء من أمره. فقال له ابنه عبد الله: توفي النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون، فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس [على إمام فتبايعه]. وقال له ابنه محمد: أنت ناب من أنياب العرب ولا أرى أن يجتمع هذا الأمر³ وليس لك فيه صوت. فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرني بما هو خير لي [في آخرتي وأسلم لي] في ديني، وأما أنت يا محمد فأمرني بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخرتي. ثم خرج ومعه ابنه حتى قدم على معاوية، فوجد أهل الشام يحضون معاوية على

1) C. P. على .

2) C. P. et R. سبأ .

3) C. P. تجتمع العرب .

١ أشر .

٢ يليه .

الطلب بدم عثمان ، وقال عمرو : أنتم على الحق ، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم ،
ومعاوية لا يلتفت إليه ، فقال لعمرو ابنه : ألا ترى معاوية لا يلتفت إليك ؟
فانصرف إلى غيره . فدخل عمرو على معاوية فقال له : والله لعجب لك ! إنني
أرقدك بما أرقدك وأنت معرض عني ، [أما والله] إن قاتلنا معك نطلب بدم
الخليفة إن في النفس [من ذلك] ما فيها حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله
وقرابتة ، ولكننا إنما أردنا هذه الدنيا . فصالحه معاوية وعطف عليه .

ذكر ابتداء وقعة صفين

لما عاد عليّ من البصرة بعد فراغه من الحمل قصد الكوفة وأرسل إلى جرير
ابن عبد الله البجلي ، وكان عاملاً على همدان استعمله عثمان . وإلى الأشعث
ابن قيس ، وكان على أذربيجان استعمله عثمان أيضاً ، يأمرهما بأخذ البيعة
والحضور عنده ، فلما حضرا عنده أراد عليّ أن يرسل رسولا إلى معاوية ،
قال جرير : أرسلني إليه فإنه لي ود¹ . فقال الأشعث : لا تفعل فإن هواه مع
معاوية . فقال عليّ : دعه حتى ننظر ما الذي يرجع إلينا به . فبعثه وكتب معه
كتاباً إلى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته . ونكت طلحة
والزبير وحر به إياهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار
من طاعته² .

فسار جرير إلى معاوية ، فلما قدم عليه ماطله واستنظره واستشار عمراً ،
فأشار عليه أن يجمع أهل الشام ويلزم عليّاً دم عثمان ويقاتله بهم ، ففعل

1) C. P. add. م .

2) S.

معاوية ذلك ، وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قُتل فيه مخصوباً بالدم بأصابع زوجته نائلة إصبعان منها وشيء من الكف وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام ، وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الأجناد إليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه ، وأقسم رجال من أهل الشام أن لا يمسه الماء إلا للفصل من الجنابة ، وأن لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ، ومن قام دونهم قتلوه . فلما عاد جرير إلى أمير المؤمنين عليّ وأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله وأنهم سيكونون على عثمان ويقولون : إن علياً قتله وآوى قتلته وأنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه ، قال الأشتر لعليّ : قد كنتُ نهيْتُك أن ترسل جريراً وأخبرتكَ بعداوته وغشه ، ولو كنتُ أرسلتني لكان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجوا فتحه إلا فتحه ، ولا باباً يخافُ منه إلا أغلقه . فقال جرير : لو كنتُ ثمّ لقتلوك ، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان . فقال الأشتر : والله لو أتيتهم لم يُعيني^١ جوابهم ولحملتُ معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ، ولو أطاعني [فيك] أمير المؤمنين لحبسك وأشياهك حتى يستقيم هذا الأمر . فخرج جرير إلى قرقيسيا وكتب إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية بأمره بالقدوم عليه .

• وقيل : كان الذي حمل معاوية على ردّ جرير البجلي غير مقضي^٢ الحاجة شرّحيل بن السَّمط الكندي .

١) C. P. يفشي .

١ نرجو .

٢ يخاف .

٣ مقضى .

وكان سبب ذلك أن شَرَحِيلاً كان قد سيره عمر بن الخطاب إلى العراق إلى سعد بن أبي وقاص وكان معه، فقدمه سعد وقربه، فحسده الأشعث بن قيس الكندي لمنافسة بينهما، فوفد جرير البجلي على عمر، فقال له الأشعث: إن قدرت أن تنال من شرحبيل عند عمر فافعل. فلما قدم على عمر سأله عمر عن الناس، فأحسن الثناء على سعد، قال: وقد قال شعراً:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك وزبراً^١ وابن السمط في لجة البحر
فيفرق أصحابي وأخرج سالماً على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

فكتب عمر إلى سعد يأمره بأن يرسل زبراً وشرحبلاً إليه، فأرسلهما، فأمسك زبراً بالمدينة وسبّر شرحبلاً إلى الشام، فشرف وتقدم، وكان أبوه السمط من غزوة^٢ الشام. فلما قدم جرير بكتاب عليّ إلى معاوية في البيعة انتظر معاوية قدوم شرحبيل، فلما قدم عليه أخبره معاوية بما قدم فيه جرير، فقال: كان أمير المؤمنين عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا. فانصرف جرير، فقال النجاشي:

شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا ولكن لبغض المالك^٣ جرير
وقولك ما قد قلت عن أمر أشعث فأصبحت كالحادي بغير بغير

(جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، فنُسب إلى جده مالك)^١.
وخرج عليّ فعسكر بالبخيلة، وتخلف عنه نفر من أهل الكوفة، منهم:

1) عم 2.

١ (لعلها « وزبراء » وبنك يستقيم الوزن) .

٢ غزي .

مرّة¹ الحمداني ومسروق ، أخذا أعطياتهما وقصدا قزوين ، فأما مسروق فإنه كان يستغفر الله من تخلفه عن عليّ بصيفين ، وقدم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة ، وبلغ ذلك معاوية ، فاستشار عمراً ، فقال : أما إذا سار عليّ فسرّ إليه بنفسك ولا تغبّ عنه برأيك ومكيدتك . فتجهّز معاوية وتجهّز الناس وحضتهم عمرو وضعف عليّاً وأصحابه وقال : إن أهل العراق قد فرّقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم وقلّوا حدّهم ، وأهل البصرة مخالفون لعليّ بمن قُتل منهم ، وقد تفانت صنابيرهم وصناديد أهل الكوفة يوم الحمل ، وإنما سار عليّ في شردمة² قليلة وقد قتل خليفتمكم ، والله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تطلّوه³ ! وكتب معاوية أهل الشام وعقد لواء لعمرو ولواء لابنيه عبد الله ومحمد ولواء لغلامه وردان ، وعقد عليّ لواء لغلامه قنبر ، فقال عمرو :

هل يُغنين وردانُ عني قنبراً وتُغني السكونُ عني حميراً
إذا الكماة لبيسوا السنوراً⁴

فبلغ ذلك عليّاً فقال :

لأصبحن العاصي ابن العاصي سبّعين ألفاً عاقدي النواصي
مجنّين الخيل بالقيلاص مستحقين حلق الدلاص

فلما سمع معاوية ذلك قال : ما أرى عليّاً إلا وقد وفي لك . وسار معاوية وتأتى في مسيره ، فلما رأى ذلك الوليد بن عتبة بعث إليه يقول :

1) هبة S.

2) شبة C. P.

3) تطلقوه C. P.

4) المسورا Br. Mus. ; الأسود R.

5) شبة C. P.

١ أو تغني .

ألا أبلغ معاوية بن حرب
 قطعت الدهر كالسديم المعنى
 وإنك والكتاب إلى علي
 يُمَنِّيك^١ الإمارة^١ كل ركب
 وليس أخو الترات بمن توانى
 ولو كنت القليل وكان حياً
 ولا نكل^٣ عن الأوتار حتى
 وقومك بالمدينة قد أبيروا^٤
 فإنك من أخي ثقة مليم
 تُهدر في دمشق فما تريم
 كدابغة وقد حلّم الأديم
 لأنقاض العراق بها رسيم
 ولكن طالب الترة الغشوم^٢
 لجرّد لا ألف ولا غشوم
 يبيء^٣ بها ولا بريم جشوم
 فهم صرعى كأنهم الهشيم

فكتب إليه معاوية :

ومُستعجب مما يرى من أُناتينا^٥ ولو زبنته^٦ الحرب لم يترمرم.

• وبعث عليّ زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف ، وبعث معه شريح
 ابن هانيء [في] أربعة آلاف^٧ ، وسار عليّ من النخيلة وأخذ معه من
 بالمدائن من المقاتلة ، وولّى عليّ المدائن سعد بن مسعود ، عم المختار بن أبي
 عبيد الثقفي . ولما سار عليّ كان معه نابغة بني جعدة ، فحدا به يوماً فقال :

1) C. P. تمنيك الأمانى .

2) R. الثرة القديم ; Br. Mus. الزره القديم .

3) C. P. ولا يكمل .

4) C. P. أغيروا .

5) C. P. أماننا .

6) C. P. رثيته ; R. زينته .

7) S.

١ يُمَنِّيك .

٢ وليس أخو التراب بمن توانى ولكن طالب التره الغشوم

٣ يبيء .

٤ ابن .

قد عَلِمَ المِصرانِ والعِراقُ أنَ عَلِيًّا فَحَلَّها العُتاقُ
أبيضُ جَحْجَاحٌ¹ لَهُ رُواقُ إنَّ الأولى جَاروكَ لا أفاقُوا
لكم سِباقٌ ولَهم سِباقُ قد عَلِمَتَ ذلَكمُ الرِّفاقُ

ووجَّهَ عليٌّ من المدائن معقلَ بن قيس في ثلاثة آلاف ، وأمره أن يأخذ على
الموصل حتى يوافيه على الرِّقَّة ، فلما وصل إلى الرِّقَّة كان لأهلها ليعملوا له
جسراً يعبر عليه إلى الشام ، فأبوا ، وكانوا قد ضمُّوا سفنهم إليهم ، فنهض
من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الأشتر ، فناداهم الأشتر وقال :
أقسم بالله لئن لم تعملوا جسراً يعبر عليه أمير المؤمنين لأجرِّدنَ فيكم السيف
ولأقتلنَ الرجالَ ولأخذنَ الأموال ! فلقى بعضهم بعضاً وقالوا : إنَّه الأشتر
وإنَّه قَمِينٌ أن يفي لكم بما حلف عليه أو يأتي بأكثر منه . فنصبوا له جسراً
وعبر عليه عليٌّ وأصحابه وازدحموا عليه ، فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي
الحصين الأزدي فتزل فأخذها ثم ركب ، وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج
الأزدي فتزل فأخذها ، ثم قال لصاحبه :

فإن يكُ ظنُّ الزَّاجري الطيرِ صادقاً كما زَعَموا أقتلُ وشيكاً وتُقتلُ¹

فقال ابن أبي الحصين : ما شيء أحبَّ إليَّ ممَّا ذكرتُ ! فقتلنا جميعاً
بصيفين .

ولما بلغ عليٌّ الفرات دعا زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ فسرحهما
أمامه . في اثني عشر ألفاً² نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من
الكوفة . وكان سبب عودهما إليه أنهما حيث سيرهما عليٌّ من الكوفة أخذوا

1) C. P. c. art.

2) Om. S.

على شاطئ الفرات ممّا يلي البرّ . فلما بلغا عانات بلغهما أن معاوية قد أقبل في جنود الشام ، فقالا : لا والله ما هذا لنا برأي نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر ! وما لنا خير في أن نلقى جنود الشام بقلّة من معنا . فذهبوا ليعبروا من عانات ، فمنعهم أهلها . فرجعوا فعبروا من هيت ، فلهقوا عليّاً دون قرقيسيا ، فلما لهقوا عليّاً قال : مقدمتي تأتيني من ورائي . فأخبره شريح وزياد بما كان ، فقال : سدّ دتما . فلما عبر الفرات سيرهما أمامه ، فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام ، فأرسلا إلى عليّ فأعلماه ، فأرسل عليّ إلى الأشتر وأمره بالسرعة وقال له : إذا قدمت فأنت عليهم ، وإيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلاّ أن يبدأوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم ، ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرّة بعد مرّة ، واجعل على ميمتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً ، ولا تدنّ منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب ، ولا تباعدّ منهم تباعدّ من يهاب البأس حتى أقدم عليك ، فإنّي حيث المسير في إثرك إن شاء الله تعالى . وكتب عليّ إلى شريح وزياد بذلك وأمرهما بطاعة الأشتر .

فسار الأشتر حتى قدم عليهم واتبع ما أمره وكفّ عن القتال ، ولم يزالوا متواقفين حتى [إذا] كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمي ، فثبتوا له واضطربوا ساعة ، ثمّ انصرف أهل الشام وخرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة المرقال ، وخرج إليه أبو الأعور ، فاقتلوا يومهم وصبر بعضهم لبعض ثمّ انصرفوا ، وحمل عليهم الأشتر وقال : أروني أبا الأعور ، وتراجعوا² ، ووقف أبو الأعور وراء المكان الذي كان فيه أوّل مرّة ، وجاء الأشتر فصف أصحابه بمكان أبي الأعور بالأمس ، فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعي : انطلق إلى أبي الأعور فادعُه إلى البراز . فقال : إلى مبارزتي أو مبارزتك ؟ فقال الأشتر :

1) C. P. & R. الناس .

2) وتراجعوا R.

لو امرتك بمبارزته فعلت^١ ؟ قال : نعم ، والله لو امرتني ان أعرض صفتهم بسيفي لفعلت ! فدعا له وقال : إنما تدعوه لمبارزتي . فخرج إليهم فقال : آمينوني فإنني رسول ، فأمنوه ، فأنتهى إلى أبي الأعور وقال له : إن الأشتر يدعوك إلى أن تبارزه ، فسكت طويلاً ثم قال : إن خفة الأشتر وسوء رأيه حملاه على إجلاء عمال عثمان عن العراق وتقييع محاسنه وعلى أن سار إليه في داره حتى قتله فأصبح متبعباً بدمه لا حاجة لي في مبارزته . قال له الرسول : قد قلت فاسمع مني أجبتك . قال : لا حاجة لي في جوابك ، اذهب عني ! فصاح به أصحابه ، فانصرف عنه ورجع إلى الأشتر فأخبره ، فقال : لنفسه نظر . فوقفوا حتى حجز الليل بينهم ، وعاد الشاميون من الليل وأصبح علي^٢ غلوة عند الأشتر ، وتقدم الأشتر ومن معه فأنتهى إلى معاوية فواقفه ولحق بهم علي^٢ فتواقفوا طويلاً .

ثم إن علياً طلب لسكره موضعاً يتزل فيه ، وكان معاوية قد سبق فترل مترلاً اختاره بسيطاً واسعاً أفبح^١ وأخذ شريعة الفرات ، وليس في ذلك الصقع شريعة غيرها ، وجعلها في حيزه ، وبعث عليها أبا الأعور السلمي بحميتها وبمنعها ، فطلب أصحاب علي^٢ شريعة غيرها فلم يجدوا ، فاتوا علياً فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس ، فدعا صعصعة بن صوحان فأرسله إلى معاوية يقول له : إنا سرنا سيرنا هنا ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، فقدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك^٢ ، وهذه أخرى قد فعلتموها ، منعم الناس عن الماء والناس غير متهين^٢ ، فابعث إلى أصحابك فليخلتوا بين الناس وبين الماء وليكفوا لتنظر فيما بيننا وبينكم وفيما

١) اتع S ; افصح R .

٢) منهن C. P.

١ لعلت .

٢ عليا .

قدمنا له ، فإن أردت أن نترك ما جئنا له ونقتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا .

فقال معاوية لأصحابه : ما ترون ؟ فقال الوليد بن عتبة وعبد الله بن سعد : امنعهم الماء كما منعه ابن عفان ، اقتلهم عطشاً قتلهم الله ! فقال عمرو بن العاص : خل بين القوم وبين الماء وإنهم لن يعطشوا وأنت ريان ولكن بغير الماء ، فانظر فيما بينك وبين الله . فأعاد الوليد وعبد الله بن سعد مقالتهما وقالوا : امنعهم الماء¹ إلى الليل ، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة ، امنعهم الماء منعه الله [إياه] يوم القيامة ! قال صعصعة : إنما يمنعه الله الفجرة وشربة الخمر ، لعنك الله ولعن هذا الفاسق ! يعني الوليد بن عتبة . فشتموه وتهددوه .

وقد قيل : إن الوليد وابن أبي سرح لم يشهدا¹ صيفين .

فرجع صعصعة فأخبره بما كان وأن معاوية قتل سيأتيكم رأيي² ، فسرب² الخيل إلى أبي الأعور ليمنعهم الماء ، فلما سمع علي ذلك قال : قاتلوهم على الماء . فقال الأشعث بن قيس الكندي : أنا أسير إليهم . فسار إليهم ، فلما دنوا منهم ثاروا في وجوههم فرموهم بالنبل فتراموا ساعة³ ثم تطاعنوا بالرماح ثم صاروا إلى السيوف فاقتلوا ساعة ، وأرسل معاوية يزيد بن أسد البجلي القسري ، جد خالد بن عبد الله القسري ، في الخيل إلى أبي الأعور ، فأقبلوا³ ، فأرسل علي شيبث بن ربيعي الرياحي ، فازداد القتال ، فأرسل معاوية عمرو بن العاص في جند كثير ، فأخذ يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد ، وأرسل علي الأشتر في جمع

1) C. P. add. وان R. وانظر R. 2) C. P. وفرت R. فبرزت R. 3) C. P. et R. فاقتلوا .

١ يشهدوا .

٢ رأي .

عظيم وجعل يمدّ الأشعث وشبثاً ، فاشتدّ القتال ، فقال عبد الله بن عوف الأزدي الأحمري :

خلّوا لنا ماء الفراتِ الجاري أو اثبتوا بلحفلِ جرّارِ
لكلّ قرمٍ مُستَميتِ شاري مُطاعنِ برُحِّهِ كَرّارِ
ضَرّابِ هاماتِ العِدي مغوّارِ لم يخشَ غيرَ الواحدِ القهّارِ

وقاتلوهم حتى خلّوا بينهم وبين الماء وصار في أيدي أصحاب عليّ ، فقالوا : والله لا نسقيه أهل الشام ! فأرسل عليّ إلى أصحابه : أن خذوا من الماء حاجتكم واخلوا عنهم ، فإن الله نصركم بغيرهم وظلمهم . ومكث عليّ يومين لا يرسل إليهم أحداً ولا يأتيه أحد ، ثمّ إن عليّاً دعا أبا عمرو بشير بن عمرو بن محسن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي ، فقال لهم : اثبتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة . فقال له شبث : يا أمير المؤمنين ألا تطمعه في سلطان توليه إياه أو منزلة تكون له بها أثره عندك إن هو بايعك ؟ قال : انطلقوا إليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه . وهذا في أوّل ذي الحجة . فأتوه فدخلوا عليه ، فابتدأ بشير بن عمرو الأنصاري فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه ، وإنّي أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها بينها .

فقطع عليه معاوية الكلام وقال : هلاّ أوصيتَ بذلك صاحبك ؟ فقال أبو عمرو : إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحقّ البرية كلّها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقراة بالرسول ، صلّى الله عليه وسلّم . قال : فماذا يقول ؟ قال : يأمرك بتقوى الله . وأن تجيب² ابن عمك إلى ما

1) Om. S.

2) وإجابة S.

يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دنياك وخير لك في عاقبة أمرك ! قال معاوية : ونترك دم ابن عفان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً .

قال : فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شبث بن ربعي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معاوية قد فهمت ما رددت علي ابن محصن ، إنه والله لا يخفى علينا ما نطلب ، إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك : قتل إمامكم مظلوماً فنحن نطلب بدمه ، فاستجاب لك سفهاء طغام ، وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل هذه المنزلة التي أصبحت تطلب ، ورب متمني أمر وطالبه بحول الله دونه . وربما أوتي المتمني أمنيته وفوق أمنيته ، والله ما لك في واحدة منهما خير ! والله إن أخطأك ما ترجو إنك لشر العرب حالاً ! ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلي النار ! فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله .

قال : فحمد معاوية الله ثم قال : أما بعد فإن أول ما عرفتُ به سفهك وخفة حلمك أن قطعت على هذا الحبيب الشريف سيد قومه منطقته ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به ، فقد كذبت ولؤمت أيتها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت ! انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف . وغضب وخرج القوم . فقال له شبث بن ربعي : أتوهل بالسيف ؟ أقسم بالله لنعجلنها إليك !

فاتوا علياً فأخبروه بذلك ، فأخذ عليّ يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه ويخرج إليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة ، فيقتلان في خيلها ثم ينصرفان ، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام لما خافوا أن يكون فيه من الاستئصال والهلاك ، فكان عليّ يخرج مرة² الأشتر

1) C. P. et R. لنجملنها عليك .

2) R. add. معه .

ومرّة حجر بن عدي الكندي ومرّة شَبَث بن ربيعي ومرّة خالد بن المعتمر ومرّة زياد بن النضر الحارثي¹ ومرّة زياد بن خَصَفَة التيمي ومرّة سعيد بن قيس الهمداني ومرّة معقل بن قيس الرياحي ومرّة قيس بن سعد الأنصاري ، وكان الأشتر أكثرهم خروجاً . وكان معاوية يُخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأبا الأعور السُّلَمي وحبيب بن مسلمة الفِهري وابن ذي الكلاع الحِميري وعبيد الله ابن عمر بن الخطاب وشُرَحْبِيل بن السَّمط الكندي وحُمرة بن مالك الهمداني ، فاقتلوا أيام ذي الحجة كلّهم ، وربما اقتلوا في اليوم الواحد مرتين .

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة مات حذيفة بن اليمان بعد قتل عثمان بيسير ولم يُدرك الحمل ، وقتل ابنه صفوان وسعيد مع عليّ بصِفَتَيْن بوصية أبيهما ، وقيل : مات سنة خمس وثلاثين ، والأوّل أصحّ . وفيها مات سلمان الفارسي في قول بعضهم ، وكان عمره مائتين وخمسين سنة ، هذا أقلّ ما قيل فيه ، وقيل : ثلثمائة وخمسون سنة² ، وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح ، عليه السلام . وعبد الله ابن سعد بن أبي سرح مات بعسقلان حيث خرج³ معاوية إلى صِفِّين وكره الخروج معه . ومات فيها عبد الرحمن بن عُدَيْس البلوي أمير القادمين من مصر لقتل عثمان ، وكان ممن بايع النبيّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تحت الشجرة ، وقيل : بل قُتِلَ بالشام . وفيها مات قُدّامة بن مظعون الجُمَحِي . وهو من مهاجرة الحبشة ، وشهد بدرأ . وفيها توفي عمرو بن أبي عمرو بن ضَبَّة الفِهري أبو شداد ، شهد بدرأ . وفيها استعمل عليّ على الريّ يزيد بن حُجَيَّة التيمي

1) Om. S.

2) Om. S.

3) C. P. add. مع .

4) R. صفة ; C. P. صفة .

اللات ، فكسر من خراجها ثلاثين ألفاً ، فكتب إليه عليّ يستدعيه ، فحضر ، فسأله عن المال قال : أين ما غلته من المال ؟ قال : ما أخذتُ شيئاً ! فخفقه بالدرة خفقات وحبسه ووكل به سعداً مولاه ، فهرب منه يزيد إلى الشام ، فسوغه¹ معاوية المال ، فكان ينال من عليّ ، وبقي بالشام إلى أن اجتمع الأمر لمعاوية فسار معه إلى العراق فولاه الريّ ، فقيل : إنه شهد مع عليّ الحمل وصيفين والنهروان ، ثمّ ولاه الريّ ، وهو الصحيح ، فكان ما تقدم ذكره .

1) فساق عنه R.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

ذكر نمة أمر صفين

في هذه السنة في المحرم منها جرت موادة بين علي ومعاوية ، توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضي المحرم طمعا في الصلح ، واختلفت بينهما الرسل ، فبعث علي عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد ابن خصفة .

فتكلم عدي بن حاتم فحمد الله وقال : أما بعد فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا ونحمن به الدماء ونصلح ذات اليبين ، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ولم يبق أحد غيرك وغير من معك ، فاحذر يا معاوية لا يصبك وأصحابك مثل يوم الجمل ! فقال له معاوية : كأنك إنما جئت متهدداً لم تأت مصلحاً ! هيهات يا عدي ! كلاً والله إنني لابن حرب لا يقعق له بالشنان^١ ، وإنك والله من المجلبين على عثمان ، وإنك من قتلته ، وإنني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به ! فقال له شبث وزياد بن خصفة جواباً واحداً : أتيناك فيما يصلحنا وإيّاك فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا ينفع وأجبنا فيما يعم نفعه . وقال يزيد ابن قيس : إننا لم نأت إلا لنبلغك ما أرسلنا به إليك ونؤدي عنك ما سمعنا منك ،

1) Vid. Meidani Proverbia. II, p. 585.

ولن ندع أن ننصح لك وأن نذكر ما يكون به الحجّة عليك ويرجع إلى الألفة والجماعة ، إن صاحبنا من قد عرف المسلمون فضله ولا يخفى عليك ، فاتق الله يا معاوية ولا تخالفه ، فإننا والله ما رأينا في الناس رجلاً قط أعمل بالتقوى ولا أزهّد في الدنيا ولا أجمع لحصال الخير كلّها منه .

فحمد الله معاوية ثمّ قال : أمّا بعد فإنّكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتم إليها فمعناها هي ، وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنّنا لا نراها لأن صاحبكم قتل خليفتنا وفرّق جماعتنا وآوى ثأرتنا ، وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتله . فنحن لا نردّ عليه ذلك فليدفع إلينا¹ قتلة عثمان لنقتلهم ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال شبّث بن ربعي : أيسرك يا معاوية أن تقتل عمّاراً² ؟ فقال : وما يمنعني من ذلك ؟ لو تمكّنت³ من ابن سمية³ لقتلته بمولى عثمان . فقال شبّث : والذي لا إله غيره لا تصل إلى ذلك حتى تندر⁴ الهام عن الكواهل وتضيق الأرض⁵ الفضاء¹ عليك ! فقال معاوية : لو كان ذلك لكانت عليك أضيق !

ع

وتفرّق القوم عن معاوية ، وبعث معاوية إلى زياد بن خصفة فخلا به وقال له : يا أخا ربيعة ، إنّ عليّاً قطع أرحامنا وقتل إمامنا وآوى قتلة صاحبنا ، وإنّي أسألك النصر عليه بعشيرتك ثمّ لك عهد الله وميثاقه أنّي أولئك إذا ظهرت أيّ المصريين أحببت . فقال زياد : أمّا بعد فإنّي على بيّنة من ربّي وما أنعم الله عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ! وقام . فقال معاوية لعمر بن العاص : ليس نكلتم رجلاً منهم فيجيب إلى . خير ، ما⁵ قلوبهم إلاّ كقلب واحد .

1) C. P. فإن سلم لنا ; R. om. cum duabus vocibus sequentibus.

2) C. P. عليّاً .

3) C. P. منه .

4) C. P. تصدر .

5) C. P. نصرتنا كأنما .

وبعث معاوية إلى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحيل بن السمط ومعن ابن يزيد بن الأحنس ، فدخلوا عليه ، فحمد الله حبيب وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن عثمان كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله ويُنِيب إلى أمره ، فاستثقلتم حياته واستبظأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه ، فادفع إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنك لم تقتله [نقتلهم به] ، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شوري بينهم يولونه من أجمعوا عليه . فقال له علي : ما أنت لا أم لك والعزل وهذا الأمر؟ اسكت [فإنك] لست هناك ولا بأهل له . فقال : والله لتريني بحيث تكره ! فقال له علي : وما أنت؟ لا أبقى الله عليك إن أبقيت علينا ، اذهب فصوب وصعد ما بدا لك ! وقال شرحيل : ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي ، فهل عندك جواب غير هذا؟ فقال علي : ليس عندي جواب غيره .

ثم حمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فإن الله تعالى بعث محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، بالحق فأنقذ به من الضلالة والهلكة وجمع به من الفرقة ثم قبضه الله إليه فاستخلف الناس أبا بكر ، واستخلف أبو بكر عمر ، فأحسنا السيرة وعدلا ، وقد وجدنا عليهما أن توليا الأمور ونحن آل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فغفرنا ذلك لهما ، وولى الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس فساروا إليه فقتلوه ، ثم أناني الناس فقالوا لي : بايع ، فأبيت ، فقالوا : بايع فإن الأمة لا ترضى إلا بك وإنما نخاف إن لم تفعل أن يتفرق الناس : فبايعتهم ، فلم يرعني إلا شقاق^١ رجلين قد بايعاني وخلاف^٢ معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام ، طليق ابن طليق ، حزب من الأحزاب ، لم يزل حرباً لله ورسوله هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين ، ولا عجب

١ بشقاق .

٢ وبخلاف .

إلا من اختلافكم معه¹ وانقيادكم له وتركون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ! ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإمامته الباطل وإحياء الحق ومعالم الدين ! أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين . فقالوا : تشهد أن عثمان قُتل مظلوماً ؟ فقال لهما : لا أقول إنه قُتل مظلوماً ولا ظالماً . قالوا : فمن لم يزعم أنه قُتل مظلوماً فنحن منه برآء . وانصرفا ، فقال [عليّ] ، عليه السلام : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾² . ثم قال لأصحابه : لا يكن هؤلاء في الجِدِّ في ضلالهم أجدّ منكم في الجِدِّ في حقكم وطاعة ربكم .

فتنازع عامر بن قيس الحِذْميري³ ثم الطائي وعدي بن حاتم الطائي في الراية بصيفين ، وكانت حِذْمير⁴ أكثر من بني عدي رهط حاتم ، فقال عبد الله بن خليفة البَوْلاني عند عليّ : يا بني حِذْمير⁴ أعلى عدي تتوثبون وهل فيكم وفي آبائكم مثل عدي وأبيه ؟ أليس بحامي القرية ومانع الماء يوم رويّة⁵ ؟ أليس ابن ذي المربع ، وابن جواد العرب ، وابن المنهب ماله وملهع جاره ، ومن لم يغدر ولم يفجر ولم يبخل ولم يمن ولم يجبن ؟ هاتوا في آبائكم مثل أبيه ، أوفيكُم مثله ، أليس أفضلكم في الإسلام ووافدكم إلى النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؟ أليس برأسكم يوم النُخَيْلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جَلَوْلَاء ويوم نِهاوند ويوم تُسْتَر ؟ فقال عليّ : حسبك يا ابن خليفة . وقال عليّ : لتحضر جماعة طيء . فأتوه ، فقال : من كان رأسكم في هذه المواطن ؟ قالوا : عدي . فقال ابن خليفة : سلهم يا أمير المؤمنين أليسوا راضين برياسة عدي ؟ ففعل ، فقالوا : بلى . فقال عليّ : فعدي أحقكم بالراية ، وأخذها . فلما كان أيتام⁶ حجر بن عدي طلب زياد⁶ عبد الله بن خليفة ليعثه مع حجر ، فسار إلى الجبلين ووعد عدي أن يردّه

1) C. P. et R. على .

2) Corani 27, vers. 80, 81.

3) C. P. et R. الحِزْميري .

4) حِزْم .

5) C. P. c. art.

6) C. P. et R. يوم .

وأن يسأل فيه ، فطال عليه ذلك ، فقال شعراً ، منه :

أتسنى بلائي سادراً يا ابن حاتم
فدافعتُ عنكَ القومَ حتى تماذلوا
عشيّة ما أغنتُ عديكَ حيدميراً
فولّوا وما قاموا مقامي كأنما
وكنْتُ أنا الحصمَ الألدَّ العذوّراً
نصرتُك إذ خام³ القريبُ وأبعدا
رأوني ليثاً¹ بالأبابة² مخدراً
بعيدُ وقد أفردتُ نصراً مؤزراً
فكان جزائي أن أجرّره⁴ بينكم
سحبياً وأن أولى الهوانِ وأوسراً
وكم عِدّة لي منك أنك راجعي
فلم تغنِ بالميعادِ عني حبّسراً

وسرد قصته بتمامها ، إن شاء الله تعالى .

فلما انسلخ المحرم أمر عليّ منادياً فنادى : يا أهل الشام ! يقول لكم أمير المؤمنين : قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنبؤوا إليه ، فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا إلى الحق ، وإنّي قد نبذتُ إليكم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين ! فاجتمع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم ، خرج معاوية وعمرو يكتبان الكتاب ويُعبيان الناس ، وكذلك فعل أمير المؤمنين ، وقال للناس : لا تقتلوهم حتى يقاتلوكم ، فأنتم بحمد الله على حجة ، وترككم قتلهم حجة أخرى ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمشلوا بقتيل ، وإذا وصلتُم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ، ولا تهيجوا امرأة وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهن ضِعاف القوى والأنفس . وكان يقول بهذا المعنى

1) Br. Mus. شاباً .

2) Br. Mus. et R. بالأناة ، C. P. بالإمارة .

3) R. et C. P. خان .

4) R. أحرب .

لأصحابه في كل موطن ، وحرّض أصحابه فقال : عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ وَغَضُّوا
 الأبصار واخفضوا الأصوات وأقلِّتوا الكلام ووطنوا أنفسكم على المنازلة
 والمجاولة والمزاولة والمناضلة والمعانقة والمكادمة والملازمة ، ﴿فَاتَّبِعُوا وَأَذْكُرُوا
 اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^١ ، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
 رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^٢ ، اللهم ألهمهم الصبر وأنزل
 عليهم النصر وأعظم لهم الأجر !

وأصبح عليّ فجعل على خيل الكوفة الأشتر ، وعلى جند البصرة سهل بن
 حنيف ، وعلى رجالة الكوفة عمّار بن ياسر ، وعلى رجالة البصرة قيس بن
 سعد ، وهاشم بن عتبة الميرقال معه الراية ، وجعل مسعر بن فدكي على قراء
 الكوفة وأهل البصرة . وبعث معاوية على ميمته ابن ذي الكلاع الحميري ،
 وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى مقدمته أبا الأعور السلمي ،
 وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالة دمشق مسلم بن عقبة المري ،
 وعلى الناس كلهم الضحّاك بن قيس ، وبابح رجال من أهل الشام على الموت ،
 فعلقوا أنفسهم بالعمائم ، وكانوا خمسة صفوف ، وخرجوا أول يوم من صفّر
 فاقتلوا ، وكان على الذين خرجوا من أهل الكوفة الأشتر ، وعلى من خرج من
 أهل الشام حبيب بن مسلمة ، فاقتلوا يومهم قتالاً شديداً معظم النهار ثم تراجعوا
 وقد انتصف بعضهم من بعض . ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل
 ورجال ، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي ، فاقتلوا يومهم ذلك
 ثم انصرفوا ، وخرج في اليوم الثالث عمّار بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن
 العاص ، فاقتلوا أشد قتال ، وقال عمّار : يا أهل العراق أتريدون أن تنظروا
 إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين ؟

١ (سورة الأنفال ٨ ، الآية ٤٥) .

٢ (سورة الأنفال ٨ ، الآية ٤٦) .

فلما رأى الله يُعزّز دينه ويُظهر رسوله أتى النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وهو فيما نرى¹ راهب غير راغب ! ثمّ قبض النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فوالله إن زال بعده معروفاً بعداوة المسلم واتباع المجرم ، فاثبتوا له وقاتلوه .

وقال عمار لزياد بن النضر وهو على الخيل : احمل على أهل الشام . فحمل وقاتله الناس وصبروا له ، وحمل عمار فأزال عمرو بن العاص عن موضعه . وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه لأمه ، واسمه عمرو بن معاوية من بني المنتفق . فلما التقيا تعارفاً فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه وتراجع الناس . وخرج من الغد محمد بن عليّ ، وهو ابن الحنفية ، وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين فاقتتلوا أشدّ القتال ، وأرسل عبيد الله إلى ابن الحنفية يدعوه إلى المبارزة ، فخرج إليه ، فحرك عليّ دابته وردّ ابنه وبرز عليّ إلى عبيد الله ، فرجع عبيد الله ، وقال محمد لأبيه : لو تركتني لموت قتله . وقال : يا أمير المؤمنين وكيف تبرز إلى هذا الفاسق ؟ والله إنني لأرغب . - س أبه ! فقال عليّ : يا بني لا تقل في أبيه إلاّ خيراً . وتراجع الناس . وخرج عبد الله بن عباس في اليوم الخامس ، وخرج إليه الوليد بن عقبة ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، فسبّ الوليد بن عبد المطلب ، فطلبه ابن عباس ليبارزه فأبى ، وقاتل ابن عباس قتالاً شديداً . وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الأنصاري ، وخرج إليه ابن ذي الكلاع الحيميري ، فاقتلوا قتالاً شديداً ثمّ انصرفوا . ثمّ عاد يوم الثلاثاء وخرج الأشتر ، وخرج إليه حبيب ، فاقتلوا قتالاً شديداً وانصرفوا عند الظهر .

ثمّ إنّ عليّاً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء خطيباً فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، ولو شاء الله ما اختلف اثنان من

1) C. F. et R. يرى .

خلقه ولا اختلفت الأمة في شيء ولا جحد المفضول¹ ذا الفضل فضله وقد ساقنا
وهؤلاء القوم الأقدار فنحن بمرأى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل النعمة وكان
منه التغيير¹ حتى يكذب الظالم² ويعلم الحق³ أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا
دار الأعمال وجعل الآخرة دار القرار ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا
عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾⁴ ، ألا وإنكم لاقوا القوم
غداً فاطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم
بالجِدِّ والحزم وكونوا صادقين . فقام القوم يصلحون سلاحهم ، فمر بهم
كعب بن جُعيل فقال :

أصَبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمَلِكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ إِنَّ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ

وعبى علي⁵ الناس ليلته حتى الصباح . وزحف بالناس⁶ ، وخرج إليه معاوية
في أهل الشام ، فسأل علي⁵ عن القبائل من أهل الشام فعرف مواقفهم ، فقال
للأزد : اكفونا الأزد ، وقال لخنم : اكفونا خنم ، وأمر كل قبيلة أن تكفيه
أختها من الشام إلا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها إلى قبيلة أخرى
من الشام ليس بالعراق منهم أحد ، مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم إلا القليل صرفهم
إلى لخنم .

فتناهض الناس⁷ يوم الأربعاء فاقتلوا قتالاً شديداً ثم انصرفوا عند المساء
وكل⁸ غير غالب ، فلما كان يوم الخميس صلى علي⁵ بغلس وخرج
بالناس إلى أهل الشام فزحف إليهم وزحفوا معه ، وكان على ميمنة علي⁵ عبد الله

1) S. 2) المظالم R. ; الخطاء C. P. 3) المعق C. P. 4) S. 5) النقة R. 6) R. 7) S.

١ (سورة النجم ٥٣ ، الآية ٣١) .

ابن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي ، وعلى ميسرته عبد الله بن عباس ، والقراء مع ثلاثة نفر : عمّار ، وقيس بن سعد ، وعبد الله بن بُدَيْل ، والناس على راياتهم ومراكزهم ، وعليّ في القلب في أهل المدينة . بين أهل الكوفة والبصرة ، وأكثر من معه من أهل المدينة¹ الأنصار ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم من أهل المدينة ، وزحف إليهم . ورفع معاوية قبة عظيمة فألقى عليها الثياب وباعه أكثر أهل الشام على الموت ، وأحاط بقبته خيل دمشق . وزحف عبدُ الله بن بُدَيْل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة وهو في ميسرة معاوية ، فلم يزل يحوزه ويكشف خيله حتى اضطرهم إلى² قبة معاوية عند الظهر ، وحرّض عبدُ الله بن بُدَيْل أصحابه فقال : ألا إن معاوية ادّعى ما ليس له ، ونازع الحقّ أهله ، وعاند من ليس مثله ، وجادل بالباطل ليدحض به الحقّ ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب الذين قد زين لهم الضلالة ، وزرع في قلوبهم حبّ الفتنة ، ولبس عليهم الأمر ، وزادهم رجساً إلى رجسهم ، فقاتلوا الطّعام الحفاة ولا تخشوهم ، ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِمِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وحرّض عليّ أصحابه فقال في كلام له : فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدّموا الدارع وأخروا الحاسر ، وعضّوا على الأضراس فإنه أنبىّ¹ للسيوف عن الهام ، والتّووا في الأطراف فإنه أصون للأسنة ، وغضّوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلب ، وأميتوا الأصوات فإنه أطرّد للفشل وأولى بالوقار ، راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلاّ بأيدي شجعانكم ، واستعينوا

اصطدم على R. 2)

1) S.

١ (سورة التوبة ٩ ، الآية ١٤) .

٢ أنباء .

بالصدق والصبر ، فإنّ بعد الصبر ينزل عليكم¹ النصر .

وقام يزيد بن قيس الأرحبي يحرّض الناس فقال : إن المسلم من سلّم في دينه ورأيه ؛ وإنّ هؤلاء القوم والله لا يقاتلوننا على إقامة دين ضيّعناه وإحياء حقّ¹ أمّتناه ، إن يقاتلوننا إلّا على هذه الدنيا ليكونوا جبّارين فيها ملوكاً ، فلو ظهوروا عليكم ، لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً ، ألزموكم بمثل سعيد والوليد وابن عامر السفية الضال ، يميز أحدهم بمثل دينه ودية² أبيه وجدّه في جلسه ثمّ يقول : هذا لي ولا لثمّ عليّ ، كأنّما أعطى تراثه على أبيه وأمّه ، وإنّما هو مال الله أفاءه علينا بأرماحنا وسيوفنا ، فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين ، فإنّهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم منّ قد عرفتم وخبرتم ! والله ما ازدادوا إلى يومهم إلّا شراً !

وقاتلهم عبد الله بن بُدّيل في الميمنة قتالاً شديداً حتى انتهى إلى قبة معاوية وأقبل الذين تابعوا على الموت إلى معاوية ، فأمرهم أن يصمدوا لابن بُدّيل في الميمنة ، وبعث إلى حبيب بن مسامة في الميسرة فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزّمهم ، وانكشف أهل العراق من قبيل الميمنة حتى لم يبق منهم إلّا ابن بُدّيل في مائتين أو ثلاثمائة من القراء قد أسند بعضهم إلى بعض وانجفل الناس ، وأمر عليّ سهل بن حنّيف فاستقدم فيمن كان معه³ من أهل المدينة ، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة فاحتلمتهم حتى أوقفتهم في الميمنة ، وكان فيما بين الميمنة إلى موقف عليّ في القلب أهل اليمن . فلما انكشفوا انتهت الهزيمة إلى عليّ ، فانصرف عليّ يمشي نحو الميسرة ، فانكشفت عنه مضر من

1) Om S.

2) C. P. ef R. دينه ودين .

3) Pro his C. P. modo : إلا التليل .

الميسرة وثبتت ربيعة ، وكان الحسن والحسين ومحمد بنو عليّ معه حين قصد
الميسرة والنبل يمرّ بين عاتقه ومنكبيه ، وما من بنيه أحد إلاّ يقيه بنفسه¹ فيرده ،
فبصر به أحمر مولى أبي سفيان أو عثمان فأقبل نحوه ، فخرج إليه كَيْسَان مولى
عليّ فاختلفا بينهما ضربتان فقتله أحمر ، فأخذ عليّ بجيب² درع أحمر فجذبه
وحمله على عاتقه ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعَضُدَيْهِ ، ودنا منه أهل
الشام ، فما زاده قربهم إلاّ إسراعاً ، فقال له ابنه الحسن : ما ضرك لو سمعت
حتى تنتهي إلى هؤلاء القوم من أصحابك ؟ فقال : يا بُني إن لأبيك يوماً لا يعدوه
ولا يبطيء به عنه السعي ولا يعجل به إليه المشي ، إن أباك والله لا يبالي أوقع عليّ
الموت أم وقع الموت عليه . فلما وصل إلى ربيعة نادى بصوت عال كغير المكثرت
لما فيه الناس : لمن هذه الرايات ؟ قالوا : رايات ربيعة . قال : بل رايات عصم
الله أهلها فصبرهم وثبت أقدامهم . وقال للحُضَيْن بن المنذر : يا فتى ألاّ تُدني
رايتك هذه ذراعاً ؟ قال : بلى والله وعشرة أذرع ، فأدناها حتى قال : حسبك
مكانك . ولما انتهى عليّ إلى ربيعة تنادوا بينهم : يا ربيعة إن أصيب فيكم أمير
المؤمنين وفيكم رجل حيّ افتضحتم في العرب ! فقاتلوا قتالاً شديداً ما قاتلوا
مثله ، فلذلك قال عليّ :

لمن راية سوداء يخفق ظلّها
ويقدمها في الموت حتى يزيروها
أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا
جزى الله قوماً صابرواً في لقائهم
إذا قيل قدّمها . حُضَيْنُ تقدّمًا¹
حياض المنايا تقطر الموت والدمًا
بأسيافنا حتى تولّى³ وأحجمًا
لدى الموت قوماً ما أعف⁴ وأكرمًا

1) C. P. فدى نفسه بنفسه .

2) C. P. بجلباب .

3) R. et Br. Mus. تمافا .

4) C. P. أغز .

١ • يا حُضَيْنُ يقدمًا .

وأطيب أخباراً¹ وأكرم شيمَةً إذا كان أصواتُ الرجالِ نغمَماً
رَبِيعَةً أعني ، إنهم أهلُ نَجْدَةٍ وبأسٍ إذا لاقوا خميساً عرَمرَماً

ومرّ به الأشر وهو يقصد الميسرة، والأشتر يركض نحو الفرع¹ قبيل الميمنة، فقال له عليّ: يا مالك! قال: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: انتِ هؤلاء القوم فقل لهم: أين فراركم من الموت الذي لن تُعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم؟ فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم ما قال عليّ، ثمّ قال: أيّها الناس أنا الأشتر، إليّ! فأقبل إليه بعضهم وذهب البعض، فنادى: أيّها الناس ما أقبح ما قاتلتم مذ اليوم! أخلصوا لي مدحجاً، فأقبلت مدحج إليه، فقال لهم: ما أرضيتم ربّكم ولا نصحتم له في عدوّكم، وكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومدحج الطعان الذين لم يكونوا يُسبقون بثأرهم ولا تُطَلّ دماؤهم، وما تفعلون هذا اليوم فإنه مأثور بعده، فانصحوا واصدقوا. عدوّكم اللقاء² فإن الله مع الصادقين. والذي نفسي بيده ما من هؤلاء - وأشار إلى أهل الشام - رجل على مثل جناح بعوضة من دين³، اجلوا سواد وجهي يرجع فيه دمه، عليكم بهذا السواد الأعظم، فإن الله [لو] قد فضّه تبعه من بجانيه. قالوا: تجدنا حيث أحببت. فقصد نحو عظيمهم ممّا يلي الميمنة يزحف إليهم ويردّهم، واستقبله شباب من همدان، وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ، وكانوا صبروا في الميمنة حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل وقتل منهم أحد عشر رئيساً، كان أولهم ذؤيب بن شريح، ثمّ شريحيل ثمّ مرثد ثمّ هبيرة ثمّ يريم ثمّ سمير أولاد شريح فقتلوا، ثمّ أخذ الراية عميرة ثمّ الحرث ابنا بشير فقتلا جميعاً، ثمّ أخذ الراية سفيان وعبد الله

1) أخبار R.

2) S.

3) Om. S.

وبكر بنو زيد فقتلوا جميعاً ، ثم أخذ الراية وهب بن كُريب ، فانصرف هو وقومه وهم يقولون : ليت لنا عدتنا من العرب يخالفوننا على الموت ثم نرجع فلا ننصرف أو نقتل أو نظفر ! فسمعهم الأشتر يقولون هذا فقال لهم : أنا أحالفكم على أن لا نرجع أبداً حتى نظفر أو نهلك . فوقفوا معه ، وفي هذا قال كعب بن جُعيل :

وهمدان زرق تبتغي من تخالف

وزحف الأشتر نحو الميمنة وثاب إليه الناس وتراجعوا من أهل البصرة وغيرهم ، فلم يقصد كتيبة إلا كشفها ولا جمعاً إلا حازه¹ وردّه ، فإنه كذلك إذ مرّ به زياد بن النضر الحارثي يُحمل إلى العسكر وقد صُرع ، وسببه أنه قد كان استلحم عبد الله بن بُدَيل وأصحابه في الميمنة ، فتقدّم زياد إليهم ورفع رايته لأهل الميمنة ، فصبروا وقاتل حتى صُرع . ثم مرّوا بيزيد بن قيس الأرحبي محمولاً نحو العسكر ، وكان قد رفع رايته لأهل الميمنة لما صُرع زياد وقاتل حتى صُرع ، فقال الأشتر . حين رآه² : هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم ، ألا يستحي الرجل أن ينصرف ولا يُقتل ، أو يُشفى به على القتل³ ؟ وقاتلهم الأشتر قتالاً شديداً ، ولزمه الحرث بن جُمّهان الجعفي يقاتل معه ، فما زال هو ومن رجع إليه يقاتلون حتى كشف أهل الشام وأحقهم بمعاوية والصف الذي معه بين صلاة العصر والمغرب ، وانتهى إلى عبد الله بن بُدَيل وهو في عصابة من القراء نحو المائتين أو الثلاثمائة قد لصقوا⁴ بالأرض كأنهم جثث⁵ ، فكشف عنهم أهل

1) C. P. add. . نصير .

2) S.

3) Om. C. P.

4) C. P. et R. اصطفوا .

5) S. خبا ; C. P. حبالا .

١ جازه .

٢ جثثا .

الشام فأبصروا إخوانهم فقالوا : ما فعل أمير المؤمنين ؟ قالوا ¹ : حي صالح في
الميسرة يقاتل الناس أمامه . فقالوا : الحمد لله ! قد كنا ظننا أنه قد هلك وهلكتم .
وقال عبد الله بن بُدَيْل [لأصحابه] : استقدموا بنا . فقال الأشتر : لا تفعل واثبت
مع الناس فإنه خير لهم وأبقى لك ولأصحابك . فأبى ومضى كما هو نحو معاوية
وحوله كأمثال الجبال ويده سيفان ¹ ، وخرج عبد الله أمام أصحابه يقتل كل من
دنا منه حتى قتل جماعة ، ودنا من معاوية ، فنهض إليه الناس من كل جانب
وأحيط به وبطائفة من أصحابه فقاتل حتى قُتل وقتل ناس من أصحابه ، ورجعت
طائفة منهم مجرحين . فبعث الأشتر الحرث بن جهمان الجعفي ، فحمل على
أهل الشام الذين يتبعون من انهزم من أصحاب عبد الله حتى نفسوا عنهم وانتهوا
إلى الأشتر ، وكان معاوية قد رأى ابن بُدَيْل وهو يضرب قُدُماً ، فقال : أترونه
كبش القوم ؟ فلما قُتل أرسل إليه لينظروا من هو ، فلم يعرفه أهل الشام ،
فجاء إليه ، فلما رآه عرفه فقال : هذا عبد الله بن بُدَيْل ، والله لو استطاعت
نساء خزاعة لقاتلنا فضلاً عن رجالها ! وتمثل بقول حاتم :

أخو الحرب إن أعضت به الحرب عضتها وإن شمّرت يوماً به الحرب شمّراً
وزحف الأشتر بعك والأشعرين . وقال لمذحج : اكفونا عكاً ، ووقف
في همدان وقال لكندة : اكفونا الأشعرين ² ، فاقتلوا قتالاً شديداً إلى المساء ،
وقاتلهم الأشتر في همدان وطوائف من الناس ، فأزال أهل الشام . عن مواضعهم ²
حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقّلة بالعمائم حول معاوية ، ثم حمل عليهم
حملة أخرى فصرع أربعة صفوف من المعقلين بالعمائم [حتى انتهوا إلى الخامس

1) C. P. سنان .

2) S.

١ قال .

٢ إذ .

الذي حول معاوية] ، ودعا معاوية بفرسه فركب وكان يقول : أردتُ أن أنهزم
فذكرتُ قول ابن الإطنابة الأنصاري ، وكان جاهلياً :

أبتُ لي عِفتي وأبى¹ بلائي وإقدامي على البطلِ المشيحِ
وإعطائي على المكروهِ مالي وأخذني الحمدَ بالثمنِ الربيحِ
وقولي كلما جشأت وجاشتُ : مكانك تُحمدي أو تستريحي

قال : فمنعني هذا القول من الفرار ، ونظر إليّ عمرو وقال : اليوم صبر
وغداً فخر . فقلت : صدقت . وتقدم جندب بن زهير فبارز رأس أزد الشام ،
فقتله الشامي وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبد الله ، وقتل أبو زينب بن عوف .
وخرج عبد الله بن أبي الحصين الأزدي في القراء الذين مع عمار بن ياسر فأصيب
معه ، وتقدم عقبة بن حديد¹ النُميري وهو يقول : ألا إن مرعى الدنيا أصبح
هشياً ، وشجرها خضيداً ، وجديدها سَملاً ، وحلوها مرّ المذاق ، إنني قد
سئمتُ الدنيا وعزفتُ نفسي عنها ، وإنني أتمنى الشهادة وأتعرض لها في كل
جيش وغارة فأبى الله إلا أن يبلغني هذا اليوم ، وإنني متعرض لها من ساعتي
هذه وقد طمعت أن لا أحرمها فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله ؟ في
كلام طويل . وقال : يا إخوتي قد بعثتُ هذه الدار بالتي أمامها وهذا وجهي
إليها . فتبعه إخوته عبيد الله وعوف ومالك وقالوا : لا نطلب رزق الدنيا بعدك ،
فقاتلوا حتى قتلوا . وتقدم شمر² بن ذي الجوشن فبارز ، فضرب أدهم بن
مُحرز الباهلي بالسيف وجهه وضربه شمر فلم يتضره ، فعاد شمر [إلى رحله]

1) R. حيب .

2) Vocales in S.

فشرب ماء ، وكان ظمآن ، ثم أخذ الرمح ثم حمل على أدهم فصرعه وقال :
هذه بتلك .

وكانت راية بجيلة¹ مع أبي شداد قيس بن هُبيرة الأحمسي وهو قيس بن
مكشوح ، . ومكشوح لقب² ، فقال لقومه : والله لأنتهين بكم إلى صاحب
الترس المذهب ، وكان صاحبه عبد الرحمن بن خالد³ ، فقاتل الناس قتالاً شديداً
وشدّ بسيفه نحو صاحب الترس ، فعرض له مولى رومي لمعاوية فضرب قدم أبي
شداد فقطعها ، وضربه أبو شداد فقتله ، وأشرعت إليه الرماح فقتل ، وأخذ
الراية عبد الله بن قِلْع⁴ الأحمسي فقاتل حتى قُتل ، ثم أخذها عفيف بن إياس فلم
تزل في يده حتى تحاجز الناس . وقتل حازم بن أبي حازم أخو قيس بن أبي
حازم يومئذ ، وقتل أبوه أيضاً ، له صحبة ، ونُعَيْم . بن صُهَيْب بن العيلة⁵ البجليون
مع علي⁶ .

فلما رأى عليّ ميمنة أصحابه قد عادت إلى مواضعها ومواقفها وكشفت من
بإزائها من عدوّها حتى ضاربوهم⁷ في مواضعهم ومراكزهم ، أقبل حتى انتهى
إليهم فقال : إنّي قد رأيتُ جولتكم عن صفوفكم يحوزكم الجفأة الطغام وأعراب
الشام وأنتم لها ميم العرب والسّنام الأعظم وعمّار الليل¹ بتلاوة القرآن وأهل دعوة
الحق . فلولا إقبالكم بعد إدباركم ، وكرتكم بعد انميازكم ، لوجب عليكم ما
يجب على المولّي يوم الزحف [دبره] وكنتم من الهالكين ، ولكن هوّن وجددي
وشفى أحاح² نفسي أنّي رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم وأزلموهم عن

1) C. P. عليّ .

2) Om. C. P.

3) C. P. مالك .

4) R. قلمي .

5) R. الصلت .

6) Om. C. P.

7) C. P. et R. صاروا .

١ الليلة .

٢ (الأُحاح : العطش ، الغيظ) .

مصافهم كما أزالوكم ، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرودة¹ الهيم¹ ،
 فالآن فاصبروا فقد نزلت عليكم السكينة وثبتتكم الله باليقين ليعلم المنهزم² أنه
 مسخط ربه ، وموبق نفسه ، في كلام طويل . وكان بشر بن عيصمة المري
 قد لحق بمعاوية ، فلما اقتتل الناس بصيفين نظر بشر إلى مالك بن العقدية
 الجشمي وهو يفتك بأهل الشام ، فاغتاظ لذلك فحمل على مالك . وتجاوزا ساعة
 طعنه بشر بن عيصمة³ فصرعه ولم يقتله وانصرف عنه ، وقد ندم على طعنته
 إياه ، وكان جبّاراً ، فقال :

ولاني لأرجو من مليكي تجاوزاً ومن صاحب الموسوم في الصدر هاجس⁴
 دلقت له تحت الغبار بطعنة⁵ على ساعة فيها الطعان تخالس⁵
 فبلغت مقاله ابن العقدية فقال :

ألا أبلغا بشر بن عيصمة أنني شعيت وأهاني الدين² أمارس⁴
 وصادفت مني غيرة وأصبتها كذلك والأبطال ماض وحابس⁵

وحمل عبد الله بن الطفيل البكائي على أهل الشام ، فلما انصرف حمل عليه
 رجل من بني تميم يقال له قيس بن مرة ممن لحق بمعاوية من أهل العراق فوضع
 الرمح بين كتفي عبد الله ، واعترضه ابن عم لعبد الله اسمه يزيد بن معاوية فوضع
 الرمح بين كتفي التميمي ، فقال له : والله لئن طعنته لأطعنك ! فقال له :
 عليك عهد الله وميثاقه إن⁴ رفعت الرمح عن ظهر صاحبك لترفعن⁵ سنانك

1) R. add. العطاش .

2) C. P. الحزم .

3) S.

4) Om. C. P.

5) R. ان تعزل .

1) (الهيم : العطاش) .

2) الدين .

عني ! قال : نعم . فرغ التميمي سنانه ورفع يزيد سنانه ، فلما رجع الناس إلى الكوفة عتب يزيد على ابن الطفيل ، فقال [له] :

ألم ترني حاميتُ عنك مُناصباً بصيفين إذ خلّاك كلُّ حميمٍ
ونهنّت¹ عنك الخنظليّ وقد أتى على سابع² ذي ميعة³ وهزيمٍ

وخرج رجل من آل عكّ من أهل الشام يسأل المبارزة ، فبرز إليه قيس ابن فهدان الكندي فحمل عليه وتجاوزا ساعة ثم طعنه عبد الرحمن فقتله ، وقال :

لقد علمتُ عكّ بصيفين أننا إذا التقت الخيلان نطعنها شزراً
ونحملُ راياتِ الطعانِ بحقها⁴ فنوردها بيضاً ونصدرها حمراً

وخرج قيس بن يزيد ، وهو ممن فرّ إلى معاوية ، فخرج إليه أبو العمرّطة ابن يزيد فتعارفا فتواقفا ثم انصرفا وأخبر كل واحد منهما أنه لقي أخاه . وقاتلت طيء يومئذ قتالاً شديداً فُعبيّت⁵ لهم جموع ، فأناهم حمرة بن مالك الهمداني فقال : من القوم ؟ فقال له عبد الله بن خليفة ، وكان شيعياً⁶ شاعراً خطيباً : نحن طيء السهل وطيء الرمل وطيء الجبل المنوع ذي النخل ، نحن طيء الرماح وطيء البطاح فرسان الصباح . فقال حمرة بن مالك : إنك لحسن الثناء على قومك . واقتل الناس قتالاً شديداً ، فناداهم : يا معشر طيء ، فدى لكم طارفي وتالدي ! قاتلوا على الدين والأحساب¹ . وحمل بشر بن العتوس فقاتل ، ففقت عينه يومئذ ، فقال في ذلك :

ألا ليت عيني هذه مثل هذه ولم أمش في الأحياء إلا بقائد

1) R. et Br. Mus. ونهضت .

2) C. P. ساحة .

3) R. منة .

4) C. P. et R. بعدما .

5) C. P. فعبت ; R. فقبلت .

6) R. منياً .

ويا ليت رجلي ثم طنت بنصفها ويا ليت كفي ثم طاحت بساعدي
ويا ليتني لم أبق بعد مطرف وسعد وبعد المستنير بن خالد
فوارس لم تغد الحواضين مثلهم إذا الحرب أبدت عن خدام الخرائد

وقاتلت النخع يومئذ قتالاً شديداً، فأصيب منهم حيّان . وبكر ابنا هوزة،
وشعيب بن نعيم، وربيعه بن مالك بن وهبيل¹، وأبي أخو علقمة بن قيس الفقيه،
وقطعت رجل علقمة يومئذ، فكان يقول: ما أحب أن رجلي أصح ممّا
كانت، وإنها لمّا أرجو بها الثواب وحسن الجزاء من ربّي . قال: ورأيت
أخي في المنام فقلت له: ماذا قدمتم عليه؟ فقال لي: إننا التقينا نحن والقوم عند
الله تعالى فاحتججنا فحججناهم، فما سررت بشيء سروري بتلك الرؤيا، . وكان
يقال لأبي أبي الصلاة لكثرة صلاته². وخرجت حمير في جمعها ومن انضم
إليها من أهل الشام، ومقدمهم ذو الكلاع، ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطاب،
وهم ميمنة أهل الشام، فقصدوا ربيعة من أهل العراق، وكانت ربيعة ميسرة
أهل العراق، وفيهم ابن عباس على الميسرة، فحملوا على ربيعة حملة شديدة،
فتضعفت راية ربيعة، وكانت الراية مع أبي ساسان حُضَيْن بن المنذر، فانصرف
أهل الشام عنهم، ثم كرّ عبيد الله بن عمر وقال: يا أهل الشام إن هذا الحّي
من أهل العراق قتلة عثمان وأنصار عليّ. فشدوا على الناس شدة عظيمة، فثبتت
ربيعة وصبروا صبراً حسناً إلا قليلاً من الضعفاء والفضلة، وثبت أهل الرايات
وأهل الصبر والحفاظ وقاتلوا قتالاً حسناً، وانهمز خالد بن المعمر مع من انهزم،
وكان على ربيعة، فلما رأى أصحاب الرايات قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم
وأمرهم بالرجوع فرجعوا، وكان خالد قد سعي به إلى عليّ أنه كاتب معاوية،
فأحضره عليّ ومعه ربيعة فسأله عليّ عما قيل، وقال له: إن كنت فعلت ذلك

1) S.

2) Om. C. P.

فالحق بأي بلد شئت لا يكون لمعاوية عليه¹ حكم . فأنكر ذلك .

وقالت ربيعة : يا أمير المؤمنين لو نعلم أنه فعل ذلك لقتلناه ، فاستوثق منه عليّ بالعهود ، فلما فرّتهم بعض الناس واعتذر هو بأنّي لما رأيت رجالاتنا قد انهزموا استقبلتهم لأردّهم إليكم فأقبلت بمن أطاعني إليكم . ولما رجع إلى مقامه حرّض ربيعة فاشتدّ قتالهم مع حمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتلى فقتل سُمير بن الرّيّان العجلي² ، وكان شديد البأس ، وأتى زياد . ابن عمر³ بن خصّفة عبد القيس فأعلمهم بما لقيت بكر بن وائل من حمير وقال : يا عبد القيس لا بكر بعد اليوم ، فأتت عبد القيس بني بكر فقاتلوا معهم فقتل ذو الكلاع الحميري وعبيد الله بن عمر ، قتله⁴ محرز بن الصحصع من تيم الله⁵ بن ثعلبة من أهل البصرة ، وأخذ سيفه ذو الوشاح ، وكان لعمر ، فلما ملك معاوية العراق أخذه منه ، وقيل : بل قتله هانيء بن خطاب الأرحبي ، . وقيل : قتله مالك بن عمرو التّسعي الحضرمي⁶

وخرج عمّار بن ياسر على الناس فقال : اللهم إنك تعلم أنّي لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته . اللهم إنك تعلم أنّي لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظُبة سيفي في بطني ثمّ أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته . وإنّي لا أعلم اليوم عملاً هو أَرْضِي لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم عملاً هو أَرْضِي لك منه لفعلته . والله إنّي لأرى¹ قوماً ليضربنكم ضرباً يرتاب منه المبطلون ، وإيم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَات هَجَرَ لعلمتُ أنا على الحقّ وأنهم على الباطل . ثمّ قال : من يبتغي رضوان الله ربّه ولا

1) C. P. عليك .

2) R. البجلي .

3) Om. S.

4) R. قتلها .

5) R. اللات .

6) Om. C. P.

يرجع إلى مال ولا ولد؟ فاتاه عصابة، فقال: اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان، والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا أن الحق لهذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها، ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم وإن قالوا: إمامنا قُتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً، فبلغوا ما ترون، فلولا هذه ما تبعهم من الناس رجلان. اللهم إن تنصرنا فطلما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم. ثم مضى ومعه تلك العصابة، فكان لا يمرّ بوادٍ من أودية صيفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم جاء إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وهو الميرقال، وكان صاحب راية علي، وكان أعور، فقال: يا هاشم أعوراً وجبناً؟ لا خير في أعور لا. يغشى البأس²، اركب يا هاشم، فركب ومضى معه وهو يقول:

أعورٌ يبغى أهله مَحَلًّا قد عالجَ الحياةَ حتى مَلًّا
لا بُدَّ أن يَفُلَّ أو يَفْلًا يتلَّهُم بذي الكعوبِ تَلًّا³

وعمار يقول: تقدّم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت أطراف الأسل، وقد فُتحت أبواب السماء وتزينت انخور العين. اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه. وتقدّم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له: يا عمرو بعث دينك بمصر، تبأ لك! فقال له: لا ولكن أطلب بدم عثمان. قال: أنا أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله. وأنتك إن لم تُقتل اليوم تمت غداً³، فانظر إذا أعطي الناس على قدر نياتهم ما نيتك، لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهذه الرابعة ما هي بأبر وأتقى. ثم قاتل عمار فلم يرجع وقتل.

1) C. P. جباناً.

2) C. P. et R. لا يغشى الناس. 3) Om. C. P.

وقال حبة¹ بن جُوَيْن العُرَني: قلتُ لحذيفة بن اليمان: حدثنا فإننا نخاف الفتن. فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سُميَّة، فإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: تقتله الفئة الباغية الناكبة² عن الطريق، وإن آخر رزقه ضياع من لبن، وهو الممزوج بالماء من اللبن. قال حبة: فشهدته يوم قُتل وهو يقول: اثتوني بآخر رزق لي في الدنيا، فأتي بضياع من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة، فقال: اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَاتِ هَجَرَ لعلمتُ أننا على الحق وأنهم على الباطل. ثم قُتل، قتله أبو الغازية³، واحتز رأسه ابن حُوَي السكسكي، وقيل قتله غيره⁴.

وقد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضياع من لبن، فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك يا عمرو؟ فيقول عمرو: إنه سيرجع إلينا، فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع معاوية، وأصيب عمار بعده مع علي، فقال عمرو لمعاوية: ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً، بقتل عمار أو بقتل ذي الكلاع، والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة⁵ أهل الشام إلى علي. فأنتى جماعة إلى معاوية كلهم يقول: أنا قتلت عماراً. فيقول عمرو: فما سمعته يقول؟ فيخلطون، فأتاه ابن حُوَي فقال: أنا قتلتك فسمعته يقول: اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه. فقال له عمرو: أنت صاحب، ثم قال: رويداً والله ما ظفرت يداك ولقد أسخطت ربك.

قيل: إن أبا الغازية قتل عماراً وعاش إلى زمن الحجاج ودخل عليه فأكرمه

1) R. ubique . حبة .

2) R. et C. P. الناكبة .

3) C. P. العاذية ; R. العاذية .

4) ب .

5) C. P. لتابعه .

الحجاجُ وقال له : أنتَ قتلْتَ ابنَ سميّة ؟ يعني عمّاراً . قال : نعم . فقال : من سرّه أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فليُنظر إلى هذا الذي قتل ابنَ سميّة ، ثمّ سأله أبو الغارِية حاجته فلم يجبه إليها ، فقال : نوطي¹ . لهم الدنيا ولا يعطونا¹ منها ويزعم أنّي عظيم الباع يوم القيامة ! [فقال الحجاج] : أجل والله من كان ضره مثل أحدٍ وفخذه مثل جبل وراقان ومجلسه مثل المدينة والربذة إنّه لعظيم الباع يوم القيامة ، والله لو أنّ عمّاراً قتل أهل الأرض كلّهم لدخلوا كلّهم النار .

وقال عبد الرحمن السُّلّمي : لما قُتل عمّار دخلتُ عسكر معاوية لأنظر هل بلغ منهم قتلُ عمّار ما بلغ منا ، وكنا إذا تركنا القتال² تحدّثوا إلينا وتحدّثنا إليهم ، فإذا معاوية وعمرو وأبو الأعور وعبد الله بن عمرو يتسايرون ، فأدخلتُ فرسي بينهم لثلاثي ما يقولون ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبا قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، ما قال ، قال : وما قال ؟ قال : ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبي ، صلّى الله عليه وسلّم ، لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين فغشي عليه فاتاه رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : ويحك يا ابن سميّة ، الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة في الأجر ، وأنت مع ذلك³ تقتلك الفئة الباغية . فقال عمرو لمعاوية : أما تسمع ما يقول عبد الله ؟ قال : وما يقول ؟ فأخبره ، فقال معاوية : أنحن قتلناه ؟ إنّما قتلناه من جاء به . فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون : إنّما قتل عمّاراً من جاء به ، فلا أدري من كان أعجب أهو أم هم .

فلما قُتل عمّار قال عليّ لربيعة وهمدان : أنتم درعي ورمحي ، فانتدب له نحو من اثني عشر وتقدمهم عليّ على بغلة فحملوا معه حملة رجل واحد فلم

1) لكم . . . تعطونا C. P. et R.

2) سرنا ليلا لقتال C. P.

3) على ذلك C. P.

يبقى لأهل الشام صفّ إلا انتفض وقتلوا كلّ من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية
وعليّ يقول :

أقتلهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحارويه

ثمّ نادى معاوية فقال : علام يقتل الناس بيننا ؟ هلمّ أحاكمك إلى الله فأبنا
قتل صاحبه استقامت له الأمور . فقال له عمرو : أنصفك . فقال له معاوية :
ما أنصفت ، إنك لتعلم أنّه لم يبرز إليه أحد إلا قتله . فقال له عمرو : ما يحسن
بك ترك مبارزته . فقال له معاوية : طمعت فيها بعدي ! وكان أصحاب عليّ قد
وكلوا به رجلين يحافظانه لئلا يقاتل¹ ، وكان يحمل إذا غفلا فلا يرجع حتى ينخضب
سيفه ، وإنه حمل مرّة فلم يرجع حتى . انشى سيفه فألقاه إليهم وقال : لولا أنّه
انشى² ما رجعت إليكم . فقال الأعمش لأبي عبد الرحمن : هذا والله ضرب
غير مرتاب . فقال أبو عبد الرحمن : سمع القوم شيئاً فأدّوه ما كانوا بكاذبين .
وأسر معاوية جماعة من أصحاب عليّ ، فقال له عمرو : اقتلهم . فقال عمرو
ابن أوس الأودي³ : لا تقتلني فإنك خالي . قال : من أين خالك ولم يكن بيننا
وبين أود مصاهرة ؟ قال : إن أخبرتك فهو أمانى عندك ؟ قال : نعم . قال :
أليست أختك أمّ حبيبة زوج النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بلى . قال :
فإنني ابنها وأنت أخوها فأنت خالي . فقال معاوية : ما له لله أبوه ! أما كان في هؤلاء
من يفتن لها غيره ؟ وختى سبيله ، وكان قد أسر عليّ أسارى كثيرة فختى
سبيلهم ، فجاؤوا معاوية وإن عمراً ليقول له وقد أسر أيضاً أسارى كثيرة :
اقتلهم ، فلما وصل أصحابهم قال معاوية : يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الأسارى
لوقعنا في قبيح من الأمر ؛ وختى سبيل من عنده .

1) S. يقابل .

2) C. P. أيسوا وساروا إليه فلما أتني قال لا أتيتوني .

3) C. P. et R. الأزدي .

وأما هاشم بن عتبة فإنه دعا الناس عند المساء وقال : ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإليّ ! فأقبل إليه ناس كثير ، فحمل على أهل الشام مراراً ويصبرون له ، وقاتل قتالاً شديداً وقال لأصحابه : لا يهولنكم ما ترون من صبرهم ، فوالله ما هو إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وإنهم لعل الضلال وإنكم لعل الحق . ثم حرّض أصحابه وحمل في عصابة من القراء فقاتل قتالاً شديداً حتى رأوا بعض ما يسرون به ، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم شاب وهو يقول :

أنا ابنُ أربابِ الملوكِ غسانُ والدائنُ اليومَ بدينِ عثمانِ
نبأنا قرأونا بما كان أن علينا قتلَ ابنِ عفانِ

ثمّ يحمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن . فقال له هاشم : يا هذا إن هذا الكلام بعده الحصام ، وإن هذا القتال بعده الحساب . فاتق الله فإنه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به . قال : فإنّي أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلّي وأنتم لا تصلّون ، وإن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم ساعدتموه على قتله . فقال له هاشم : ما أنت وعثمان ، قتله أصحاب رسول الله ، صلّي الله عليه وسلّم ، وأبناء أصحابه وقراء الناس ، وهم أهل الدين والعلم ، وما أهمل أمر هذا الدين طرفة عين . وأما قولك : إن صاحبنا لا يصلّي ، فإنه أوّل من صلّي وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول ، صلّي الله عليه وسلّم ، وأما كلّ من ترى معي فكلّهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجداً ، فلا يغوينك هؤلاء الأشقياء . فقال الفتى : فهل لي من توبة ؟ قال : نعم ، تب إلى الله يتب عليك فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . فرجع الفتى ، فقال له أهل الشام : خدعك العراقي . فقال : كلاً ولكن نصح لي . وقاتل هاشم وأصحابه قتالاً شديداً حتى رأوا الظفر ، فأقبلت عليهم عند المغرب كتيبة لتنوخ ، فقاتلهم هاشم وهو يقول :

أَعْوَرُ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا لَا بُدَّ أَنْ يَفُتْلَ أَوْ يُفَلَّا
 قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَأَ يَتْلَهُمْ بِذِي الْكُعُوبِ تَلَاً

فقتل يومئذ تسعة أو عشرة ، وحمل عليه الحرث بن المنذر التبوخي فطعنه فسقط ، فأرسل إليه علي³ أن قدّم لواءك . فقال لرسوله : انظر إلى بطني ، فإذا هو [قد] انشق . فقال الحجاج بن غزيرة¹ الأنصاري :

فإن تفخروا بآبن البُدَيْلِ¹ وهاشمٍ فنحنُ قتلنا ذا الكَلَّاعِ وحوشِبَا
 ونحنُ تركنا عندَ مُعْتَرِكِ الْقَنَا أَخَاكَ عبيدَ اللَّهِ لِحِمَاً مُلْحِبَا
 ونحنُ أَحَطْنَا بِالْبَعِيرِ وَأَهْلِهِ ونحنُ سَقِينَاكُمْ سِيمَاماً مُقَشَّبَا²

ومرّ عليّ بكنية من أهل الشام فرآهم لا يزولون ، وهم غسان ، فقال : إن هؤلاء لا يزولون إلاّ بطعنٍ وضربٍ يفلق³ الهام ويطيح العظام تسقط منه المعاصم والأكف وحتى تُقرع جباههم بعُمد الحديد ، أين أهل النصر والصبر طُلاب الأجر ؟ فاتاه عصابة من المسلمين ، فدعا ابنه مُحمداً فقال له : تقدّم نحو هذه الراية مشياً رويداً على هينتك حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمري . ففعل وأعدّ لهم عليّ³ مثلهم وسبّرهم إلى ابنه محمد وأمره بقتالهم ، فحملوا عليهم فأزالوهم عن مواقفهم وأصابوا منهم رجالاً . ومرّ الأسود بن قيس المرادي بعبد الله بن كعب المرادي وهو صريع ، فقال عبد الله : يا أسود ! قال : لبيك ! وعرفه وقال له : عزّ عليّ مصرعك . ثمّ نزل إليه وقال له : إن كان جارك ليأمن بوائقك وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيراً ، أوصني رحمتك الله . فقال : أوصيك بتقوى الله وأن تناصح أمير المؤمنين وأن تقاتل معه المحلّين

1) يزيل C. P. 3) منياً R. مقبلاً C. P. 2) غزوه S. عرامة R. غرة C. P. 1)

حتى تظهر أو تلحق بالله، وأبلغه عني السلام وقل له : قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك ، فإنه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره كان العالي . ثم لم يلبث أن مات ، فأقبل الأسود إلى عليّ فأخبره ، فقال : رحمه الله ، جاهد عدوتنا في الحياة ونصح لنا في الوفاة .

وقيل : إن الذي أشار على أمير المؤمنين عليّ بهذا عبد الرحمن بن الحنبل¹ الجُمَحِي . قال : فاقتل الناس تلك الليلة كلها إلى الصباح ، وهي ليلة الهريز ، فتطاعنوا حتى تقصفت الرماح ، وتراموا حتى نفذ النبل وأخذوا السيوف ، وعليّ يسير فيما² بين الميمنة والميسرة ويأمر كل كتيبة أن تقدم على التي تليها ، فلم ينزل يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره ، والأشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة وعليّ في القلب والناس يقتتلون من كل جانب ، وذلك يوم الجمعة ، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاوم فيها ، وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى ، ويقول لأصحابه : ازحفوا قيد³ هذا الرمح ، ويزحف بهم نحو أهل الشام ، فإذا فعل ذلك بهم قال : ازحفوا قيد³ هذه القوس ، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى ملّ أكثر الناس الإقدام . فلما رأى الأشتر ذلك قال : أعيدكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم ! ثم دعا بفرسه فركبه وترك رايته مع حيّان بن هوذة النخعي وخرج يسير في الكتاب ويقول : من يشتري نفسه ويقاوم مع الأشتر [حتى] يظهر أو يلحق بالله؟ فاجتمع إليه ناس كثير فيهم حيّان بن هوذة النخعي وغيره ، فرجع إلى المكان الذي كان فيه وقال لهم : شدوا شدة ، فِدَى لَكُمْ خالي وعمي ، تُرضون بها الربّ وتُعِزُّون بها الدين ! ثم نزل وضرب وجه دابته وقال لصاحب رايته : اقدم بها ، وحمل على القوم وحملوا معه ، ففرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم ، ثم قاتلوه عند العسكر قتالاً شديداً ، وقتل صاحب رايته . ولما رأى عليّ الظفر من ناحيته

1) C. P. الحنبل .

2) Om. S.

3) R. et Bodl. قبل .

أمدته بالرجال ، فقال عمرو بن العاص لوردان مولاه : أتدري ما مثلي ومثلك
ومثل الأشر ؟ قال : لا . قال : كالأشقر إن تقدم عُقر وإن تأخر عُقر ، لئن
تأخرت لأضربن عنقك . قال : أمّا والله يا أبا عبد الله لأوردنك حياض الموت ،
ضع يدك على عاتقي ؛ ثمّ جعل يتقدم ويتقدم ويقول : لأوردنك حياض الموت¹ ،
واشدّ القتال .

[رفع المصاحف والدّعوة إلى الحكومة]

فلما رأى عمرو أن أمر أهل العراق قد اشتدّ وخاف الهلاك قال لمعاوية :
هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلاّ اجتماعاً ولا يزيدهم إلاّ فُرقة ؟
قال : نعم . قال : نرفع المصاحف ثمّ نقول لما فيها : هذا حكم بيننا وبينكم ،
فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : ينبغي لنا أن نقبل ، فتكون
فُرقة بينهم ، وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنه إلى أجل .

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا حكم كتاب الله ، عزّ وجل ، بيننا
وبينكم ، من لثغور الشام بعد² أهله ؟ من لثغور العراق بعد² أهله ؟ فلما رآها
الناس قالوا : نجيب إلى كتاب الله . فقال لهم عليّ : عباد الله امضوا على حكمكم
وصدقكم وقاتل عدوكم فإن معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبیباً وابن أبي
سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، قد
صحبتهم أطفالاّ ثمّ رجالاّ فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ، ويحكم والله ما
رفعوها إلاّ خديعةً ووعناً ومكيدةً . فقالوا له : لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله
فنأبى أن نقبله ! فقال لهم عليّ : فإنّي إنمّا أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب فإنهم

1) S.

2) R. يعني .

قد عصوا الله فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه . فقال له مسعر بن فدكي التميمي¹ وزيد بن حصين الطائي ، في عصابة من القراء¹ الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا عليّ أجب إلى كتاب الله ، عزّ وجلّ ، إذ دُعيت إليه وإلاّ دفعناك برمتك إلى القوم أو نفع بك ما فعلنا بابن عفّان ! قال : فاحفظوا عني نهيي إياكم واحفظوا مقالتيكم لي ، فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم . قالوا : ابعث إلى الأشتر فليأتك . فبعث عليّ² يزيد بن هانيء إلى الأشتر يستدعيه . فقال الأشتر : ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلي [فيها] عن موقعي ، إنني قد رجوت أن يفتح الله لي ! فرجع يزيد فأخبره ، وارتفعت الأصوات وارتفع الريح من ناحية الأشتر ، فقالوا : والله ما نراك إلاّ أمرته أن يقاتل ! فقال عليّ : هل رأيتموني ساررته ؟ أليس كلّمته على رؤوسكم وأنتم تسمعون ؟ قالوا : فابعث إليه فليأتك وإلاّ والله اعتزلناك ! فقال له : ويحك يا يزيد ! قل له : أقبل إليّ فإن الفتنة قد وقعت . فأبلغه ذلك ، فقال الأشتر : أرفع المصاحف ؟ قال : نعم . قال : والله لقد ظننت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة ! إنّها مشورة ابن العاهر² ! ألا ترى إلى الفتح ؟ ألا ترى ما يلقون ؟ ألا ترى ما صنع الله لنا ؟ لن ينبغي أن أدع هؤلاء ! وانصرف عنهم . فقال له يزيد : أتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوّه أو يُقتل ؟ قال : لا والله ، سبحان الله ! فأعلمه بقولهم ، فأقبل إليهم الأشتر وقال : يا أهل العراق ! يا أهل الذل والوهن ! أحيين علوتم القوم وظننوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه ؟ فأمهلوني . فوافقاً فلاني³ قد أحسست بالفتح . قالوا : لا . قال : أمهلوني عدو الفرس فلاني قد

1) C. P. الأمراء .

2) ابن العاهرة R. ; بين العاهرين C. P.

3) Om. C. P.

طمعتُ في النصر . قالوا : إذن ندخل معك في خطيبتك . قال : فخبروني عنكم متى كنتم محقين ؟ أحين تقاتلون وخياركم يُقتلون ؟ فأنتم الآن إذ أمسكنم عن القتال مبطلون أم أنتم الآن محقون ؟ فقتلاكم الذين لا تنكرون : سلهم وهم خير منكم في النار . قالوا : دعنا منك يا أشر ، قاتلناهم لله وندع¹ قتلهم لله ! قال : خُدعتم فانخدعتم ودُعيتم إلى وضع² الحرب فأجبتهم ، يا أصحاب الجباه³ السود ! . كنا نظن⁴ صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله ، فلا أرى مرادكم إلا الدنيا ، ألا قبحاً يا أشباه النيب الجلالة ! ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً فابعدوا كما بَعُدَ القوم الظالمون ! فسبوه وسبّهم وضربوا وجه دابته بسياطهم وضربَ وجوهَ دوابهم بسوطه فصاح به وبهم عليّ فكفوا . وقال الناس : قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً .

فجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال : أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد . قال : ائته . فأتاه ، فقال لمعاوية : لأي شيء رفعتم هذه المصاحف ؟ قال : لرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه ، تبعثون رجلاً ترضون به ونبعث نحن رجلاً نرضى به ، نأخذ عليهما أن يعملوا بما في كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه . قال له الأشعث : هذا الحق . فعاد إلى عليّ فأخبره ، فقال الناس : قد رضينا وقبلنا . فقال أهل الشام : قد رضينا عمراً . وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج : إننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري . فقال عليّ : قد عصيتُموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن ، لا أرى أن أولي أبا موسى . فقال الأشعث وزيد بن حصين⁵ وميسع بن فدكي : لا نرضى إلاّ به فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه . قال عليّ : فإنه ليس بثقة ، قد فارقتني وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى

1) S. وندع .

2) C. P. دفع .

3) C. P. اخياء .

4) C. P. كانت .

5) S. حصن .

آمنته بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك . قالوا : والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس ! لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء . قال عليّ : فإني أجعل الأشر . قالوا : وهل سعر¹ الأرض غير الأشر ؟ فقال : قد أيتيم إلا أبا موسى ؟ قالوا : نعم . قال : فاصنعوا ما أردتم .

فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض ، فأتاه مولى له فقال : إن الناس قد اصطلحوا . فقال : الحمد لله . قال : قد جعلوك حكماً . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر ، وجاء الأشر علياً فقال : أرتني² بعمر بن العاص فوالله لئن ملأت عيني منه لأقتلنه . وجاء الأحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين إنك قد رُميت بحجر الأرض وإني قد عجمت³ أبا موسى وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد⁴ حتى يصير بمنزلة النجم منهم ، فإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعني ثانياً أو ثالثاً ، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها ، ولا يحل عقدة أعقدها لك إلا عقدت أخرى أحكم منها . فأتى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب . فقال الأحنف : إن أيتيم إلا أبا موسى فأدفتوا ظهره بالرجال .

وحضر عمرو بن العاص عند عليّ ليكتب القضية⁵ بحضوره ، فكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين . فقال عمرو : [اكتب اسمه واسم أبيه] ، هو أميركم وأما أميرنا فلا . فقال الأحنف : لا تمح اسم إمارة⁶ المؤمنين فإني أخاف⁶ إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً ، لا تمحها

1) R. et Br. Mus. تنفر .

2) R. أرمني .

3) R. عجت .

4) C. P. et R. وقعد .

5) C. P. et R. القصة .

6) S. أنخوف .

وإن قتل الناس بعضهم بعضاً . فأبى ذلك عليّ ملياً¹ من النهار ، ثمّ إن الأشعث ابن قيس قال : امحُ هذا الاسم ، فمُحى ، فقال عليّ : الله أكبر ! سنة بسنة . والله إنّي لكاتب رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، يوم الحُدَيْبِيَّة فكتبتُ : محمد رسول الله ، وقالوا : لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فأمرني رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، بمحوه ، فقلتُ : لا أستطيع . فقال : أرنيه ، فأرَيْته ، فمحاها بيده وقال : إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب . فقال عمرو : سبحان الله ! أنشبهه² بالكفّار ونحن مؤمنون ! فقال عليّ : يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمؤمنين عدواً ؟ فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبداً . فقال عليّ . إنّي لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك . وكتب الكتاب : هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم ، إننا نترز عند حكم الله وكتابه وأن لا يجمع³ بيننا غيره ، وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحبي ما أحبا ونميت ما أمات ، فما وجد الحكّمان في كتاب الله ، وهما أبو موسى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص ، عملا به ، وما لم يجدها في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة . وأخذ الحكّمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لا يرداها في حرب ولا فرقة حتى يُعصيا⁴ ، وأجل القضاء إلى رمضان ، وإن أحبّا أن يؤخرا دعت أخراه ، وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام .

وشهد الأشعثُ بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني ووقاء بن سُمَيّ البَجَلِي

1) C. P. et R. بدأ .

2) C. P. et R. أنشبهنا .

3) Hic in R. longior incipit lacuna.

4) C. P. et R. يقضينا .

وعبد الله بن مُحلّ العجلي وحجر بن عدي الكندي وعبد الله بن الطُّفيل العامري
وعقبة بن زياد الحضرمي ويزيد بن حُجَيَّة التميمي ومالك بن كعب الهمداني ،
• ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة وزمئل بن عمرو
العُنْزري وحُمرة بن مالك الهمداني وعبد الرحمن بن خالد المخزومي وسُبَيْع بن
يزيد الأنصاري¹ وعتبة بن أبي سفيان • ويزيد بن الحرّ العسبي¹ .

وقيل للأشتر ليكتب فيها ، فقال : لا صحبتني يميني ولا نفعني بعدها
شمالِي إن خُطَّ لي في هذه الصحيفة [اسم على صالح ولا موادة] ،
أولست¹ على بيّنة من ربّي من ضلال علويّ ، أولسّم قد رأيتُم الظفر ؟
فقال له الأشعث : والله ما رأيتُ ظفراً ، هلمّ إلينا لا رغبة بك عنا . فقال :
بني والله ، الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة ، لقد سفك الله
بسيفي دماء رجال ما أنت خير عندي منهم ولا أحرم دماً . قال : فكأنّما قصم
اللهُ على أنف الأشعث الحُمم . وخرج الأشعثُ بالكتاب يقرؤه على الناس
حتى مرّ على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أدية أخو أبي بلال فقرأه عليهم ،
فقال عروة : تحكّمون في أمر الله الرجال ؟ لا حكم إلاّ لله ! ثمّ شدّ بسيفه
فضرب به عجز دابة الأشعث ضربةً خفيفةً واندفعت الدابة ، وصاح به أصحاب
الأشعث ، فرجع ، وغضب للأشعث قومه • وناس كثير من أهل اليمن¹ ، فمشى
إليه الأحنف بن قيس وميسعَر بن فدكي وناس من تميم فاعتذروا ، فقبل وشكر .

وكتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ،
واتفقوا على أن يوافي أمير المؤمنين عليّ¹ موضع الحكيمين بدومة الجندل أو بأذرح
في شهر رمضان . وقيل لعليّ : إن الأشتر لا يقرّ بما في الصحيفة ولا يرى إلاّ

1) S.

قتال القوم . فقال عليّ : وأنا والله ما رضيتُ ولا أحببتُ أن ترضوا ، فإذا أبيتم
إلا أن ترضوا فقد رضيتُ وإذا رضيتُ فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل
بعد الإقرار إلا أن يُعصى الله ويُتعدى كتابه ، فقاتلوا من ترك أمر الله ، وأما
الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه . فليس من أولئك¹ فلستُ أخاف على
ذلك ، يا ليت فيكم مثله اثنين ! يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في علوي ما
أرى إذا لحقتُ عليّ مؤونتكم ورجوتُ أن يستقيمَ لي بعض أودكم ، وقد
نهيتكم فعصيتُموني ، فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

وهل أنا إلا من غزيرة² إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة² أرشد

والله لقد فعلتم فعلةً ضعفتُ قوةً وأسقطتُ منةً وأورثتُ وهناً وذلةً ،
ولما كنتم الأعلى وخاف عدوكم الاجتياح³ واستحرتهم القتل ووجدوا ألم⁴ الجراح
رفعوا المصاحف فدعوكم إلى ما فيها ليفتنوكم عنهم ويقطعوا الحرب ويرتصوا
بكم⁵ المنون خديعةً ومكيذةً ، فأعطيتهم ما سألوا ، وأبيتم إلا أن تُدهنوا
وتجبروا ، وإيم الله ما أظنكم بعدها توفقون⁶ الرشد ولا تصيبون باب الخزم .
ثم رجع الناس عن صفتين ، فلما رجع عليّ خالفت الحَروريةُ وخرجت ،
كان ذلك أول ما ظهرت . وأنكرت تحكيم الرجال⁷ ، ورجعوا على غير الطريق
الذي أقبلوا فيه ، أخذوا على طريق البر ، وعادوا وهم أعداء متباغضون . وقد
فشا فيهم التحكيم⁷ يقطعون الطريق بالتشائم والتضارب بالسياط ، يقول الخوارج :
يا أعداء الله أدهنتم في أمر الله ، ويقول الآخرون : فارقم إمامنا وفرقم جماعتنا .
وساروا حتى جازوا النُخيلة ورأوا بيوت الكوفة ، فإذا بشيخ في ظل بيت

1) S.

2) C. P. et R. غوية .

3) R. الاحتياج .

4) R. تألم .

5) C. P. et R. add. ريب .

6) C. P. تفقدون .

7) Om. C. P.

عليه أثر المرض ، فسلم عليه أمير المؤمنين ، فردّ ردّاً حسناً ، فقال له عليّ :
أرى وجهك متغيراً ، أمن مرض ؟ قال : نعم . قال : لعلك كرهته . قال :
ما أحبّ أنه بغيري¹ . فقال : أليس² . احتساباً للخير² فيما أصابك ؟ قال : بلى .
قال : فأبشر برحمة ربك وغفران ذنبك ، من أنت يا عبد الله ؟ قال : صالح
ابن سُلَيْم . قال : ممن أنت ؟ قال : أمّا الأصل فمن سلامان طيء ، وأمّا
الدُّعْوَة والجوار³ ففي سُلَيْم بن منصور . فقال : سبحان الله ما أحسن اسمك واسم
أبيك ومن اعتزيت إليه واسم ادعائك ! هل شهدت معنا غزاتنا هذه ؟ قال :
لا والله ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر الحمى منعي عنها . فقال : ﴿ لَيْسَ
عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾⁴ الآية ، خبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا
وبين أهل الشام ؟ قال : فيهم السرور ، وهم أغشَاء الناس ، وفيهم المكبوت الآسف
بما كان بينك وبينهم ، وأولئك نصحاء الناس لك . قال : صدقت ، جعل الله ما
كان من شكواك حطّاً لسيئاتك ، فإن المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع على العبد
ذنباً إلاّ حطّه ، وإنّما الأجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل ، وإن الله ،
عزّ وجلّ ، ليُدخل بصدق النية والسريرة الصالحة عالماً من عباده الجنة . ثمّ مضى
غير بعيد فلقبه عبد الله بن وداعة الأنصاري فدنا منه وسلم عليه وسأبره ، فقال
له : ما سمعت الناس يقولون في أمرنا ؟ قال : منهم المعجب به ومنهم الكاره له .
قال : فما قول ذوي الرأي ؟ قال : يقولون إنّ عليّاً كان له جمع عظيم ففرقه ،
وكان له حصن حصين فهدمه ، فمتى يبني ما هدم ويجمع ما فرق ؟ ولو كان مضى
بمن أطاعه . إذ عصاه⁵ من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم .
قال عليّ : أنا هدمت أم هم هدموا ؟ أنا فرقّت أم هم فرقوا ؟ أمّا قولهم :
لو كان مضى بمن أطاعه فقاتل حتى يظفر أو يهلك ، فوالله ما خفي هذا عني ،

1) C. P. يعتريني .

2) C. P. بالخير .

3) C. P. والزواج .

4) Corani 9, vs. 91.

5) C. P. وترك .

وإن كنتُ لسخياً بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ، ولقد هممتُ بالإقدام على القوم فنظرتُ إلى هذين قد ابتدراني ، يعني الحسن والحسين ، ونظرتُ إلى هذين قد استقدماي ، يعني عبد الله بن جعفر ومحمد بن عليّ ، فعلمتُ أن هذين إن هلكا انقطع نسل رسول الله ، صلتى الله عليه وسلّم ، من هذه الأمة وكرهتُ ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا ، وإيم الله لئن لقيتهم¹ بعد يومي هذا لألقينهم وليسوا معي في عسكر ولا دار .

ثمّ مضى وإذا على يمينه قبور سبعة أو ثمانية فقال عليّ : ما هذه ؟ فقيل : يا أمير المؤمنين إنّ خبّاب بن الأرتّ توفي بعد مخرجك وأوصى بأن يُدفن في الظّهر ، وكان الناس إنّما يدفنون في دورهم وأفئتهم ، وكان أول من دُفن بظاهر الكوفة ودُفن الناس إلى جنبه ، فقال عليّ : رحم الله خبّاباً فلقد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلى في جسمه أحوالاً ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً ، ووقف عليها وقال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ! أنتم لنا ستّاف فارط ونحن لكم تبعٌ وبكم عمّا قليل¹ لاحقون ! اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم ! طوبى لمن ذكره المعاد وعمل للحساب وقنّيع² بالكفاف ورضي عن الله ، عزّ وجلّ ! ثمّ أقبل حتى حاذى سكة الثورين فسمع البكاء فقال³ : ما هذه الأصوات ؟ فقيل : البكاء على قتلى صيفين . فقال : أمّا إنّي أشهد لمن قُتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة . ثمّ مرّ بالفائسين⁴ فسمع مثل ذلك ، ثمّ مرّ بالشّبابيين فسمع رجة شديدة فوقف فخرج إليه حرب بن شريحيل الشّامي ، فقال له عليّ : أيغلبكم نساؤكم ؟ ألا تنهونهن عن هذا الرنين ؟ قال : يا أمير

1) R. et C. P. أنهم .

2) R. منع .

3) Om. C. P.

4) C. P. بالفاسين ; R. بالفاسين .

المؤمنين لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدرنا على ذلك، ولكن قُتل من هذا الحَيِّ ثمانون ومائة قتيل، فليس دار إلا وفيها البكاء، فأما نحن معشر الرجال فإننا لا نبكي ولكننا نفرح بالشهادة. قال عليّ: رحم الله قتلاكم وموتاكم! فأقبل يمشي معه وعليّ راكب، فقال له عليّ: ارجع، ووقف ثم قال له: ارجع فإنّ مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن. ثمّ مضى حتى مرّ بالناعطين وكان جلّهم عثمانية، فسمع بعضهم يقول: والله ما صنع عليّ شيئاً، ذهب ثمّ انصرف في غير شيء، فلما رأوه ألبسوا. فقال عليّ لأصحابه: وجوه قوم ما رأوا الشام. ثمّ قال لأصحابه: [قوم] فارقناهم آنفاً خير من هؤلاء. ثمّ قال:

أخوك الذي إن أجرضتك¹ ملّمة² من الدهر لم يبرح لبثك² واجماً
وليس أخوك بالذي إن تشعبت³ عليك الأمور ظلّ يلحاك لائماً

ثمّ مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل القصر. فلما دخل الكوفة لم يدخل الخوارج معه فأتوا حروراء فنزلوا بها. وقتل أويس القرّني بصيفين، وقيل: بل مات بدمشق، وقيل: بأرمينية، وقيل: بسجستان³. وفيها قُتل جندب ابن زهير الأزدي، وهو من الصحابة، مع عليّ، وقتل بصيفين أيضاً حابس ابن سعد الطائي مع معاوية، وهو خال يزيد بن عدي بن حاتم. فقتل يزيد قاتله غدراً، فأراد عديّ إسلامه إلى أولياء المقتول فهرب إلى معاوية. وممن شهد صيفين مع عليّ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، ولم يقاتل، فلما قُتل عمار ابن ياسر جرد سيفه وقاتل حتى قُتل، وقال: سمعتُ رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، يقول: «تقتلُ عماراً الفئةُ الباغية»، وقتل مع عليّ سهيل ابن عمرو. بن أبي عمر، الأنصاري، وهو بدري. وممن شهد وقتل فيها مع

1) R. أحوجتك. 2) C. P. عليك; R. بياك; uterque om. لم. 3) Om. C. P.
4) Om. C. P.

عليّ من المهاجرين خالد بن الوليد ، وله صحبة .

• (شُرَيْح بن هانئ بضم الشين ، وآخره حاء مهملة . الهَمْدَانِي بفتح الهاء ، وسكون الميم ، وفتح الدال المهملة ، نسبة إلى همدان : قبيلة كبيرة من اليمن . حُمَيْرَة بن مالك بضم الحاء المهملة ، وسكون الميم ، وآخره راء . حُضَيْن بن المنذر بضم الحاء المهملة ، وفتح الضاد المعجمة . يَرِيم بفتح الياء تحتها نقطتان ، وكسر الراء ، وسكون الياء الثانية ، وآخره ميم . بُدَيْل بن ورقاء بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة . حازم بن أبي حازم بالحاء المهملة . حَبَّة¹ بن جوين بفتح الحاء المهملة ، والباء المشددة الموحدة . والعُرَني بضم العين المهملة ، وفتح الراء ، وآخره نون)² .

ذكر استعمال جَعْدَةَ بن هُبَيْرَة على خراسان

وفي هذه السنة بعث عليّ جَعْدَةَ بن هُبَيْرَة المخزومي إلى خراسان بعد عودته من صِفَيْن ، فانتهى إلى نيسابور ، وقد كفروا وامتنعوا ، فرجع إلى عليّ ، فبعث خُلَيْد بن قُرّة اليربوعي ، فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه أهل مرو .

ذكر اعتزال الخوارج عليّاً ورجوعهم إليه

ولما رجع عليّ من صِفَيْن فارقه الخوارج وأتوا حرّوراء ، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديبهم : إن أمير القتال شَبَّث بن رِبْعِيّ التميمي ، وأمير الصلاة عبدُ الله بن الكوّا اليشكري ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة

1) R. والياء et حَبَّة .

2) Om. C. P.

لله ، عزّ وجلّ ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . فلما سمع عليّ ذلك وأصحابه قامت الشيعة فقالوا له : في أعناقنا بيعة ثانية ، نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت . فقالت الخوارج : استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان ، بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا . وبايعتم أنتم عليّاً على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى . فقال لهم زياد بن النضر : والله ما بسط عليّ يده فبايعناه قطّ إلاّ على كتاب الله وسنة نبيّه ، ولكنكم لما خالفتموه جاءتته شيعته فقالوا له : نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت ، ونحن كذلك ، وهو على الحقّ والهدى ومن خالفه ضالّ مضلّ .

وبعث عليّ عبد الله بن عباس إلى الخوارج وقال : لا تعجلت إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك . فخرج إليهم فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم ، فقال : ما نعمتم من الحكّمين وقد قال تعالى : ﴿ إِن يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾¹ ، فكيف بأمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت الخوارج : أمّا ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم ، وما حكّم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا . فيه ، حكّم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق القطع ، فليس للعباد أن ينظروا² في هذا ، قال ابن عباس : فإنّ الله تعالى يقول : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾³ . فقالوا : أوتجعل الحكم في الصيد والحرب وبين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين ؟ وقالوا له : أعدلّ عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ؟ فإن كان عدلاً فلسنا بعدول ، وقد حكّم في أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا ، وقد كتبتم بينكم وبينهم كتاباً وجعلتم بينكم المودعة ، وقد قطع الله المودعة بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت براءة إلاّ من أقرّ بالجزية .

1) Corani 4, vs. 35.

2) Om. R.

3) Corani 5, vs. 95.

4) Om. S.

وبعث عليّ زياد بن النضر فقال : انظر بأيّ رؤوسهم¹ [هم] أشدّ إطافة² .
فأخبره بأنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس .

فخرج عليّ في الناس حتى دخل إليهم ، فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله
فصلّى فيه ركعتين وأمره على أصبهان والريّ ، ثمّ خرج حتى انتهى إليهم
وهم يخاصمون ابن عباس فقال : ألم أنك عن كلامهم ؟ ثمّ تكلم فقال :
اللهمّ هذا مقام من يُفلج فيه كان أولى بالفُلج³ يوم القيامة . ثمّ قال لهم :
من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكوا . قال : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا : حكومتك
يوم صيفين . قال : أنشدكم الله ، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف وقلّم
نُجيبهم قلت لكم إنني أعلم بالقوم منكم أنهم ليسوا بأصحاب دين ؟ وذكر
ما كان قاله لهم ، ثمّ قال لهم : قد اشترطتُ على الحكمين أن يُحيا ما أحيا القرآن
ويُميّتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف ، وإن
أبيا فنحن عن حكمهما برّاء .

قالوا : فخبّرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجالك في الدماء ؟ فقال : إننا لسنا حكمنا
الرجال إنّما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن إنّما هو خط مسطور بين دفتين
لا ينطق إنّما يتكلّم به الرجال . قالوا : فخبّرنا عن الأجل لِمَ جعلته بينكم ؟
قال : ليعلم الجاهل ويثبت¹ العالم ، ولعلّ الله يُصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ،
ادخلوا مصركم رحمكم الله . فدخلوا من عند آخرهم .

قيل : والحوارج يزعمون أنهم قالوا له : صدقتَ قد كنا كما ذكرت
وكان ذلك كفراً منا وقد تُبنا إلى الله فتبّ كما تُبنا نبايعك وإلا فنحن مخالفون .

1) R. أمرهم .

2) C. P. إطاعة ; R. إطاعة .

3) C. P. بالفلاح .

فبايعنا علي¹ وقال : ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى نجبي المال ويسمن الكراع
ثم نخرج إلى عدونا . وقد . كذب الخوارج فيما زعموا² .

ذكر اجتماع الحكمين

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل علي³ أربعمائة رجل عليهم شريح
ابن هانيء الحارثي وأوصاه أن يقول لعمر بن العاص : إن علياً يقول لك :
إن أفضل الناس عند الله ، عز وجل ، من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه
من الباطل وإن زاده . يا عمرو والله إنك لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل ؟
إن أوتيت طمعاً يسيراً كنت لله به ولأوليائه عدواً ، وكأن والله ما أوتيت قد
زال عنك ! ويحك فلا تكن للخائنين خصيماً وللظالمين ظهيراً ، أما إنني أعلم
بيومك الذي أنت فيه نادم ، وهو يوم وفاتك ، تمنى أنك لم تظهر³ لمسلم
عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة .

فلما بلغه تغير وجهه ثم قال : متى كنت أقبل مشورة علي أو أنتهي إلى
أمره أو أعتد برأيه ؟ فقال له : وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد
المسلمين بعد نبيهم مشورته ؟ فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه
ويعملان برأيه . فقال له : إن مثلي لا يكلم مثلك . قال شريح : بأي أبويك
ترغب عني يا ابن النابغة ؟ أبأيك الوسط أم بأمك النابغة ؟ فقام عنه .

وأرسل علي أيضاً معهم عبد الله بن عباس ليصلي بهم ويبي أمورهم ،
ومعهم أبو موسى الأشعري .

1) C. P. فبايعنا على ذلك ; R. et Br. Mus.

2) S. كذبوا .

3) R. et C. P. تضرر .

وأرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام حتى توافوا من
دومة الجندل بأذرح . وكان عمرو إذا أتاه كتاب من معاوية لا يدري بما
جاء فيه ولا يسأله أهل الشام عن شيء ، وكان أهل العراق يسألون ابن عباس عن
كتاب يصله من علي ، فإن كتبهم ظنوا به الظنون وقالوا : أتراه كتب بكذا
وكذا ؟ فقال لهم ابن عباس : أما تعقلون ؟ أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم
أحد بما جاء به ولا يُسمع لهم صباح ، وأنتم عندي كل يوم تظنون في الظنون ؟

وحضر معهم ابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وابن الزبير
وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبو
جهنم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة .

وكان سعد بن أبي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية ، فأناه ابنه عمر
فقال له : إن أبا موسى وعمراً قد شهدهما نقر من قريش فاحضر معهم فإنك
صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأحد الثوري ولم تدخل في شيء
كرهته هذه الأمة وأنت أحق الناس بالخلافة فلم يفعل ، وقيل : بل حضرهم
سعد وندم على حضوره فأحرم بعمره من بيت المقدس .

وقال المغيرة بن شعبة لرجال من قريش : أترون أحداً يستطيع أن يأتي
برأي يعلم به أيجتمع الحكمان أم لا ؟ فقالوا : لا . فقال : إنني أعلمه منهما .
فدخل على عمرو بن العاص فقال : كيف ترانا معشر من اعتزل الحرب ؟ فإننا
قد شككنا في الأمر الذي استبان لكم فيها . فقال له عمرو : أراكم خلف
الأبرار أمام الفجار . فانصرف المغيرة إلى أبي موسى فقال له مثل قوله لعمرو .
فقال له أبو موسى : أراكم أثبت الناس رأياً ، فيكم بقية الناس . فعاد المغيرة
إلى أصحابه وقال لهم : لا يجتمع هذان على أمر واحد .

1) C. P. أخبت .

فلما اجتمع الحكمان قال عمرو : يا أبا موسى أأنت تعلم أن عثمان قُتل مظلوماً ؟ قال : أشهد . قال : أأنت تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه ؟ قال : بلى . قال : فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمت ؟ فإن خفت أن يقول الناس : ليست له سابقة ، فقل وجدته ولياً عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكاتبه وقد صحبه وعرض له بسلطان .

فقال أبو موسى : يا عمرو اتق الله ! فأما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف تولاؤه أهله ، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة ابن الصباح ، إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أنني لو كنت مُعطيته أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب ، وأما قولك : إن معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الأمر ، فلم أكن لأوليه وأدع المهاجرين الأولين¹ ، وأما تعريضك لي² بالسلطان ، فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كله لما وُلّيته ، وما كنت لأرتشي في حكم الله ! ولكنك إن شئت أحيينا¹ اسم عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

قال له عمرو : فما يمنعك من ابني وأنت تعلم فضله وصلاحه ؟ فقال : إن ابنك رجلٌ صِدقٌ ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة . فقال عمرو : إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل يأكل ويطعم ؛ وكانت في ابن عمر غفلة ؛ فقال له ابن الزبير : افطن فانتبه ! فقال : والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً . وقال : يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعدما تقارعوا بالسيوف فلا تردتهم في فتنة .

1) C. P. et R. والأنصار .

2) Om. S.

١ أن تُحبي .

وكان عمرو قد عودَ أبا موسى أن يُقدِّمه في الكلام يقول له : أنت صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأسنتني فتكلمت ، وتعود ذلك أبو موسى ، وأراد عمرو بذلك كله أن يُقدِّمه في خلع علي ، فلما أَراده عمرو على ابنه وعلى معاوية فأبى وأراد أبو موسى ابن عمر فأبى عمرو ، قال له عمرو : خبِّرتني ما رأيك ؟ قال : أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم من أحببوا . فقال عمرو : الرأي ما رأيت . فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال عمرو : يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق . فتكلم أبو موسى فقال : إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يُصلحَ اللهُ به أمر هذه الأمة . فقال عمرو : صدق وبر ، تقدم يا أبا موسى فتكلم . فتقدم أبو موسى ، فقال له ابن عباس : ويحك ! والله إنني لأظنه قد خدعك ، إن كنتما اتفقتما على أمر فقدَّمه فليتكلم به قبلك ثم تكلم به بعده ، فإنه رجلٌ غادر ولا آمنٌ أن يكون قد أعطاك الرضا بينكما فإذا قمت في الناس خالفك .

وكان أبو موسى مُغفلاً فقال : إننا قد اتفقنا ، وقال : أيتها الناس إننا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلحَ لأمرها ولا أَلَمَ لشعبيها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ويولتي الناس أمرهم من أحببوا ، وإنني قد خلعتُ علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولتوا عليكم من رأيتموه أهلاً . ثم تنحى .

وأقبل عمرو فقام وقال : إن هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبتُ صاحبي معاوية ، فإنه وليّ ابن عفان والطالبُ بدمه وأحقُّ الناس بمقامه .

فقال سعد : ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده ! فقال أبو موسى : فما أصنع ؟ وافقني على أمر ثم نزع عنه ! فقال ابن عباس : لا ذنب لك يا أبا موسى ، الذنب لمن قدَّمك في هذا المقام . قال : غدر فما أصنع ؟ فقال ابن عمر :

انظروا إلى ما صار أمر هذه الأمة ! صار إلى رجل ما يبالي ما صنع وإلى آخر
ضعيف .

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : لو مات الأشعري قبل هذا اليوم¹ لكان
خيراً له .

وقال أبو موسى الأشعري لعمره : لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ! إنما
مثلك ﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ﴾¹ .
قال عمرو : إنما مثلك ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾² . فحمل
شريح بن هانيء على عمرو فضربه بالسوط وحمل . ابن لعمره² على شريح
فضربه بالسوط أيضاً وحجز الناس بينهم . وكان شريح يقول بعد ذلك : ما
ندمت على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ولم أضربه بالسيف .

والتمس أهل الشام أبا موسى فهرب إلى مكة ، ثم انصرف عمرو وأهل
الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح إلى علي ،
وكان علي إذا صلى الغداة يَقْنَتُ فيقول : اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور
وحبيباً وعبد الرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس والوليد ! فبلغ ذلك معاوية
فكان إذا قنت سب علياً وابن عباس والحسن والحسين والأشتر .

وقد قيل : إن معاوية حضر الحكمين وإنه قام عشيّة في الناس فقال :
أما بعد من كان متكلماً في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه . قال ابن عمر : فاطلعت
حُبوتِي³ فأردت أن أقول يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام ، فخشيت
أن أقول كلمة تفرق الجماعة ويُسفك فيها دم ، وكان ما وعد الله فيه

1) Om. S.

2) C. P. et R. عمرو .

3) C. P. شريح .

١ (سورة الأعراف ٧ ، الآية ١٧٦) .

٢ (سورة الجمعة ٦٢ ، الآية ٥) .

الحنان أحب إليّ من ذلك ، فلما انصرفتُ إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال : ما منعك أن تتكلم حين سمعتَ هذا الرجل يتكلم ؟ قلتُ : أردتُ ذلك ثمّ خشيتُ . فقال حبيب : وفقتَ وعصمتَ ، وهذا أصحّ . لأنه ورد في الصحيح¹ .

ذكر خبر الحوارج عند توجيه الحكّمين وخبر يوم النهر

لما أراد عليّ أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الحوارج : زُرعة ابن البرج² الطائي وحرّقوص بن زهير السعدي فقالا له : لا حكم إلاّ لله ! فقال عليّ : لا حكم إلاّ لله³ . وقال حرّقوص بن زهير : نبّ من خطيبتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال عليّ : قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهداً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾⁴ . فقال حرّقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه . فقال عليّ : ما هو ذنب ولكنه عجزٌ عن الرأي وقد نهيتكم . فقال زُرعة : يا عليّ لئن لم تدع تحكيم⁵ الرجال لأقاتلنك ، اطلب وجه الله تعالى . فقال عليّ : بؤساً لك ما أشقاك ! كأنني بك قتيلاً نسفي عليك الرياح ! قال : وددتُ لو كان ذلك . فخرجا من عنده بحكّمان .

وخطب عليّ ذات يوم ، فحكّمت المحكمة في جوانب المسجد ، فقال عليّ : الله أكبر ، كلمة حقّ أريد بها باطل ! إن سكتوا غمناهم ، وإن

1) Om. S.

2) C. P. الجراح .

3) Om. C. P.

4) Corani 16 , vs. 91.

5) C. P. et R. حكّم .

تكلّموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم . فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال : الحمد لله غير مُودّع ربنا ولا مستغنى عنه ! اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيّة في ديننا ، فإن إعطاء الدنيّة في الدين إدهانٌ في أمر الله وذُلّ راجع بأهله إلى سخط الله ، يا عليّ أبا القتل تخوفنا ؟ أما والله إنّي لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مُصنّفات ، ثمّ لتعلم أيتنا أولى بها صليّاً . ثمّ خرج هو وإخوة له ثلاثة فأصيبوا مع الخوارج بالنهر وأصيب أحدهم . بعد ذلك بالنخيلة .

ثمّ خطب عليّ يوماً آخر فقام رجل فقال : لا حكم إلاّ لله ! ثمّ توالى عدّة رجال يحكّمون . فقال عليّ : الله أكبر ، كلمة حقّ أريد بها باطل ! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتنونا : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفياء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا . وإنّما فيكم أمر الله . ثمّ رجع إلى مكانه من الخطبة .

ثمّ إنّ الخوارج لقي بعضهم بعضاً واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فخطبهم فزهدهم في الدنيا وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثمّ قال : اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكبين لهذه البدع المضلّة . فقال له حرقوص بن زهير : إنّ المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإنّ الفراق لها وشيك . فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتكم² عن طلب الحقّ وإنكار الظلم . ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾¹ . فقال حمزة ابن سنان الأسديّ : يا قوم إنّ الرأي ما رأيتم فولتوا أمركم رجلاً منكم فإنّكم

1) Om. S.

2) C. P. ر. تلهيكم .

1 (سورة النحل ١٦ ، الآية ١٢٨) .

لا بدّ لكم من عِمَاد وسِنَاد وراية تحفّون بها وترجعون إليها . فعرضوها على زيد بن حُصَيْن¹ الطائي فأبى ، وعرضوها على حُرْقُوص بن زهير فأبى ، وعلى حمزة بن سِنَان وشُرَيْح بن أَوْفَى العبسي فأبيا ، وعرضوها على عبد الله بن وهب ، فقال : هاتوها ، أمّا والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعُها فرقاً من الموت . فبايعوه لعشر خلون من شوال . . وكان يقال له ذو الثَّفِينات² .

ثمّ اجتمعوا في منزل شُرَيْح بن أَوْفَى العبسي ، فقال ابن وهب : اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله فإنكم أهل الحقّ . قال شُرَيْح : نخرج إلى المدائن فننزّلها ونأخذها بأبوابها ونُخرج منها سكّانها ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا . فقال زيد بن حُصَيْن : إنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعتكم ولكن اخرجوا وحداناً مستخفين ، فأما المدائن فإنّ بها من يمنعكم ، ولكن سيروا حتى تنزل جسر النهروان وتكاتبوا³ إخوانكم من أهل البصرة . قالوا : هذا الرأي .

وكتب عبد الله بن وهب إلى مَنْ بالبصرة منهم يُعلمونهم ما اجتمعوا عليه ويحثونهم على اللحاق بهم ، وسيّر الكتاب إليهم ، فأجابوه أنهم على اللحاق به . فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم ، وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، وساروا يوم السبت ، فخرج شُرَيْح بن أَوْفَى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ إلى ﴿ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾⁴ . وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي ، فاتبعه أبوه ، فلم يقدر عليه ، فأنتهى إلى المدائن ثمّ رجع ، فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسبي في نحو عشرين فارساً ، فأراد عبد الله قتله فمنعه عمرو بن مالك النَّبْهَانِيّ وبِشْر بن زيد البَوْلَانِيّ ، وأرسل عديّ إلى سعد بن مسعود عامل عليّ على المدائن يُحذّره أمرهم ، وأخذ أبواب

1) S. ubiqué .

2) Om. C. P.

3) C. P. وياتونكم .

4) Corani 28, vs. 21, 22.

المدائن وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المُختار بن أبي عُبَيْد ، وسار في طلبهم . فأخبر عبد الله بن وهب خبره ، فرأبأ طريقه وسار على بغداد ، ولحقهم سعد بن مسعود بالكَرْخ في خمسمائة فارس عند المساء ، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارساً ، فاقتلوا ساعة وامتنع القوم منهم .

وقال أصحاب سعد لسعد : ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر ؟ خلّتهم فليذهبوا ، واكتب إلى أمير المؤمنين فإن أمرك باتّباعهم اتبعتهم ، وإن كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك . فأبى عليهم . فلما جنّ عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب فعبر دجلة إلى أرض جُوخي وسار إلى النهروان فوصل إلى أصحابه وقد أيسوا منه ، وقالوا : إن كان هلك ولينا الأمر زيد بن حُصَيْن أو حُرْقُوص بن زهير .

وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الحوارج ليكونوا معهم . فردّهم أهلهم كرهاً ، منهم : القَعْقَاع بن قيس الطائي عم الطُّرْمَاح بن حكيم ، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البسكائي ، وبلغ علياً أن سالم بن ربيعة العبسي يريد الخروج فأحضره عنده ونهاه فانتهى .

ولما خرجت الحوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا : نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت . فشرط لهم فيه سنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فجاءه ربيعة بن أبي شدّاد الحشعمي ، وكان شهد معه الحمل وصيفين ومعه راية خشع ، فقال له : بايع على كتاب الله وسنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال ربيعة : على سنة أبي بكر وعمر . قال له علي : ويلك ! لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يكونا على شيء² من الحق . فبايعه . فنظر إليه علي

1) فرابي . C. P. et R. ; فترك S. 1)

2) بينة C. P. 2)

وقال : أمّا والله لكأنّي بك وقد تفرّت مع هذه الخوارج فقُتلت ، وكأنّي بك وقد وطئتكَ الخيل بحوافرها . فقُتل يوم النهر مع خوارج البصرة .

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعّر بن فدكيّ التميمي ، فعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الأسود الدّثلي ، فلحقهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدلى مسعّر بأصحابه وأقبل يعترض الناس وعلى مقدّمته الأشرس بن عوف الشيباني ، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر .

فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكة وردّ عليّ ابن عباس إلى البصرة قام في الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله . أمّا بعدُ فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم ، وقد كنتُ أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمرى ونحلتكم¹ رأيي . لو كان لقصير أمر² ، ولكن أبيت إلا ما أردتم فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

أمرتُهُمُ أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا³ الرشد إلا ضحى الغد

إلا أن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكّمتين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحيا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هُدَى من الله فحكما بغير حجة بيّنة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ، استعدادوا وتأهبوا للمسير إلى الشام وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الاثنين .

ثمّ نزل ، وكتب إلى الخوارج بالنهر : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد

1) . ويبت لكم C. P.

2) Om. C. P.

3) Br. Mus. يستلبوا .

الله عليّ أمير المؤمنين إلى زيد بن حُصَيْن وعبد الله بن وهب ومَنْ مَعَهُمَا من الناس . أمّا بعدُ فإنّ هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكَمَيْن قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملوا بالسنة ولم يُنفِذا القرآن حكماً فبريء الله منهما ورسوله والمؤمنون ، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا إلينا فإننا سائرون إلى عدوتنا وعدوكم ونحن على الأمر الأول¹ الذي كنّا عليه .

فكتبوا إليه : أمّا بعدُ فإنّك لم تغضب لربك وإنما غضبتَ لنفسك ، فإن شهدتَ على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلاّ فقد نبذناك على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين .

فلما قرأ كتابهم أيس² منهم ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس حتى يلقي أهل الشام فيناجزهم ، فقام في أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد فإنّه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هدّكة إلاّ أن يتداركه الله بنعمته ، فاتقوا الله وقاتلوا مَنْ حادّ الله ورسوله وحاول أن يُطفئ نورَ الله ، فقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين³ الذين ليسوا بقراء القرآن ولا فقهاء في الدين ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى⁴ وهرقل ، تيسروا⁵ للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا اجتمعتم شخصنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

وكتب إلى ابن عباس : أمّا بعد فإننا خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة وقد أجمعنا على المسير إلى عدوتنا من أهل المغرب ، فاشخصْ إلى الناس حتى يأتيك رسولي ، وأقم حتى يأتيك أمري ، والسلام عليك .

فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس وندبهم مع الأحنف بن قيس ، فشخص

1) Om. S.

2) C. P. كبر .

3) C. P. الظالمين ; R. المضلين .

4) C. P. add. قيصر .

5) C. P. وتأهبوا .

ألف وخمسمائة ، فخطبهم وقال : يا أهل البصرة أتاني كتاب أمير المؤمنين فأمرتكم بالنفير إليه فلم يشخص منكم إليه إلا ألف وخمسمائة وأنتم ستون ألف مقاتل سوى أبنائكم وعبيدكم ! ألا انفروا إليه¹ مع جارية بن قدامة السعديّ، ولا يجعلنّ رجل على نفسه سيلاً ، فإنني موقع بكلّ من وجدته متخلفاً عن دعوته عاصياً لإمامه ، فلا يلومنّ رجل إلا نفسه .

فخرج جارية فاجتمع إليه ألف وسبعمائة ، فوافوا عليّ وهم ثلاثة آلاف ومائتان ، فجمع إليه رؤوس أهل الكوفة ورؤوس الأسباع² ووجوه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : يا أهل الكوفة أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحقّ وأصحابي إلى جهاد المحلّين بكم أضرب المدبر وأرجو تمام طاعة المقبل ، وقد استنفرتُ أهل البصرة فأتاني منهم ثلاثة آلاف ومائتان ، فليكتب لي رئيس كلّ قبيلة ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم³ ويرفع ذلك إلينا .

فقام إليه سعيد بن قيس الهمدانيّ فقال : يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ، أنا أوّل الناس أجاب ما طلبت . وقام معقل بن قيس وعديّ بن حاتم وزباد ابن خصّفة وحجّر بن عديّ وأشرف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك ، وكتبوا إليه ما طلب ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم أن يخرجوا معهم ولا يتخلف منهم متخلف ، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ، وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفاً سوى أهل البصرة ، وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل .

وكتب إلى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بإرسال من عنده من المقاتلة . وبلغ عليّ أن الناس يقولون : لو سار بنا إلى قتال هذه الحرورية فإذا

1) Om. S.

2) C. P. الأتباع ; R. الأشباع .

3) C. P. ومراكبهم .

فرغنا منهم توجهنا إلى قتال المحلّين ! فقال لهم : بلغني أنكم قام كيت وكيت ! وإن غير هؤلاء الخارجين أهمّ إلينا ! فدعوا ذكرهم وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً ويتخذوا عباداً لله خوفاً . فناداه الناس : أن سرّ بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت . وقام إليه صيفي بن فسيل¹ الشيباني فقال : يا أمير المؤمنين نحن حزبك وأنصارك نعادي منّ عداك ونشايح² منّ أناب إلى طاعتك منّ كانوا وأينما كانوا ، فإنك إن شاء الله لن تؤتني من قلة عدد وضعف نية أتباع .

ذكر قتال الخوارج

قبيل : لما أقبلت الخارجة من البصرة حتى دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلاً يسوق بامرأة على حمار ، فدعوه فانتهروه فأفزعوه وقالوا له : منّ أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : أفزعناك ؟ قال : نعم . قالوا : لا روع عليك ، حدثنا عن أبيك حديثاً سمعه من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تنفعنا به . فقال : حدثني أبي عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه ، يمسي فيها مؤمناً ويصبح كافراً ، ويصبح كافراً ويُمسي مؤمناً . قالوا : لهذا الحديث سألتك ، فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيراً . قالوا : ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي

1) قبيل . C. P.

2) ونسارح . R. ; ونبايع . C. P.

آخرها ؟ قال : إنه كان محقاً في أولها وفي آخرها . قالوا : فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم وأشدّ توقياً على دينه وأنفذ بصيرة . فقالوا : إنك تتبّع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ، والله لقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً .

فأخذوه وكتفوه ثمّ أقبلوا به وبامراته ، وهي حبلى مُنمّ¹ ، حتى نزلوا تحت نخل مواقير ، فسقطت منه رطبة ، فأخذها أحدهم فتركها في فيه ، فقال آخر : أخذتها بغير حلتها وبغير ثمن ، فألقاها . ثمّ مرّ بهم خنزير لأهل الذمّة فضربه أحدهم بسيفه ، فقالوا² : هذا فساد في الأرض ، فلقى صاحب الخنزير فأرضاه ، فلما رأى ذلك منهم ابن خبّاب قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليّ منكم من بأس ، إنني مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً ، ولقد آمنتموني قلم : لا روع عليك . فأضجعوه فذبجوه ، فسال دمه في الماء ، وأقبلوا إلى المرأة فقالت : أنا امرأة ألا تتقون الله ! فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أمّ سنان الصيداوية .

فلما بلغ عليّاً قتلهم عبد الله بن خبّاب واعترضهم الناس ، بعث إليهم الحارث بن مروة العبديّ ليأتيهم وينظر ما بلغه عنهم ويكتب به إليه ولا يكتمه . فلما دنا منهم يسألهم قتلوه ، وأتى عليّاً الخبر والناس معه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا ؟ سير بنا إلى القوم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام .

وقام إليه الأشعث بن قيس وكلمه بمثل ذلك ، وكان الناس يرون أن الأشعث يرى رأيهم لأنه كان يقول يوم صيفين : أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله . فلما قال هذه المقالة علم الناس أنه لم يكن يرى رأيهم .

1) Om. C. P. ; R. معهم .

2) C. P. فقال له أحدهم .

فأجمع عليّ على ذلك وخرج فعبر الجسر وسار إليهم ، فلقيه منجم في مسيره فأشار عليه أن يسير وقتاً من النهار ، فقال له : إن أنت سرت في غيره لقيت أنت وأصحابك ضراً شديداً . فخالفه عليّ وسار في الوقت الذي نهاه عنه ، فلما فرغ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمر بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون شيئاً : سار في الساعة التي أمر بها المنجم فظفر . وكان المنجم مسافر بن عفيف الأزدي .

فأرسل عليّ إلى أهل النهر : أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعلّ الله يقبل بقلوبكم¹ ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم . فقالوا : كلنا قتلهم وكلنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم . وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة فقال لهم : عباد الله أخرجوا إلينا طلبتينا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه وعودوا بنا إلى قتال عدوتنا وعدوكم فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين ! فقال لهم عبد الله بن شجرة السلمي : إن الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر ، فقال : ما نعلمه [فينا] غير صاحبنا ، فهل تعلمونه فيكم ؟ قالوا : لا . قال : نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها فإنني لا أرى الفتنة إلا وقد غلبت عليكم .

وخطبهم أبو أيوب الأنصاري فقال : عباد الله إننا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها . أليست بيننا وبينكم فُرقة فعلام تقاتلوننا ؟ فقالوا : إننا لو تابعناكم اليوم حكمتم غداً . قال : فإنني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة للعام مخافة ما يأتي في القابل² .

وأتابهم عليّ فقال : أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المرء والنجاجة ! وصدّها عن الحق الهوى ، وطمع بها النزق ، وأصبحت في الخطب العظيم !

1) C. P. et R. توبتكم .

2) S. sine art.

إني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي . وبأهضام
 هذا الغائط بغير بيّنة من ربكم ولا برهان مبین ، ألم تعلموا أنني نهيتكم عن
 الحكومة ، ونبأتكم¹ أنها مكيدة ، وأن القوم ليسوا بأصحاب دين ، فعصيتموني ،
 فلما فعلتُ شرطتُ واستوثقتُ على الحكّامين أن يُحيا ما أحيا القرآن ويميتا ما
 أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، فنبذنا أمرهما ونحن على
 الأمر الأوّل ؟ فمن أين أتيم² ؟ فقالوا : إنا حكّمنا فلما حكّمنا أئمنا ، وكنا
 بذلك كافرين وقد تبنا ، فإن تبتَ فنحن معك ومنك ، وإن آيتَ فإننا منابذوك
 على سواء . فقال عليّ : أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر³ ، أبعدَ إيماني
 برسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وهجرني معه وجهادي في سبيل الله أشهدُ
 على نفسي بالكفر ! لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . ثمّ انصرف عنهم .

وقيل : إنه كان من كلامه لهم : يا هؤلاء إن أنفسم قد سوت لكم
 فإني لهذه الحكومة التي أنتم بدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أن
 القوم إنما طلبوها مكيدةً ودهناً⁴ فأبيتم عليّ إباء المخالفين ، وعندتم عنود
 النكداء العاصين ، حتى صرفتُ رأيي إلى رأيكم ، رأي معاشر والله أخفاء
 الهام ، سفهاء الأحلام ، فلم آت⁵ ، لا أبا لكم ، هُجراً ! والله ما خلتهم عن
 أموركم ، ولا أخفيتُ شيئاً من هذا الأمر عنكم ، ولا أوطأتكم عشوةً ، ولا
 دنيتُ لكم الضراء⁶ ، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً فأجمع رأيي ملاكم
 [عليّ] أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدوا، فتاها
 فتركا الحقّ وهما يبصرانه وكان الجور هواهما ، والثقة⁶ في أيدينا حين خالفا

1) وقد كنت قلت لكم C. P.

2) أيتم R.

3) دابر R.

4) Om. C. P.

5) وبيت R. ; زينت لكم القرآن C. P.

6) C. P. البقية ; R. التغير .

سبيل الحق وأتيا بما لا يُعرف ، فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا والخروج عن
جماعتنا وتضعون أسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم ؟
إن هذا هو الحسران المبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها !
فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟

فتنادوا : لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتبأوا للقاء الله ، . الرواح الرواح
إلى الجنة ! فعاد عليّ عنهم¹ .

ثم إن الخوارج قصدوا جسر النهر وكانوا غربه ، فقال لعليّ أصحابه :
إنهم قد عبروا النهر . فقال : لن يعبروا . فأرسلوا طليعة فعاد وأخبرهم أنهم
عبروا النهر ، وكان بينهم وبينه عطفة من النهر ، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم ،
فعاد فقال : إنهم قد عبروا النهر . فقال عليّ : والله ما عبروه وإن مصارعهم
لدون الجسر ، والله لا يُقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة ! وتقدم عليّ
إليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه ، وكان الناس قد شكوا في قوله وارتاب به
بعضهم ، فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا وأخبروا عليّاً بحالهم ، فقال :
والله ما كذبت ولا كُذبت ! ثم إنه عبأ أصحابه ، فجعل على يمينته حُجْر
ابن عديّ ، وعلى يسرته شَبَث بن رِبْعِيّ أو معقل بن قيس الرياحي ، وعلى
الجيل أبا أيوب الأنصاري ، وعلى الرّجالة أبا قتادة الأنصاري ، وعلى أهل
المدينة ، وهم سبعمائة أو ثمانمائة ، قيس بن سعد بن عبادة ، وعبأت الخوارجُ
فجعلوا على يمينتهم زيد بن حُصَيْن² الطائيّ ، وعلى اليسرة شُرَيْح بن أوفى
العبيسي ، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي ، وعلى رجالتهم حُرْقُوص بن
زُهَيْر السّعدي .

وأعطى عليّ أبا أيوب الأنصاري راية الأمان ، فناداهم أبو أيوب فقال :
من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ، ومن لم يقتل ولم يستعرض ، ومن انصرف منكم

1) Om. C. P.

2) S. *ubique* حسن.

إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم .

فقال فروة بن نوفل الأشجعي : والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليك ، أرى أن أنصرف حتى يتضح لي بصيرتي في قتاله أو أتابعه . فانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنجيين والدسكرة . وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة ، وخرج إلى علي نحو مائة ، وكانوا أربعة آلاف ، فبقي مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة ، فزحفوا إلى علي¹ ، وكان علي قد قال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدأوكم . فتنادوا : الرواح إلى الجنة ! وحملوا على الناس ، فافترقت خيل² علي فرقتين : فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة ، واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل ، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فما لبثوا أن أناموهم . فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه : أن انزلوا ! فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا أن حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي وجاءتهم الخيل من نحو علي فأهلكوا في ساعة ، فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا .

وجاء أبو أيوب الأنصاري إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين قتلت زيد بن حصين الطائي ، طعنته في صدره [حتى] خرج السنان من ظهره ، وقلت له : أبشر يا عدو الله بالنار . فقال : ستعلم غداً³ أينما أولى بها صلياً . فقال له علي : هو أولى بها صلياً . وجاءه هانيء بن خطاب الأزدي وزبيد بن خصفة بختجان في قتل عبد الله بن وهب ، فقال : كيف صنعتما ؟ قالوا : لما رأينا عرفناه فابتدرناه وطعناه برؤمينا . فقال : كلا كما قاتل .

وحمل جيش بن ربيعة الكيناني على حرقوص بن زهير فقتله ، وحمل عبد الله

1) Om. C. P.

2) الخيل . C. P.

3) Om. S.

ابن زحر¹ الخولاني على عبد الله بن شجرة السلمي فقتله ، ووقع شريح بن أوفى إلى جانب جدار فقاتل عليه ، وكان . جلّ من يُقاتله همدان ، فقال² :

قد علمت جاريتي عبيته ناعمة في أهلها مكفيتها
أني سأحمي ثلثي العشيّة

فحمل عليه قيس بن معاوية فقطع رجله ، فجعل يقاتلهم وهو يقول :

القرمُ يحمي شؤله معقولا

فحمل عليه قيس أيضاً فقتله ، فقال الناس :

« اقتلت¹ همدان يوماً ورجل² اقتلوا² من غدوة حتى الأصل³ .
ففتح³ الله لهمدان الرجل³ »

ذكر مقتل ذي الثدية

قد روى جماعة أن علياً كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج أن قوماً يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، علامتهم رجل مُخدج اليد ، سمعوا ذلك منه مراراً ، فلما خرج أهل النهروان سار بهم إليهم علي وكان معه ما كان ، فلما فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المُخدج ،

1) C. P. زجر ; R. زهر .

2) C. P. يقول .

3) C. P. pro his habet : قد فتح الله ووقع الفتح .

١ اقلت .

٢ اقلوا .

فالتمسوه ، فقال بعضهم : ما تجده ، حتى قال بعضهم : ما هو فيهم ، وهو يقول : والله إنه لفيهم ، والله ما كذبت ولا كُذبت ! ثم إنه جاءه رجل فبشّره . فقال : يا أمير المؤمنين لقد وجدناه . وقيل : بل خرج عليّ في طلبه قبل أن يبشّره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والريان بن صبرة فوجده في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً ، فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع ككدي المرأة وحلّمة عليها شعرات سود فإذا مُدّت امتدّت حتى تحاذي يده الطولى ثم تترك فتعود إلى منكبيه . فلما رآه قال : الله أكبر ما كذبت ولا كُذبت ، لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، لمن قاتلهم مستبصرًا في قتلهم عارفاً للحق الذي نحن عليه .

وقال حين مرّ بهم وهم صرعى : بؤساً لكم ! لقد ضرّكم من غرّكم ! قالوا : يا أمير المؤمنين من غرّهم ؟ قال : الشيطان وأنفس أمارة بالسوء غرّتهم بالأمانى وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنهم ظاهرون .

قيل : وأخذ ما في عسكرهم من شيء ، فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسّمه بين المسلمين ، وأما المتاع والإماء والعبيد فإنه ردّه على أهله حين قدم .

وطاف عدي بن حاتم في القتل على ابنه طرفة فدفنّه ، ودفن رجال من المسلمين قتلهم . فقال عليّ حين بلغه : أتقتلونهم ثم تدفنونهم ؟ ارتحلوا ! فارتحل الناس² .

فلم يُقتل من أصحاب عليّ إلا سبعة³ . وقيل : كانت الواقعة سنة ثمان وثلاثين . وكان فيمن قُتل من أصحابه يزيد بن نويرة الأنصاري ، وله صحبة وسابقة ، وشهد له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالجنة ، وكان أوّل من قُتل .

1) C. P. et R. باننا .

2) S.

3) R. et C. P. نسة .

ذكر رجوع عليّ إلى الكوفة

ولما فرغ عليّ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه وقال : إن الله قد أحسن بكم وأعزّ نصركم فتوجهوا من فوركم¹ هذا إلى عدوكم . قالوا : يا أمير المؤمنين نفذت نبالنا وكدت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا . وعاد أكثرها قصداً² ، فارجع إلى مصرنا فلنستعدّ ، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عدتنا فإنه أقوى لنا على عدونا . وكان الذي تولّى كلامه الأشعث بن قيس ، فأقبل حتى نزل الشخيلة فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد أنفسهم وأن يُقبلوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم . فأقاموا فيه أياماً ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا إلّا رجالاتاً من وجوه الناس وتترك المعسكر خالياً ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير وقال لهم أيضاً : أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدوكم ومنّ في جهاده التّربة إلى الله . عزّ وجلّ ، ودرك الوسيلة عنده ، حيارى من الحقّ جفافة عن الكتاب يعمهون في طغيانهم ، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله نصيراً . فلم ينفروا ولا تيسروا . فتركهم أياماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يُبطئ بهم : فمنهم المعتلّ ومنهم المتكره . . وأقلّهم منّ³ نشط .

فقام فيهم فقال : عباد الله ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا ﴿ ائْتَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾¹ وبالذلّ والهوان من

1) فوركم . S .

2) Om. C. P.

3) Om. C. P.

١ (سورة التوبة ٩ ، الآية ٣٨) .

الغزّ خلفاً ؟ وكلّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة
وكانّ قلوبكم مألوسة وأنتم لا تعقلون ، فكانّ أبصاركم كُمنه وأنتم لا تبصرون !
لله أنتم ! ما أنتم إلاّ أسد الشرى في الدعة ، وثعالب رواغة حين تُدعون إلى
البأس . ما أنتم . لي بثقة سجيس اللبالي . ما أنتم¹ بركب يُصال به . لعمرُ الله
لبش حُشّاشُ الحرب² أنتم ! إنكم تُكادون ولا تكيدون ، وتُتنقّص أطرافكم
وأنتم لا تتحاشون ، ولا يُنام عنكم¹ وأنتم في غفلة ساهون . ثمّ قال : أمّا بعد
فإنّ لي عليكم حقاً وإنّ لكم عليّ حقاً ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة
. لكم ما صحبتكم¹ ، وتوفير فينكم عليكم ، وتعليمكم كي لا تجهلوا² .
. وتأديبكم كي تعلّموا ، وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في
المغيّب والمشهد والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم ، فإنّ يُرد الله
بكم خيراً تنزعوا عما أكره وترجعوا إلى ما أحبّ فتنالوا ما تطلبون وتدرکوا
ما تأملون¹ .

ذکر عدة حوادث

قيل : وحجّ بالناس هذه السنة عبيد الله بن عباس ، وكان عامل عليّ عليّ
اليمن ؛ وكان عليّ مكة والطائف قُثم بن العباس ؛ وكان عليّ المدينة سهل بن
حُنيف ، وقيل تمام بن العباس ؛ وكان عليّ البصرة عبد الله بن عباس ؛ وعليّ
مصر محمد بن أبي بكر . ولما سار عليّ إلى صيفين استخلف عليّ الكوفة أبا مسعود

1) Om. C. P.

2) R. العرب .

١ ولا تُنام عينكم .

٢ تجهلون .

الأنصاري ؛ وكان على خراسان خُلَيْد بن قُرَّة اليربوعي ؛ وكان بالشام معاوية ابن أبي سفيان .

وفيهما قُتل حازم بن أبي حازم أخو قيس الأحمسي البَجَلِي بصِفَتَيْن مع عليّ .
وفيهما مات خَبَّاب بن الأَرْت ، شهد بدرًا وما بعدها ، وشهد صِفَتَيْن مع عليّ والنهروان ، وقيل لم يشهدا ، كان مريضاً ومات قبل قدوم عليّ إلى الكوفة ، وقد تقدّم ذكره ، وقيل مات سنة تسع وثلاثين وكان عمره ثلاثاً وستين سنة .
وفيهما قُتل أبو الهيثم بن التَّيْهَان بصِفَتَيْن مع عليّ ، وقيل عاش بعدها يسيراً ، وقُتل بها أخوه عبيد بن التَّيْهَان ، وكان أبو الهيثم أول من بايع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة العَقَبَة ، في قول ، وهو بدريّ . وفيها قُتل يَعْلَى ابن مُنْبِيَةَ ، وهي أمّه ، واسم أبيه أُمَيَّة التَّمِيمِي ، وهو ابن أخت عتبة بن غَزْوَان ، وقيل ابن عمته ، وكان قد شهد الجمل مع عائشة ، ثمّ شهد صِفَتَيْن مع عليّ فقُتل بها ، وكان إسلامه يوم الفتح ، وشهد حُنَيْنًا . وقُتل بصِفَتَيْن مع عليّ أبو عَمْرَةَ الأنصاري النَجَارِيّ والد عبد الرحمن ، وهو أيضاً بدريّ .
وفيهما قُتل أبو فَضَالَةَ الأنصاريّ . في قول¹ ، وهو بدريّ . وفيها توفي سهل ابن حُنَيْف الأنصاري في قول¹ ، وهو بدريّ² ، وشهد مع عليّ حروبه . وتوفي بها صُهَيْب بن سِنَان وَصَفْوَان بن بَيْضَاء ، وهو بدريّ . وفي هذه السنة توفي عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعسقلان فجأة وهو في الصلاة . وكره الخروج مع³ معاوية إلى⁴ صفين ، وقيل شهدا⁵ ، ولا يصح⁶ .

1) Om. S.

2) Om. C. P.

3) C. P. مع .

4) C. P. في .

5) C. P. لم يشهدا .

6) Om. R.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

ذكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن
أبي بكر الصديق

في هذه السنة قُتل محمد بن أبي بكر الصديق بمصر وهو عامل عليّ عليها ،
وقد ذكرنا سبب تولية عليّ إياه مصر وعزل قيس بن سعد [عنها] ودخوله مصر
وإنفاذه ابن مضاءم الكلبي إلى أهل خرنوبا ، فلما مضى ابن مضاءم إليهم قتلوه ،
وخرج معاوية بن حديج السكوني^١ وطلب بدم عثمان ودعا إليه ، فأجابته ناس
وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر ، فبلغ ذلك عليّاً فقال : ما لمصر إلاّ أحد
الرجلين ، صاحبنا الذي عزلنا ، يعني قيساً ، أو الأشتر ، وكان الأشتر قد عاد بعد
صيفين إلى عمله بالجزيرة ، وقال عليّ لقيس : أقم عندي على شرطتي حتى
تنقضي الحكومة ثمّ تسير إلى أذربيجان . فلما بلغ عليّاً أمر مصر كتب إلى
الأشتر وهو بنصيبين يستدعيه ، فحضر عنده ، فأخبره خبر أهل مصر وقال :
ليس لها غيرك فاخرج إليها ، فإنني لو لم أوصك اكتفيتُ برأيتك ، واستعن
بالله واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ وتشدد حين لا يعني إلاّ
الشدة .

فخرج الأشتر بتجهز إلى مصر وأنت معاوية عيونه بذلك ، فعظم عليه ،

١) C. P. اليشكري .

وكان قد طمع في مصر ، فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشدّ عليه من محمد بن أبي بكر ، فبعث معاوية إلى المقدم على أهل الحراج بالقلزم وقال له : إن الأشتر قد وليّ مصر ، فإن كفيّتيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيتُ وبقيت . فخرج الحابسات حتى أتى القلزم وأقام به ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول ، فنزل عنده ، فأتاه بطعام ، فلما أكل أتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سمّاً فسقاه إياه ، فلما شربه مات .

وأقبل معاوية يقول لأهل الشام : إنّ عليّاً قد وجّه الأشتر إلى مصر فادعوا الله عليه ، فكانوا يدعون الله عليه كلّ يوم ، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر ، فقام معاوية خطيباً ثمّ قال : أمّا بعد فإنه كانت لعليّ يمينان فقطعت إحداهما بصيفين ، يعني عمّار بن ياسر ، وقطعت الأخرى اليوم . يعني الأشتر .

فلما بلغ عليّاً موته قال : للبدّين وللهم ! وكان قد ثقل عليه لأشياء نُقلت عنه . وقيل : إنه لما بلغه قتله قال : إنّنا لله وإنّا إليه راجعون ! مالك وما مالك وهل موجود مثل ذلك ؟ لو كان من حديد لكان قيماً أو من حجر لكان صليداً ! على مثله فلتبك البواكي ! وهذا أصحّ لأنه لو كان كارهاً له لم يولّه² مصر .

وكان الأشتر قد روى الحديث عن عمر وعليّ وخالد بن الوليد وأبي ذرّ ، وروى عنه جماعة ، وقال أحمد بن صالح : كان ثقة .

قيل : ولما بلغ محمد بن أبي بكر إنفاذ الأشتر شقّ عليه فكتب إليه عليّ : أمّا بعد فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشتر إلى عمك ، وإنّي لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد ولا ازدياداً³ مني لك في الجحدّ ، ولو نزلت ما تحت

1) الحانسيار 116، *Abul-Mahasin, Ann. I, p. 116* ; إلى يسار R. ; الجايستار C. P. 1)

2) لما ولاه C. P. 2)

3) أرصاداً C. P. 3)

يدك لو لبنتك ما هو أيسر عليك مؤونة منه وأعجب إليك ولاية¹ ، إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحاً وعلى عدونا شديداً ، وقد استكمل أيامه ولاقى حيمامه¹ ، ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب ، اصبر لعدوك وشمر للحرب و ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾¹ وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمتك ويُعنك على ما ولاك .

وكتب إليه محمد : أما بعد فقد انتهى إلي كتابك وفهمته² ، وليس أحد من الناس أَرْضَى برأي أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أرف بوليته مني ، وقد خرجت فمسكرت وآمنت الناس إلا من نصب لنا حرباً وأظهر لنا خلافاً ، وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه² . والسلام .

وقيل : إنما تولي الأشتر مصر بعد قتل محمد بن أبي بكر .

وكان أهل الشام ينتظرون بعد صيفين أمر الحكمتين ، فلما تفرقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ، ولم يزد إلا قوة ، واختلف الناس بالعراق على علي ، فما كان لمعاوية هم إلا مصر ، وكان يهاب أهلها لقربهم منه وشدتهم على من كان على رأي عثمان ، وكان يرجو أنه إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي لعظم خراجها ، فدعا معاوية عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر ابن أبي أرطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد وأبا الأعور السلمي وشريحيل بن السميط الكندي فقال لهم : أندرون لم جمعتمكم ؟ فلاني جمعتمكم لأمر لي مهم ! فقالوا : لم يُطلع الله على الغيب أحداً وما نعلم ما تريد . فقال

1) الجماعة C. P.

2) وحازبه R.

عمرو بن العاص : دعوتنا لتسألنا عن رأينا في مصر ، فإن كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر ، فنعيم الرأي رأيت في افتتاحها ! فإن فيه عزك وعيز أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الشقاق عليك . فقال معاوية : أهلك يا ابن العاص ما أهلك ! وذلك أن عمراً كان صالح معاوية على قتال عليّ على أن له مصر طعمة ما بقي . وأقبل معاوية على أصحابه وقال : أصاب أبو عبد الله ، فما ترون ؟ فقالوا : ما نرى إلا ما رأى عمرو . قال : فكيف أصنع¹ ؟ . فإن عمراً لم يفسر كيف أصنع² . فقال عمرو : أرى أن تبعث جيشاً كثيراً عليهم رجل حازم صابراً³ صارم تأمنه وتثق به فيأتي مصر فإنه سيأتيه من كان على مثل³ رأينا فيظاھرہ على عدونا ، فإن اجتمع جنك ومن بها على رأينا رجوت أن ينصرک الله .

قال معاوية : أرى أن نكتب من بها من شيعتنا فنمنيتهم ونأمرهم بالثبات ، ونكتب من بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا ونمنيتهم شكرنا ونخوفهم حربنا ، فإن كان ما أردنا بغير قتال فذاك الذي أردنا وإلا كان حربهم من بعد ذلك . إنك يا ابن العاص بورك لك في الشدة⁴ والعجلة ، وأنا بورك لي في التؤدة . قال عمرو : افعل ما ترى فما أرى أمرنا يصير إلا إلى الحرب .

فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج السكوني ، وكانا قد خالفا علياً ، يشكرهما على ذلك ويحثهما على الطلب بدم عثمان ويعدهما الموااساة في سلطانه ، وبعثه مع مولاہ سُبَيْع⁵ .

فلما وقفا عليه أجاب مسلمة بن مخلد الأنصاري عن نفسه وعن ابن حديج : أما بعد فإن الأمر الذي بدلنا له أنفسنا وابتعنا به أمر الله أمر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا وتعجيل النعمة على من سعى على إمامنا ، وأما ما ذكرت

1) Om. S.

2) Om. C. P.

3) Om. S.

4) C. P. الرشدة .

5) R. et Br. Mus. بشيع .

من المواساة في سلطانتك ، فتالله إن ذلك أمر ما له نهضنا ولا إيتاه أردنا . فعجل¹
إلينا بخيلك ورجلك فإن عدونا قد أصبحوا لنا هائبين فإن باتنا مدد يفتح الله
عليك . والسلام .

فجاء الكتاب وهو بـفلسطين ، فدعا أولئك النفر وقال لهم : ما ترون ؟
قالوا : نرى أن تبعث جنداً .

فأمر عمرو بن العاص ليتجهز إليها ، وبعث معه ستة آلاف رجل ووصاه
بالتؤدة وترك العجلة . وسار عمرو فتزل أداني أرض مصر ، فاجتمعت إليه
العثمانية ، فأقام بهم وكتب إلى محمد بن أبي بكر : أما بعد ففتح عني بدمك
يا ابن أبي بكر فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ، إن الناس بهذه البلاد قد
اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها إني لك من الناصحين . وبعث
معه كتاب معاوية في المعنى أيضاً ويتهدده بقصده حصار عثمان .

فأرسل محمد الكتابين إلى عليّ ويُخبره بتزول عمرو بأرض مصر وأنه
رأى الثاقل ممن عنده ويستمدّه . فكتب إليه عليّ يأمره أن يضمّ شيعته إليه
ويبعده إنفاذ الجيوش إليه ويأمره بالصبر لعدوه وقتاله . وقام محمد بن أبي بكر في
الناس وندبهم إلى الخروج إلى عدوهم مع كنانة بن بشر ، فانتدب معه ألفان ،
وخرج محمد بن أبي بكر بعده في ألفين وكنانة على مقدمته ، وأقبل عمرو نحو
كنانة ، فلما دنا منه سرح الكتاب كتيبة بعد كتيبة ، فجعل كنانة لا تأتيه
كتيبة إلاّ حمل عليها فألحقها بعمرو بن العاص ، فلما رأى ذلك بعث إلى معاوية
ابن حُدَيج فأتاه في مثل الدُّهُم¹ ، فأحاطوا بكنانة وأصحابه ، واجتمع أهل
الشام عليهم من كلّ جانب ، فلما رأى ذلك كنانة نزل عن فرسه ونزل معه
أصحابه² فضاربهم بسيفه حتى استشهد

1) Bodl. أدتهم .

2) Om. C. P.

وبلغ قتله محمد بن أبي بكر ففرق عنه أصحابه ، وأقبل نحوه عمرو ، وما بقي معه أحد ، فخرج محمد يمشي في الطريق ، فانتهى إلى خربة في ناحية الطريق فأوى إليها ، وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد بن أبي بكر فانتهى إلى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه ، فقال أحدهم : دخلت تلك الخربة فرأيت فيها رجلاً جالساً . فقال ابن حديج : هو هو . فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، وأقبلوا به نحو الفسطاط ، فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص ، وكان في جنده ، وقال : أقتل أخي صبراً ؟ ابعث إلى ابن حديج فانه عنه . فبعث إليه يأمره أن يأتيه بمحمد ، فقال : قتلتم كنانة بن بشر وأخوتي أنا محمداً ؟ ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ؟ ﴾ هيهات هيهات ! فقال لهم محمد بن أبي بكر : اسقوني ماء . فقال له معاوية بن حديج : لا سقاني الله إن سقيتك قطرةً أبداً ، إنكم منعم عثمان شرب الماء ، والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق ! فقال له محمد : يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك إنما ذلك إلى الله ، يسقي أوليائه ويظمي أعداءه أنت وأمثالك ، أما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغت مني هذا . ثم قال له : أتدري ما أصنع بك ؟ أدخلك جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار . فقال محمد : إن فعلت بي ذلك فلطالما فعلتم ذلك بأولياء الله ، وإنني لأرجو أن يجعلها عليكم وعلى أوليائك ومعاوية وعمرو ناراً تلظى كلما خبت زادها الله سعيراً . فغضب منه وقتله ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار .

فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وقتت في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو وأخذت عيال محمد إليها ، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالهم ، ولم تأكل من ذلك الوقت شيواً حتى توفيت .

١ (سورة القمر ٥٤ ، الآية ٤٣) .

وقد قيل : إنَّ محمداً قاتلَ عمراً ومَنَ معه قتالاً شديداً فقتلَ كنانةً وانهمز
محمد واختبأ عند جبلة بن مسروق ، فدُلَّ عليه معاوية بن حديج فأحاط به ،
فخرج محمد فقاتل حتى قُتل .

وأما عليّ فلما جاءه كتاب محمد بن أبي بكر فأجابه عنه ووعدته المدد ،
قام في الناس خطيباً وأخبرهم خبر مصر وقصد عمرو إيتاها وندبهم إلى إنجادهم
وحثهم على ذلك وقال : اخرجوا بنا إلى الجَرَّعة ، وهي بين الكوفة والحيرة ؛
فلما كان الغد خرج إلى الجَرَّعة فنزلها بكرة وأقام بها حتى انصرف النهار فلم
يأته أحد ، فرجع ، فلما كان العشي استدعى أشراف الناس وهو كئيب فقال :
الحمد لله على ما قضى من أمره وقدر من فعله وابتلاني بكم ، أيتها القرية التي
لا تطيع إذا أمرت ، ولا تجيب إذا دعوت ، لا أبا لغيركم ! ما تنتظرون بمصركم
والجهاد على حقكم ؟ فوالله لئن جاء الموت ، وليأتيني ، ليفرقن بيني وبينكم
وأنا لصحبتيكم قال ، وبكم غير كثير ، لله أنتم ! أما دين يجمعكم ولا محبة
تحميكم إذا أنتم سمعتم بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم ؟ أوليس
عجيباً أن معاوية . يدعو الجفافة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة¹ في
السنة المرة والمرتين والثلاث² إلى أي وجه شاء وأنا أدعوكم وأنتم أولو النهي
وبقية الناس على العطاء والمعونة فتفرقون عني تعصوني وتختلفون عليّ !

فقام كعب بن مالك الأرحبيّ وقال : يا أمير المؤمنين انذب الناس ، لهذا
اليوم كنت أدخر نفسي . ثم قال : أيتها الناس اتقوا الله وأجيبوا إمامكم
وانصروا دعوته وقاتلوا عدوه وأنا أسير إليه . فخرج معه ألفان . فقال له :
سير فوالله ما أظنك تدرکہم حتى ينقضي أمرهم . فسار بهم خمسا .
ثم إنَّ الحجاج بن عزيّة³ الأنصاري قدم من مصر فأخبره بقتل محمد بن

1) Om. C. P.

2) C. P. add. برسل .

3) R. هوة .

أبي بكر ، وكان معه ، وقدم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفزاري من الشام ، وكان عينه هناك ، فأخبره أن البشارة من عمرو وردت بقتل محمد ومُلك مصر وسرور أهل الشام بقتله . فقال عليّ : أما إن حزننا عليه بقدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافاً ! فأرسل عليّ فأعاد الجيش الذي أنفذه¹ وقام في الناس خطيباً وقال :

ألا إن مصر قد افتتحها الفَجْرَةُ أولو الجور والظُلْمَة الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عِوَجاً ! ألا وإن محمد بن أبي بكر استشهد فعند الله نحسبه ! أما والله إن كان كما علمتُ لمُنَّ ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويُبغض شكل الفاجر ويحبّ هدى المؤمن ، إنني والله ما ألوم نفسي على تقصير ، وإنني لمقاساة الحروب لحدير خبير ، وإنني لأتقدّم على الأمر وأعرف وجه الخزم وأقوم فيكم بالرأي المصيب وأستصرخكم معلناً وأناديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولاً ولا تُطيعون لي أمراً حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القوم لا يدرك بكم النار ، ولا تنفض² بكم الأوتار¹ ، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم بجرجرة الحمل الأشدق ، وتناقلتم إلى الأرض تناقل من ليست له نية في جهاد العدو ولا اكتساب الأجر ، ثمّ خرج إليّ منكم جنّيد متذائب كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون ، فأف لكم ! ثمّ نزل .

• (معاوية بن حدّيج بضم الحاء ، وفتح الدال المهملتين . جارية بن قدامة بالجيم وفي آخره ياء تحتها نقطتان . بُسْر بن أبي أرطاة بضمّ الباء الموحدة ، وسكون السين المهملة)² .

1) الأوزار C. P.

2) Om. C. P.

1 تقدم

2 تنفض

ذكر إرسال معاوية عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة

في هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر سبّر معاويةُ عبدَ الله بن عمرو بن الحضرمي إلى البصرة وقال له : إنَّ جُلَّ أهلها يرون رأينا في عثمان وقد قُتلوا في الطلب بدمه ، فهم لذلك حنقون يودّون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم في الطلب بثأرهم ودم إمامهم ، فانزل في مَضْرٍ وتودّد الأزد فإنّهم كلّهم معك ، وادعُ ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم لأنّهم كلّهم تُرايئة^١ فاحذرهم .

فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة ، وكان ابن عباس قد خرج إلى عليّ بالكوفة واستخلف زياد بن أبيه على البصرة ، فلما وصل ابنُ الحضرمي إلى البصرة نزل في بني تميم ، فأناه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم . فخطبهم وقال : إن عثمان إمامكم إمام الهدى قُتل مظلوماً ، قتله عليّ ، فطلبتم بدمه فجزاكم الله خيراً .

فقام الضحّاك بن قيس الهلالي ، وكان على شرطة ابن عباس ، فقال : قبّح الله ما جئنا به وما تدعوننا إليه ! أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير ، أتانا وقد بايعنا عليّاً واستقامت أمورنا فحملنا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضاً . ونحن الآن مجتمعون على بيعته ، وقد أقال العثرة ، وعفا عن المسيء ، أفأمرنا أن نتنزي أسيافنا ويضرب بعضنا بعضاً ليكون معاوية أميراً ؟ والله ليوم من أيام عليّ خير من معاوية . وآل معاوية^١ ! فقام عبد الله بن خازم السُّلَمي

1) Om. C. P.

١ (نسبة إلى أبي تراب ، كنية عليّ بن أبي طالب ، كناه بها الرسول ، صلى الله عليه وسلم) .

فقال للضحك : اسكتُ فليست بأهل أن تتكلم . ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال :
 نحن أنصارك ويدك والقول قولك فاقراً كتابك . فأخرج كتاب معاوية إليهم
 يذكرهم فيه آثار عثمان فيهم وحبّه العافية وسدّه ثغورهم ويذكر قتله ويدعوهم
 إلى الطلب بدمه ويضمن أنه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطائين في السنة . فلما
 فرغ من قراءته قام الأحنف فقال : لا ناقي في هذا ولا جملي . واعتزل القوم .
 وقام عمرو بن مرحوم العبدي فقال : أيها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم
 ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة . وكان عباس¹ بن صُحار العبدي مخالفاً لقومه
 في حبّ عليّ فقام وقال : لنصرتك بأيدينا وألسنتنا . فقال له المُشَنّي بن مُخَرَّبَة²
 العبدي : والله لئن لم ترجع إلى مكانك الذي جئتنا منه لنجاهدتك بأسيافا
 ورماحنا ، ولا يغرنك هذا الذي يتكلم³ ، يعني ابن صُحار .

فقال ابن الحضرمي لصبّرة بن شَيْمان : أنت ناب من أنياب العرب
 فانصرتني . فقال : لو نزلت في داري لنصرتك .

فلما رأى زياد ذلك خاف فاستدعى حُضَيْن بن المنذر ومالك بن مِسْمَع
 فقال : أنتم يا معشر بكر بن وائل أنصار أمير المؤمنين وثقاته وقد كان من ابن
 الحضرمي ما ترون وأتاه من أتاه فامنعوني حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين . فقال
 حُضَيْن بن المنذر : نعم . وقال مالك وكان رأيه مائلاً إلى بني أمية : هذا أمر
 لي فيه شركاء أستشير فيه وأنظر . فلما رأى زياد ثقلاً مالك خاف أن تختلف
 عليه³ ربيعة فأرسل إلى صبّرة بن شَيْمان الحُدّانيّ الأزدي يطلب أن يُجيره
 وبيت مال المسلمين . فقال : إن حملته إلى داري أجرتكما . فنقله إلى داره
 بالحُدّان ونقل المنبر أيضاً ، فكان يصلّي الجمعة بمسجد الحُدّان ويُطعم الطعام .
 فقال زياد لجابر بن وهب الراسبيّ : يا أبا محمد إنني لا أرى ابن الحضرمي يكفّ

1) C. P. عياش .

2) C. P. et R. مخرمة .

3) Om. S.

وأراه سيقاتلكم ولا أدري ما عند أصحابك¹ ، فانظر ما عندهم . فلما صلتى زياد جلس في المسجد واجتمع الناس إليه ، فقال جابر : يا معشر الأزد إن تميماً تزعم أنهم هم الناس وأنهم أصبر منكم عند البأس ، وقد بلغني أنهم يريدون أن يسيروا إليكم ويأخذوا جاركم ويخرجوه قسراً ، فكيف أنتم إذا فعلوا ذلك وقد أجرتموه وبيت مال المسلمين ! فقال صبرة بن شيمان ، وكان مفخماً¹ : إن جاء الأحنف جثت² ، وإن جاء حناتهم² جثت² ، وإن جاء شبابهم فقينا شباب .

وكتب زياد إلى علي بن الحبر ، فأرسل علي إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي ثم التميمي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي ، فإن امتنعوا قاتل بمن أطاعه من عصاه ، وكتب إلى زياد يعلمه ذلك . فقدم أعين ، فأتى زياداً ، فنزل عنده ، وجمع رجالاً وأتى قومه ونهض إلى ابن الحضرمي ومن معه ودعاهم ، فشتموه ، وواقفهم نهاره ثم انصرف عنهم ، فدخل عليه قوم ، قيل إنهم من الخوارج ، وقيل وضعهم ابن الحضرمي على قتله ، وكان معهم ، فقتلوه غيلة³ ، فلما قتل أعين أراد زياد قتالهم ، فأرسلت تميم إلى الأزد : إننا لم نعرض لجاركم فما تريدون إلى جارنا ؟ فكرهت الأزد قتالهم وقالوا : إن عرضوا لجارنا منعناه .

وكتب زياد إلى علي بن الحبر خبر أعين وقتله ، فأرسل علي جارية بن قدامة السعدي ، وهو من بني سعد من تميم ، وبعث معه خمسين رجلاً ، وقيل خمسمائة من تميم ، وكتب إلى زياد يأمره بمعونة جارية والإشارة³ عليه . فقدم جارية البصرة ، فحذره زياد ما أصاب أعين ، فقام جارية في الأزد فجزاهم خيراً وقال : عرفتم الحق إذ جهله غيركم . وقرأ كتاب علي إلى أهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويعتفهم ويتوعددهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم وقعة تكون وقعة

1) ملحقاً C. P.

2) حاتم Br. Muz.

3) الإيثار R.

الجمل عندها هباء . فقال صبرة بن شيمان : سمعاً لأمر المؤمنين وطاعة !
نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن ساله . وقال أبو صفرة ، والد المهلب ، لزياد :
لو أدركت يوم الجمل ما قاتل قومي أمير المؤمنين . وقيل : إن أبا صفرة كان
توفي في مسيره إلى صفين ، والله أعلم .

وصار جارية إلى قومه وقرأ عليهم كتاب عليّ ووعدهم ، فأجابه أكثرهم ،
فسار إلى ابن الحضرمي ومعه الأزد ومن تبعه من قومه ، وعلى خيل ابن الحضرمي
عبد الله بن خازم السلمي¹ ، فاقتلوا ساعة ، وأقبل شريك بن الأعور الحارثي
فصار مع جارية ، فانهزم ابن الحضرمي فتحصن بقصر سنبل ومعه ابن خازم ،
فأته أمه² عجلي ، وكانت حبشية ، فأمرته بالتزول ، فأبى ، فقالت : والله
لتنزلنّ أو لأنزعنّ ثيابي ! فتزل ونجا ، وأحرق جارية القصر بمن فيه ، فهلك
ابن الحضرمي وسبعون رجلاً معه ، وعاد زياد إلى القصر ، وكان قصر سنبل
لفارس قديماً . وصار لسنبل السعدي ، وحوله خندق³ ، وكان فيمن
احرق دراع⁴ بن بدر أخو حارثة بن بدر ؛ فقال عمرو بن العرندس :

رَدَدْنَا زِيَادًا إِلَى دَارِهِ وَجَارُ تَمِيمٍ دَخَانًا ذَهَبُ
لَحَى اللَّهِ قَوْمًا شَرًّا جَارَهُمْ وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ حَرَّ اللَّهَبِ

في أبيات غير هذه ؛ . وقال جرير :

غَدَرْتُمْ بِالزَّبِيرِ فَمَا وَفَيْتُمْ وفاء الأزدي إذ منعوا زياداً
فَأَصْبَحَ جَارُهُمْ بِنِجَاةِ عِزِّ وجارٌ مُجَاشِعٍ أَمْسَى رِمَاداً
فَلَوْ عَاقَدْتِ حَبْلَ أَبِي سَعِيدٍ لَذَاةِ الْقَوْمِ¹ مَا حَمَلَ النَّجَادَا

1) C. P. الأسدي .

2) R. سراته .

3) Om. C. P.

4) R. دراج .

وأدنى¹ الحبل من رهبج المنايا وأغشاها الأسنّة والصّعادآ²

(جارية بن قدامة بالجيم والياء تحتها نقطتان . وحرثة بن بدر بالخاء المهملة ،
وبعدها ثاء مثلثة . وعبد الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاي . هـ والمثنى
ابن مخرّبة بضم الميم ، وفتح الخاء المعجمة ، وكسر الراء المشدّدة ، وآخره
باء موحدة³) .

ذكر خبر الحرّيت بن راشد وبني ناجية

قيل : وفي هذه السنة أظهر الحرّيت بن راشد الناجي الخلاف على عليّ ،
فجاء إلى اسير المؤمنين وكان معه ثلاثمائة من بني ناجية خرجوا مع عليّ من البصرة
فشهدوا معه الجمل وصيّمين وأقاموا معه بالكوفة إلى هذا الوقت ، فحضر عند
عليّ في ثلاثين راكباً فقال له : يا عليّ والله لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك ،
وإني غداً مفارق لك . وذلك بعد تحكيم الحكمين . فقال له : ثكلتك أمك !
إذا تعصي ربك وتنكث عهدك ولا تضرّ إلاّ نفسك ! خبرني لم تفعل ذلك ؟
فقال : لأنك حكمت وضعفت عن الحقّ ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا .
فأنا عليك زارٍ وعليهم ناقد . ولكم جميعاً مباين . فقال له عليّ : هلمّ أدارسك
الكتاب وأناظرك في السنن وأفاتحك أموراً أنا أعلم بها منك فلعلتك تعرف ما أنت
له الآن منكّر . قال : فإني عائدٌ إليك . قال : لا يستهوينك الشيطان .
ولا يستخفّنك الجهال ، والله لئن استرشدتني وقبلت مني لأهدينك سبيل
الرشاد .

فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله ، وسار من ليلته هو وأصحابه . فلما

1) ولاقى R.

2) Om. C. P.

3) Om. S. et R.

سمع بمسيرهم عليّ قال : بُعداً لهم كما بعدت ثمود ! إنّ الشيطان اليوم استهواهم وأضلّهم وهو غداً متبرئ منهم . فقال له زياد بن خصّفة البكريّ : يا أمير المؤمنين ، إنّه لم يعظم علينا فقدّم فتأسى عليهم ، إنهم قلّ ما يزيدون في عددنا لو أقاموا ، ولقلّ ما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ، ولكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعةً كثيرة ممّن يقدمون عليك من أهل طاعتك ، فأذن لي في اتباعهم حتى أردّم عليك . فقال : أتدري أين توجهوا ؟ قال : لا ، ولكنني أسأل وأتبع الأثر . فقال له : اخرج ، رحمتك الله ، وانزل دبر أبي موسى وأقم حتى يأتبك أمري ، فإن كانوا ظاهرين فإن عمالي سيكتبون بخبرهم .

فخرج زياد فأتى داره وجمع أصحابه من بكر بن وائل وأعلمهم الخبر . فسار معه مائة وثلاثون رجلاً ، فقال : حسبي . ثمّ سار حتى أتى دبر أبي موسى فترله يوماً ينتظر أمر عليّ ، وأتى عليّاً كتاب من قرظّة بن كعب الأنصاريّ يخبره أنّهم توجهوا نحو نيفر ، وأنهم قتلوا رجلاً من الدهاقين كان أسلم . فأرسل عليّ إلى زياد يأمره باتّباعهم ويخبره خبرهم وأنهم قتلوا رجلاً مسلماً ويأمره بردهم إليه ، فإن أبوا يناجزهم ، وسير الكتاب مع عبد الله بن وال . فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد ، فأذن له ، وقال له : إنني لأرجو أن تكون من أعواني على الحقّ وأنصاري على القوم الظالمين . قال ابن وال : فوالله ما أحبّ أن لي بمقالته تلك حُمُر النعم .

وسار بكتاب عليّ إلى زياد ، وساروا حتى أتوا نيفر ، فقبل إنهم ساروا نحو جرّجرايا ، فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمذار وهم نزول قد أقاموا يومهم وليلتهم واستراحوا ، فأتاهم زياد وقد تقطع أصحابه وتعبوا ، فلما رأوهم ركبوا خيولهم ، وقال لهم الحيريت : أخبروني ما تريدون . فقال له زياد ، وكان مُجرباً رفيقاً : قد ترى ما بنا من التعب ، والذي جشناك له لا يصلحه

1) إن تأخرنا R.

الكلام علانية ولكن نزل ثم نخلو جميعاً فنتذاكر أمرنا ، فإن رأيت ما جئناك به حظاً لنفسك قبلته ، وإن رأينا فيما نسمع منك أمراً نرجو فيه العافية لم نردّه عليك . قال : فانزل . فنزل زياد وأصحابه على ماء هناك وأكلوا شيئاً وعلّقوا على دوابّهم ، ووقف زياد في خمسة فوارس بين أصحابه وبين القوم ، وكانوا قد نزلوا أيضاً ، وقال زياد لأصحابه : إن عدّتنا كعدّتهم ، وأرى أمرنا يصير إلى القتال ، فلا تكونوا أعجز الفريقين .

وخرج زياد إلى الحيريت فسمعهم يقولون : جاءنا القوم وهم كالتون تعبون ، فركناهم حتى استراحوا ، هذا والله سوء الرأي . فدعاه زياد وقال له : ما الذي نعتت على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا ؟ فقال : لم أرض صاحبكم إماماً ولا سيرتكم سيرة فرأيت أن أعتزل¹ وأكون مع من يدعو إلى الشورى ، فقال له زياد : وهل يجتمع الناس على رجل يداني صاحبك الذي فارقتة علماً بالله وسنته وكتابه مع قرابته من الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وسابقتة في الإسلام ؟ فقال له : ذلك لا أقول لك . فقال له زياد : فقيم قتل ذلك الرجل المسلم ؟ فقال له : ما أنا قتلته وإنما قتله طائفة من أصحابي . قال : فادفعهم إلينا . قال : ما لي إلى ذلك سبيل . فدعا زياد أصحابه ودعا الحيريت أصحابه ، فاقتلوا قتالاً شديداً تطاعنوا بالرماح حتى لم يبق رمح ، وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت ، وعقرت عامة خيولهم ، وكثرت الجراحة فيهم ، وقتل من أصحاب زياد رجلان ومن أولئك خمسة وجاء الليل فحجز بينهما ، وقد كره بعضهم بعضاً ، وجرح زياد ، فسار الحيريت من الليل وسار زياد إلى البصرة ، وأتاهم خبر الحيريت أنه أتى الأهواز فنزل بجانب منها وتلاحق به ناس من أصحابهم فصاروا نحو مائتين ، فكتب زياد إلى عليّ بنجرهم وأنه مقيم يداوي الجرحى و ينتظر أمره .

1) اعتزلكم C. P.

فلما قرأ عليّ كتابه قام إليه معقل بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد منهم عشرة ، فإذا لحقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرتهم ، فأما أن يلقاهم عددهم فلعمري ليصبرنّ لهم فإنّ العدة تصبر للعدة . فقال : تجهزوا يا معقل إليهم ، وندب معه ألفين من أهل الكوفة ، منهم يزيد بن المعقل الأسدي . وكتب عليّ إلى ابن عباس يأمره أن يبعث من أهل البصرة رجلاً شجاعاً معروفاً بالصلاح في ألفي رجل إلى معقل وهو أمير أصحابه حتى يأتي معقلاً ، فإذا لقيه كان معقل الأمير . وكتب إلى زياد ابن خصيفة يشكره ويأمره بالعود .

واجتمع على الحرّيت الناجي علوج من أهل الأهواز كثيرٌ أرادوا كسر الحراج ولصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه ، وطمع أهل الحراج في كسره فكسروه ، وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس ، وكان عاملاً لعليّ عليها ، في قول من يزعم أنّه لم يمّت سنة سبع وثلاثين¹ . فقال ابن عباس لعليّ : أنا أكفيك فارس بزياد ، يعني ابن أبيه ، فأمره بإرساله إليها . وتعجيل تسييره² ، فأرسل زياداً إليها في جمع كثير ، فوطىء بلاد فارس ، فأدوا الحراج واستقاموا ، وسار معقل بن قيس ، ووصاه عليّ فقال له : اتق الله ما استطعت ، ولا تبغ على أهل القبلة ، ولا تظلم أهل الذمّة ، ولا تتكبر فإنّ الله لا يحب المتكبرين .

فقدم معقل الأهواز ينتظر مدد البصرة ، فأبطأ عليه فسار عن الأهواز يطلب الحرّيت ، فلم يسر إلا يوماً حتى أدركه المدد مع خالد بن معدان الطائي ، فساروا جميعاً ، فلحقوهم قريب جبل من جبال رامهرمز ، فصف معقل أصحابه ، فجعل على ميمنته يزيد بن المعقل ، وعلى يسرته منجاب بن راشد الضبي من أهل البصرة ، وصف الحرّيت أصحابه فجعل من معه من العرب ميمنةً ، ومن معه من أهل البلد والعلوج ميسرة ، ومعهم الأكراد ، وحرّض

1) Om. S.

2) S.

كل واحد منهما أصحابه ، وحرك معقل رأسه مرتين ثم حمل في الثالثة ،
فصبروا له ساعة ثم انهزموا ، فقتل أصحاب معقل منهم سبعين رجلاً من بني
ناجية ومن معهم من العرب ، وقتلوا نحواً من ثلاثمائة من العلوج والأكراد ،
وانهزم الحرّيت بن راشد فلاحق بأسياف البحر ، وبها جماعة كثيرة من قومه ،
فما زال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف عليّ ويخبرهم أن الهدى في حربه
حتى اتبعه منهم ناس كثير .

وأقام معقل بأرض الأهواز وكتب إلى عليّ بالفتح ، فقرأ عليّ الكتاب على
أصحابه واستشارهم ، فقالوا كنتهم : نرى أن تأمر معقلاً أن يتبع آثار الفاسق
حتى يقتله أو ينفيه فإننا لا نأمن أن يفسد عليك الناس . فكتب إلى معقل يثني
عليه وعلى من معه ويأمره باتباعه وقتله أو نفيه . فسأل معقل عنه . فأخبر بمكانه
بالأسياف وأنه قد ردّ قومه عن طاعة عليّ وأفسد من عنده . من عبد القيس
وسائر العرب . وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صيفين وذلك العام . فسار
إليهم معقل فأخذ على فارس وانتهى إلى أسياف البحر .

فلما سمع الحرّيت بمسيره قال لمن معه من الخوارج : أنا على رأيكم وإن
عليّاً لم ينبغ له أن يحكم . وقال للآخرين من أصحابه : إن عليّاً حكّم ورضي
فخلعه حكمه الذي ارتضاه² . وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة
وإليه كان يذهب . وقال سراً للعشائرية : إننا والله على رأيكم ، قد والله قتل
عثمان مظلوماً . فأرضى كل صنف منهم . وقال لمن منع الصدقة : شدوا
أيديكم على صدقاتكم وصلوا بها أرحامكم . وكان فيها نصارى كثير قد أسلموا .
فلما اختلف الناس قالوا : والله لديننا الذي خرجنا منه خير من دين³ هؤلاء ،
لا ينههم دينهم عن سفك الدماء . فقال لهم الحرّيت : ويحكم ! لا ينجيكم من

1)

2)

3)

القتل إلا قتل¹ هؤلاء القوم² والصبر فإن حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يُقتل ولا يقبلون منه توبة ولا عذراً . فخدعهم جميعهم . وأتاه من كان من بني ناجية وغيرهم خلق كثير . فلما انتهى معقل إليه نصب راية أمان وقال : من أتاهم من الناس فهو آمن إلا الخريث وأصحابه الذين حاربونا أول مرة . ففترق عن الخريث جُلٌّ مَنْ كان معه من غير قومه ، وعبأ معقل أصحابه وزحف نحو الخريث ومعه قومه مسلمهم ونصرانيهم ومانع الزكاة منهم . فقال الخريث لمن معه : قاتلوا عن حريمكم وأولادكم ، فوالله لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسبُنكم . فقال له رجل من قومه : هذا والله ما جرته علينا يدك ولسانك . فقال : سبق السيفُ العذل .

وسار معقل في الناس يحرضهم ويقول : أيها الناس ما تريدون أفضل مما سبق لكم من الأجر العظيم ؟ إن الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة³ ، وارتدوا عن الإسلام . ونكثوا البيعة ظلماً ، فأشهد لمن قُتل منكم بالجنة ، ومن بقي منكم فإن الله مُقِرّ عينه بالفتح . ثم حمل معقل وجميع مَنْ معه فقاتلوا قتالاً شديداً وصبروا له ، ثم إن النعمان بن صُهبان الراسبيّ بَصُرَ بالخريث فحمل عليه فطعنه فصرع عن دابته ، ثم اختلفا ضربتين فقتله النعمان وقتل معه في المعركة سبعون ومائة رجل وذهب الباقيون يميناً وشمالاً ، وسبى معقل من أدرك من حريمهم وذرياتهم ، وأخذ رجالاً كثيراً ، فأما من كان مسلماً فخلاه وأخذ بيعته وترك له عياله ، وأما مَنْ كان ارتدّ فعرض عليهم الإسلام فرجعوا فخلت سبيلهم وسبيل عيالهم ، إلا شيخاً كبيراً نصرانياً منهم يقال له الرماحسُ لم يسلم⁴ فقتله ، وجمع مَنْ منع الصدقة وأخذ منهم صدقة عامين ، وأما النصارى وعيالهم فاحتلمهم مقبلاً بهم ، وأقبل المسلمون معهم يشيعونهم ،

1) R. لقاء .

2) Om. C. P.

3) C. P. الزكاة .

4) R. add. حسن .

فلما ودّعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم إلى بعض حتى رحمهم الناس .
 وكتب معقل إلى عليّ بالفتح ، ثمّ أقبل بهم حتى مرّ على مصقلة بن هُبيرة
 الشيباني ، وهو عامل عليّ على أردشير خُرّه ، وهم خمسمائة إنسان ، فبكى
 النساء والصبيان وصاح الرجال : يا أبا الفضل ! يا حامي الرجال ومأوى المعصب
 وفكّاك العُناة امنّ علينا واشترينا وأعتقنا ! فقال مصقلة : أقسم بالله لأتصدّقن
 عليكم ! إنّ الله يجزي المتصدّقين . فبلغ قوله معقلاً فقال : والله لو أعلم أنّه
 قالها توجّعاً عليهم وإضراراً علينا لضربت عنقه ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر .
 ثمّ إن مصقلة اشتراهم من معقل بخمسمائة ألف ، فقال له معقل : عجلّ المال
 إلى أمير المؤمنين . فقال : أنا أبعث الآن ببعضه ثمّ كذلك حتى لا يبقى منه شيء .

وأقبل معقل إلى عليّ فأخبره بما كان منه ، فاستحسنه ، وبلغ عليّاً أن
 مصقلة أعتق الأسرى ولم يسألهم أن يُعينوه بشيء ، فقال : ما أظنّ مصقلة
 إلّا قد تحمّل حمالة سترونه عن قريب منها مُبلّداً¹ . وكتب إليه يطلب منه
 المال أو يحضر عنده ، فحضر عنده وحمل من المال مائتي² ألف .

قال ذُهل بن الحارث : فاستدعاني ليلةً فطعّمنا ثمّ قال : إنّ أمير المؤمنين
 يسألني هذا المال ولا أقدر عليه . فقلتُ : والله لو شئت ما مضتُ جمعة حتى
 تحمله . فقال : والله ما كنتُ لأحملها قومي ، أمّا والله لو كان ابن هند ما
 طالبني بها ولو كان ابن عفّان لوهبها لي ، ألم تره أطعم الأشعث بن قيس كلّ سنة
 من خراج أذربيجان مائة ألف ؟ قال : فقلتُ : إنّ هذا لا يرى ذلك الرأي ولا
 يترك منها شيئاً . فهرب مصقلة من ليلته فلاحق بمعاوية ، وبلغ عليّاً ذلك فقال :
 ما له ، ترّحه³ الله ، فعلى فعل السيّد وفرّ فرار العبد وخان خيانة الفاجر ! أمّا
 إنّه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه ، فإن وجدنا له شيئاً أخذناه وإلّا تركناه .

1) R. ملكاً .

2) C. P. مائة .

3) R. طرحه .

ثم سار عليّ إلى داره فهدها وأجاز عتق السبي وقال : أعتقهم مبتاعهم¹
وصارت أثمانهم ديناً على معتقهم .

وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعة لعليّ ، فكتب إليه مصقلة من الشام مع
رجل من نصارى تغلب اسمه حلوان يقول له : إن معاوية قد وعدك الإمارة
والكرامة فأقبل ساعة يلقاك رسولي ، والسلام . فأخذه مالك بن كعب الأرحبي
فسرّحه إلى عليّ ، فقطع يده ، فمات ، وكتب نعيم إلى مصقلة يقول :

لا ترمين هداك اللهُ معترضاً
ذاك الحريصُ على ما نال من طمع
ماذا أردت إلى إرساله سفهاً
قد كنت في منظرٍ عن ذا ومستمعٍ
حتى تقحمت أمراً كنت تكرهه
عرضته لعليّ إنه أسدٌ
لو كنت أدبت مال القوم مصطبراً
لكين لحقت بأهل الشام ملتَمِياً
فاليوم تفرعُ سين العجز من ندمٍ
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبةً
بالظن منك فما بالي وحلواناً
وهو البعيدُ فلا يحزنك إن خاناً
ترجو سقاط امرئ لم يلف وساناً
تحمي العراق وتُدعى خير شيباناً
للراكبين له سيراً وإعلاناً
يمشي العريضة¹ من آساد خفاناً
للحق أحببت أحياناً وموتاناً
فضل ابن هندٍ وذاك الرأي أشجاناً
ماذا تقولُ وقد كان الذي كاناً
لم يرفع اللهُ بالبغضاء إنساناً

فلما وقع³ الكتاب إليه علم أنه قد هلك ، وأتاه التغليييون فطلبوا منه دية
صاحبهم ، فوداه لهم .

1) C. P. بابتياعهم .

2) Br. Mus. et R. تحققت أهل .

3) C. P. دفع .

١ (يمشي العريضة : يعلو ليسبق غيره) .

وقال بعض الشعراء في بني ناجية :

سما لكم بالخيل قوداً عوابساً أخو ثقة ما يبرح الدهر غازياً
فصبتحكم في رجليه وخيوله بضرب ترى منه المدجج هاوياً
فأصبحتم من بعد كبير ونخوة عبيد العصا لا تمنعون الذراريأ

وقال مصقلة بن هبيرة :

لعمري لئن عاب أهل العراق علي انتعاش بني ناجية
لأعظم من عتقهم رقهم وكفني بعنقهم ماله
وزابت فيهم لإطلاقهم وغاليت إن العلى غالية

ذكر أمر الخوارج بعد النهروان

لما قتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيباني علي بالدسكرة في مائتين ثم سار إلى الأنبار ، فوجه إليه علي الأبرش بن حسان في ثلاثمائة فواقعه ، فقتل أشرس في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين .

ثم خرج هلال بن علفنة¹ من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد فأتى ماسبذان ، فوجه إليه علي معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه ، وهم أكثر من مائتين ، وكان قتلهم في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين .

ثم خرج الأشهب بن بشر ، وقيل الأشعث ، وهو من بجيلة ، في مائة وثمانين رجلاً ، فأتى المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلت عليهم ودفن من

1) R. et Br. Maa. علفنة .

قدر عليه منهم ، فوجه إليهم عليّ جارية بن قدامة السعديّ ، وقيل حُجر ابن عديّ ، فأقبل إليهم الأشهب ، فاقتلا بجررايا¹ من أرض جُوخي ، فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين .

ثمّ خرج سعيد بن قفل² التيميّ . من تيم الله بن ثعلبة في رجب³ بالبسنديّين . ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان ، وهي من المدائن على فرسخين ، فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين .

ثمّ خرج أبو مريم السعديّ التيميّ⁴ . فأتى شهرزور ، وأكثر من معه من الموالي ، وقيل لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم ، واجتمع⁵ معه مائتا رجل ، وقيل أربعمائة ، وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة ، فأرسل إليه عليّ يدعوهُ إلى بيعته ودخول الكوفة ، فلم يفعل وقال : ليس بيننا غير الحرب . فبعث إليه عليّ شريح بن هانئ في سبعمائة ، فحمل الحوارجُ على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقي شريح في مائتين ، فانحاز إلى قرية ، فراجع إليه بعضُ أصحابه ودخل الباقون الكوفة ، فخرج عليّ بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعديّ ، فدعاهم جارية إلى طاعة عليّ وحذرهم القتل فلم يجيبوا ، ولحقهم عليّ أيضاً فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه ، فقتلهم أصحابُ عليّ ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم . وكان في الحوارجُ أربعون رجلاً جرحى ، فأمر عليّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برأوا . وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين ، . وكانوا من أشجع من قاتل من الحوارج ، ولجراتهم قاربوا الكوفة⁶ .

1) C. P. بجررايا .

4) S.

2) C. P. نفيل .

5) Om. C. P.

3) Om. R.

6) S.

ذکر عدّة حوادث

وحجّ بالناس في هذه السنة قُشَمُ بن العباس من قبيل عليّ ، وكان عامله
على مكّة ، وكان على اليمن عبید الله بن عباس ، وعلى البصرة عبد الله بن
عبّاس ، وعلى خراسان خُلَيْدُ بن قُرّة اليربوعيّ ، وقيل كان ابن أبزى ،
وأما الشام ومصر فكان بهما معاوية وعمّاله .

• وفي هذه السنة مات صُهَيْب بن سِنان ، في قول بعضهم ، وكان عمره
سبعين سنة ، ودفن بالبقيع¹ .

ع

1) S.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

ذكر سرايا أهل الشام إلى بلاد أمير المؤمنين ، عليه السلام

وفي هذه السنة فرّق معاوية جيوشه في العراق في أطراف عليّ ، فوجه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر وفيها مالك بن كعب مسلحة لعليّ في ألف رجل¹ ، وكان مالك قد أذن لأصحابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه إلاّ مائة رجل ، فلما سمع بالنعمان كتب إلى أمير المؤمنين يُخبره ويستمدّه ، فخطب عليّ الناس وأمرهم بالخروج إليه ، فتأقلوا ، وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه ، وكتب مالك إلى مخنف بن سليم يستعينه ، وهو قريب منه ، واقتتل مالك والنعمان أشدّ قتال ، فوجه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً ، فانتهوا إلى مالك وقد كسروا جُفونَ سيوفهم واستقتلوا ، فلما رأهم أهل الشام انهزموا عند المساء وظنّوا أن لهم مدداً ، وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر .

ولما تناقل أهل الكوفة عن الخروج إلى مالك صعد عليّ المنبر فخطبهم ثمّ قال : يا أهل الكوفة كلما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلكم انبحر¹ كلّ امرئ² منكم في بيته وأغلق عليه باب انبحار الضبّ في جُحره والضبع

1) فارس . R .

2) فر . C . P .

في وجارها ، المفرور من غرتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخبب ،
لا أحرار عند النداء ولا إخوان عند النجاء ! إننا لله وإننا إليه راجعون ! ماذا منيت¹
به منكم ؟ عُمي لا يبصرون ، وبُكم لا ينطقون ، وصم لا يسمعون ! إننا
لله وإننا إليه راجعون .

ووجه معاوية في هذه السنة أيضاً سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل وأمره
أن يأتي هيت فيقطعها ، ثم يأتي الأنبار ، والمدائن فيوقع بأهلها . فأتى هيت
فلم يجد بها أحداً ، ثم أتى الأنبار² وفيها مسلحة لعلي تكون خمسمائة رجل وقد
تفرقوا ولم يبق منهم إلا مائتا رجل ، وكان سبب تفرقهم أنه كان عليهم كُميل
ابن زياد ، فبلغه أن قوماً بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار إليهم بغير
أمر علي ، فأتى أصحاب سفيان وكُميل غائب عنها ، فأغضب ذلك علياً
على كميل ، فكتب إليه ينكر ذلك عليه ، وطمع سفيان في أصحاب علي لقتلهم
فقاتلهم ، فصبر أصحاب علي ثم قتل صاحبهم ، وهو أشرس بن حسان
البكري ، وثلاثون رجلاً ، واحتملوا ما في الأنبار من أموال أهلها ورجعوا إلى
معاوية ، وبلغ الخبر علياً فأرسل في طلبهم فلم يدركوا .

وفيها أيضاً وجه معاوية عبد الله بن مسعدة بن حكمة³ بن مالك بن بدر
الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء وأمره أن يصدق من مر به من
أهل البوادي ويقتل من امتنع ، ففعل ذلك ، وبلغ مكة والمدينة وفعل ذلك ،
واجتمع إليه بشر كثير من قومه ، وبلغ ذلك علياً فأرسل المسيب بن نجبة
الفزاري في ألفي رجل ، فلحق عبد الله بتيماء ، فاقتلوا حتى زالت الشمس
قتالاً شديداً ، وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله

1) ثبت . R .

2) Om. C. P.

3) C. P. حكيم .

ويقول له : النجاء النجاء ! فدخل ابن مسعدة وجماعة معه الحصن وهرب الباقون نحو الشام ، وانتهب الأعرابُ إبلَ الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة ، وحصره ومن معه ثلاثة أيام ، ثم ألقى الحطب في الباب وحرقه ، فلما رأوا الهلاك أشرفوا عليه وقالوا : يا مسيب قومك ، فرق لهم ، وأمر بالنار فأطفئت ، وقال لأصحابه : قد جاءني عيوني فأخبروني أن جنداً قد أتاكم من الشام . فقال له عبد الرحمن ابن شبيب : سرحني في طلبهم ، فأبى ذلك عليه ، فقال : غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم .

وفيها أيضاً وجه معاوية الضحّاك بن قيس وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة ويغير على كل من مرّ به ممن هو في طاعة عليّ من الأعراب ، وأرسل ثلاثة آلاف رجل معه ، فسار الناسُ ، وأخذ الأموال ومضى إلى الثعلبية ، وقتل وأغار على مسلحة عليّ ، وانتهى إلى القطقُطانة . فلما بلغ ذلك عليّاً أرسل إليه حُجر بن عديّ في أربعة آلاف وأعطاهم خمسين درهماً خمسين درهماً ، فلحق الضحّاك بتدّمّر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً ، وقتل من أصحابه رجلان ، وحجز بينهما الليل ، فهرب الضحّاك وأصحابه ورجع حُجر ومن معه .

•••

وفي هذه السنة سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم نكصَ راجعاً .

واختلف فيمن حجّ [بالناس] هذه السنة ، فقيل : حجّ بالناس عبّيد الله بن عباس من قبل عليّ ، وقيل : بل حجّ عبد الله أخوه ، وذلك باطل ، فإنّ عبد الله ابن عباس لم يحجّ في خلافة عليّ ، وإنّما كان على هذه السنة على الحجّ عبّيد الله بن عباس ، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاويّ ، فاختلف عبّيدُ الله ويزيد بن شجرة واتّفقا على أن يحجّ بالناس شيبه بن عثمان ، وقيل : إنّ الذي حجّ من جانب عليّ قُثم بن العباس ، وكان عمّال عليّ على البلاد من تقدّم ذكرهم¹ .

1) Om. C. P.

ذكر مسير يزيد بن شجرة إلى مكة¹

وفي هذه السنة دعا معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي ، وهو من أصحابه ، فقال له : إنني أريد أن أوجهك إلى مكة لتقيم للناس الحج وتأخذ لي البيعة بمكة وتنفي عنها عامل علي .

فأجابه إلى ذلك وسار إلى مكة في ثلاثة آلاف فارس وبها قثم بن العباس عامل علي ، فلما سمع به قثم خطب أهل مكة وأعلمهم بمسير الشاميين ودعاهم إلى حربهم ، فلم يجيبوه بشيء ، وأجابه شيبه بن عثمان العبدي بالسمع والطاعة ، فعزم قثم على مفارقة مكة واللحاق ببعض شعابها ومكاتبة أمير المؤمنين بالخبر فإن أمدّه بالجيوش قاتل الشاميين ، فنهاه أبو سعيد الخدري عن مفارقة مكة وقال له : أقم فإن رأيت منهم القتال وبك قوة فاعمل برأيتك وإلا فالمسير عنها أمامك . فأقام وقدم الشاميون وعلم يعرضوا لقتال أحد ، وأرسل قثم إلى أمير المؤمنين يخبره ، فسير جيشاً فيهم الريان بن ضمرة بن هودة بن علي الحنفي وأبو الطفيل أول ذي الحجة ، وكان قدوم ابن شجرة قبل التروية بيومين ، فنادى في الناس : أنتم آمنون إلا من قاتلنا ونازعنا . واستدعى أبا سعيد الخدري وقال له : إنني أريد الإلحاد² في الحرم ولو شئت لفعلت لما فيه أميركم من الضعف ، فقل له يعتزل الصلاة بالناس وأعتزلها أنا ويختار الناس رجلاً يصلني بهم . فقال أبو سعيد لقثم ذلك ، فاعتزل الصلاة ، واختار الناس شيبه بن عثمان فصلّى بهم وحجّ بهم ، فلما قضى الناس حجّهم رجع يزيد إلى الشام ، وأقبل خيل علي فأخبروا بعود أهل الشام ، فتبعوهم ، وعليهم معقل بن قيس ،

1) Hoc et quatuor sequentia capita unâ cum parte sexti in C. P. desiderantur. In R. annus 40 ab hoc incipit.

2) R. الاتحاد .

فأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القُرى ، فظفروا بنفر منهم فأخذوهم أسارى
وأخذوا ما معهم ورجعوا بهم إلى أمير المؤمنين ، فقادى بهم أسارى كانت له
عند معاوية .

(الرَّهَاقِيُّ منسوب إلى الرَّهَاءِ : قبيلة من العرب ، وقد ضبطه عبد الغني
ابن سعيد بفتح الراء : قبيلة مشهورة ، وأما المدينة فبضم الراء) .

ذكر غارة أهل الشام على أهل الجزيرة

وفيها سبّر معاويةُ عبدَ الرحمن بن قَبَاث بن أَشِيَم إلى بلاد الجزيرة وفيها
شبيب بن عامر جدَ الكَرَمَانِي الذي كان بخراسان ، وكان شبيب بنصيبين فكتب
إلى كُمَيْل بن زياد ، وهو بهيت ، يُعلمه خبرهم ، فسار كُمَيْل إليه نجدة له
في ستمائة فارس ، فأدركوا عبد الرحمن ومعه مَعْن بن يزيد السُّلَمِي ، فقاتلها
كُمَيْل وهزمها فغلب على عسكرهما وأكثر القتل في أهل الشام وأمر أن لا يُتبع
مُدْبِر ولا يُجهز على جريح ، وقتل من أصحاب كميل رجلان ، وكتب إلى
عليّ بالفتح فجزاه خيراً وأجابه جواباً حسناً ورضي عنه ، وكان ساخطاً عليه
لما تقدّم ذكره .

وأقبل شبيبُ بن عامر من نصيبين فرأى كميلاً قد أوقع بالقوم فهنأه بالظفر
واتبع الشاميين فلم يلحقهم فعبّر الفرات وبثّ خيله فأغارت على أهل الشام
حتى بلغ بعلبك ، فوجه معاويةُ إليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ، ورجع
شبيب فأغار على نواحي الرقة فلم يدعْ للعشمانية بها ماشية إلا استاقها ولا خيلاً
ولا سلاحاً إلا أخذهُ وعاد إلى نصيبين وكتب إلى عليّ ، فكتب إليه عليّ ينهاه
عن أخذ أموال الناس إلا الخيل والسلاح الذي يقاتلون به وقال : رحم الله
شيبياً ، لقد أبعث الغارة وعجل الانتصار .

ذكر غارة الحارث بن نيمر التنوخي

ولما قدم يزيد بن شجرة على معاوية وجه الحارث بن نمر التنوخي إلى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة عليّ ، فأخذ من أهل دارا سبعة نفر من بني تغلب ، وكان جماعة من بني تغلب قد فارقوا عليّاً إلى معاوية ، فسألوه في إطلاق أصحابهم فلم يفعل ، فاعتزلوه أيضاً ، وكتب معاوية إلى عليّ ليفاديه بمن أسر معقل بن قيس من أصحاب يزيد بن شجرة ، فسيرهم عليّ إلى معاوية ، وأطلق معاوية هؤلاء ، وبعث عليّ رجلاً من خثعم يقال له عبد الرحمن إلى ناحية الموصل ليُسكن الناس ، فلقبه أولئك التغلبيون الذين اعتزلوا معاوية وعليهم قريع بن الحارث التغلبي ، فتشتموا ثم اقتتلوا فقتلوه ، فأراد عليّ أن يوجه إليهم جيشاً ، فكلّمته ربيعة وقالوا : هم معتزلون لعدوك داخلون في طاعتك وإنما قتلوه خطأ . فأمسك عنهم .

ع

ذكر أمر ابن العُشبة

بعث معاوية زهير بن مكحول العامري من عامر الأجدار إلى السماوة وأمره أن يأخذ صدقات الناس ، وبلغ ذلك عليّاً فبعث ثلاثة نفر : جعفر بن عبد الله الأشجعي ، وعروة بن العشبة والجلّاس بن عمير الكلبيّين ، ليصدّقوا من في طاعته من كلب وبكر بن وائل ، فوافوا زهيراً فاقتتلوا ، فانهزم أصحاب عليّ وقتل جعفر بن عبد الله ولحق ابن العشبة بعليّ ، فعنفه وعلاه بالدرة ، فغضب ولحق بمعاوية ، وكان زهير قد حمل ابن العشبة على فرس فلذلك اتهمه . وأما الجلّاس فإنه مرّ براع فأخذ جيبته وأعطاه جبة خزّ ، فأدرسته الخيل ، فقالوا : أين أخذ هؤلاء الترابيون ؟ فأشار إليهم : أخذوا هاهنا ، ثمّ أقبل إلى الكوفة .

ذكر أمر مسلم بن عَقْبَةَ بدُومَة الجندل

وبعث معاويةُ مسلمَ بن عَقْبَةَ المرّي إلى دُومَة الجندل ، وكان أهلها قد امتنعوا من بيعة عليّ ومعاوية جميعاً ، فدعاهم إلى طاعة معاوية وبيعته ، فامتنعوا ، وبلغ ذلك عليّاً فسيرَ مالك بن كعب الهمداني في جمع إلى دُومَة الجندل ، فلم يشعر مسلم إلاّ وقد وافاه مالك ، فاقتتلوا يوماً ثمّ انصرف مسلم منهزماً وأقام مالك أياماً يدعو أهل دُومَة الجندل إلى البيعة لعليّ فلم يفعلوا ، وقالوا : لا نبايع حتى يجتمع الناس على إمام . فانصرف وتركهم .

وفيها توجه الحارث بن مُرّة العبدي¹ إلى بلاد السند غازياً . متطوعاً بأمر أمير المؤمنين عليّ ، فغنم وأصاب غنائم وسبياً كثيراً ، وقسم في يوم واحد ألف رأس وبقي غازياً² إلى أن قُتل بأرض القيقان هو ومن معه إلاّ قليلاً سنة اثنتين وأربعين أيام معاوية .

ذكر ولاية زياد بن أبيه¹ بلاد فارس

وفي هذه السنة ولّى عليّ زياداً كرمانَ وفارس .

وسبب ذلك أنه لما قُتل ابن الحضرمي واختلف الناس على عليّ طمع أهل فارس وكرمان في كسر الحراج ، فطمع أهل كلّ ناحية وأخرجوا عاملهم ، وأخرج أهل فارس سهل بن حنيف ، فاستشار عليّ الناس فقال له جارية بن قدامة : ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صلب الرأي عالم بالسياسة كافٍ

1) R. العبدي .

2) S.

لما ولي؟ قال: من هو؟ قال: زياد. فأمر عليّ ابن عباس أن يولّي زياداً، فسيره إليها في جمع كثير، فوطئ بهم أهل فارس، وكانت قد اضطربت¹، فلم يزل يبعث إلى رؤوسهم يعد من ينصره ويمنيه ويخوف من امتنع عليه، وضرب بعضهم ببعض، فدلّ بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضاً، وصفت له فارس ولم يلق منهم جمعاً² ولا حرباً³، وفعل مثل ذلك بكردمان. ثمّ رجع إلى فارس وسكن الناس واستقامت له، ونزل إصطخر، وحصن قلعة تسمى قلعة زياد قريب إصطخر، ثمّ تحصن فيها بعد ذلك منصور البشكري، فهي تسمى قلعة منصور⁴. وقيل [إنّ] ابن عباس أشار بولايته، وقد تقدّم ذكره⁵.

• • •

وفيهما مات أبو مسعود الأنصاري البدري، وقيل في أوّل خلافة معاوية، وقيل غير ذلك، ولم يشهد بدرأ وإنما قيل له بدري لأنه نزل ماء بدر، وانقرض عقبه.

1) R. اضطربت .

2) Finis lacunae in C. P.

3) C. P. et R. add. إلا فرقه .

4) Om. C. P.

5) S.

ثم دخلت سنة أربعين

ذكر سرية بُسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن

في هذه السنة بعث معاويةُ بُسرَ بن أبي أرطاة ، وهو من عامر بن لُؤي ، في ثلاثة آلاف ، فسار حتى قدم المدينة ، وبها أبو أيوب الأنصاري عامل عليّ عليها ، فهرب أبو أيوب فأتى عليّاً بالكوفة ، ودخل بُسر المدينة ولم يقامله أحد ، فصعد منبرها فنادى عليه : يا دينار يا نجار يا زُرَيْق ! وهذه بطون من الأنصار ، شيخي شيخي عهدته هاهنا بالأمس فأين هو ؟ يعني عثمان . ثم قال : والله لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركتُ بها محتلاً . فأرسل إلى بني سَلِمة فقال : والله ما لكم عندي أمان حتى تأتونني بجابر بن عبد الله ! فانطلق جابر إلى أمّ سَلِمة زوج النبيّ ، صلتى الله عليه وسلم ، فقال لها : ماذا ترين ؟ إن هذه بيعة ضلالة وقد خشيتُ أن أقتل . قالت : أرى أن تباع فإنّي قد أمرتُ ابني عمر وختتي ابنَ زَمْعَةَ أن يبايعا ، وكانت ابنتها زينب تحت ابن زمعة ، فأتاه جابر فبايعه .

وهدم بالمدينة دوراً ثمّ سار إلى مكّة ، فخاف أبو موسى الأشعري أن يقتله فهرب منه ، وأكره الناس على البيعة ، ثمّ سار إلى اليمن ، وكان عليها عبيد الله ابن عباس عاملاً لعليّ ، فهرب منه إلى عليّ بالكوفة ، واستخلف عليّ [علي] اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ ، فأتاه بُسر فقتله وقتل ابنه وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما : عبد الرحمن وقُشَم فقتلها ، وكانا عند رجل من كنانة بالبادية ، فلما أراد قتلها قال له الكنانيّ : ليمّ تقتل هذين ولا

ذنبَ لهما؟ فإن كنتَ قاتلتهما فاقتلني معهما ! فقتله وقتلتهما بعده . وقيل إن الكناني أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول :

الليثُ مَنْ يَمْنَعُ حافاتِ الدّارِ ولا يزالُ مصلتاً دون الجارِ

وقاتل حتى قُتل . وأخذ الغلامين فدفنهما . فخرج نسوة من بني كنانة فقالت امرأة منهن : يا هذا ! قتلتَ الرّجالَ فعلامَ تقتل هذين ؟ والله ما كانوا يُقتلون في الجاهليّة والإسلام ! والله يا ابن أبي أرطاة إن سلطانا لا يقوم إلاّ بقتل الصّبيّ الصّغير والشّيح الكبير ونزع الرحمة وعقوق الأرحام لسُلطان سوء !

وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة من شيعة عليّ باليمن ، وبنغ عليّاً الخبر فأرسل جارية بن قدامة السعدي في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى أتى نجران فقتل بها ناساً من شيعة عثمان ، وهرب بسر وأصحابه منه ، واتبعه جارية حتى أتى مكة فقال : بايعوا أمير المؤمنين . فقالوا : قد هلك فلمن نبايع ؟ قال : لمن بايع له أصحاب عليّ . فبايعوا خوفاً منه .

ثمّ سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلّي بالناس ، فهرب منه ، فقال جارية : لو وجدتُ أبا سنور لقتلته . ثمّ قال لأهل المدينة : بايعوا الحسن بن عليّ ، فبايعوه ، وأقام يومه ، ثمّ عاد إلى الكوفة ورجع أبو هريرة يصلّي بهم . وكانت أمّ ابنيّ عبيد الله أمّ الحكم جويرية بنت خوَيْلد بن قارظ ، وقيل : عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان² . فلما قُتل ولداها ولِهتَ عليهما ، فكانت لا تعقل ولا تُصنفي ولا تزال تنشدهما في المواسم فتقول :

يا مَنْ أَحسَّ بُنْيَيْي¹ اللّذَيْنِ هِما كالدُّرَّتَيْنِ تشظّيتَ عنهما الصّدْفُ
يا مَنْ أَحسَّ بُنْيَيْي¹ اللّذَيْنِ هِما مَخَّ العِظامِ فمخّي اليومَ مُزْدَهَفُ

1) C. P.

2) Om. R. et S.

يا مَنْ أَحْسَبُ بُنْيَيْ^١ اللّذَيْنِ هِما
 من ذلّ والهة حيرى مُدلّهة^١
 نُبِثتُ بُسْرًا^٢ وما صدقتُ ما زعموا
 أحنى على ودّجىّ إبني مرهفة^٣
 قلبي وسمعي ، فقلبي اليوم مُختطفُ
 على صبيّين ذلّا إذ غدا السلفُ
 من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا
 من الشفاري^٣ ، كذاك الإثم يُقرّف^٢

وهي أبيات مشهورة ، فلما سمع أمير المؤمنين بقتلهما جزعَ جزعاً شديداً ودعا على بُسر فقال : اللهم اسلبه دينه وعقله ! فأصابه ذلك وفقد عقله فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويُجعل بين يديه زقّ منفوخ فلا يزال يضربه ، ولم يزل كذلك حتى مات .

ولما استفرّ الأمر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بُسر فقال لبسر : وددتُ أن الأرض أنبتني عندك حين قتلتَ ولدي . فقال بسر : هاك سيفي . فأهوى عبيد الله ليتناوله فأخذه معاوية وقال لبسر : أخزأك الله شيخاً قد خرفت ! والله لو تمكّن منه لبدأ بي ! قال عبيد الله : أجل ، ثمّ ثنيت به .

٥ (سَلِمَة ، بكسر اللام : بطن من الأنصار)^٤ .

وقيل : إنّ مسير بُسر إلى الحجاز كان سنة اثنتين وأربعين ، فأقام بالمدينة شهراً يستعرض الناس لا يقال له عن أحد إنّه شرك في دم عثمان إلاّ قتله . وفيها جرت مهادنة بين عليّ ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع الحرب ، ويكون لعليّ العراق وللمعاوية الشام لا يدخل أحدهما بلد الآخر بغارة .

1) R. حرى بوطلة .

2) ut C. P. بشرًا .

3) R. et Br. Mus. الشمار .

4) Om. C. P.

(بسر بضم الباء الموحدة ، والسين المهملة . زَرَيْق ، بالزاي والراء :
قبيلة من الأنصار أيضاً . وجارية بالجيم والراء) .

ذكر فراق ابن عباس البصرة

في هذه السنة خرج عبدُ الله بن عباس من البصرة ولحق بمكة في قول أكثر
أهل السير ، وقد أنكر ذلك بعضهم وقال : لم يزل عاملاً عليها لعلِّي حتى قُتل
عليّ ، وشهد صلح الحسن مع معاوية ثم خرج إلى مكة . والأول أصح . وإنما
كان الذي شهد صلح الحسن عبيد الله بن عباس .

وكان سبب خروجه أنه مرّ بأبي الأسود فقال : لو كنت من البهائم
لكنت جَمَلاً ، ولو كنت راعياً لما بلغت المرعى . فكتب أبو الأسود إلى عليّ :
أما بعد فإنّ الله ، عزّ وجلّ ، جعلك والياً مؤتمناً وراعياً مستولياً ، وقد بلوناك
فوجدناك عظيم الأمانة ، ناصحاً للرعيّة ، توفّر لهم فيهم ، وتكفّ نفسك عن
دنياهم ، ولا تأكل أموالهم ، ولا ترثشي في أحكامهم ، وإنّ ابن عمك قد
أكل ما تحت يديه بغير علمك ، ولم يسعني كتمانك ، رحمك الله ، فانظر فيما
هناك ، واكتب إليّ برأيك فيما أحببت ، والسلام .

فكتب إليه عليّ : أما بعد فمثلك نصح الإمام والأمة ووالى على الحق ،
وقد كتبتُ إلى صاحبك فيما كتبتُ إليّ ، ولم أعلمه بكتابك ، فلا تدع إعلامي
بما يكون بحضرتك ممّا النظر فيه صلاح للأمة ، فإنك بذلك جدير ، وهو حق
واجب عليك ، والسلام .

وكتب إلى ابن عباس في ذلك ، فكتب إليه ابنُ عباس : أما بعد فإنّ الذي
بلغك باطلٌ ، وإني لِمَا تحت يدي لضابطٌ وله حافظٌ ، فلا تصدّق الظنين ،

والسلام . فكتب إليه عليّ : أمّا بعد فأعلمني ما أخذتَ من الجِزِيّةِ ومن أين أخذتَ وفيما وُضعتُ . فكتب إليه ابن عباس : أمّا بعدُ فقد فهمتُ تعظيمك مرزأة ما بلغك ، . إنني رزأته من أهل هذه البلاد¹ ، فأبعثُ إلى عمك من أحببتَ فإنني ظاعنٌ عنه ، والسلام .

واستدعى أخواله من بني هلال بن عامر ، فاجتمعت معه . قيس كلّهما² ، فحمل مالاً وقال : هذه أرزاقنا . اجتمعت ، فتبعه أهل البصرة³ فلحقوه بالطّفّ يريدون أخذ المال ، فقالت قيس : والله لا يوصل إليه وفينا عين تطرف ! فقال صبرة بن شيمان الحدّانيّ : يا معشر الأزد إنّ قيساً إخواننا وجيراننا وأعواننا⁴ على العدو ، وإنّ الذي يصيبكم من هذا المال لقليل وهم لكم خير من المال . فأطاعوه فانصرفوا ، وانصرفت معهم بكر وعبد القيس⁴ ، وقتلهم بنو تميم ، فنهاهم الأحنف ، فلم يسمعوا منه ، فاعتزلهم⁴ وحجز الناسُ بينهم ، ومضى ابنُ عباس إلى مكّة .

ذكر مقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام

وفي هذه السنة قُتل عليّ في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه ، وقيل : لإحدى عشرة ، وقيل : لثلاث عشرة بقيت منه ، وقيل : في شهر ربيع الآخر سنة أربعين . والأوّل أصحّ .

قال أنس بن مالك : مرض عليّ فدخلتُ عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلستُ عنده ، فأتاه النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، فنظر في وجهه فقال له أبو بكر

1) Om. C. P.

2) S.

3) C. P. et R. وسار فيهم .

4) Om. S.

وعمر : يا نبي الله ما نراه إلا ميتاً¹ . فقال : لن يموت هذا الآن ولن يموت حتى يُملاً غيظاً ولن يموت إلا مفتولاً .

وقيل من غير وجه : إن علياً كان يقول : ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذه ؟ يعني لحيته من دم رأسه .

وقال عثمان بن المغيرة : كان علياً لما دخل رمضان يتعشى ليلة عند الحسر وليلة عند الحسين وليلة عند أبي جعفر لا يزيد على ثلاث لقم ، يقول : أحب أن² يأتيني أمر الله وأنا خميص ، وإنما هي ليلة أو ليلتان . فلم تمض ليلة³ حتى قُتل . وقال الحسن بن كثير عن أبيه قال : خرج علياً من الفجر فأقبل الإو . يصحن في وجهه فطردوهن عنه . فقال : ذروهن فإنهن نوائح . فضر ابن ملجم في ليلته .

وقال الحسن بن علي يوم قتل علياً : رجت البارحة وأبي يصلني في مسج داره فقال لي : يا بُني إنني بت أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر فملكنتي عيناى فتمت فسنح لي رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ - قال : والأود العوج . واللدد الحصومات - فقال لي : ادع عليهم فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني ! فجاء ابن النجاج فأذنه بالصلاة ، فخرج وخرجت خلفه ، فضربه ابن ملجم فقتله . وكان عليه السلام : إذا رأى ابن ملجم قال :

أريدُ حياتهُ ويريدُ قَتلي عذيرك من خَليلك من مُراد⁴

وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله

1) S. لما به .

2) Om. S. et R.

3) C. P. الثلاث .

4) C. P

التميميّ ه الصرّيميّ، وقيل اسم البرّك الحجّاج¹، وعمرو بن بكر التميميّ السعديّ، وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولأتهم ثمّ ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد! فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم عليّاً، وكان من أهل مصر¹. وقال البرّك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية. وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا أن لا ينكص أحدُهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فسمّوها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان. وقصد كلّ رجل منهم الجهة التي يريد؛ فأتى ابن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه بالكوفة وكتبهم أمره، ورأى² يوماً أصحاباً³ له من تيم الرّباب، وكان عليّ قد قتل منهم يوم النهر عدّة، فتذاكروا قتلى النهر، ولقي معهم امرأة من تيم الرّباب اسمها قطام وقد قُتل أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال. فلما رآها أخذت قلبه فخطبها. فقالت: لا أتزوجك حتى تشفني لي⁴. فقال: وما تريدين؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبداً وقبينةً وقتل عليّ. فقال: أما قتل عليّ فما أراكِ ذكرتهِ وأنتِ تريديني. قالت: بلى، التمس غرته فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعلك العيش معي. وإن قُتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: والله ما جاء بي إلا قتل عليّ، فلك ما سألت. قالت: سأطلب لك من يشدّ ظهرك ويساعدك. وبعثت إلى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته، فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بجرّة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وماذا؟ قال: قتل عليّ. قال شبيب: ثكلتك أمك! لقد جئت شيئاً إداً! كيف تقدر على قتله؟ قال:

1) Om. C. P.

2) C. P. ومكث.

3) C. P. عند أصحاب.

4) R. تشفني قلبي.

اكن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فإن نجونا فقد شفيننا أنفسنا ، وإن قُتِلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها . قال : ويحك ! لو كان غير عليّ كان أهون ، قد عرفت سابقته وفضلته وبلاءه في الإسلام ، وما أجدني أنشرح لقتله . قال : أما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين ؟ قال : بلى . قال : فنقتله بمن قتل من أصحابنا . فأجابه .

فلما كان ليلة الجمعة ، وهي الليلة التي واعد ابنُ مُلْجَمٍ أصحابه على قتل عليّ وقاتل معاوية وعمرو ، أخذ سيفه ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السُّدَّة¹ التي يخرج منها عليّ للصلاة ، فلما خرج عليّ نادى : أيها الناس الصلاة الصلاة . فضربه شبيب بالسيف فوق سيفه بعضادة الباب ، وضربه ابنُ مُلْجَمٍ على قرنه بالسيف ، وقال : الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك ! وهرب وردان فدخل منزله ، فأناه رجل من أهله ، فأخبره وردان بما كان ، فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله ، وهرب شبيب في الغلَس ، وصاح الناس ، فلاحقه رجل من حضرموت يقال له عُوَيْمِر ، وفي يد شبيب السيف ، فأخذه وجلس عليه ، فلما رأى الحضرمي الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا ، وهرب شبيب في غُمار الناس .

ولما ضرب ابنُ مُلْجَمٍ عليّاً قال : لا يفوتنكم الرجل . فشدّ الناس عليه فأخذه ، وتأخر عليّ وقدم جَعْدَةَ بن هُبيرة ، وهو ابن أخته أم هانئ ، يصلّي بالناس الغداة ، وقال عليّ : أحضروا الرجل عندي . فأدخل عليه . فقال : أي عدو الله ! ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى . قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه . فقال عليّ : لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا من شرّ خلق الله . ثم قال : النفسُ بالنفس ،

1) C. P. et R. الباب .

إن هلكت فاقتلوه كما قتلي ، وإن بقيت رأيت فيه رأيي ، يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قُتل أمير المؤمنين ، ألا لا يُقتلن إلا قاتلي ، انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربةً بضربة ولا تمثلن بالرجل ، فإنني سمعتُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : إياكم والمُثلة ولو بالكلب العقور .

• هذا كآه¹ وابن مُلجَم مكتوف . فقالت له أمّ كلثوم ابنة عليّ : أي عدوّ الله ! لا بأس على أبي ، والله مُخزبك ! قال : فعلى من تبكين² ؟ والله إن سيفي اشتريته بألف ، وسممته بألف ، ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد .

ودخل جُنْدَب بن عبد الله على عليّ فقال : إن فقدناك ، ولا نفقدك ، فنباع الحسن ؟ قال : ما أمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر . ثمّ دعا الحسن والحسين فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الضائع ، واصنعا للأخرة ، وكونا للظالم خصيماً ، وللمظلوم ناصراً ، واعملا بما في كتاب الله ، ولا تأخذ كما في الله لومة لائم . ثمّ نظر إلى محمد بن الحنفية فقال : هل حفظت ما أوصيتُ به أخويك ؟ قال : نعم . قال : فإنني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك . فاتبع³ أمرهما³ ولا تقطع أمراً دونهما . ثمّ قال : أوصيكما به . فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أنّ أباكما كان يحبه . وقال للحسن :

1) Om. S.

2) C. P. تقولين ذلك .

3) وترى حرمتها R.

١ للأخرق .

٢ العظيم .

٣ وتزين .

أوصيك أي بُنيّ بتقوى الله ، وإقامِ الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلّها .
وحُسْنِ الوضوء ، فإنّه لا صلاة إلاّ بطهّور ، وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم
الغيظ . وصلة الرّحيم^١ ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه^١ في الدين ، والتثبت
في الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحُسْنِ الجوار ، والأمر بالمعروف . والنهي
عن المنكر ، واجتناب الفواحش .

ثمّ كتب وصيته ولم ينطق إلاّ بلا إله إلاّ الله ، حتى مات ، رضي الله عنه
وأرضاه .

وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، وكُفّن في ثلاثة أثواب ليس
فيها قميص ، وكبّر عليه الحسن سبع تكبيرات .

فلما قبض بعث الحسن إلى ابن ملجّم فأحضره ، فقال للحسن : هل لك
في خصلة ؟ إنّي والله قد أعطيتُ الله عهداً أن لا أعاهد عهداً إلاّ وفيتُ به ،
وإنّي عاهدتُ الله عند الحطيم أن أقتل عليّاً ومعاوية أو أموت دونهما ، فإن
شئتَ خلّيتَ بيني وبينه فلكُ اللهُ عليّ إن لم أعفته أو قتلتُه ثمّ بقيتُ أن آتيك
حتى أضع يدي في يدك . فقال له الحسن : لا والله حتى تعين النار . ثمّ قدّمه
فقتله ، وأخذَه الناسُ فأدرجوه في بوارى^٢ وأحرقوه بالنار .

قال عمرو بن الأصمّ : قلتُ للحسن بن عليّ : إنّ هذه الشيعة تزعم أن عليّاً
مبعوث قبل القيامة ! فقال : كذب والله هؤلاء الشيعة^٣ ، لو علمنا أنه مبعوث
قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله ، أمّا قوله : هذه الشيعة ، فلا شكّ

١) والثقة R .

١ الحرم .

٢ (البوارى ، جمع بارية : الحصير المنسوج) .

٣ كذبوا والله هؤلاء بالشيعة .

أنه يعني طائفة منها ، فإن كل شيعة لا تقول هذا إنما تقوله طائفة يسيرة منهم ،
ومن مشهوري هذه الطائفة : جابر بن يزيد الجعفي الكوفي ، وقد انقرض
القائلون بهذه المقالة فيما نعلمه .

(بَجْرَةَ بفتح الباء والجيم . • والبُرْك بضم الباء الموحدة ، وفتح الراء ،
وآخره كاف)¹ .

• • •

وأما البرك بن عبد الله فإنه قعد لمعاوية في تلك الليلة التي ضُرب فيها عليّ ،
فلما خرج معاوية ليصلي الغداة شدّ عليه بالسيف ، فوقع السيف في أليته ،
فأخذ ، فقال : إن عندي خبراً أسرك به ، فإن أخبرتك فنافعي² ذلك [عندك] ؟
قال : نعم . قال : إن أخاً لي قد قتل علياً هذه الليلة . قال : فلعله لم يقدر على
ذلك . قال : بلى ، إن علياً ليس معه أحد يحرسه . فأمر به معاوية فقتل .

وبعث معاوية إلى الساعدي ، وكان طيباً ، فلما نظر إليه قال : اخترت إماماً
أن أحمي حديده فأضعها³ موضع السيف ، وإماماً أن أسقيك شربة تقطع منك
الولد وتبرأ منها ، فإن ضربتك مسمومة . فقال معاوية : أما النار فلا صبر لي
عليها ، وأما الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقرّ به عيني . فسقاه شربة فبرأ
ولم يولد له بعدها .

وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه
إذا سجد ، وهو أول من عملها في الإسلام . وقيل : إن معاوية لم يقتل البرك
وإنما أمر فقطعت يده ورجله وبقي إلى أن ولي زياد البصرة ، وكان البرك قد
صار إليها وولد له ، فقال له زياد : يولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد
له ؟ فقتله وصلبه .

• • •

1) Om. S.

2) فشافي R.

3) وأكوي بها C. P.

وأما عمرو بن بكر فإنه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج ، وكان اشتكى بطنه ، فأمر خارجه بن أبي حبيبة ، وكان صاحب شرطته ، وهو من بني عامر بن لؤي ، فخرج ليصلي بالناس ، فشدّ عليه وهو يرى أنه عمرو بن العاص ، فضربه فقتله ، فأخذه الناس إلى عمرو فسلموا عليه بالإمرة . فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : عمرو . قال : فمَنْ قتلْتُ ؟ قالوا : خارجه . قال : أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك ! فقال عمرو : أردتني وأراد الله خارجه . فقدّمه عمرو فقتله .

قال : ولما بلغ عائشة قتلُ عليّ قالت :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

ثمّ قالت : مَنْ قتلته ؟ فقيل : رجل من مُراد . فقالت :

فَإِنْ يَكُ نَائِبًا فَلَقَدْ نَعَاهُ نَعِيٌّ لَيْسَ فِيهِ التَّرَابُ

فقالت زينب بنت أبي سلمة : أتقولين هذا لعليّ ؟ فقالت : إنني أنسى

فإذا نسيتُ فذكروني ؛ وقال ابن مبيّاس المرادي :

فَنَحْنُ ضَرْبِنَا ، يَا لَكَ الْخَيْرِ ، حِيدِرَا أبا حَسَنِ مَأْمُومَةً فَتَفَطَّرَا

وَنَحْنُ خَلَعْنَا مُلْكَهُ مِنْ نِظَامِهِ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ إِذْ عَلَا وَنَجَّبَرَا

وَنَحْنُ كِرَامٌ فِي الصَّبَاحِ أَعِزَّةٌ إِذَا الْمَرْءُ² بِالْمَوْتِ ارْتَدَى وَتَأَزَّرَا³

وقال أيضاً⁴ :

1) C. P. قصدت .

2) S. الموت .

3) Om. C. P.

4) C. P. الشاعر .

ولم أرَ مهراً ساقه ذو سماحة¹ ثلاثه آلاف وعبد وقبينة
 كتهر قطام بين عرب ومُعجم
 وضربُ علي بالحسام المصمم
 ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجَم

وقال أبو الأسود الدثلي في قتل علي :

ألا أبلغ معاوية بن حرب
 أفي شهر الصيام فجعتونا
 قتلتهم خير من ركب المطايا
 ومن لبس النعال ومن حذاها²
 إذا استقبلت وجه أبي حسين
 لقد علمت قريش حيث كانت
 فلا قرّت عيون الشامتين
 بخير الناس طراً أجمعين
 ورحلها ومن ركب السفين
 ومن قرأ المثاني والمئين
 رأيت البدر راع الناظرين
 بأنك خيرها حسباً وديننا

وقال بكر بن حساد الباهري :

قل لابن ملجَم والأقدارُ غالبه :
 قتلت أفضل من يمشي على قدم
 وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
 صهر النبي ومولاه وناصره
 وكان منه على رُغم الحسود له
 ذكرتُ قائله والدمعُ منحدر
 إنني لأحسبه ما كان من أنس
 هدمت للدين والإسلام أركاناً
 وأعظم الناس إسلاماً وإيماناً
 سن الرسول لنا شرعاً وتبياناً
 أضححت مناقبه نوراً وبرهاناً
 مكان هارون من موسى بن عمراناً
 فقلت سبحان رب العرش سبحاناً
 كلاً ولكنّه قد كان شيطاناً

1) R. et Br. Mus. سفاهة .

2) R. واحتذاها .

قد كان يخبرهم [هذا] بمقتله
 فلا عفا الله عنه سوء فعلته
 يا ضربة من شقي ما أراد بها
 بل ضربة من غوي أوردته لظي
 كأنه لم يرد قصداً بضربته
 قبل المنية أزماناً فآماناً
 ولا سقى قبر عمران بن حطاناً^١
 إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً
 وسوف يلقى بها الرحمن غضباناً
 إلا ليصلي عذاب الخلد نيراناً^١

ذكر مدة خلافته ومقدار عمره

وقد قال بعضهم : كانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وكان عمره
 ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : كان عمره تسعاً وخمسين ، وقيل : خمساً وستين ،
 وقيل : ثمانياً وخمسين . والأول أصح . ولما قُتل دُفن عند مسجد الجماعة ،
 وقيل : في القصر ، وقيل غير ذلك . والأصح أن قبره هو الموضع الذي
 يُزار ويُتبرك به^١ .

ذكر نسبه وصفته ونسائه وأولاده

كان آدم شديد الأدمة ، ثقيل العينين عظيمهما ، ذا بطن ، أصلع ، عظيم
 اللحية ، كثير شعر الصدر ، هو إلى القصر أقرب ، وقيل : كان فوق الرُبعة ،
 وكان ضخم عضلة الذراع ، دقيق مستدقها ، ضخم عضلة الساق ، دقيق

1) Om. R. et S.

١ فلا عفا الله عنها ما عملته قبر عمران بن حطاناً .

مستدقتها ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، ولا يُغَيَّرُ شَيْبَهُ ، كثير التَّسْمِ

وأما نسبُه فهو عليّ بن أبي طالب ، واسم أبي طالب عبد مناف . بن عبد
المطلب بن هاشم ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وهو أوّل
خليفة ، أبواه هاشميّان ، ولم يلبِ الخلافة إلى وقتنا هذا من أبواه هاشميّان غيره ،
وغير الحسن ولده ، ومحمّد الأمين ، فإنّ أباه هارون الرشيد وأمه زبيدة بنت
جعفر بن المنصور .

وأما أزواجه فأوّل زوجة تزوّجها فاطمة بنت رسول الله ، صلّى الله عليه
وسلم ، لم يتزوَّج عليها حتى توفيت عنده ، وكان له منها الحسن والحسين ،
وقد ذُكر أنّه كان له منها ابن آخر يُقال له مُحَسَّنٌ وأنّه توفي صغيراً ،
وزينب الكبرى ، وأمّ كلثوم الكبرى . ثمّ تزوّج بعدها أمّ البنين بنت حرام
الكلابية ، فولدت له العباس وجعفرأ وعبد الله وعثمان ، قُتلوا مع الحسين
بالطفّ ولا بقیة لهم غير العباس ، وتزوَّج ليلي بنت مسعود بن خالد نَهْشَلِيَّةَ
التميميّة ، فولدت له عبيد الله وأبا بكر ، قُتِلَا مع الحسين² ، وقيل : إنّ عبيد
الله قتله المختار بالمدار³ ، وقيل : لا بقیة لهما . وتزوَّج أسماء بنت عميس
الخشعبيّة ، فولدت له محمّداً الأصغر ويحيى ، ولا عقب لهما ، وقيل :
إنّ محمّداً لأمّ وئاد ، وقتل مع الحسين ، وقيل : إنّها ولدت له عَوْناً . وله
من الصهباء بنت ربيعة التغلبيّة ، وهي من السبي الذين أغار عليهم خالد بن
الوليد بعين التمر ، وولدت له عمر بن عليّ ، ورُقِيَّة بنت عليّ ، فعمر عمر
حتى بلغ خمساً وثمانين سنة ، فحاز نصف ميراث عليّ ، وسات بينبوع . وتزوَّج
عليّ أمّامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزّي بن عبد شمس . وأمّها زينب
بنت رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، فولدت له محمّداً الاوسط ، وله محمّد

1) Om. S.

2) Om. C. P.

3) Br. Mus et R. بالمدائن .

ابن عليّ الأكبر الذي يقال له ابن الحنفية ، أمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة . وتزوج عليّ أيضاً أمّ سعيد ابنة عروة بن مسعود الثقفية ، فولدت له أمّ الحسن ورملة الكبرى ، وأمّ كلثوم¹ ، وكان له بنات من أمّهات شتى لم يُذكرن لنا ، منهنّ أمّ هانيء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأمّ كلثوم الصغرى ، وفاطمة ، وأمّامة ، وخديجة ، وأمّ الكرام ، وأمّ سلّمة ، وأمّ جعفر ، وجُمّانة ، ونفيسة² ، كلهنّ من أمّهات أولاد . وتزوج أيضاً مخبّاة³ بنت امرئ القيس بن عديّ الكلبيّة ، فولدت له جارية هلكت صغيرة ، كانت تخرج إلى المسجد فيقال لها : مَنْ أخوالك ؟ فتقول : وهّ وهّ ، تعني كلباً . فجميع ولده أربعة عشر ذكراً ، وسبع عشرة امرأة ، وكان النسل منهم للحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعبّاس بن الكلابية وعمر بن التغلبيّة .

ذكر عمّاله

وكان عامله على البصرة هذه السنة عبد الله بن عبّاس ، وقد ذكرنا الاختلاف في أمره ، وكان إليه الصدقات والجند والمعاون أيتام ولايته كلّها ، وكان على قضائها من قبيل عليّ أبو الأسود الدثليّ ، وكان على فارس زياد ، وقد ذكرنا مسيره إليها ، وكان على اليمن عبيد الله بن عبّاس ، حتى كان من أمره وأمر بسّر بن أبي أرطاة ما ذكر ، وكان على الطائف ومكة وما اتصل بذلك قُسم ابن عبّاس ، وكان على المدينة أبو أيّوب الأنصاري ، وقيل : سهل بن حنيف ، وكان عند قدوم بسر عليه من أمره ما كان ، وذكر .

1) Om. S. et C. P.

2) R. et Br. Mus. نفية .

3) Bodl. حياة ؛ R. عيات .

ذكر بعض سيرته

كان أبو رافع مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خازناً لعلّي علي بيت المال ، فدخل علي يوماً وقد زينت ابنته ، فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال فقال : من أين لها هذه ؟ لأقطعن يدها ! فلما رأى أبو رافع جده في ذلك قال : أنا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها . فقال علي : لقد تزوجتُ بفاطمة وما لي فراش إلا جلد كبش نام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار وما لي خادم غيرها .

قال ابن عباس : قسم علم الناس خمسة أجزاء ، فكان لعلّي منها أربعة أجزاء ولسائر الناس جزء شاركهم علي فيه فكان أعلمهم به .
وقال أحمد بن حنبل : ما جاء لأحد من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ما جاء لعلّي .

وقال عمرو بن ميمون : لما ضرب عمر بن الخطاب وجعل الخلافة في السنة من الصحابة ، فلما خرجوا من عنده قال : إن يولتوها الأجلح يسلك بهم الطريق ، فقال له ابنه عبد الله : فما يمنعك يا أمير المؤمنين . من توليته¹ ؟ قال : أكره أن أحمّلها حياً وميتاً .

وقال عاصم بن كليب عن أبيه : قدم علي علي مال من أصبهان فقسمه علي سبعة أسهم ، فوجد فيه رغيفاً فقسمه علي سبعة ، ودعا أمراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيّهم يُعطى أولاً .

وقال هارون بن عنبرة عن أبيه : دخلتُ علي علي بالخوَرنتق وهو فصل

1) C. P.

شِئَاءٌ وَعَلَيْهِ خَلَقَ قَطِيفَةٌ وَهُوَ يُرْعَدُ فِيهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكَ وَأَهْلِكَ فِي هَذَا الْمَالِ نَصِيبًا وَأَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا بِنَفْسِكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أُرْزَأُكُمْ شَيْئًا وَمَا هِيَ إِلَّا قَطِيفَتِي الَّتِي أَخْرَجْتُهَا مِنَ الْمَدِينَةِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَمَةَ : اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ عَمْرُو بْنَ سَلْمَةَ عَلَى أَصْبَهَانَ فَقَدِمَ وَمَعَهُ مَالٌ وَزِقَاقٌ فِيهَا عَسَلٌ وَسَمْنٌ فَأَرْسَلْتُ أُمَّ كَلْثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ إِلَى عَمْرُو تَطْلُبُ مِنْهُ سَمْنًا وَعَسَلًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ظَرْفَ عَسَلٍ وَظَرْفَ سَمْنٍ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدَ خَرَجَ عَلِيٌّ وَأَحْضَرَ الْمَالَ وَالْعَسَلَ وَالسَّمْنَ لِيُقَسِّمَ ، فَعَدَّ الزَّقَاقَ فَتَقَصَّتْ زَقَاتَيْنِ ، فَسَأَلَهُ عَنْهُمَا ، فَكْتَمَهُ وَقَالَ : نَحْنُ نَحْضُرُهُمَا ، فَعَزَمَ عَلَيْهِ إِلَّا ذَكَرَهَا لَهُ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أُمَّ كَلْثُومَ فَأَخَذَ الزَّقَاتَيْنِ مِنْهَا فَرَأَاهُمَا قَدْ تَقَصَّصَا فَأَمَرَ التَّجَارَ بِتَقْوِيمِ مَا تَقَصَّ مِنْهُمَا ، فَكَانَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَخَذَهَا مِنْهَا ثُمَّ قَسَمَ الْجَمِيعَ .

قِيلَ : وَخَرَجَ مِنْ هَمْدَانَ فَرَأَى رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا ثُمَّ مَضَى ، فَسَمِعَ صَوْتًا : يَا غَوْثَاهُ بِاللَّهِ ! فَخَرَجَ يَحْضُرُ نَحْوَهُ وَهُوَ يَقُولُ : أَتَاكَ الْغَوْثُ . فَإِذَا رَجُلٌ يَلْزِمُ رَجُلًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْتُ هَذَا ثَوْبًا بِسَبْعَةِ دَرَاهِمٍ وَشَرَطْتُ أَنْ لَا يُعْطِيَنِي مَغْمُوزًا وَلَا مَقْطُوعًا ، وَكَانَ شَرْطَهُمْ بَوْمَثَدٌ ، فَأَتَانِي بِهَذِهِ الدَّرَاهِمِ ، فَأَتَيْتُ وَلِزِمْتُهُ فَلَطَمَنِي . فَقَالَ لِلْأَظْمِ : مَا تَقُولُ ؟ فَقَالَ : صَدَقَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَعْطَاهُ شَرْطَهُ . فَأَعْطَاهُ . وَقَالَ لِلْمَلْطُومِ : اقْتَصِّ . قَالَ : أَوْ أَعْفُو يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ خَذُوهُ ، فَأَخَذُوهُ ، فَحُمِلَ عَلَى ظَهْرِ رَجُلٍ كَمَا يُحْمَلُ صَبِيَانَ الْكُتَّابِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ هِرَّةً وَقَالَ : هَذَا نَكَالٌ لِمَا أَنْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ .

وَلَمَّا قُتِلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَامَ ابْنُهُ الْحَسَنُ خَطِيبًا فَقَالَ : لَقَدْ قَتَلْتُمُ اللَّيْلَةَ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ نَزَلَ فِيهَا الْقُرْآنُ وَفِيهَا رُفِعَ عِيسَى وَفِيهَا قُتِلَ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ ، وَاللَّهِ مَا سَبَقَهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ وَلَا يَدْرِكُهُ أَحَدٌ يَكُونُ بَعْدَهُ ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم ، بيعته في السرية وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك . صفراء ولا بيضاء¹ إلا ثمانمائة أو سبعمائة أرصدها لبحارية² .

وقال سفيان : إن علياً لم بين أجرّة على أجرّة ، ولا لبينة³ على لبنة ، ولا قصبة⁴ على قصبة ، وإن كان ليؤتى بحبوه من المدينة في جراب .

• وقيل : إنه أخرج سيفاً له إلى السوق فباعه وقال : لو كان عندي أربعة دراهم ثمن إزار³ لم أبعه . وكان لا يشتري ممن يعرفه ، وإذا اشترى قميصاً قدر كتمه على طول يده وقطع الباقي⁴ . وكان يتختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول : لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم .

وقال الشعبي : وجد عليّ درعاً له عند نصرانيّ فأقبل به إلى شريح وجلس إلى جانبه وقال : لو كان خصمي مسلماً لساويته ، وقال : هذه درعي ! فقال النصرانيّ : ما هي إلا درعي ، ولم يكذب أمير المؤمنين ؟ فقال شريح لعليّ : ألك بيّنة ؟ قال : لا ، وهو يضحك ، فأخذ النصرانيّ الدرع ومشى يسيراً ثم عاد وقال : أشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين قدّمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه . ثمّ أسلم واعترف أنّ الدرع سقطت من عليّ عند مسيره إلى صفين ، ففرح عليّ بإسلامه ووهب له الدرع وفرساً ، وشهد معه قتال الخوارج .

وقيل : إن عليّاً رؤي وهو يحمل في ملحفته تمرّاً قد اشتراه بدرهم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ألا نحملة عنك ؟ فقال : أبو العيال أحقّ بحمله .

وقال الحسن بن صالح : تذاكروا الزّهّاد عند عمر بن عبد العزيز ، فقال عمر : أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب .

وقال المدائنيّ : نظر عليّ إلى قوم يبابه فقال لقنبر مولاة : من هؤلاء ؟

1) Bold. بيضاء ولا سوداء .

2) بحارية R .

3) أرز R .

4) Om. C. P.

قال : شيعتك يا أمير المؤمنين . قال : وما لي لا أرى فيهم سيما الشيعة ؟ قال :
وما سيماهم ؟ قال : خُمُصُ البطون من الطوى ، يُبَسُّ الشفاه من الظلم ،
عُمُشُ العيون من البكاء .

• ومناقبه لا تُحصى ، قد جمعتُ قضاياها في كتاب مفرد¹ .

ذكر بيعة الحسن بن عليّ

وفي هذه السنة ، أعني سنة أربعين ، بُويع الحسن بن عليّ بعد قتل أبيه .
وأول من بايعه قيس بن سعد الأنصاريّ ، وقال له : ابسطْ يدك أبايعك² على
كتاب الله وسُنّة نبيّه وقاتال المُحِلِّين . فقال الحسن : على كتاب الله وسُنّة
رسوله فإنّهما يأتيان على كلّ شرط . فبايعه الناسُ . وكان الحسن يشترط عليهم :
إنّكم مطيعون تُسالمون مَنْ سالتُ وتُحاربون مَنْ حاربتُ . فارتابوا بذلك
وقالوا : ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا إلّا القتال .

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة المُغيرةُ بن شُعْبَةَ ، وافتعل كتاباً على لسان معاوية ،
فيقال : إنّهُ عرّف يوم التروية ، ونحر يوم عرّفة خوفاً أن يُفْظَنَ لفعله ، وقيل :
فعل ذلك لأنّه بلغه أنّ عُبَيْة بن أبي سفيان مصبّحه والياً على الموسم .
وفيها بُويع معاوية بالخلافة بيت المقدس ، وكان قبل ذلك يُدعى بالأمير

1) Om. S. et R.

2) Om. S. et C. P.

في بلاد الشام ، فلما قُتل عليّ دُعي بأمير المؤمنين ، ه هكذا قال بعضهم¹ ،
وقد تقدّم أنّه بُويج بالخلافة بعد اجتماع الحكّمين ، ه والله أعلم .
وكانت خلافة الحسن ستة أشهر¹ .

وفيهما مات الأشعث بن قيس الكِنديّ بعد قتل عليّ بأربعين ليلة وصلّى عليه
الحسن بن عليّ . وفيها مات حسّان بن ثابت وأبو رافع مولى رسول الله ، صلّى
الله عليه وسلّم ، وهما من الصحابة . وفيها مات شُرْحبيل بن السَّمْط الكِنديّ
وهو من أصحاب معاوية ، قيل له صحبة ، وقيل لا صحبة له . وفي أوّل خلافة
عليّ مات جهجاه الغِفاريّ له صحبة . وفيها مات الحارث بن خزّمة الأنصاريّ ،
شهد بدرأ وأحدأ وغيرهما . وفيها مات خوات بن جُبَيْر الأنصاريّ بالمدينة ،
وكان قد خرج مع النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، إلى بدر فرجع لعذر فضرب
له رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، بسهمه ، وهو صاحب ذات النُحَيْن² .

وفي خلافة عليّ مات قرظة بن كعب الأنصاريّ بالكوفة ، ه وقيل : بل مات في
إمارة المُغيرة على الكوفة لمعاوية³ ، شهد أحدأ وغيرها وشهد سائر المشاهد مع
عليّ . ومات مُعاذ بن عفراء الأنصاريّ ه في أوّل خلافة عليّ . وهو بدريّ ،
شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم³ . وفي خلافته مات
أبو لُبابة بن عبد المُندر الأنصاريّ ، وكان نقيباً⁴ ، شهد بدرأ ، وقيل : بل
استخلفه رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، على المدينة وردّه من طريق بدر
وضرب له بسهمه . وفيها توفيّ مُعَيْقِب بن أبي فاطمة الدّؤسيّ ، ه له صحبة ،
قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وكان على خاتم النبيّ ، صلّى
الله عليه وسلّم ، وكان مجذوماً ، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال ،
وكان معه الخاتم أيام عثمان ، فمن يده وقع الخاتم ، وقيل : إنّه توفيّ آخر
خلافة عثمان³ .

1) S.

2) R. et Br. Mus. النجيبين .

3) S.

4) R. تقياً .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

ذكر تسليم الحسن بن عليّ الخليفة إلى معاوية

كان أمير المؤمنين عليّ قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن أهل الشام ، فبينما هو يتجهز للمسير قُتل ، عليه السلام ، وإذا أراد الله أمراً فلا مردّ له . فلما قُتل وباع الناسُ ولدَه الحسن بلغه مسير معاوية في أهل الشام إليه ، فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا عليّاً وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية ، وكان قد نزل مسكن ، فوصل الحسن إلى المدائن وجعل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مقدّمته في اثني عشر ألفاً ، وقيل بل كان الحسن قد جعل على مقدّمته عبد الله بن عباس ، فجعل عبدُ الله على مقدّمته في الثلاثين قيس بن سعد بن عبادة¹ . فلما نزل الحسن المدائن نادى مُناد في العسكر : ألا إن قيس بن سعد قُتل فأنفروا . فنفروا بسرّادق الحسن ، فنهبوا متاعه² حتى نازعوه بساطاً كان تحته ، فازداد لهم بغضاً ومنهم ذُعرأ ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن ، وكان الأمير على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عمّ المُختار بن أبي عبّيد ، فقال له المختار ، وهو شابّ : هل لك في الغنى والشرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تستوثق من الحسن وتستأمن به إلى معاوية . فقال له عمّه : عليك لعنة الله ! أثب على ابن بنت رسول الله ، صلتى الله عليه وسلّم ، وأوثقه ؟ بش الرجل أنت !

1) Om. S.

2) R.

فلما رأى الحسن تفرق الأمر عنه كتب إلى معاوية وذكر شروطاً وقال له :
إن أنت أعطيتني هذا فأنا سامعٌ مطيعٌ وعلبك أن تفني لي به . وقال لأخيه الحسين
وعبد الله بن جعفر : إنني قد راسلتُ معاوية في الصلح . فقال له الحسين :
. أنشدك الله أن تصدقَ أحدوثة معاوية وتكذبَ أحدوثة أهلك ! فقال له الحسن¹ :
اسكتُ ، أنا أعلم بالأمر منك .

فلما انتهى كتاب الحسن إلى معاوية أمسكه ، وكان قد أرسل عبد الله بن
عامر وعبد الرحمن بن سمرّة بن حبيب بن عبد شمس إلى الحسن قبل وصول
الكتاب ومعهما صحيفة بيضاء مختوم² على أسفلها ، وكتب إليه : أن اشترطُ في
هذه الصحيفة التي ختمتُ أسفلها ما شئتَ فهو لك .

فلما أتت الصحيفة إلى الحسن اشترطَ أضعاف الشروط التي سأل معاويةَ
قبل ذلك وأمسكها عنده ، فلما سلم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية طلب أن يُعطيه
الشروط التي في الصحيفة التي ختم عليها معاوية ، فأبى ذلك معاوية وقال له :
قد أعطيتك ما كنت تطلب . فلما اصطلحا قام الحسن في أهل العراق فقال :
يا أهل العراق إنّه سخى بنفسي عنكم ثلاثٌ : قتلكم أبي ، وطعنكم إيتاي ،
وانتهابكم متاعي .

وكان الذي طلب الحسنُ من معاوية أن يُعطيه ما في بيت مال الكوفة ،
ومبلغه خمسة آلاف ألف ، وخراج دارابجرد من فارس ، وأن لا يشتم علياً ،
فلم يجبه إلى الكفّ عن شتم عليّ ، فطلب أن لا يُشتم وهو يسمع ، فأجابه إلى
ذلك ثمّ لم يَفِ له به أيضاً ، وأما خراج دارابجرد فإن أهل البصرة منعه منه
وقالوا : هو فينا لا نُعطيه أحداً ، وكان منهم بأمر معاوية أيضاً .

وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة ، وقيل :

1) Om. C. P.

2) C. P. مختومة .

في ربيع الآخر ، وقيل : في جمادى الأولى ، وقيل : إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : إنا والله ما يثينا عن أهل الشام شك ولا ندم ، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر ، فشيبت¹ السلامة بالعداوة ، والصبر بالجزع ، وكنتم في مسيركم إلى صيفين ودينكم أمام دنياكم ، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم ، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين : قتيل بصفين تبكون له ، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره ، وأما الباقي فخاذل ، وأما الباكي فثائر ، ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة² ، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكناه إلى الله ، عز وجل ، بظبي السيوف ، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى .

فناداه الناس من كل جانب : البقية البقية ! وأمضى الصلح .

ولما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال : أيها الناس إنما نحن أمراؤكم وضيغانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتى سُمع نسيجه² . فلما ساروا إلى معاوية في الصلح اصطلحا على ما ذكرناه³ وسلم إليه الحسن الأمر .

وكانت خلافة الحسن ، على قول من يقول : إنه سلم الأمر في ربيع الأول ، خمسة أشهر ونحو نصف شهر ، وعلى قول من يقول : في ربيع الآخر ، يكون ستة أشهر وشيئاً ، وعلى قول من يقول : في جمادى الأولى ، يكون سبعة أشهر وشيئاً ، والله تعالى أعلم .

ولما اصطلحا وباع الحسن معاوية دخل معاوية الكوفة وباعه الناس ، وكتب

1) فثبتت R. ; فثبتت C. P. 2) نحيه R. 3) ثم نزل وراسل معاوية C. P. et R.

الحسنُ إلى قيس بن سعد ، وهو على مقدّمته في اثني عشر ألفاً ، يأمره بالدخول في طاعة معاوية ، فقام قيس في الناس فقال : أيّها الناس اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة أو القتال مع غير إمام . فقال بعضهم : بل نختار الدخول في طاعة إمام ضلالة . فبايعوا معاوية أيضاً . فانصرف قيس فيمن تبعه ، على ما نذكره .

ولما دخل معاوية الكوفة قال له عمرو بن العاص ليأمر الحسن أن يقوم فيخطب الناس ليظهر لهم عيّه . فخطب معاوية الناس ثم أمر الحسن أن يخطبهم . فقام فحمد الله بديهة ثم قال : أيّها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدّة والدنيا دول ، وإن الله عز وجل ، قال لبيته : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾¹ . فلما قاله قال له معاوية : اجلس ، وحقّدها على عمرو وقال : هذا من رأيك .

ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته وحشهم ، وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة .

قبل للحسن : ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يشقّ بهم أحدٌ أبداً إلا غلب ، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى ، مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر ، لقد لقي أبي منهم أموراً عظيماً ، فليت شعري لمن يصلحون بعدي ، وهي أسرع البلاد خراباً !

ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له : يا مسود وجوه المسلمين ! فقال : لا تعذلي فإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره رجلاً فرجلاً فسأه ذلك فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾² ، وهو نهر في الجنة ، و ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾³ ، إلى قوله تعالى : ﴿ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾³ ، يملكها بعدك بنو أمية .

1) Corani 21, vs. 111.

2) Ib. 108, vs. 1.

3) Ib. 97, vss. 1-3.

ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد

وفيها جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد، وكان قيس امتنع من ذلك، وسبب امتناعه¹ أن عبيد الله بن عباس لما علم بما يريد الحسن من تسليم الأمر إلى معاوية كتب إلى معاوية يسأله الأمان لنفسه على ما أصاب من مال وغيره، فأجابه إلى ذلك، وأرسل عبد الله بن عامر في جيش كثيف، فخرج إليهم عبيد الله ليلاً وترك جنده الذين هو عليهم بغير أمير وفيهم قيس بن سعد، فأمر ذلك الجند عليهم قيس بن سعد وتعاقدوا هو وهم على قتال معاوية حتى يشرط لشيعة عليّ ولمن كان معه على دمايتهم وأموالهم. وقيل: إن قيساً كان هو الأمير على ذلك الجيش. في المقدمة، على ما ذكرناه، وكان شديد الكراهة لإمارة معاوية ابن أبي سفيان²، فلما بلغه أن الحسن بن عليّ صالح معاوية اجتمع معه جمع كثير وبايعوه على قتال معاوية حتى يشرط لشيعة عليّ على دمايتهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة، فراسله معاوية يدعوه إلى طاعته، وأرسل إليه بسجلاً، وختم على أسفله وقال له: اكتب في هذا ما شئت فهو لك. فقال عمرو لمعاوية: لا تعطه هذا وقاتله. فقال معاوية: على رسلك فإننا لا نخلص إلى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك؟ فإنني والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بدءاً.

فلما بعث إليه معاوية ذلك السجل اشترط قيس له ونشيعه عليّ الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل في سجله ذلك مالا، وأعطاه معاوية ما سأل، ودخل قيس ومن معه في طاعته.

وكانوا يعدّون دُهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة يقال إنهم ذور رأي العرب ومكيدتهم: معاوية، وعمرو، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد،

1) Om. S.

2) S.

وعبد الله بن بُدَيْل الخُزاعي ؛ وكان قيس وابن بُدَيْل مع عليّ ، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف ، ولما استقرّ الأمرُ لمعاوية دخل عليه سعد بن أبي وقاص فقال : السلام عليك أيُّها الملك ! فضحك معاوية وقال : ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلتَ : يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أتقولها جذلان ضاحكاً ؟ والله ما أحبُّ أني وليتها بما وليتها به !

ذكر خروج الخوارج على معاوية

قد ذكرنا فيما تقدّم اعتزال فرّوة بن نوفل الأشجعيّ في خمسمائة من الخوارج ومسيرهم إلى شهرزور ، وتركوا قتال عليّ والحسن ؛ فلما سلّم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية قالوا : قد جاء الآن ما لا شكّ فيه ، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه . فأقبلوا وعليهم فرّوة بن نوفل حتى حلّوا بالنخيلة عند الكوفة ، وكان الحسن ابن عليّ قد سار يريد المدينة ، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فرّوة ، فلاحقه رسوله بالقادسية أو قريباً منها ، فلم يرجع وكتب إلى معاوية : لو آثرتُ أن أقاتل أحداً من أهل القبيلة لبدأتُ بقتالك ، فإنّي تركتُك لصلاح الأمة وحقن دماها .

فأرسل إليهم معاويةُ جمعاً من أهل الشام ، فقاتلوهم ، فانهزم أهلُ الشام ، فقال معاوية لأهل الكوفة : والله لا أمان لكم عندي حتى تكفّوهم . فخرج أهلُ الكوفة فقاتلوهم . فقالت لهم الخوارج : أليس معاوية عدونا وعدوكم ؟ دعونا حتى نقاتله ، فإن أصابنا كنّا قد كفيناكم عدوكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا . فقالوا : لا بدّ لنا من قتالكم . فأخذتُ أشجعُ صاحبهم فرّوةُ فحادثوه ووعظوه فلم يرجع ، فأخذوه قهراً وأدخلوه الكوفة ، فاستعمل الخوارجُ

عليهم عبد الله بن أبي الحوساء¹، رجلاً من طيء، فقاتلهم أهل الكوفة فقتلواهم في ربيع الأول، وقيل: في ربيع الآخر²، وقتل ابن أبي الحوساء، وكان ابن أبي الحوساء حين ولي أمر الخوارج قد خوَّف من السلطان أن يصلبه³، فقال:

ما إن أبالي إذا أرواحنا قبضت ماذا فعلتم بأوصال وأبشار
تجري المجرّة والنسران عن قدر والشمس والقمر الساري بمقدار
وقد عليت، وخير القول أنفعه، أن السعيد الذي يتجو من النار

ذكر خروج حوثره بن وداع⁴

ولما قتل ابن أبي الحوساء اجتمع الخوارج فولتوا أمرهم حوثره بن وداع ابن مسعود الأسدي، فقام فيهم وعاب فروة بن نوفل لشكّه في قتال علي ودعا الخوارج وسار من براز الروز⁵، وكان بها، حتى قدم النخيلة في مائة وخمسين، وانضم إليه فلان ابن أبي الحوساء، وهم قليل، فدعا معاوية أبا حوثره فقال له: اخرج إلى ابنك فلعله يرق إذا رآك. فخرج إليه وكلمه وناشده وقال: ألا أجيتك بابنك فلعلك إذا رأيتَه كرهت فراقه؟ فقال: أنا إلى طعنة من يد كافر برمح أتقلب فيه ساعة أشوق مني إلى ابني. فرجع أبوه فأخبر معاوية بقوله، فسير معاوية إليهم عبد الله بن عوف الأحمر في ألفين، وخرج أبو حوثره فيمن خرج فدعا ابنه إلى البراز، فقال: يا أبا لك في غيري سعة. وقاتلهم ابن عوف وصبروا، وبارز حوثره عبد الله بن عوف فطعنه ابن عوف فقتله وقتل

1) C. P. ubique الحوشا .

2) S. et R.

3) S. يقتله .

4) C. P. ubique جورة ; R. ubique ذراع .

5) R. مزار الروذ ; Bodl. مزار الروذ ; Br. Mus. دار الروذ .

أصحابه إلا خمسين رجلاً دخلوا الكوفة ، وذلك في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين . ورأى ابن عوف بوجه حوثره أثر السجود ، وكان صاحب عبادة¹ ، فندم على قتله ، وقال :

قتلتُ أخا بني أسدٍ سفاهاً لعمرُ أبي فما لُقيتُ رُشدي
 . قتلتُ مُصلباً مِحياً ليلٍ طويلَ الحزنِ ذا بَرٍّ وقصدٍ²
 قتلتُ أخا نقي لا نالَ دنيا³ وذاكَ لشِقوتي وعِثارِ جدّي
 فهبْ لي توبةً يا ربَّ واغفرْ لما قارفتُ من خطيِّ وعمدٍ

ذكر خروج فروة بن نوفل ومقتله

ثم إن فروة بن نوفل الأشجعي خرج على المغيرة بن شعبه بعد مسير معاوية ، فوجه إليه المغيرة خيلاً عليها شَبَث بن رُبَعي ، ويقال : معقل بن قيس ، فلقبه بشهرزور فقتله ، وقيل قُتل ببعض السواد .

ذكر شيب بن بَجْرَة

كان شيب مع ابن ملجم حين قتل علياً ، فلما دخل معاوية الكوفة أتاه شيب كالمقرب إليه فقال : أنا وابن ملجم قتلنا علياً ، فوثب معاوية من مجلسه مذعوراً حتى دخل منزله وبعث إلى أشجع وقال : لئن رأيتُ شيباً أو بلغني أنه يباني لأهلكنكم ، أخرجوه عن بلدكم . وكان شيب إذا جنّ عليه الليل

1) C. P. سجادة .

2) Om. R.

3) R. ذنباً .

خرج فلم يلقَ أحداً إلا قتلَه ، فلما ولي المغيرةُ الكوفةُ خرج عليه بالثُقُف^١ قريب الكوفة ، فبعث إليه المغيرةُ خيلاً عليها خالد بن عُرْفُطَة ، وقيل : معقيل ابن قيس ، فاقتتلوا فقتل شيب وأصحابه^٢ .

ذکر مُعَين الخارجي

وبلغ المغيرة أن مُعَين بن عبد الله يريد الخروج ، وهو رجل من محارب ، وكان اسمه معنأ فصغّر ، فأرسل إليه ، وعنده جماعة ، فأخذ وحبس ، وبعث المغيرةُ إلى معاوية يُخبره أمره ، فكتب إليه : إن شهد أني خليفة فخل سبيله . فأحضره المغيرة وقال له : أتشهد أن معاوية خليفة وأنه أمير المؤمنين ؟ فقال : أشهد أن الله ، عز وجل ، حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور . فأمر به فقتل ، قتله قبيصة الهلالي ، فلما كان أيام بشر بن مروان جلس رجل من الخوارج على باب قبيصة حتى خرج فقتله ، ولم يُعرَف قاتله حتى خرج قاتله مع شيب بن يزيد^٣ ، فلما قدم الكوفة قال : يا أعداء الله أنا قاتل قبيصة !

ذکر خروج أبي مريم

ثم خرج أبو مريم مولى بني الحارث بن كعب ومعه امرأتان : قطام وكُحَيْلَة ، وكان أول من أخرج معه النساء ، فعاب ذلك عليه أبو بلال بن أدية ، فقال :

1) C. P. et R. الطف .

2) Om. C. P.

3) C. P. زيد .

١ بانثُف .

قد قاتل النساء مع رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، ومع المسلمين بالشام ،
وسأردّهما ، فردّهما ، فوجه إليه المغيرةُ جابراً البجلي ، فقاتله فقتل أبو
مريم وأصحابه يادوريا .

ذكر خروج أبي ليلى

وكان أبو ليلى رجلاً أسود طويلاً ، فأخذ بعضادتيّ باب المسجد بالكوفة
وفيه عدّة من الأشراف وحكم بصوت عال ، فلم يعرض له أحد ، فخرج وتبعه
ثلاثون رجلاً من الموالي ، فبعث فيه المغيرة معقل بن قيس الرياحي فقتله بسواد
الكوفة سنة اثنتين وأربعين .

ذكر استعمال المغيرة بن شعبة على الكوفة

وفيهما استعمل معاويةُ عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة ، فاتاه المغيرة
ابن شعبة فقال له : استعملت عبد الله على الكوفة وأباه على مصر فتكون أميراً
بين نأبئ الأسد . فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة . وبلغ عمراً ما قال
المغيرة ، فدخل على معاوية فقال : استعملت المغيرة على الحراج فينتال المال
ولا تستطيع أن تأخذه منه ، استعمل على الحراج رجلاً يخافك ويتقبك¹ . فعزله
عن الحراج واستعمله على الصلاة .

ولما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري ، وكان يُكثر

1) Om. C. P. ; R. وينيك .

سبَّ عليَّ على منبر الرِّيِّ ، وبقي عليها إلى أن وليَّ زياد الكوفة ، فأقره عليها ،
 وغزا الديلمَ ومعه عبد الله بن الحجاج التغلبي ، وقتل ديلمياً وأخذ سلبه ،
 فأخذه منه كثير ، فناشده الله في رده عليه فلم يفعل ، فاختمني له وضربه على
 وجهه بالسيف أو بعصاً هشم وجهه ، فقال :

مَنْ مَبْلَغُ أَفْنَاءِ خِنْدِفِ أَنْتِي أدركتُ طائفتي من ابنِ شهابِ
 أدركته ليلاً بعقوةِ دارِهِ فضرَبتهُ قُدُماً على الأنيابِ
 هلاً خشيتَ وأنتَ عادياً ظالمٌ بقصورِ أبهرَ أسرتي وعقابي²

ذكر ولاية بُسر على البصرة

في هذه السنة وليَّ بُسر بن أبي أرطاة البصرة .

وكان السبب في ذلك أن الحسن لما صالح معاوية أول سنة إحدى وأربعين
 وثب حُمُران بن أبان على البصرة فأخذها وغلب عليها ، فبعث إليه معاوية بُسرَ
 ابن أبي أرطاة وأمره بقتل بني زياد بن أبيه ، وكان زياد على فارس قد أرسله
 إليها عليَّ بن أبي طالب ، فلما قدم بُسر البصرة خطب على منبرها وشتم عليّاً
 ثم قال : نشدتُ الله رجلاً يعلم أنني صادق إلا صدقني أو كاذب إلا كذبتني .
 فقال أبو بكر : اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً . قال : فأمر به فخنق . فقام
 أبو لؤلؤة الضبِّي فرمى بنفسه عليه فمنعه . وأقطعهُ أبو بكر مائة جريب ، وقيل
 لأبي بكر : ما حملك على ذلك ؟ فقال : يناشدنا بالله ثم لا نصدقه ؟
 وأرسل معاوية إلى زياد : إن في يدك مالاً من مال الله فادِّ ما عندك منه .

1) قال C. P. ; R. .

2) وصحابي C. P. .

فكتب إليه زياد : إنه لم يبقَ عندي شيء ، ولقد صرفت ما كان عندي في وجهه ، واستودعتُ بعضه لنازلة إن نزلتُ ، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمة الله عليه . فكتب إليه معاوية : أن أقبلُ ننظر فيما وليتَ فإن استقام بيننا أمر وإلا رجعتَ إلى مأمرك . فامتنع ، فأخذ يُسّرُ أولاد زياد الأكبر ، منهم : عبد الرحمن وعبيد الله وعبّاد ، وكتب إلى زياد : لتقدمنّ علي أمير المؤمنين أو لأقتلنّ بنيك . فكتب إليه زياد : لستُ بارحاً من مكاني حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك ، وإن قتلتَ ولديّ فالمصير إلى الله ومن وراثتنا الحسابُ ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾¹ . فأراد يُسّرُ قتلهم فأتاه أبو بكره فقال : قد أخذتَ ولد أخِي بلا ذنب ، وقد صالح الحسنُ معاويةَ علي ما أصاب أصحابُ عليّ حيث كانوا ، فليس [لك] عليهم ولا عليّ أبيهم سبيل . وأجله أيتاماً حتى يأتيه بكتاب معاوية ، فركب أبو بكره إلى معاوية ، وهو بالكوفة . فلما أتاه قال له : يا معاوية إنّ الناس لم يُعطوك بيعتهم علي قتل الأطفال ! قال : وما ذاك يا أبا بكره ؟ قال : يُسّرُ يريد قتل بني أخِي زياد . فكتب له بتخليتهم . فأخذ كتابه إلى بُسْر بالكفّ عن أولاد زياد ، وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد ، وقد أخرج بُسْر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم ، واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون أبا بكره إذ رُفِع لهم على نجيب أو برذون يكده² ، فوقف عليه ونزل عنه والأحاثوبه وكبّر وكبّر الناس معه ، فأقبل يسعى على رجلَيْه فأدرك بُسْرأ قبل أن يقتلهم ، فدفع إليه كتاب معاوية ، فأطلقهم .

وقد كان معاوية كتب إلى زياد حين قُتل عليّ يتهدّده ، فقام خطيباً فقال : العجبُ من ابن آكلة الأكباد ، وكهف النفاق ، ورئيس الأحزاب يتهدّدني ،

1) Corani 26, vs. 227.

2) S.

وبيني وبينه ابناً عمّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يعني ابن عباس والحسن بن عليّ ، في سبعين ألفاً واضعي سيوفهم على عواتقهم ! أما والله لئن خلص إليّ ليجدنيّ أحمرّ ضرباً^٢ بالسيف . فلما صالح الحسن معاويةً وقدم معاوية الكوفة تحصّن زياد في القلعة التي يقال لها قلعة زياد .

• قول من قال في هذا : إن زياداً عنى ابن عباس ، وهم لأن ابن عباس فارق عليّاً في حياته^١ .

وقيل : إن معاوية أرسل هذا إلى زياد في حياة عليّ ، فقال زياد هذه المقالة وعنى بها عليّاً . وكتب زياد إلى عليّ يُخبره بما كتب إليه معاوية ، فأجابه بما هو مشهور ، • وقد ذكرناه في استلحاق معاوية زياداً^٢ .

(كلُّ ما في هذا الخبر بسُرّ فهو بضمّ الباء الموحدة والسين المهملة الساكنة) .

ذكر ولاية ابن عامر البصرة لمعاوية

ثمّ أراد معاوية أن يولّي عتبة بن أبي سفيان البصرة ، فكلّمه ابن عامر وقال له : إن لي بالبصرة ودائع وأموالاً ، فإن لم تواتني عليها ذهبت . فولاه البصرة . فقدمها في آخر سنة إحدى وأربعين ، وجعل إليه خراسان وسجستان ، فجعل على شرطته حبيب بن شهاب ، وعلى القضاء عميرة بن يربني أخا عمرو ، وقد تقدّم في وقعة الجمل أن عميرة قُتل فيها ، وقيل عمرو هو المقتول ، • والله سبحانه أعلم بالصواب^٣ .

1) Om. C. P.

2) Om. S.

3) Om. S.

١ ابن .

٢ أحمر ضرباً . (والأحمر : الشديد) .

ذکر ولایة قیس بن الہیثم خراسان

وفي هذه السنة استعمل ابن عامر قيس بن الهيثم السلمي على خراسان، وكان أهل باذغيس وهرارة وبوشنج قد نكثوا، فسار إلى بلخ فأخرب نوبهارها، كان الذي تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بني ليث، وهو الحُشك¹، وإنما سُمي عطاء الحُشك لأنه أول من دخل مدينة هرة من المسلمين من باب خُشك، واتخذ قناطر على ثلاثة أنهار من بلخ على فرسخ فقيل قناطر عطاء.

ثم إن أهل بلخ سألوا الصلح ومراجعة الطاعة فصالحهم قيس. وقيل: إنما صالحهم الربيع بن زياد سنة إحدى وخمسين، وسيرد ذكره. ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وحبسه واستعمل عبد الله بن خازم، فأرسل إليه أهل هرة وباذغيس وبوشنج يطلبون الأمان والصلح، فصالحهم وحمل إلى ابن عامر مالا.

(عبد الله بن خازم بالخاء المعجمة) .

ذکر خروج سہم بن غالب

وفي هذه السنة خرج سهم بن غالب الهجيمي على ابن عامر في سبعين رجلاً، منهم الخطيم الباهلي، وهو يزيد بن مالك، وإنما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه، فنزلوا بين الجسرين والبصرة، فمرّ بهم عبادة بن فرّص² اللبي من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه، فقال لهم الخوارج: من أنتم؟ قالوا:

1) الحسك أو حك C. P.

2) فرض R.

قوم مسلمون . قالوا : كذبتُم . قال عبادة : سبحان الله ! اقبلوا منا ما قبل رسول
 الله ، صلتى الله عليه وسلم ، مني ، فإنني كذبتُهُ وقاتلتُهُ ثم أتيتُهُ فأسلمتُ
 فقبل ذلك مني . قالوا : أنت كافر ، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه . فخرج إليهم
 ابن عامر بنفسه وقاتلهم فقتل منهم عدة وانحاز بقيتهم إلى أجمّة وفيهم ستهم
 والحطيم ، فعرض عليهم ابن عامر الأمان فقبلوه ، فأمنهم ، فرجعوا ، فكتب
 إليه معاوية يأمر بقتلهم ، فكتب إليه ابن عامر : إنني قد جعلتُ لهم ذمتك .
 فلما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب ستهم والحطيم فخرجوا
 إلى الأهواز ، فاجتمع إلى سهم جماعة فأقبل بهم إلى البصرة ، فأخذ قوماً¹ ،
 فقالوا : نحن يهود ، فخلّاهم ، وقتل سعداً مولى قدامة بن مظعون ، فلما وصل
 إلى البصرة تفرّق عنه أصحابه ، فاخفى ستهم ، وقيل : إنهم تفرّقوا عند
 استخفائه ، فطلب الأمان وظنّ أنه يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر ،
 فلم يؤمنه زياد ، وبحث عنه ، فدُلّ عليه ، فأخذه وقتله وصلبه في داره .
 وقيل : لم يزل مستخفياً إلى أن مات زياد فأخذه عبيد الله بن زياد فصلبه سنة
 أربع وخمسين ، وقيل : قبل ذلك ؛ فقال رجل من الخوارج :
 فإن تكن الأحزاب باؤوا بصلبه فلا يُبعدن الله ستهم بن غالب
 وأما الحطيم فإنه سأله زياد عن قتله عبادة فأنكره فسيّره إلى البحرين ثم
 أعاده بعد ذلك .

1) فلقني جماعة C. P.

ذكر عدة حوادث

قيل : وفي هذه السنة وُلد عليّ بن عبد الله بن عباس ، وقيل : وُلد سنة أربعين قبل أن يُقتل عليّ ، والأوّل أصحّ ، وباسم عليّ سمّاه ، وقال : سمّيته باسم أحبّ الناس إليّ .

وحجّ بالناس هذه السنة عُتْبَةَ بن أبي سفيان ، وقيل : عُنْبَسَةَ بن أبي سفيان .

وفي هذه السنة استعمل عمرو بن العاص عُقْبَةَ بن نافع بن عبد قيس ، وهو ابن خالة عمرو ، على إفريقية ، فأنتهى إلى لُواتة ومزاتة ، فأطاعوا ثمّ كفروا¹ ، فغزاهم من سنته ، فقتل وسبى ، ثمّ افتتح في سنة اثنتين وأربعين غُدَامِيسَ ، فقتل وسبى ، وفتح في سنة ثلاث وأربعين كُوراً من كور السودان ، وافتتح وِدَّانَ ، وهي من برقة ، وافتتح عامة بلاد بربر ، وهو الذي اختطّ القيروان سنة خمسين ، وسيُذكر إن شاء الله تعالى .

وفيهما مات لبيد بن ربيعة الشاعر ، وقيل : مات يوم دخل معاوية الكوفة وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة ، وقيل : مات في خلافة عثمان ، وله صحبة ، وترك الشعر مذ أسلم² .

1) نكتوا C. P.

2) S.

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين

في هذه السنة غزا المسلمون اللاتين وغزوا الروم أيضاً فهزموهم هزيمةً منكراً وقتلوا جماعتهم من بطارتهم .

وفيها وُلد الحجاج بن يوسف في قول .

وفيها ولّى معاوية مروان بن الحكم المدينة ، وولّى خالد بن العاص بن هشام مكة ، فاستقضى مروان عبد الله بن الحارث بن نوفل .

وكان على الكوفة المغيرة بن شعبه وعلى قضائها شريح ، وعلى خراسان قيس بن الهيثم استعمله ابن عامر ، وقيل : استعمله معاوية لما استقامت له الأمور ، فلما ولي ابن عامر البصرة أقره عليها .

ذكر الخبر عن تحرك الخوارج

وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا انحازوا عمن قُتل في النهر ومن كان ارتث من جراحته في النهر فبرأوا وعفا عليّ عنهم ، وكان سبب خروجهم أن حيان² بن ظبيان السلمي كان خارجياً وكان قد ارتث يوم النهر ، فلما برأ لحق بالري في رجال معه ، فأقاموا بها حتى بلغهم مقتل عليّ ،

1) S.

2) ضابي C. P.

فدعا أصحابه ، وكانوا بضعة عشر . أحدهم سالم بن ربيعة العبسي . فأعلمهم بقتل علي . فقال سالم : لا شئتُ يمين علتُ قذالهُ بالسيف ! وحمدوا الله على قتله . رضي الله عنه ولا رضي عنهم . ثم إنَّ سالماً رجع عن رأي الخوارج بعد ذلك وصلاح ، ودعاهم حيّان إلى الخروج ومقابلة أهل القبلة ، فأقبلوا إلى الكوفة فأقاموا بها حتى قدمها معاوية ، واستعمل على الكوفة المنيرة بن شعبة . فأحب العافية وأحسن السيرة ، وكان يؤتى فيقال له : إنَّ فلاناً يرى رأي الشيعة وفلاناً يرى رأي الخوارج . فيقول : قضى الله أن لا يزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده . فأمنه الناس .

وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهر ، فاجتمعوا على ثلاثة نفر : علي المستورد بن علفنة التيمي من تيم الرباب . وعلى معاذ بن جوين الطائي وهو ابن عم زيد بن حصين^١ الذي قُتل يوم النهروان . وعلى حيّان بن ظبيان السلمي . واجتمعوا في أربعمائة فتشاوروا فيمن يولّون عليهم ، فكلّهم دفع الإمارة عن نفسه ، ثم اتفقوا فوثقوا المستورد وبايعوه . وذلك في جمادى الآخرة . واتعدوا للخروج واستعدوا . وكان خروجهم غرة شعبان سنة ثلاث وأربعين .

(علفنة بضم العين المهملة . وتشديد اللام المكسورة^١ . وفتح الفاء) .

١) حصن . S .

١ (ضبط علفنة في سائر المراجع بفتح اللام المشددة) .

ذكر قلوب زياد على معاوية

وفي هذه السنة قدم زياد على معاوية [من فارس] .

وكان سبب ذلك أن زياداً كان قد استودع ماله عبد الرحمن بن أبي بكره ، وكان عبد الرحمن يلي ماله بالبصرة ، وبلغ معاوية ذلك فبعث المغيرة بن شعبه لينظر في أموال زياد ، فأخذ عبد الرحمن فقال له : إن كان أبوك قد أساء إليّ لقد أحسن عمك ، يعني زياداً . وكتب إلى معاوية : إنني لم أجد في يد عبد الرحمن مالاً يحلّ لي أخذه . فكتب إليه معاوية : أن عذّب عبد الرحمن ، فأراد أن يُعذر ، وبلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن : احتفظ بما في يديك . وألقى على وجهه حريرة ونضحها بالماء ، فغشي عليه ، ففعل ذلك ثلاث مرّات ثمّ خلاه وكتب إلى معاوية : إنني عذّبتك فلم أصبْ عنده شيئاً . وحفظ لزياد يده عنده . ثمّ دخل المغيرة على معاوية ، فقال معاوية حين رآه :

إنما موضعُ بئرِ المرءِ إنْ
باحَ بالسّرِّ أخوهُ المُتّصحُ
فإذا بُحنتَ بِسِرِّ فإلى ناصحٍ يَسْتَرُهُ أوْ لا تَبْحُ

فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين إن تستودعني تستودع ناصحاً مشفقاً ، وما ذلك ؟ قال له معاوية : ذكرتُ زياداً واعتصامه بفارس فلم أنمّ ليالي . فقال المغيرة : ما زياد هناك ؟ فقال معاوية : داهية العرب معه أموال فارس يدبرها الخيل ، ما يؤمني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت ، فإذا هو قد أعاد [عليّ] الحرب جندعة ، فقال المغيرة : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه ؟ قال :

1) R. add. سلم .

نعم ، فأتاه وتلطّف له .

فأتاه المغيرة وقال له : إن معاوية استخفته الوجله حتى بعثني إليك ولم يكن أحد يمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن وقد بايع ، فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغي معاوية عنك . قال : أشير عليّ . وارم الغرض الأقصى¹ : فإن المستشار مؤتمن . فقال له المغيرة : ه أرى أن تصل جملك بجبله وتشخص إليه ويقضي الله . وكتب إليه معاوية بأمانه بعد عود المغيرة عنه² . فخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المنجاب بن راشد الضبّي وحرثة بن بدر الغداني .

وسرح عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم في جماعة إلى فارس وقال : لعلك تلقى زياداً في طريقك فتأخذه . فسار بن خازم ، فلقى زياداً بأرجان ، فأخذ بعنانه وقال : انزل يا زياد . فقال له المنجاب³ : تنح يا ابن السوداء وإلا علقّت يدك بالعنان . وكانت بينهم منازعة . فقال له زياد : قد أتاني كتاب معاوية وأمانه . فتركه ابن خازم ، وقدم زياد على معاوية ، وسأله عن أموال فارس ، فأخبره بما حمل منها إلى عليّ وبما أنفق منها في الوجوه التي تحتاج إلى النفقة وما بقي عنده وأنه مؤدع للمسلمين . فصدقه معاوية فيما أنفق وفيما بقي عنده وقبضه منه .

وقيل : إن زياداً لما قال لمعاوية قد بقيت بقية من المال وقد أودعتها ، مكث معاوية يردده . فكتب زياد كتباً إلى قوم ه أودعهم المال وقال لهم⁴ : قد علمتم ما لي عندكم من الأمانة فتدبروا كتاب الله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾⁵ الآية ؛ فاحتفظوا بما قبلكم . وسمى في الكتب المال الذي أقرّ به لمعاوية ، وأمر رسوله أن يتعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية . ففعل رسوله ، وانتشر ذلك ، فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب :

1) Om. C. P.

2) Pro his C. P. تقدم عليه .

3) C. P et R. زياد .

4) C. P.

5) Corani 33, vs. 72.

اخفاف أن تكون مكترت بي فصالحني على ما شئت . فصالحه على شيء وحمله إليه ، وبلغه : ألف ألف درهم ، واستأذنه في نزول الكوفة ، فأذن له ، فكان المغيرة يكرمه ويُعظّمه . فكتب معاوية إلى المغيرة ليلزم زياداً وحجراً بن عديّ وسليمان بن صرد وشبث بن ربعي وابن الكوا بن الحميم بالصلاة في الجماعة ، فكانوا يحضرون معه الصلاة . وإنما ألزمهم بذلك لأنهم كانوا من شيعة علي¹ .

ذكر عدة حوادث

وحجّ هذه السنة بالناس عنبة بن أبي سفيان .

وفيهما مات حبيب بن مسلمة الفهري بأرمينية ، وكان أميراً لمعاوية عليها ، وكان قد شهد معه حروبه كلها . وفيها مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدريّ ، له صحبة . وفيها مات ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ، وهو الذي صارع النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ وصفوان بن أمية بن خلف الجُمَحيّ ، وله صحبة . وفيها مات هانيء بن نيار بن عمرو الأنصاريّ ، وهو خال البراء بن عازب ، وقيل : سنة خمس وأربعين² ، وكان بدياً عقبيّاً .

(نيار بكسر النون ، وفتح الباء تحتها نقطتان ، وآخره راء) .

1) S.

2) Om. C. P.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

في هذه السنة غزا بُسر بن أبي أرطاة الروم وشتا بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية فيما زعم الواقدي ، وأنكر ذلك قوم من أهل الأخبار وقالوا : لم يشتُ بٌسر بأرض الروم قط .

• وفيها مات عمرو بن العاص بمصر يوم الفِطر ، وكان عمل عليها لعمر أربع سنين ، ولعثمان أربع سنين إلا شهرين ، ولعاوية سنتين إلا شهراً .

وفيها ولّى معاويةُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص مصرَ فولياها نحواً من سنتين¹ . وفيها مات محمد بن مسلمة بالمدينة في صفر ، وصلى عليه مروان بن الحكم ، وعمره سبع وسبعون سنة² .

ذكر مقتل المُستورد الحارِجيّ

وفيها قُتل المُستورد بن عُلَفة التيميّ تيم الرُّباب ، وقد ذكر سنة اثنتين وأربعين : تحرك الحوارج وبيعتهم له . ومخاطبته بأمر المؤمنين³ .

فلما كان هذه السنة أخبر المغيرة بن شعبه بأنهم اجتمعوا في منزل حيان ابن ظبيان السلمي واتعدوا للخروج غرة شعبان ، فأرسل المغيرة صاحب شرطته ،

1) In C. P. et R. hæc in ultimo anni capite, in compendium redacta, occurrunt.

2) Hæc etiam in C. P. et R. in ultimo anni capite leguntur.

3) S.

وهو قبيصة بن الدّامون¹ ، فأحاط بدار حيّان هو ومنّ معه ، وإذا عنده
مُعاذ بن جُوَيْن ونحو عشرين رجلاً ، وثارت امرأته ، وهي أم ولد كانت
له كارهة ، فأخذت سيوفهم فألقتهما تحت الفراش ، وقاموا ليأخذوا سيوفهم
فلم يجدوها فاستسلموا ، فانطلق بهم إلى المغيرة فحبسهم بعد أن قرّره فلم
يعترفوا بشيء ، وذكروا أنهم اجتمعوا لقراءة القرآن ، ولم يزالوا في السجن
نحو سنة ، وسمع إخوانهم فحذروا ، وخرج صاحبهم المستورد فتزل الحيرة ،
واختلفت الحوارج إليه ، فرآهم حجّار بن أبجر ، فسأله أن يكتم عليهم
ليلتهم تلك ، فقال لهم : سأكتم عليكم الدهر ، فخافوه أن يذكر حالهم
للمغيرة ، فتحوّلوا إلى دار سُلَيْم بن مَحْدُوج العبدي ، وكان صِهراً للمستورد ،
ولم يذكر حجّار من أخبارهم شيئاً .

وبلغ المغيرة خبرهم وأنهم عازمون على الخروج تلك الأيام ، فقام في الناس
فحمد الله ثمّ قال : لقد علمت أنّي لم أزل أحبّ لجماعتهم العافية وأكفّ عنكم
الأذى ، وخشيتُ أن يكون ذلك أدب سوء لسفهاثكم ، وقد خشيتُ أن
لا نجد بدءاً من أن يؤخذ الحليمُ التقيّ بذنب الجاهل السفية ، فكفّوا عنها
سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم ، وقد بلغنا أنّ رجلاً يريدون أن
يظهروا في مصر بالشقاق والنفاق² والخلاف ، وإيم الله لا يخرجون في حيّ من
أحياء العرب إلاّ أهلكتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم !

فقام إليه معقل بن قيس³ الرياحي فقال : أيها الأمير أعلمنا بهؤلاء القوم ،
فإن كانوا منّا كفيناكهم ، وإن كانوا غيرنا أمرت أهل الطاعة فأتاك كل
قبيلة بسفهاثهم . فقال : ما سمّي لي أحد باسمه . فقال معقل : أنا أكفيك

1) R. الدينور .

2) C. P.

3) C. P. يسار .

١ . وقد خشيتُ من أن لا نجد بدءاً من أن لا يأخذ .

قومي فليكنك كلّ رئيس قومه . فأحضر المغيرة الرؤساء وقال لهم : ليكنني كلّ رجل منكم قومه وإلاّ فوالله لأتحولنّ عما تعرفون إلى ما تنكرون ، وعمّا تحبّون إلى ما تكرهون .

فرجعوا إلى قومهم فناشدوهم الله والإسلام إلاّ دلوهم على كلّ من يريد أن يبيع الفتنة ، وجاء صعصعة بن صوحان إلى عبد القيس ، وكان قد علم بمنزل حيّان في دار سُلَيْم ، ولكنه كره أن يؤخذ من عشيرته على فراقه لأهل الشام وبغضه لرأيهم ، وكره مساءة أهل بيت من قومه¹ ، فقام فيهم فقال : أيّها الناس ، إنّ الله ، وله الحمد ، لما قسم الفضل خصّكم بأحسن القسم فأجبتم إلى دين الله الذي اختاره لنفسه وارتضاه للملائكة ورسله ، ثمّ أقمتم حتى قبض اللهُ رسوله ، صلّى الله عليه وسلّم ، ثمّ اختلف الناس بعده فثبت طائفة وارتدّت طائفة وأدهنت طائفة وتربّصت طائفة ، فلزمت دين الله إيماناً به وبرسوله وقاتلت المرتدّين حتى قام الدين وأهلك الله الظالمين ، ولم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً حتى اختلفت الأمة بينها فقالت طائفة : نريد طلحة والزبير وعائشة ، وقالت طائفة : نريد أهل المغرب ، وقالت طائفة : نريد عبد الله بن وهب الراسبي ، وقلم أنتم : لا نريد إلاّ أهل بيت نبينا الذين ابتدأنا الله ، عزّ وجلّ ، من قبلهم بالكرامة¹ تسديداً من الله ، عزّ وجلّ ، لكم وتوفيقاً ، قلم تزالوا على الحقّ لازمين له آخذين به حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هديكم² الناكثين يوم الحمل ، والمارقين يوم النهر ؛ وسكت عن ذكر أهل الشام لأنّ السلطان لهم ؛ فلا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم من هذه المارقة الحاطة الذين فارقوا إمامنا واستحلّوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر ، فإياكم أن تؤووهم في دوركم أو

1) Om. C. P.

2) R. رأيكم .

تكتموا عليهم شيئاً ، فإنه لا ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى هذه المارقة منكم ، وقد ذُكر لي أن بعضهم في جانب من الحي ، وأنا باحث عن ذلك ، فإن يكُ حقاً تقرّبتُ إلى الله بدمائهم ، فإنّ دماءهم حلال !

وقال : يا معشر عبد القيس إنّ وُلّاتنا هؤلاء أعرف شيء بكم وبرأيكم ، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً ، فإنّهم أسرع شيء إليكم وإلى مثلكم . ثمّ جلس وكلّ قوم قال : لعنهم الله وبريء منهم ، لا نُؤويهم ، ولئن علمنا بمكانهم لنُظلمنك عليهم ، غير سلّيم بن محذوج فإنه لم يقل شيئاً ورجع كثيراً بكره أن يُخرج أصحابه من داره فيلوموه ، ويكره أن يؤخذوا في داره فيهلكوا ويهلك معهم .

وجاء أصحاب المستورد إليه فأعلموه بما قام به المغيرة في الناس وبما قام به رؤوسهم فيهم . فسأل ابن محذوج عما قام به صعصعة في عبد القيس فأخبره ، وقال : كرهتُ أن أعلمكم فتظنّوا أنه ثقل عليّ مكانكم . فقال له : قد أكرمتُ المثنى وأحسنت ، ونحن مرتحلون عنك .

وبلغ الخبر الذين في محبس المغيرة من الخوارج فقال معاذ بن جُوَيْن بن حصين² في ذلك :

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| ألا أيها الشارون قد حان لامرئ | شرى نفسه لله أن يشرححلا |
| أقمم بدار الحاطين جهالة | وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا |
| فشدوا على القوم العداة فإنما | أقامتكم للذبح رأياً مضللاً |
| ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التي | إذا ذكرتُ كانت أبرّ وأعدلا |
| فيا ليتني فيكم على ظهر سابح | شديد القصيرى دارعاً غير أعزلا |
| ويا ليتني فيكم أعادي عدوكم | فيسقيني كأس المنية أولاً |

1) R. أوداً .

2) S. حصن .

يعزّ عليّ أن تُخافوا وتُظردوا ولما أُجردُ في المُحلين مُنصلاً
ولما يُفرّقُ جمعهم كلُّ ماجدٍ إذا قلتَ قد ولّيت وأدبرَ أقبلاً
مُشبحاً بنصل السيف في حمس الوغى يرى الصبرَ في بعضِ المواطن أمثلاً
وعزّ عليّ أن تُصابوا وتُنقصوا وأصبحَ ذا بثٍّ أسيراً مُكبلاً
ولو أنّي فيكم وقد قصّدتوا لكم أثرتُ إذا¹ بين الفريقين قسّطلاً
فيا ربّ جمعٍ قد فللتُ وغارةٍ شهدتُ وقيرنٍ قد تركتُ مُجدلاً²

وأرسل المستورد إلى أصحابه فقال لهم : اخرجوا من هذه القبيلة ، واتعدوا³
سوراء . فخرجوا إليها متقطعين ، فاجتمعوا بها ثلاثمائة رجل وساروا إلى الصّراة⁴ ،
فسمع المغيرة بن شعبة خبرهم فدعا رؤساء الناس فاستشارهم فيمن يرسله إليهم ،
فقال له عدي بن حاتم : كلنا لهم عدو ولرأيهم مبعوض وبطاعتك متمسك ،
فأبنا شئت سار إليهم . وقال له معقل بن قيس⁵ : إنك لا تبعث إليهم أحداً ممن
ترى حولك إلا رأيتَه سامعاً مطيعاً ولهم مفارقاً ولهلاكهم محبباً ، ولا أرى أن
تبعث إليهم أحداً من الناس أعدى لهم مني ، فابعثني إليهم ، فأنا أكفيكم بإذن
الله تعالى . فقال : اخرج على اسم الله ! فجهّز معه ثلاثة آلاف . وقال المغيرة
لصاحب شرطته : الصق بمعقل شيعة عليّ فإنه كان من رؤساء أصحابه ، فإذا
اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض وهم أشدّ استحلالاً للدماء هذه المارقة وأجرأ
عليهم من غيرهم ، فقد قاتلوهم قبل هذه المرّة . وقال له صعصعة بن صوحان
نحواً من قول معقل . فقال له المغيرة : اجلس فإنّما أنت خطيب . فأحفظه ذلك .

1) R. et C. P. لنا . 2) C. P. quatuor ultimos versus om. 3) C. P. واقصدوا .
4) C. P. المغيرة . 5) C. P. يسار .

وإنما قال له ذلك لأنه بلغه أنه يعيب عثمان بن عفان ويكثر ذكر عليّ ويفضّله ، وكان المغيرة دعاه وقال له : إيتاك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان ، وإيتاك أن يبلغني أنك تُظهر شيئاً من فضل عليّ ، فأنا أعلم بذلك منك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس فنحن ندع شيئاً كثيراً مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدءاً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا ، فإن كنتَ ذا كراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك في منازلكم سرّاً ، وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا . فكان يقول له : نعم ، ثمّ يبلغه عنه أنه فعل ذلك ، فحقد عليه المغيرة فأجابه بهذا الجواب ، فقال له صعصعة : وما أنا إلاّ خطيب فقط ! قال : أجل . فقال : والله إنني للخطيب الصليب الرئيس ، أما والله لو شهدتني يوم الحمل حيث اختلفت القنا فشؤون تُفري وهامة تُختلي لعلتَ أني اللَّيْثُ النَّهْدُ¹ . فقال : حسبك لعمرى لقد أوتيتَ لساناً فصيحاً .

وخرج معقل ومعه ثلاثة آلاف فارس نُقابة الشيعة وسار إلى سورا ولحقه أصحابه .

وأما الخوارج فإنهم ساروا إلى بَهْرَسِير² وأرادوا العبورَ إلى³ المدينة العتيقة التي فيها منازل كسرى ، فمنعهم سماك بن عُبيد الأزدي العسبيّ ، وكان عاملاً عليها ، فكتب إليه المستورد يدعوهُ إلى البراءة من عثمان وعليّ وأن يتولاه وأصحابه . فقال سماك : بشرِ الشيخ أنا إذا ! وأعاد الجواب على المستورد يدعوهُ إلى الجماعة وأن يأخذهُ له الأمان ، فلم يجب وأقام بالمدائن ثلاثة أيام ، ثمّ بلغه مسير معقل إليهم فجمعهم المستورد وقال لهم : إنّ المغيرة قد بعث إليكم معقل بن قيس وهو من السبئية⁴ المفترين الكاذبين ، فأشيروا عليّ برأيكم . فقال

1) Om. S.

2) C. P. بهرشير R. ; نهرشير .

3) C. P. add. الكوفة و .

4) C. P. et R. يأخذوا .

بعضهم : خرجنا نريد الله والجهاد وقد جاؤونا فأين نذهب بل نقيم حتى يحكم الله بيننا . وقال بعضهم : بل نتحتى ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء . فقال لهم : لا أرى أن نقيم حتى يأتونا وهم مستريحون ، بل أرى أن نسير بين أيديهم فيخرجوا في طلبنا فينقطعوا ويتبددوا فنلقاهم على تلك الحال .

فساروا فعبروا بجزرايا ومضوا إلى أرض جُوخي ثم بلغوا المذار¹ فأقاموا بها .

وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فسأل كيف صنع المغيرة فأخبر بفعله ، فاستدعى شريك بن الأعور الحارثي ، وكان من شيعة علي ، فقال له : اخرج إلى هذه المارقة . ففعل . وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس من الشيعة ، وكان أكثرهم من ربيعة ، وسار بهم إلى المذار¹ .

وأما معقل بن قيس فسار إلى المدائن حتى بلغها ، فبلغه رحيلهم فشق ذلك على الناس ، فقال لهم معقل : إنهم ساروا لتبعوهم وتتبددوا وتنقطعوا فتلحقوهم وقد تعبتم ، وإنه لا يصيبكم شيء من ذلك إلا وقد أصابهم مثل ذلك . وسار في آثارهم وقدم بين يديه أبا الرواغ الشاكري² في ثلاثمائة فارس ، فتبعهم أبو الرواغ حتى لحقهم بالمذار¹ ، فاستشار أصحابه في قتالهم قبل قدوم معقل ، فقال بعضهم : لا تفعل ، وقال بعضهم : بل نقاتلهم . فقال لهم : إن معقلاً أمرني أن لا أقاتلهم . فقالوا له : ينبغي أن تكون قريباً منه حتى يأتي معقل ، وكان ذلك عند المساء . فباتوا يتحارسون حتى أصبحوا ، فلما ارتفع النهار خرجت الحوارج إليهم ، وكانوا أيضاً ثلاثمائة ، وحملوا عليهم ، فانهزم أصحاب أبي الرواغ ساعة ثم صاح بهم أبو الرواغ : الكثرة الكثرة ! وحمل ومعه أصحابه ، فلما دنوا من الحوارج عادوا منهزمين ، إلا أنهم لم يقتل منهم أحد ، فصاح بهم

1) R. المداين .

2) C. P. الشكري .

أبو الرواغ أيضاً : ثكلتكم أمهاتكم ! ارجعوا بنا نكن قريبا منهم لا نفارقهم حتى يقدم علينا أميرنا ، وما أقبح بنا أن نرجع إلى الجيش¹ منهزمين من عدونا² ! فقال له بعض أصحابه : إن الله لا يستحي من الحق ، قد والله هزمونا . فقال له : لا أكثر الله فينا مثلك ، إننا ما لم نفارق المعركة فلم نُهزم ، ومتى عطفنا عليهم وكنا قريبا منهم فنحن على حال حسنة ، فقفوا قريبا منهم فإن أتوكم وعجزتم عنهم فتأخروا قليلا ، فإذا حملوا عليكم وعجزتم عن قتالهم فأنحازوا على حامية ، فإذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم وكونوا قريبا منهم ، فإن الجيش يأتيكم عن ساعة .

فجعلت الخوارج كلما حملت عليهم انحازوا عنهم ، فإذا عاد الخوارج رجع أبو الرواغ في آثارهم ، فلم يزالوا كذلك إلى وقت الظهر ، فترل الطائفتان يصلون³ ثم أقاموا إلى العصر ، وكان أهل القرى والسيارة قد أخبروا معقلا⁴ بالتقاء الخوارج وأصحابه ، وأن الخوارج تطرد أصحابه بين أيديهم ، فإذا رجعوا عاد أصحابه خلفهم . فقال معقل : إن كان ظني في أبي الرواغ صادقا لا يأتيكم منهزما أبدا . ثم أسرع السير في سبعمائة من أهل القوة واستخلف محرز بن شهاب التميمي على ضعفة الناس ، فلما أشرفوا على أبي الرواغ قال لأصحابه : هذه غيرة فتقدموا بنا إلى عدونا حتى لا يرانا أصحابنا ، إننا ننحينا عنهم وهبناهم . فتقدم حتى وقف مقابل الخوارج ولحقهم معقل ، فلما دنا منهم غربت الشمس فصلت بأصحابه وصلى أبو الرواغ بأصحابه وصلى الخوارج أيضاً ، وقال أبو الرواغ لمعقل : إن لهم شدات منكرات⁵ فلا تليها⁵ بنفسك ولكن قف وراء الناس تكون رداء لهم . فقال : نعم ما رأيت . فبينا هو يخاطبه حملت الخوارج عليهم فانهزم عامة أصحاب معقل وثبت

1) C. P. الحصن .

2) C. P. et S. عدتنا .

3) C. P. يقتلون .

4) R. شدة منكرة .

5) R. تلقها .

ذكر ولاية قيس بن الهيثم خراسان

وفي هذه السنة استعمل ابن عامر قيس بن الهيثم السلمي على خراسان، وكان أهل باذغيس وهرارة وبوشنج قد نكثوا، فسار إلى بلخ فأخرب نوبهارها، كان الذي تولّى ذلك عطاء بن السائب مولى بني ليث، وهو الخشك¹، وإنما سُمّي عطاء الخشك لأنه أول من دخل مدينة هراة من المسلمين من باب خشك، واتخذ قناطر على ثلاثة أنهار من بلخ على فرسخ فقيل قناطر عطاء.

ثم إن أهل بلخ سألوا الصلح ومراجعة الطاعة فصالحهم قيس. وقيل: إنما صالحهم الربيع بن زياد سنة إحدى وخمسين، وسيرد ذكره. ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وحبسه واستعمل عبد الله بن خازم، فأرسل إليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج يطلبون الأمان والصلح، فصالحهم وحمل إلى ابن عامر مالا.

(عبد الله بن خازم بالخاء المعجمة) .

ذكر خروج سَهْم بن غالب

وفي هذه السنة خرج سَهْم بن غالب الهُجَيْمِيّ على ابن عامر في سبعين رجلاً، منهم الخطيم الباهلي، وهو يزيد بن مالك، وإنما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه، فنزلوا بين الجسرين والبصرة، فمرّ بهم عبادة بن فرّص² الليثي من الغزو ومعه ابنة وابن أخيه، فقال لهم الخوارج: من أنتم؟ قالوا:

1) الحسك أو حك C. P.

2) فرض R.

قوم مسلمون . قالوا : كذبتم . قال عبادة : سبحان الله ! اقبلوا منا ما قبل رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم ، مني ، فإنني كذبتُهُ وقاتلتهُ ثم أتيتُهُ فأسلمتُ
فقبل ذلك مني . قالوا : أنت كافر ، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه . فخرج إليهم
ابن عامر بنفسه وقاتلهم فقتل منهم عدّة وانحاز بقيّتهم إلى أجمة وفيهم سَهْم
والخطيم ، فعرض عليهم ابن عامر الأمان فقبلوه ، فأمنهم ، فرجعوا ، فكتب
إليه معاوية يأمر بقتلهم ، فكتب إليه ابن عامر : إنني قد جعلتُ لهم ذمتك .
فلما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب سَهْم والخطيم فخرجا
إلى الأهواز ، فاجتمع إلى سهم جماعة فأقبل بهم إلى البصرة ، فأخذ قوماً¹ ،
فقالوا : نحن يهود ، فخلّاهم ، وقتل سعداً مولى قدامة بن مظعون ، فلما وصل
إلى البصرة تفرّق عنه أصحابه ، فاخفى سَهْم ، وقيل : إنهم تفرّقوا عند
استخفائه ، فطلب الأمان وظنّ أنّه يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر ،
فلم يؤمنه زياد ، وبحث عنه ، فدُلّ عليه ، فأخذه وقتله وصلبه في داره .
وقيل : لم يزل مستخفياً إلى أن مات زياد فأخذه عبيد الله بن زياد فصلبه سنة
أربع وخمسين ، وقيل : قبل ذلك ؛ فقال رجل من الخوارج :
فإن تكن الأحزابُ باؤوا بصائبهِ فلا يُبعدنَ اللهُ سَهْمَ بنِ غالبِ
وأما الخطيم فإنه سأله زياد عن قتله عبادة فأنكره فسيّره إلى البحرين ثمّ
أعاده بعد ذلك .

1) فلقني جماعة C. P.

ذكر عدة حوادث

قيل : وفي هذه السنة وُلد عليّ بن عبد الله بن عباس ، وقيل : وُلد سنة أربعين قبل أن يُقتل عليّ ، والأوّل أصحّ ، وباسم عليّ سمّاه ، وقال : سمّيته باسم أحبّ الناس إليّ .

وحجّ بالناس هذه السنة عُتْبَةَ بن أبي سفيان ، وقيل : عَنبَسَةَ بن أبي سفيان .

وفي هذه السنة استعمل عمرو بن العاص عُقْبَةَ بن نافع بن عبد قيس ، وهو ابن خالة عمرو ، على إفريقية ، فانتهى إلى لُواتة ومزاتة ، فأطاعوا ثمّ كفروا¹ ، فغزاهم من سنته ، فقتل وسبى ، ثمّ افتتح في سنة اثنتين وأربعين غُدَامِيسَ ، فقتل وسبى ، وفتح في سنة ثلاث وأربعين كُوراً من كور السودان ، وافتتح وِدَّانَ ، وهي من برقة ، وافتتح عامة بلاد بربر ، وهو الذي اختطّ القيروان سنة خمسين ، وسيُذكر إن شاء الله تعالى .

وفيهما مات لبيد بن ربيعة الشاعر ، وقيل : مات يوم دخل معاوية الكوفة وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة ، وقيل : مات في خلافة عثمان ، وله صحبة ، وترك الشعر مذ أسلم² .

1) نكثوا C. P.

2) S.

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين

في هذه السنة غزا المسلمون اللآن وغزوا الروم أيضاً فهزموهم هزيمةً منكراً وقتلوا جماعتهم من بطارقتهم .

وفيها وُلد الحجاج بن يوسف في قول .

وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم المدينة ، وولى خالد بن العاص بن هشام مكة ، فاستقضى مروان عبد الله بن الحارث بن نوفل .

وكان على الكوفة المغيرة بن شعبه وعلى قضائها شريح ، وعلى خراسان قيس بن الهيثم استعمله ابن عامر ، وقيل : استعمله معاوية لما استقامت له الأمور ، فلما ولي ابن عامر البصرة أقره عليها¹ .

ذكر الخبر عن تحرك الخوارج

وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا انحازوا عمن قُتل في النهر ومن كان ارتث من جراحته في النهر فبرأوا وعفا عليّ عنهم ، وكان سبب خروجهم أن حيان² بن ظبيان السلمي كان خارجياً وكان قد ارتث يوم النهر ، فلما برأ لحق بالري في رجال معه ، فأقاموا بها حتى بلغهم مقتل عليّ ،

1) S.

2) ضابي C. P.

فدعا أصحابه ، وكانوا بضعة عشر . أحدهم سالم بن ربيعة نسيبي . فأعلمهم
بقتل علي . فقال سالم : لا شئتُ بين عليّ وقاتلهُ بالسيف ، وحمدوا الله على
قتله . رضي الله عنه ولا رضي عنهم . ثم إنَّ سالمًا رجع من رأي خوارج بعد
ذلك واصلح ، ودعاهم حيّان إلى الخروج ومقاتلة أهل قبة . فأقبلوا إلى الكوفة
فأقاموا بها حتى قلعها معاوية . واستعمل على الكوفة المعيرة بن سَعْبَةَ . فأحبَّ
العافية وأحسن أسيرة . وكان يؤتَى فيقال له : إنَّ فلاناً يرى رأي شيعة وفلاناً
يرى رأي الخوارج . فيقول : قضى الله أن لا يزالوا مختلفين وسيحكم الله بين
عباده . فأمنه الناس .

وكانت الخوارج ينقئ بعضهم بعضاً ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهر .
فاجتمعوا على ثلاثة نفر : على المُسْتَوْرِد بن عُلْفَةَ نسيبي من تيم الرِّباب .
وعلى مُعَاذ بن جُوَيْر الطائفي وهو ابن عم زيد بن حُصَيْن الذي قُتل يوم النهروان .
وعلى حَيَّان بن ظَبْيَانَ السُّلَمي . واجتمعوا في أربعين فتشاوروا فيمن يولون
عليهم . فكلّهم دفع الإمارة عن نفسه ، ثم اتفقوا فوَّضوا سُتُورِد وباربعوه .
وذلك في جمادى الآخرة . واتَّعدوا للخروج واستعدَّوا . وكان خروجهم غرة
شعبان سنة ثلاث وأربعين .

(عُلْفَةَ بضمّ العين المهملة . وتشديد اللام المكسورة ١ . وفتح الناء) .

١) S. ح .

١ (ضبط عُلْفَةَ في سائر المراجع بفتح اللام المشددة) .

ذكر قدوم زياد على معاوية

وفي هذه السنة قدم زياد على معاوية [من فارس] .

وكان سبب ذلك أن زياداً كان قد استودع ماله عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان عبد الرحمن يلي ماله بالبصرة، وبلغ معاوية ذلك فبعث المغيرة بن شعبه لينظر في أموال زياد، فأخذ عبد الرحمن فقال له: إن كان أبوك قد أساء إليّ لقد أحسن عمك، يعني زياداً. وكتب إلى معاوية: إنني لم أجد في يد عبد الرحمن مالاً يحلّ لي أخذه. فكتب إليه معاوية: أن عذّب عبد الرحمن، فأراد أن يُعذر، وبلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن: احتفظ بما في يدك. وألقى على وجهه حريرة ونضحها بالماء، فغشي عليه، ففعل ذلك ثلاث مرات ثمّ خلاه وكتب إلى معاوية: إنني عذّبتَه فلم أصبْ عنده شيئاً. وحفظ لزياد يده عنده. ثمّ دخل المغيرةُ على معاوية، فقال معاوية حين رآه:

إنما موضعُ سِرِّ المرءِ إنْ باحَ بالسِّرِّ أخوهُ المُتَّصِحُّ
فإذا بُحِتْ بِسِرِّ فإلى ناصحٍ يَسْتَرُهُ أوْ لا تَبْحُ

فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين إن تستودعني تستودع ناصحاً مشفقاً، وما ذلك؟ قال له معاوية: ذكرتُ زياداً واعتصامه بفارس فلم أتمّ ليّتي. فقال المغيرة: ما زياد هناك؟ فقال معاوية: داهية العرب معه أموال فارس يدبراً الخيل، ما يؤمني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت، فإذا هو قد أعاد [عليّ] الحرب جندعة، فقال المغيرة: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه؟ قال:

1) R. add. سلم .

نعم ، فَأْتِه وتَلَطَّفْ له .

فأتاه المغيرة وقال له : إن معاوية استخفّه الوجله حتى بعثني إليك ولم يكن أحد يمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن وقد بايع ، فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغي معاوية عنك . قال : أشير عليّ . وارم الغرض الأقصى¹ : فإن المستشار مؤتمن . فقال له المغيرة : . أرى أن تصل جملك بحبله وتشخص إليه ويقضي الله . وكتب إليه معاوية بأمانه بعد عود المغيرة عنه² . فخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المنجاب بن راشد الضبّي وحارثة بن بدر الغُدائيّ .

وسرح عبدُ الله بن عامر عبدَ الله بن خازم في جماعة إلى فارس وقال : لعلك تلقى زياداً في طريقك فتأخذه . فسار بن خازم ، فلقى زياداً بأرجان ، فأخذ بعنانه وقال : انزل يا زياد . فقال له المنجاب³ : تنح يا ابن السوداء وإلاّ علقتُ يدك بالعنان . وكانت بينهم منازعة . فقال له زياد : قد أتاني كتاب معاوية وأمانه . فتركه ابن خازم ، وقدم زياد على معاوية ، وسأله عن أموال فارس ، فأخبره بما حمل منها إلى عليّ وبما أنفق منها في الوجوه التي تحتاج إلى النفقة وما بقي عنده وأنه مُودعٌ للمسلمين ، فصدقه معاوية فيما أنفق وفيما بقي عنده وقبضه منه .

وقيل : إن زياداً لما قال لمعاوية قد بقيت بقيّة من المال وقد أودعتها : مكث معاوية يردده . فكتب زياد كتباً إلى قوم . أودعهم المال وقال لهم⁴ : قد علمتم ما لي عندكم من الأمانة فتدبّروا كتاب الله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾⁵ الآية ؛ فاحتفظوا بما قبيلكم . وسمي في الكتب المال الذي أقرّ به لمعاوية ، وأمر رسوله أن يتعرّض لبعض من يُبلغ ذلك معاوية . ففعل رسوله ، وانتشر ذلك ، فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب .

1) Om. C. P.

2) Pro his C. P. تقدم عليه .

3) C. P et R. زياد .

4) C. P.

5) Corani 33, vs. 72.

اخاف أن تكون مكّرت بي فصالحني على ما شئت . فصالحه على شيء وحمله إليه ، وبلغه : ألف ألف درهم ، واستأذنه في نزول الكوفة ، فأذن له ، فكان المغيرة يكرمه ويُعظّمه . فكتب معاوية إلى المغيرة ليلزم زياداً وحُجْر بن عديّ وسليمان بن صُرْد وشبّث بن رِبْعِيّ وابن الكوّا بن الحَمِيق بالصلاة في الجماعة ، فكانوا يحضرون معه الصلاة . • وإنما ألزمهم بذلك لأنّهم كانوا من شيعة عليّ¹ .

ذكر عدة حوادث

وحجّ هذه السنة بالناس عنبة بن أبي سفيان .
وفيهما مات حبيب بن مسلمة الفهري بأرمينية ، وكان أميراً لمعاوية عليها ، وكان قد شهد معه حروبه كلّها . وفيها مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدريّ ، له صحبة . وفيها مات رُكّانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ، وهو الذي صارع النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وصَفْوَان بن أمية بن خلف الجُمَحِيّ ، وله صحبة . وفيها مات هانيء بن نيار بن عمرو الأنصاريّ ، وهو خال البراء بن عازب ، • وقيل : سنة خمس وأربعين² ، وكان بدّاً عَقَبِيّاً .

(نيار بكسر النون ، وفتح الياء تحتها نقطتان ، وآخره راء) .

1) S.

2) Om. C. P.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

في هذه السنة غزا بُسْر بن أبي أرطاة الروم وشتا بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية فيما زعم الواقدي ، وأنكر ذلك قوم من أهل الأخبار وقالوا : لم يشتُ بُسْر بأرض الروم قط .

• وفيها مات عمرو بن العاص بمصر يوم الفِطْر ، وكان عمل عليها لعمر أربع سنين ، ولعثمان أربع سنين إلا شهرين ، ولعاوية ستين إلا شهراً .

وفيها ولّى معاويةُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص مصرَ فولبها نحواً من ستين¹ .
وفيها مات محمد بن مسلمة بالمدينة في صفر ، وصلى عليه مروان بن الحكم ، وعمره سبع وسبعون سنة² .

ذكر مقتل المُستورد الخارجي

وفيها قُتل المُستورد بن عُلْفَة التيميّ تيم الرّباب ، وقد ذكر سنة اثنتين وأربعين : تحرك الخوارج وبيعنهم له • ومخاطبته بأمر المؤمنين³ .

فلما كان هذه السنة أخبر المغيرة بن شُعْبة بأنهم اجتمعوا في منزل حَيَّان ابن ظَبْيَان السُّلَميّ واتعدوا للخروج غرة شعبان ، فأرسل المغيرة صاحب شرطته ،

1) In C. P. et R. hæc in ultimo anni capite, in compendium redacta, occurrunt.

2) Hæc etiam in C. P. et R. in ultimo anni capite leguntur.

3) S.

وهو قبيصة بن الدّمون¹ ، فأحاط بدار حيّان هو ومنّ معه ، وإذا عنده
مُعاذ بن جُوَيْن ونحو عشرين رجلاً ، وثارت امرأته ، وهي أم ولد كانت
له كارهة ، فأخذت سيوفهم فألقتهما تحت الفراش ، وقاموا ليأخذوا سيوفهم
فلم يجدوها فاستسلموا ، فانطلق بهم إلى المغيرة فحبسهم بعد أن قرّره فلم
يعترفوا بشيء ، وذكروا أنهم اجتمعوا لقراءة القرآن ، ولم يزالوا في السجن
نحو سنة ، وسمع إخوانهم فحذروا ، وخرج صاحبهم المستورد فنزل الحيرة ،
واختلفت الحوارج إليه ، فرآهم حجّار بن أبجر ، فسألوه أن يكتم عليهم
ليلتهم تلك ، فقال لهم : سأكتم عليكم الدهر ، فخافوه أن يذكر حالهم
للمغيرة ، فتحولوا إلى دار سُلَيْم بن مَحْدُوج العبديّ ، وكان صِهراً للمستورد ،
ولم يذكر حجّار من أخبارهم شيئاً .

وبلغ المغيرة خبرهم وأنهم عازمون على الخروج تلك الأيام ، فقام في الناس
فحمد الله ثمّ قال : لقد علمت أنّي لم أزل أحبّ لجماعتهم العافية وأكفّ عنكم
الأذى ، وخشيتُ أن يكون ذلك أدب سوء لسفهاكم ، وقد خشيتُ أن
لا نجد بدءاً من أن يؤخذ الحليمُ التقيّ بذنب الجاهل السفية ، فكفّوا عنها
سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم ، وقد بلغنا أنّ رجلاً يريدون أن
يظهروا في مصر بالشقاق والنفاق² والخلاف ، وإيم الله لا يخرجون في حيّ من
أحياء العرب إلاّ أهلكتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم !

فقام إليه معقل بن قيس³ الرياحي فقال : أيّها الأمير أعلمنا بهؤلاء القوم ،
فإن كانوا منّا كفيناكهم ، وإن كانوا غيرنا أمرت أهل الطاعة فأتاك كلّ
قبيلة بسفهاهم . فقال : ما سمّي لي أحد باسمه . فقال معقل : أنا أكفيك

1) الدينور R .

2) C. P.

3) C. P. يسار .

١ . وقد خشيتُ من أن لا نجد بدءاً من أن لا يأخذ .

قومي فليكيفك كلّ رئيس قومه . فأحضر المغيرة الرؤساء وقال لهم : ليكفي كلّ رجل منكم قومه وإلاّ فوالله لأتحوّلنّ عمّا تعرفون إلى ما تنكرون ، وعمّا تحبّون إلى ما تكرهون .

فرجعوا إلى قومهم فناشدوهم الله والإسلام إلاّ دلّوهم على كلّ منّ يريد أن يهيج الفتنة ، وجاء صعصعة بن صوحان إلى عبد القيس ، وكان قد علم بمنزل حبان في دار سلّيم ، ولكنه كره أن يؤخذ من عشيرته على فراقه لأهل الشام وبغضه لرأيهم ، وكره مساءة أهل بيت من قومه¹ ، فقام فيهم فقال : أيّها الناس ، إنّ الله ، وله الحمد ، لما قسم الفضل خصّكم بأحسن القسم فأجبتهم إلى دين الله الذي اختاره لنفسه وارتضاه لملائكته ورسله ، ثمّ أقمت حتى قبض اللهُ رسوله ، صلّى الله عليه وسلّم ، ثمّ اختلف الناس بعده فثبتت طائفة وارتدّت طائفة وأدهنت طائفة وتربّصت طائفة ، فلزمت دين الله إيماناً به وبرسوله وقاتلت المرتدّين حتى قام الدين وأهلك الله الظالمين ، ولم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً حتى اختلفت الأمة بينها فقالت طائفة : نريد طلحة والزبير وعائشة ، وقالت طائفة : نريد أهل المغرب ، وقالت طائفة : نريد عبد الله بن وهب الراسبي ، وقلتم أنتم : لا نريد إلاّ أهل بيت نبينا الذين ابتدأنا الله ، عزّ وجلّ ، من قبلهم بالكرامة¹ تسديداً من الله ، عزّ وجلّ ، لكم وتوفيقاً ، فلم تزالوا على الحقّ لازمين له آخذين به حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هديكم² الناكثين يوم الحمل ، والمارقين يوم النهر ؛ وسكت عن ذكر أهل الشام لأنّ السلطان لهم ؛ فلا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم من هذه المارقة الحاطئة الذين فارقوا إمامنا واستحلّوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر ، فإياكم أن تؤوؤوهم في دوركم أو

1) Om. C. P.

2) رأيكم R.

تكنموا عليهم شيئاً ، فإنه لا ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى¹ لهذه المارقة منكم ، وقد ذكر لي أن بعضهم في جانب من الحي ، وأنا باحث عن ذلك ، فإن يك حقاً تقربت إلى الله بدمائهم ، فإن دماءهم حلال !

وقال : يا معشر عبد القيس إن ولاتنا هؤلاء أعرف شيء بكم وبرأيكم ، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً ، فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى مثلكم . ثم جلس وكل قوم قال : لعنهم الله وبريء منهم ، لا نؤويهم ، ولئن علمنا بمكانهم لنطلعنك عليهم ، غير سليم بن محدود فإنه لم يقل شيئاً ورجع كئيباً يكره أن يُخرج أصحابه من داره فيلوموه ، ويكره أن يؤخذوا في داره فيهلكوا ويهلك معهم .

وجاء أصحاب المستورد إليه فأعلموه بما قام به المغيرة في الناس وبما قام به رؤوسهم فيهم . فسأل ابن محدود عما قام به صعصعة في عبد القيس فأخبره ، وقال : كرهت أن أعلمكم فتظنوا أنه ثقل علي مكانكم . فقال له : قد أكرمت المثنى وأحسننت ، ونحن مرتحلون عنك .

وبلغ الخبر الذين في محبس المغيرة من الخوارج فقال معاذ بن جويين بن حصين² في ذلك :

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| ألا أيها الشارون قد حان لامرئ | شرى نفسه لله أن يشرححلا |
| أقمتم بدار الخاطئين جهالة | وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا |
| فشدوا على القوم العداة وإنما | أقامتكم للذبح رأياً مفضللا |
| ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التي | إذا ذكرت كانت أبر وأعدلا |
| فيا لبيتي فيكم على ظهر سابع | شديد القصيرى دارعاً غير أعزلا |
| ويا لبيتي فيكم أعادي عدوكم | فيسقيني كأس المنية أولاً |

1) R. أوداً .

2) S. حصن .

يعزّ عليّ أن تُخافوا وتُظردوا
ولما يُفرّق جمعهم كلُّ ماجدٍ
مُشيحاً بنصل السيف في حمس الوغى
وعزّ عليّ أن تُصابوا وتُنقصوا
ولو أنّي فيكم وقد قصّدتوا لكم
فيا ربّ جمعٍ قد فللتُ وغارةٍ
ولما أُجرّد في المُحلّين مُنصلاً¹
إذا قلتَ قد ولّتي وأدبّرتَ أقبلاً
يرى الصبرَ في بعضِ المواطن أمثلاً
وأصبحَ ذا بثٍّ أسيراً مُكبّلاً
أثرتُ إذا² بين الفريقين قسطنلاً
شهدتُ وقيرنٍ قد تركتُ مُجدلاً²

وأرسل المستورد إلى أصحابه فقال لهم : اخرجوا من هذه القبيلة ، واتعدوا³
سوراء . فخرجوا إليها متقطّعين ، فاجتمعوا بها ثلاثمائة رجل وساروا إلى الصّراة⁴ ،
فسمع المغيرة بن شعبة خبرهم فدعا رؤساء الناس فاستشارهم فيمن يرسله إليهم ،
فقال له عديّ بن حاتم : كلنا لهم عدوّ ولرأيهم مبغض وبطاعتك مستمسك ،
فأبنا شئت سار إليهم . وقال له معقل بن قيس⁵ : إنك لا تبعث إليهم أحداً ممّن
ترى حولك إلا رأيتَه سامعاً مطيعاً ولهم مفارقاً ولهلاكهم محبباً ، ولا أرى أن
تبعث إليهم أحداً من الناس أعدى لهم مني ، فابعثني إليهم ، فأنا أكفيكمهم بإذن
الله تعالى . فقال : اخرج على اسم الله ! فجهز معه ثلاثة آلاف . وقال المغيرة
لصاحب شرطته : الصق بمعقل شيعة عليّ فإنه كان من رؤساء أصحابه ، فإذا
اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض وهم أشدّ استحلالاً للدماء هذه المارقة وأجرأ
عليهم من غيرهم ، فقد قاتلوهم قبل هذه المرّة . وقال له صعصعة بن صوحان
نحواً من قول معقل . فقال له المغيرة : اجلس فإنّما أنت خطيب . فأحفظه ذلك .

1) R. et C. P. لنا .

2) C. P. quatuor ultimos versus om.

3) C. P. واقصدوا .

4) C. P. المغيرة .

5) C. P. يسار .

وإنما قال له ذلك لأنه بلغه أنه يعيب عثمان بن عفان ويكثر ذكر عليّ ويفضله ، وكان المغيرة دعاه وقال له : إيتاك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان ، وإيتاك أن يبلغني أنك تُظهر شيئاً من فضل عليّ ، فأنا أعلم بذلك منك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس فنحن نَدَع شيئاً كثيراً مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدءاً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا ، فإن كنتَ ذا كراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك في منازلكم سرّاً ، وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا . فكان يقول له : نعم ، ثم يبلغه عنه أنه فعل ذلك ، فحقد عليه المغيرة فأجابه بهذا الجواب ، فقال له صعصعة : وما أنا إلا خطيب فقط ! قال : أجل . فقال : والله إنني للخطيب الصليب الرئيس ، أما والله لو شهدتني يوم الحمل حيث اختلفت القنا فشؤون تُفري وهامة تُختلي لعلت أني لأبئ النهد¹ . فقال : حسبك لعمرى لقد أوتيت لساناً فصيحاً .

وخرج معقل ومعه ثلاثة آلاف فارس نقادة الشيعة وسار إلى سورا ولحقه أصحابه .

وأما الخوارج فإنهم ساروا إلى بهر سير² وأرادوا العبور إلى³ المدينة العتيقة التي فيها منازل كسرى ، فمنعهم سماك بن عبيد الأزدي العبسي ، وكان عاملاً عليها ، فكتب إليه المستورد يدعوهُ إلى البراءة من عثمان وعليّ وأن يتولاه وأصحابه . فقال سماك : بشر الشيخ أنا إذا ! وأعاد الجواب على المستورد يدعوهُ إلى الجماعة وأن يأخذه له الأمان ، فلم يجب وأقام بالمدائن ثلاثة أيام ، ثم بلغه مسير معقل إليهم فجمعهم المستورد وقال لهم : إن المغيرة قد بعث إليكم معقل بن قيس وهو من السبئية⁴ المقرين الكاذبين ، فأشيروا عليّ برأيكم . فقال

1) Om. S.

2) C. P. بهرشير ; R. نهرشير .

3) C. P. add. الكوفة و .

4) C. P. et R. يأخذوا .

بعضهم : خرجنا نريد الله والجهاد وقد جاؤونا فأين نذهب بل نقيم حتى يحكم الله بيننا . وقال بعضهم : بل نتنحى ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء . فقال لهم : لا أرى أن نقيم حتى يأتونا وهم مستريحون ، بل أرى أن نسير بين أيديهم فيخرجوا في طلبنا فينقطعوا ويتبددوا فنلقاهم على تلك الحال .

فساروا فعبروا بجرجرايا ومضوا إلى أرض جوخي ثم بلغوا المذار¹ فأقاموا بها .

وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فسأل كيف صنع المغيرة فأخبر بفعله ، فاستدعى شريك بن الأعور الحارثي ، وكان من شيعة علي ، فقال له : اخرج إلى هذه المارقة . ففعل . وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس من الشيعة ، وكان أكثرهم من ربيعة ، وسار بهم إلى المذار¹ .

وأما معقل بن قيس فسار إلى المدائن حتى بلغها ، فبلغه رحيلهم فشق ذلك على الناس ، فقال لهم معقل : إنهم ساروا لتبعوهم وتتبددوا وتنقطعوا فتلحقوهم وقد تعبتم ، وإنه لا يصيبكم شيء من ذلك إلا وقد أصابهم مثل ذلك . وسار في آثارهم وقدم بين يديه أبا الرواغ الشاكري² في ثلاثمائة فارس ، فتبعهم أبو الرواغ حتى لحقهم بالمذار¹ ، فاستشار أصحابه في قتالهم قبل قدوم معقل ، فقال بعضهم : لا تفعل ، وقال بعضهم : بل نقاتلهم . فقال لهم : إن معقلاً أمرني أن لا أقاتلهم . فقالوا له : ينبغي أن تكون قريباً منه حتى يأتي معقل ، وكان ذلك عند المساء . فباتوا يتحارسون حتى أصبحوا ، فلما ارتفع النهار خرجت الخوارج إليهم ، وكانوا أيضاً ثلاثمائة ، وحملوا عليهم ، فانهزم أصحاب أبي الرواغ ساعة ثم صاح بهم أبو الرواغ : الكرة الكرة ! وحمل ومعه أصحابه ، فلما دنوا من الخوارج عادوا منهزمين ، إلا أنهم لم يقتل منهم أحد ، فصاح بهم

1) المدائن R .

2) الشاكري C. P .

أبو الرواغ أيضاً : ثكلتكم أمهاتكم ! ارجعوا بنا نكن قريبا منهم لا نفارقهم حتى يقدم علينا أميرنا ، وما أقبح بنا أن نرجع إلى الجيش¹ منهزمين من عدونا² ! فقال له بعض أصحابه : إن الله لا يستحي من الحق ، قد والله هزمونا . فقال له : لا أكثر الله فينا مثلك ، إننا ما لم نفارق المعركة فلم نُهزم ، ومتى عطفنا عليهم وكنا قريبا منهم فنحن على حال حسنة ، فقفوا قريبا منهم فإن أتوكم وعجزتم عنهم فتأخروا قليلا ، فإذا حملوا عليكم وعجزتم عن قتالهم فأنحازوا على حامية ، فإذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم وكونوا قريبا منهم ، فإن الجيش يأتكم عن ساعة .

فجعلت الخوارج كلما حملت عليهم انحازوا عنهم ، فإذا عاد الخوارج رجع أبو الرواغ في آثارهم ، فلم يزالوا كذلك إلى وقت الظهر ، فنزل الطائفتان يصلون³ ثم أقاموا إلى العصر ، وكان أهل القرى والسيارة قد أخبروا معقلا⁴ باللقاء الخوارج وأصحابه ، وأن الخوارج تطرد أصحابه بين أيديهم ، فإذا رجعوا عاد أصحابه خلفهم . فقال معقل : إن كان ظني في أبي الرواغ صادقا لا يأتكم منهزما أبدا . ثم أسرع السير في سبعمائة من أهل القوة واستخلف محرز بن شهاب التميمي على ضعفة الناس ، فلما أشرفوا على أبي الرواغ قال لأصحابه : هذه غيرة فتقدموا بنا إلى عدونا حتى لا يرانا أصحابنا ، إننا نتحينا عنهم وهبناهم . فتقدم حتى وقف مقابل الخوارج ولحقهم معقل ، فلما دنا منهم غربت الشمس فصلت بأصحابه وصلت أبو الرواغ بأصحابه وصلت الخوارج أيضاً ، وقال أبو الرواغ لمعقل : إن لهم شدات منكرات⁴ فلا تليها⁵ بنفسك ولكن قف وراء الناس تكون رداء لهم . فقال : نعم ما رأيت . فيينا هو يخاطبه حملت الخوارج عليهم فانهزم عامة أصحاب معقل وثبت

1) C. P. الحصن .

2) C. P. et S. عدتنا .

3) C. P. يقتلون .

4) R. شدة منكرة .

5) R. تليها .

هو ، فنزل إلى الأرض ومعه أبو الرواغ في نحو مائتي رجل ، فلما غشيهـم
المستورد استقبلوه بالرماح والسيوف ، فانهزمت خيل معقل ساعةً ، ثم ناداهم
مسكين بن عامر ، وكان شجاعاً : أين الفرار وقد نزل أميركم ، ألا تستحيون ؟
ثم رجع ورجعت معه خيل عظيمة ومعقل بن قيس يقاتل الخوارج بمن معه ،
فلم يزل يقاتلهم حتى ردهم إلى البيوت ، ثم لم يلبثوا إلا قليلاً حتى جاءهم
مُحرز بن شهاب فيمن معه ، فجعلهم معقل ميمنةً وميسرة وقال لهم : لا تبرحوا
حتى تصبحوا ونثور إليهم .

ووقف الناس بعضهم مقابل بعض ، فبينما هم متواقفون أتى الخوارج عينٌ
لهم فأخبرهم أن شريك بن الأعور قد أقبل إليهم من البصرة في ثلاثة آلاف .
فقال المستورد لأصحابه : لا أرى أن نقيم لهؤلاء جميعاً ، ولكني أرى أن نرجع
إلى الوجه الذي جئنا منه ، فإن أهل البصرة لا يتبعوننا إلى أرض الكوفة فيهن
علينا قتال أهل الكوفة . ثم أمرهم بالنزول ليريحوا دوابهم ساعةً ، ففعلوا ،
ثم دخلوا القرية وأخذوا منها من دلتهم على الطريق الذي أقبلوا منه وعادوا
راجعين .

وأما معقل فإنه بعث من يأتيه بنجرهم حين لم ير سوادهم ، فعاد إليه بالخبير
أنهم قد ساروا ، فخاف أن تكون مكيدة وخاف البيات فاحتاط هو وأصحابه
وتحارسوا إلى الصباح ، فلما أصبحوا أتاهم من أخبرهم بمسيرهم ، وجاء شريك
ابن الأعور فيمن معه فلقى معقلاً فتساءل ساعةً وأخبره معقل بنجرهم ، فدعا
شريك أصحابه إلى المسير مع معقل ، فلم يجيبوه ، فاعتذر إلى معقل بخلاف
أصحابه ، وكان صديقاً له يجمعهما رأي الشيعة ، ودعا معقل أبا الرواغ
وأمره باتباعهم ، فقال له : زدني مثل الذين كانوا معي ليكون أقوى لي إن
أرادوا مناجزتي . فبعث معه ستمائة فارس ، فساروا سراعاً حتى أدركوا الخوارج

1) Om. S. .

بجرايا وقد نزلوا فتزل بهم أبو الرواغ مع طلوع الشمس ، فلما رأوهم قالوا : إن قتال هؤلاء أيسر من قتال مَنْ يأتي بعدهم ، فحملوا على أبي الرواغ وأصحابه حملة صادقة ، فانهزم أصحابه وثبت في مائة¹ فارس ، فقاتلهم طويلاً وهو يقول :

إنّ الفتي كلّ الفتي [مَنْ] لم يُهَلَّ² إذا الجبانُ حاد عن وقع الأسلِ
قد علمتُ أنّي إذا البأسُ نزلُ أروغُ يوم الهيج³ مِقْدَامُ بطلُ

ثمّ عطف أصحابه من كلّ جانب فصدقوهم القتال حتى أعادوهم إلى مكانهم ، فلما رأى المستورد ذلك علم أنهم إن أتاهم معقل ومَنْ معه هلكوا ، فمضى هو وأصحابه فعبروا دجلة ووقفوا في أرض بَهْرَسِير⁴ وتبعهم أبو الرواغ حتى نزل بهم بساباط ، فلما نزل بهم قال المستورد لأصحابه : إن هؤلاء هم حُماة أصحاب معقل وفرسانه ، ولو علمت أنّي أسبقهم إليه بساعة لسرتُ إليه فواقعتُهُ . ثمّ أمر مَنْ يسأل عن معقل ، فسألوا بعض مَنْ على الطريق فأخبروهم أنه نزل دَيْلَمَايَا وبينهم ثلاثة فراسخ ، فلما أخبر المستورد ذلك ركب وركب أصحابه وأقبل حتى انتهى إلى جسر ساباط ، وهو جسر نهر ملك ، وهو من جانبه الذي يلي الكوفة ، وأبو الرواغ من جانب المدائن ، فقطع المستورد الجسر ، ولما رأهم أبو الرواغ قد ركبوا عبى أصحابه واعتزل إلى صحراء بين المدائن وساباط ليكون القتال بها ووقف ينتظرهم ، فلما قطع المستورد الجسر سار إلى دَيْلَمَايَا نحو معقل ليوقع به ، فانتهى إليه وأصحابه متفرقون عنه وهو يريد الرحيل وقد تقدّم بعض أصحابه ، فلما رأهم معقل نصب رايته ونادى : يا عباد الله الأرضَ الأرضَ ! فنزل معه نحو مائتي رجل ، فحملت الخوارج

1) C. P. ثلثائة .

2) R. يمل .

3) S. الفتح .

4) Codd. exc. S. نهرشير .

عليهم فاستقبلوهم بالرماح جثاةً على الركب فلم يقدرُوا عليهم فتركوهم وعدلوا إلى خيولهم فحالوا بينهم وبينها وقطعوا أعنتها ، فذهبت في كل جانب ، ثم مالوا على المتفرقين من أصحاب معقل ففرقوا بينهم ، ثم رجعوا إلى معقل وأصحابه وهم على الركب فحملوا عليهم ، فلم يتجلجلوا ، فحملوا أخرى فلم يقدرُوا عليهم ، فقال المستورد لأصحابه : لينزل نصفكم ويبقى نصفكم على الخيل . ففعلوا واشتدّ الحال على أصحاب معقل وأشرفوا على الهلاك .

فبينما هم كذلك إذ أقبل أبو الرواغ عليهم فيمنّ معه . وكان سبب عوده إليهم أنه أقام بمكانه ينتظرهم ، فلما أبطأوا عليه أرسل من يأتيه بخبرهم ، فرأوا الجسر مقطوعاً ففرحوا ظناً منهم أن الخوارج فعلوا ذلك هيبةً لهم ، فرجعوا إلى أبي الرواغ فأخبروه أنهم لم يروهم وأن الجسر قد قطعوه هيبةً لهم . فقال لهم أبو الرواغ : لعمرى ما فعلوا هذا إلا مكيدةً ، وما أراهم إلا وقد سبقوكم إلى معقل حيث رأوا فرسان أصحابه معي ، وقد قطعوا الجسر ليشغلوكم به عن لحاقهم ، فالنجاه النجاه في الطلب .

ثم أمر أهل القرية فعقدوا الجسر وعبر عليه واتبع الخوارج ، فلقية أوائل الناس منهزمين ، فصاح بهم : إليّ إليّ ! فرجعوا إليه وأخبروه الخبر وأنهم تركوا معقلاً يقاتلهم وما يظنونهم إلا قتيلاً . فجدّ في السير وردّ معه كل من لقيه من المنهزمين ، فانتهى إلى العسكر فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون ، فحمل أبو الرواغ ومن معه على الخوارج فأزالوهم غير بعيدٍ ، ووصل أبو الرواغ إلى معقل فإذا هو متقدّم يخرّض أصحابه ، فشدّوا على الخوارج شدةً منكراً ، ونزل المستورد ومن معه من الخوارج ونزل أصحاب معقل أيضاً ثم اقتتلوا طويلاً من النهار بالسيوف أشدّ قتال .

ثم إنّ المستورد نادى معقلاً ليبرز إليه ، فبرز إليه ، فمنعه أصحابه ، فلم يقبل منهم ، وكان معه سيفه ومع المستورد رمحه ، فقال أصحاب معقل : خذ

رمحك . فأبى وأقبل على المستورد ، فطعنه المستورد برمح فخرج السنان من ظهره ،
وتقدم معقل والرمح فيه إلى المستورد فضربه بالسيف فخالط دماغه فوق
المستورد ميتاً ومات معقل أيضاً .

وكان معقل قد قال : إن قُتلتُ فأمركم عمرو بن مُحَرَّر بن شهاب التميمي .
فلما قُتل أخذ الراية عمرو ثم حمل في الناس على الحوارج فقتلوهم ولم ينج
منهم غير خمسة أو ستة .

وقال ابن الكلبي : كان المستورد من تميم ثم من بني رباح ، واحتج
بقول جرير :

ومنا في الفتیان والجُودِ معقِلٌ ومنا الذي لاقى بدجلةً معقِلاً

يعني هذه الواقعة .

ذكر عود عبد الرحمن إلى ولاية سجستان

في هذه السنة استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرّة على سجستان ،
فأتاها وعلى شرطته عبّاد بن الحصين الحَبْطِيّ ومعه من الأشراف عمرو بن
عبيد الله¹ بن معمر وغيره ، فكان يغزو البلد قد كفر أهله فيفتحه ، حتى بلغ
كابُل فحصرها شهراً ونصب عليها مجانيق فثلثت سورها ثلثة عظيمة ، فبات
عليها عبّاد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى أصبح فلم يقدرُوا على سدّها
وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوةً ، ثم سار إلى
بُست ففتحها عنوةً ، وسار إلى زران فهرب أهلها وغلب عليها ، ثم سار

1) عمر بن عبد الله R.

إلى خُشْك 1 فصالحه أهلها ، ثم أتى الرُّخَج فقاتلوه فظفر بهم وفتحها ، ثم سار إلى زابلستان ، وهي غزوة وأعمالها ، فقاتله أهلها 2 ، وقد كانوا نكثوا ، ففتحها ، وعاد إلى كابل وقد نكث أهلها ففتحها .

ذكر غزوة السند

استعمل عبدُ الله بن عامر على ثغر الهند عبدُ الله بن سَوَّار العبدي 3 ، ويقال ولاءه معاوية من قبله ، فغزا القيقان فأصاب مغنماً ، ووفد على معاوية وأهدى له خيلاً قيقانية 4 ، ورجع فغزا القيقان فاستنجدوا بالترك فقتلوه ، وفيه يقول الشاعر :

وابن سَوَّارٍ على عدائه 5 موقدُ النارِ وقتالُ الشَّغَبِ

وكان كريماً لم يوقد أحد في عسكره ناراً، فرأى ذات ليلة ناراً فقال : ما هذه ؟ قالوا : امرأة نُفَساءُ يُعْمَلُ لها الخبيص ؛ فأمر أن يُطعمَ الناس الخبيص ثلاثة أيام .

ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان

قيل : وفي هذه السنة عزل عبدُ الله بن عامر قيسَ بن الهيثم القيسي ثم السُّلَميَّ عن خراسان واستعمل عبدُ الله بن خازم .

1) S. حسد .

2) S.

3) C. P. الهندي .

4) R. خلائع قيقانية .

5) R. عدائه .

وسبب ذلك أن قيساً أبطأ بالخراج والهدية ، فقال عبد الله بن خازم لعبد الله بن عامر : ولّني خراسان أكفيكها . فكتب له عهداً ، فبلغ ذلك قيساً فخاف ابن خازم وشغبه فترك خراسان وأقبل ، فازداد ابن عامر غضباً لتضييعه الثغر ، فضربه وحبسه وبعث رجلاً من يشكر على خراسان ، وقيل : بعث أسلم بن زُرعة الكلبي ثم ابن خازم .

وقيل في عزله غير ذلك ، وهو أن ابن خازم قال لابن عامر : إنك استعملت على خراسان قيساً وهو ضعيف ، وإنّي أخافُ إن لقي حرباً أن ينهزم بالناس فتهلك خراسان وتفضح أخوالك ، يعني قيس عيلان . قال ابن عامر : فما الرأي ؟ قال : تكتب لي عهداً إن هو انصرف عن عدوّ قمتُ مقامه . فكتب له .

وجاش جماعةٌ من طخارستان فشاوره قيس فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجتمع إليه أطرافه ، فلما سار مرحلة أو اثنتين أخرج ابن خازم عهداً وقام بأمر الناس ولقي العدو فهزمهم ، وبلغ الخبر الكوفة والبصرة والشام فغضب القيسيّة وقالوا : خدع قيساً وابن عامر ! وشكوا إلى معاوية ، فاستقدمه ، فاعتذر ممّا قيل فيه ، فقال معاوية : قم غداً فاعتذر في الناس . فرجع إلى أصحابه وقال : إنّي أمرتُ بالخطبة ولستُ بصاحب كلامٍ فاجلسوا حول المنبر فإذا قلتُ فصدقوني . فقام من الغد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّما يتكلّف الخطبة إمامٌ لا يجد منها بدّاً أو أحقّ يهر من رأسه ، ولستُ بواحد منهما ، وقد علم من عرفني أنّي بصير بالفرص وثاب إليها ، وقاف عند المهالك ، أنفذ بالسريّة وأقسم بالسويّة ، أنشد الله من عرف ذلك منّي فليصدقني . فقال أصحابه : صدقت . فقال : يا أمير المؤمنين إنك فيمن نشدتُ فقل بما تعلم . فقال : صدقت .

ذکر عدّة حوادث

وحجّ هذه السنة مروانُ بن الحكم وكان على المدينة ، وكان على مكّة خالد
ابن العاص بن هشام ، وعلى الكوفة المغيرة ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر .
فيها مات عبد الله بن سلام ، وله صحبة مشهورة ، وهو من علماء أهل
الكتاب ، وشهد له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالجنة .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

في هذه السنة دخل المسلمون مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها ، وغزا بُسْر بن أبي أرطاة في البحر .

ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة

وفي هذه السنة عُزل عبد الله بن عامر عن البصرة .

وسببه أن ابن عامر كان حليماً كريماً ليلاً ، لا يأخذ على أيدي السفهاء ، وفسدت البصرة في أيامه فشكا ذلك إلى زياد ، فقال له : جرد السيف . فقال له : إنني أكره أن أصلحهم بفساد نفسي . ثم إن ابن عامر وقد وفدأ من البصرة إلى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة ، وفيهم ابن الكوّا ، واسمه عبد الله بن أبي أوفى الشكري ، فسألهم معاوية عن أهل العراق وعن أهل البصرة خاصة ، فقال ابن الكوّا : يا أمير المؤمنين ، إن أهل البصرة قد أكلهم سفهاؤهم ، وضعف عنهم سلطانهم ، وعجز ابن عامر وهضعفه . فقال له معاوية : تتكلم عن أهل البصرة وهم حضور ؟

فلما عاد أهل البصرة أبلغوا ابن عامر ، فغضب وقال : أي أهل العراق أشدّ عداوة لابن الكوّا ؟ فقيل : عبد الله بن أبي شيخ الشكري ، فولاه خراسان ، فبلغ ذلك ابن الكوّا ، فقال : إن ابن دجاجة ، يعني ابن عامر ،

قليل العلم في ، ظن أن ولاية عبد الله خراسان تسوءني ! لوددت أنه لم يبق
يشكري إلا عاذاني وأنه ولاه .

وقيل : إن الذي ولاه ابن عامر خراسان طُفَيْل بن عَوْف اليشكري .
فلما علم معاوية حال البصرة أراد عزل ابن عامر فأرسل إليه يستريبه ،
فجاء إليه ، فردّه على عمله ، فلما ودّعه قال : إنني سألك ثلاثاً فقلّ من لك .
فقال : من لك ، وأنا ابن أمّ حكيم . قال : تردّ عليّ عملي ولا تغضب .
قال : قد فعلتُ ، قال : وتهب لي مالك بعرفة . قال : قد فعلتُ . قال : وتهب
لي دورك بمكة . قال : قد فعلتُ . قال : وَصَلَّتْكَ رَحِيم . فقال ابن عامر :
يا أمير المؤمنين إنني سألك ثلاثاً فقلّ من لك . فقال : من لك ، وأنا ابن هند .
قال : تردّ عليّ مالي بعرفة . قال : قد فعلتُ . قال : ولا تحاسب لي عاملاً
ولا تتبع لي أثراً . قال : قد فعلتُ . قال : وتُنكحني ابنتك هنداً . قال : قد
فعلتُ .

ويقال : إن معاوية قال له : اختر إمّا أن أتبع أثراً وأحاسبك بما صار
إليك وأردّك ، وإمّا أن أعزلك وأسوّغك ما أصبت¹ . فاختر العزل وأن لا يسوّغه
ما أصاب ، فعزله وولّى البصرة الحارث بن عبد الله الأزدي .

ذكر استلحاق معاوية زياداً

وفي هذه السنة استلحق معاوية زياداً بن سُمَيْة ، فزعموا أن رجلاً من عبد
القيس كان مع زياد لما وفد على معاوية ، فقال لزياد : إن لابن عامر عندي يداً
فإن أذنت لي أتيته . قال : على أن تحدّثني بما يجري بينك وبينه . قال : نعم .

1) C. P. كبت .

فاذن له فاتاه ، فقال له ابن عامر : هيه هيه ! وابن سُمَيَّة يُقَبِّح آثاري ويعرّض بعُمالي ! لقد همتُ أن آتي بقَسامة^٢ من قريش • يحلفون بالله^١ أن أبا سفيان لم يرَ سُمَيَّة .

فلما رجع سأله زياد فلم يخبره ، فألح عليه حتى أخبره ، فأخبر زيادُ بذلك معاوية . فقال معاوية لحاجبه : إذا جاء ابن عامر فاضربُ وجه دابته عن أقصى الأبواب . ففعل ذلك به . فأتى ابنُ عامر يزيدَ فشكا ذلك إليه ، فركب معه حتى أدخله ، فلما نظر إليه معاويةُ قام فدخل ، فقال يزيد لابن عامر : اجلس ، فكم عسى أن تقعد^٣ في البيت عن مجلسه ! فلما أطلا خرج معاويةُ وهو يتمثل :

لنا سِباقٌ ولكم سِباقٌ قد علمتُ ذلكمُ الرفاقُ

ثمّ قعد فقال : يا ابن عامر أنت القائل في زياد ما قلت^٢ ؟ أمّا والله لقد علمتِ العربُ أنني كنتُ أعزّها في الجاهليّة وأنّ الإسلام لم يزدني إلاّ عزّاً ، وأنّي لم أتكثرُ بزياد من قلّة ولم أتعزّز به من ذلّة ، ولكن عرفتُ حقّاً له فوضعتُه موضعه . فقال : يا أمير المؤمنين نرجع إلى ما يحبّ زياد . قال : إذا نرجع إلى ما تحبّ . فخرج ابن عامر إلى زياد فرضاه .

فلما قدم زياد الكوفة قال : قد جئتكم في أمر ما طلبتُه إلاّ لكم . قالوا : ما تشاء ؟ قال : تُلحقون نسبي بمعاوية . قالوا : أمّا بشهادة الزور فلا . فأتى البصرةَ فشهدَ له رجلٌ^٤ .

1) C. P. يحامون .

2) C. P. add. قال نعم .

١ ويعرّض لعُمالي .

٢ بقاسمة .

٣ يقعد .

٤ رجال .

هذا جميع ما ذكره أبو جعفر في استلحاق معاوية نسب زياد ، ولم يذكر حقيقة الحال في ذلك ، إنما ذكر حكاية جرت بعد استلحاقه ، وأنا أذكر سبب ذلك وكيفيته ، فإنه من الأمور المشهورة الكبيرة في الإسلام لا ينبغي إهمالها .

وكان ابتداء حاله أن سُمِّيَ أمّ زياد كانت لدهقان زَنْدُورِدْ بِكَسْكَرٍ ، فمرض الدهقان ، فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الثقفي ، فعالجه فبرأ ، فوهبه سميّة ، فولدت عند الحارث أبا بكرة ، واسمه نُفَيْعٌ ، فلم يُقَرِّ به ، ثمّ ولدت نافعاً ، فلم يقَرِّ به أيضاً ، فلما نزل أبو بكرة إلى النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، حين حصر الطائف قال الحارث لنافع : أنت ولدي . وكان قد زوج سُمِّيَةَ من غلام له اسمه عُبَيْدٌ ، وهو روميّ ، فولدت له زياداً .

وكان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية إلى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولي ، وأسلم أبو مريم بعد ذلك وصحب النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو سفيان لأبي مريم : قد اشتهيتُ النساء فالتمس لي بغيّاً . فقال له : هل لك في سُمِّيَةَ ؟ فقال : هاها على طول ثدييّها وذفر بطنها . فأتاه بها ، فوقع عليها ، فعلمت بزياد ، ثمّ وضعت في السنة الأولى من الهجرة ، فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الأشعريّ لما ولي البصرة ، ثمّ إن عمر بن الخطاب استكفى زياداً أمراً فقام فيه مقاماً مرضياً ، فلما عاد إليه حضر ، وعند عمر المهاجرون والأنصار ، فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها . فقال عمرو ابن العاص : لله هذا الغلام لو كان أبوه من قریش لساق العرب بعصاه ! فقال أبو سفيان ، وهو حاضر : والله إنّي لأعرف أباه ومَن وضعه في رحم أمّه . فقال عليّ : يا أبا سفيان اسكت فإنك لتعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعاً .

فلما ولي عليّ الخلافة استعمل زياداً على فارس ، فضبطها وحمى قلاعها ، واتصل الخبر بمعاوية ، فسأه ذلك وكتب إلى زياد يتهدده ويُعرّض له بولادة

أبي سفيان إليه ، فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال : العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ، ورأس النفاق ! يخونني بقصده إيتاي وبينه ابنا عم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في المهاجرين والأنصار ؟ أمّا والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر مخشياً ضرباً بالسيف .

وبلغ ذلك علياً فكتب إليه : إني ولبيتك ما ولبيتك وأنا أراك له أهلاً ، وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس لا توجب له ميراثاً ولا تحلّ له نسباً¹ ، وإن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فاحذر² ثم احذر² ، والسلام .

فلما قُتل عليّ ، وكان من أمر زياد ومصالحته معاوية ما ذكرناه ، ووضح زياد³ مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ وضمن له عشرين ألف درهم ليقول لمعاوية : إن زياداً قد أكل فارس برّاً وبحراً وصالحك على ألفي ألف درهم ، والله ما أرى الذي يقال إلا حقاً ، فإذا قال لك : وما يقال ؟ فقل : يقال إنه ابن أبي سفيان . ففعل مصقلة ذلك ، ورأى معاوية أن يستميل زياداً ، واستصفي مودته باستلحاقه ، فاتفقا على ذلك ، وأحضر الناس وحضر من يشهد لزياد ، وكان فيمن حضر أبو مریم السلوليّ ، فقال له معاوية : بيم³ تشهد يا أبا مریم ؟ فقال : أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيّاً فقلت له : ليس عندي إلا سُميّة ، فقال : إيتني بها على قدرها ووضرها⁴ ، فأتيتها بها ، فخلا معها ثم خرجت من عنده وإن إسكتيها لتقطران منيّاً . فقال له زياد : مهلاً أبا مریم ! إنما بُعثت شاهداً ولم تُبعث شامماً .

فاستلحقه معاوية ، وكان استلحاقه أول ما رُدّت أحكام الشريعة علانيةً ، فإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قضى بالولد⁵ للفراش وللعاهر الحجر .

1) C. P. لك شيئاً .

2) C. P. et R. فاحذر ثم احذر .

3) Om. S.

4) R. وزفرها .

5) C. P. للولد .

وكتب زياد إلى عائشة : . من زياد بن أبي سفيان ، وهو يريد أن تكتب له :
إلى زياد بن أبي سفيان ، فيحتج بذلك ، فكتبت : من عائشة¹ أم المؤمنين إلى
ابنها زياد . وعظم ذلك على المسلمين عامة² وعلى بني أمية خاصة ، وجرى
• أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فأضربنا عنها .

ومن اعتر لمعاوية قال : إنما استلحق معاوية زياداً لأن أنكحة الجاهلية
كانت أنواعاً ، لا حاجة إلى ذكر جميعها ، وكان منها أن الجماعة يجامعون البغي
فإذا حملت وولدت ألحقت الولد لمن شاءت منهم فيلحقه ، فلما جاء الإسلام
حرّم هذا النكاح ، إلا أنه أقرّ كل ولد كان يُنسب إلى أب من أي نكاح كان
من أنكحتهم على نسبه ولم يفرّق بين شيء منها ، فتوهم معاوية أن ذلك جائز
له ولم يفرّق بين استلحاق في الجاهلية والإسلام ، وهذا مردود لاتفاق المسلمين
على إنكاره ولأنه لم يستلحق أحد في الإسلام مثله ليكون به حجة³ .

قيل : أراد زياد أن يحجّ بعد أن استلحقه معاوية ، فسمع أخوه أبو بكرّة ،
وكان مهاجراً له من حين خالفه في الشهادة بالزنا³ على المغيرة بن شعبة ، فلما
سمع بحجّه جاء إلى بيته وأخذ ابناً له وقال له : يا بني قل لأبيك إنني سمعت أنك
تريد الحجّ ولا بدّ من قدومك إلى المدينة ولا شك أن تطلب الاجتماع بأم حبيبة
بنت أبي سفيان زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فإن أذنت لك فأعظم به
خزيّاً مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإن منعتك فأعظم به فضيحة
في الدنيا وتكديباً لأعدائك . فترك زياد الحجّ وقال : جزاك الله خيراً فقد أبلغت
في النصح .

1) Om. C. P.

2) C. P. كافة .

3) Om. S.

4) Br. Mus. et Bodl. حرباً .

ذكر غزو المهلب السند

وفيها غزا المهلب بن أبي صفرة ثغر السند فأتى بنته¹ والأهواز ، وهما بين الملتان² وكابل ، فلقى فيه العدو وقاتله ، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعاً ، فقال المهلب : ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منا ! فحذف الخيل ، وكان أول من حذفها من المسلمين ، وفي يوم بنته يقول الأزدي :

ألم ترّ أنّ الأزديّ ليلةً بيّتوا بينة كانوا خير جيش المهلب ؟

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس في هذه السنة معاوية . وفيها عمل مروان بن الحَكَم المقصورة بالمدينة ، وهو أول من عملها بها ، وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجي . وفيها توفيت أمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم³ . وفيها قتل رفاعة العدويّ من عديّ رباب⁴ ، وهو بصريّ له صحبة³ .

1) R. بنته .

2) R. الملتان .

3) Om. S.

4) C. P. et R. بن عبد مناة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

فيها ولتّى معاويةُ الحارثَ بن عبد الله الأزديّ البصرة في أولها حين عزل ابن عامر ، وهو من أهل الشام ، فاستعمل الحارثُ على شرطته عبد الله بن عمرو الثقفي ، فبقي الحارثُ أميراً على البصرة أربعة أشهر ، ثمّ عزله وولاهها زياداً .

ذكر ولاية زياد بن أبيه البصرة

قدم زيادُ الكوفة فأقام ينتظر إمارته عليها ، فقبل ذلك للمغيرة بن شعبة ، فسار إلى معاوية فاستقاله الإمارة وطلب منه أن يُعطيه منازل بقرقيسيا ليكون بين قيس ، فخافه معاوية وقال له : لترجعن إلى عملك . فأبى ، فازداد معاويةُ تهمَةً له ، فردّه على عمله ، فعاد إلى الكوفة ليلاً وأرسل إلى زياد فأخرجه منها .

وقيل : إنّ المغيرة لم يَسرْ إلى الشام وإنما معاويةُ أرسل إلى زياد ، وهو بالكوفة ، فأمره بالمسير إلى البصرة ، فولاه البصرة وخراسان وسجستان ، ثمّ جمع له الهندَ والبحرينَ وعمّان ، فقدم البصرة آخر شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين والفسقُ ظاهر فاشٍ ، فخطبهم خطبته البتراء ، لم يحمد الله فيها ، وقيل : بل حمد الله فقال :

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله مزيداً من نعمه ، اللهم كما زدتنا نعماً فألهنا شكراً على نعمك علينا ! أمّا بعدُ فإنّ الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء

والفجر الموقد لأهله النار ، الباقي عليهم سعيها ، ما يأتي سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، فنبت¹ فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأن لم تسمعوا نبي الله ، ولم تقرأوا كتاب الله ، ولم تعلموا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول ، أتكونون كمن طرفت¹ عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه ؛ هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر ، والعدد غير قليل ، ألم تكن منكم نهاية تمنع الغوأة عن دلج الليل وغارة النهار؟ قربتم القرابة وباعدتم الدين ، تعتذرون² بغير العذر ، وتعطفون على المختلس ، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه² ، صنيع من لا يخاف عاقبة ، ولا يخشى معاداً ! ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعت السفهاء ، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرمة الإسلام ثم أطرقوا³ وراءكم كنوساً في مكانس الربيب ، حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً ! إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، لين في غير ضعف ، وشدة في غير جبرية وعنف ، وإني لأقسم بالله لأخذن الولي بالولي ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدير ، والصحيح منكم بالسقيم ، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول : انج سعد فقد هلك سعيد ، أو تستقيم لي قناتكم ، إن كذبة المنبر [بلقاء] مشهورة⁴ ، فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي ، من بيت منكم

1) R. فيشيب .

2) R. مستقيمة .

1 طرفت .

2 • الذين يعتذرون .

3 أطرقوا .

4 مشهودة .

5 فقلت .

فأنا ضامن لما ذهب له ، إيتاي ودلج الليل فإنتي لا أوتى بمدلج إلا سفكتُ
دمه ، وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم ،
وإيتاي ودعوى الجاهلية فإنتي لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعتُ لسانه .

وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً
غرقناه ، ومن حرق على قوم حرقناه ، ومن نكب بيتاً نكبت عن قلبه ، ومن
نبش قبراً دفنته فيه حياً ، فكفوا عني أيديكم وأستكم أكفف عنكم لساني
ويدي ، وإيتاي لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربتُ
عُنُقَه . وقد كانت بيني وبين أقوام إحسنٌ فجعلت ذلك دبراً أذني وتحت قدمي ،
فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان مسيئاً فليترع عن إساءته .
إنتي لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم
أهتك له سراً حتى يبُدي لي صفحته ، فإذا فعل لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم ،
وأعينوا على أفسكم ، فرب مبيتس بقدمنا سيُسر ، ومسرور بقدمنا
سيبتس .

أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادةً ، نسوسكم بسلطان الله
الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة
فيما أحببنا ، وإلكم علينا العدل فيما ولىنا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم ،
واعلموا أنني مهما قصرتُ عنه فإنتي لا أقصر عن ثلاث : لست محتجياً عن
طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابساً رزقاً ولا عطاءً عن إيتانه ،
ولا مجمراً لكم بعثاً ، فادعوا الله بالصالح لأئمتكم² فإنهم ساستكم المؤدبون ،
وكهفكم الذي إليه تاوون ، ومتى تصلحوا يصلحوا ، ولا تُشربوا قلوبكم
بُغضهم فيشتد ذلك غيظكم ، ويطول له حزركم ، ولا تُدركوا حاجتكم ،
مع أنه لو استجيب لكم لكان شراً لكم ، أسأل الله أن يعين كلاً على كل ،

1) C. P. فاستبقوا R. فاستبقوا .

2) لا يمكم R. .

فإذا رأيتوني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه علي أذلاله، وإن لي فيكم لصرعى كثيرة،
فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي .

فقام إليه عبد الله بن الأهمم فقال : أشهد أيتها الأمير أنك أوتيت الحكمة
وفصل الخطاب . فقال : كذبت ، ذاك نبي الله داود ! فقال الأحنف : قد
قلت فأحسنت أيتها الأمير ، والثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإننا لن
نُشني حتى نبتلي . فقال زياد : صدقت . فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية ،
• وهو من الخوارج¹ ، وقال : أنبا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ
الَّذِي وَفَّى إِلَّا تَزْيِيرُ وَإِزْرَةٌ وَإِزْرٌ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا
سَعَى ﴾² فأوعدنا الله خيراً مما أوعدتني يا زياد . فقال زياد : إننا لا نجد إلى
ما تريد أنت وأصحابك سبيلاً حتى نخوض إليها الدماء .

واستعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن ، وأجل³ الناس حتى بلغ
الخبر الكوفة وعاد إليه وصول الخبر ، فكان يؤخر العشاء الآخرة ثم يصلني
فيأمر رجلاً أن يقرأ سورة البقرة أو مثلها يترتل القرآن ، فإذا فرغ أمهل بقدر
ما يرى أن إنساناً يبلغ أقصى البصرة ، ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج ، فيخرج
فلا يرى إنساناً إلا قتله ، فأخذ ذات ليلة أعرابياً فأتى به زياداً فقال : هل
سمعت النداء ؟ فقال : لا والله ! قدمتُ بحلوبة لي وغشيني الليل فاضطررتها
إلى موضع وأقمتُ لأصبح ولا علم لي بما كان من الأمير . فقال : أظنك والله
صادقاً ولكن في قتلك صلاح الأمة . ثم أمر به ففُصرت عنقه .

وكان زياد أول من شدّد أمر السلطان ، وأكثد الملك لمعاوية ، وجرّد سيفه ،
وأخذ بالظنّة ، وعاقب على الشبهة ، وخافه الناس خوفاً شديداً حتى أمّن بعضهم
بعضاً ، وحتى كان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى

1) Om. S.

2) Corani 53, vsa. 37—39.

3) C. P. أمهل .

يأتيه صاحبه فيأخذه ، ولا يفلق أحد بابه .

• وأدرّ العطاء¹ ، وبني مدينة الرزق ، وجعل الشرط أربعة آلاف ، وقيل له :
إنّ السبيل مخوفة . فقال : لا أعاني شيئاً وراء المصر حتى أصلح المصر ، فإن
غلبني فغيره أشدّ غلبة منه فلما ضبطت مصر وأصلحها تكلفت ما وراء ذلك
فأحكمت .

ذكر عمّال زياد

استعان زياد بعدة من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، منهم :
عمران بن حصّين الخزاعي ولأه قضاء البصرة ، وأنس بن مالك ، وعبد
الرحمن بن سمرة ، وسمرة بن جندب . فأما عمران فاستغنى من القضاء
فأعفاه . واستغنى عبد الله بن فضالة الليثي ، ثم أخاه عاصماً ، ثم زرارة بن
أوفى ، وكانت أخته عند زياد .

وقيل إنّ زياداً أوّل من سير بين يديه بالحيراب والعمد واتخذ الحرس
رابطة خمسمائة لا يفارقون المسجد .

وجعل خراسان أرباعاً ، واستعمل على مرو أميّر بن أحمر ، وعلى
نيسابور خليلد بن عبد الله الحنفي ، وعلى مرو الروذ والفارياب والطاقان قيس
ابن الهيثم ، وعلى هراة وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي ، ثم عتب
عليه فعزله .

وسبب تغييره عليه أنّ نافعاً بعث بخوان باذهر إلى زياد قوائم منه ،

1) Om. C. P.

فأخذ نافع منها قائمة وعمل مكانها قائمة من ذهب وبعث الخوان مع غلام له اسمه زيد ، وكان يلي أمور نافع كلها ، فسعى زيد بنافع إلى زياد وقال : إنته خانك وأخذ قائمة الخوان . فعزله زياد وحبسه وكتب عليه كتاباً بمائة ألف ، وقيل : بشمانمائة ألف ، فشفع فيه رجال من وجوه الأزدي فأطلقه .

واستعمل الحكم بن عمرو الغفاري ، وكانت له صُحبة ، وكان زياد قال لحاجبه : ادع لي الحكم ، يريد الحكم بن أبي العاص الثقفي ، ليوليه خراسان ، فخرج حاجبه فرأى الحكم بن عمرو الغفاري فاستدعاه ، فحين رآه زياد قال له : ما أردتك ولكن الله أرادك ! فولاه خراسان وجعل معه رجالاً على جباية الحجاج ، منهم : أسلم بن زُرعة الكلابي وغيره . وغزا الحكم طخارستان ، فغتم غنائم كثيرة ، ثم مات ؛ واستخلف أنس بن أبي أناس بن زُنَيْم ، فعزله زياد وكتب إلى خُلَيْد بن عبد الله الحنفي بولاية خراسان ، ثم بعث الربيع بن زياد الحارثي في خمسين ألفاً من البصرة والكوفة .

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم ، وكان على المدينة . وفيها مات زيد بن ثابت الأنصاري ، وقيل : سنة خمس وخمسين ، وعاصم ابن عدي الأنصاري البلوي ، وكان بديراً ، وقيل : لم يشهدا بل رده رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى المدينة وضرب له بسهمه ، وكان عمره مائة وعشرين سنة . وفيها مات سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري بالمدينة ، وشهد العقبة وبدراً ، وكان عمره سبعين سنة . وفيها توفي ثابت بن الضحاك بن خليفة الكلابي ، وهو من أصحاب الشجرة ، وهو أخو أبي جبيرة بن الضحاك .

ثم دخلت سنة ست وأربعين

في هذه السنة كان مشى مالك بن عبد الله بأرض الروم ، وقيل : بل كان ذلك عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل : بل كان مالك بن هُبيرة السَّكُونِيّ . وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد من بلاد الروم إلى حمص ومات .

ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

وكان سبب موته أنه كان قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا إليه لما عندهم من آثار أبيه ولغنائاه في بلاد الروم ولشدة بأسه ، فخافه معاوية وخشي منه وأمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش وأن يولّيه [جباية] خراج حمص . فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه ، فشربها ، فمات بحمص ، فوفى له معاوية بما ضمن له .

وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد المدينة فجلس يوماً إلى عروة بن الزبير ، فقال له عروة ما فعل ابن أثال ، فقام من عنده وسار إلى حمص فقتل ابن أثال ، فحُمِلَ إلى معاوية ، فحبسه أياماً ثم غرّمه دينه ، ورجع خالد إلى المدينة فأتى عروة ، فقال عروة : ما فعل ابن أثال ؟ فقال : قد كفيْتُك ابن أثال ، ولكن ما فعل ابن جُرْموز¹ ؟ يعني قاتل الزبير ، فسكت عروة .

1) C. P. c. art.

ذکر خروج سہم والحطيم

وفیہا خرج الحطيم ، وهو يزيد بن مالك الباهلي ، وسہم بن غالب
المجيمي¹ ، فحكما ، فأما سہم فإنه خرج إلى الأهواز فحكّم بها ، ثم
رجع فاخفى وطلب الأمان فلم يؤمنه زياد وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على
بابه .

وأما الحطيم فإن زياداً سيره إلى البحرين ثم أقدمه وقال لمسلم بن عمرو
الباہلي ، والد قتيبة بن مسلم : اضمنه ، فأبى وقال : إن بات خارجاً عن
بيته أعلمتک ، ثم أتاه مسلم فقال له : لم يبت الحطيم الليلة في بيته ، فأمر به
فقتل وألقي في باهلة ، وقد تقدم ذلك أتم من هذا ، وإنما ذكرناه هاهنا
لأنه قتل هذه السنة² .

ذکر عدة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة عتبة بن أبي سفيان ، وكان العمال من تقدم
ذکرهم .

وفیہا توفي صالح بن كيسان مولى بني غفار ، وقيل : مولى بني عامر ،
• وقيل : الحزاعي² .

1) الجمحي R. ; الجهيمي S. 1)

2) Om. C. P.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

في هذه السنة كان مشى مالك بن هُبيرة بأرض الروم ، ومشى عبد الرحمن القَيْسِي^١ بأنطاكية .

ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حُدَيْج

وفيها عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ووليها معاوية بن حُدَيْج ؛ وكان عثمانياً ، فمرّ به عبد الرحمن بن أبي بكر . فقال له : يا معاوية قد أخذت جزاءك من معاوية ، قد قتلت أخي محمد بن أبي بكر لتي مصر فقد وليتها . فقال : ما قتلتُ محمداً إلا بما صنع بعثمان . فقال عبد الرحمن : فلو كنت إنما تطلب بدم عثمان لَمَّا شاركت معاوية فيما صنع حيث عمل عمرو بالأشعري ما عمل فوثبت أول الناس فبايعته .

(حُدَيْج بضم الحاء المهملة ، وفتح الدال المهملة ، وبالجم) .

ذكر عروة الغور

في هذه السنة سار الحكيم بن عمرو إلى جبال الغور فغزا من بها ، وكانوا

١) القيسي C. P. ؛ بن قيس R. 1)

ارتدوا ، فأخذهم بالسيف عنوةً وفتحها وأصاب منها مغنم كثيرة وسبايا ،
ولما رجع الحكمُ من هذه الغزوة مات بمرو في قول بعضهم ، وكان الحكم قد
قطع النهر في ولايته ولم يفتح . وكان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم
اغترف بترسه فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلّى ركعتين ، وكان
أول المسلمين فعل ذلك ثم رجع .

ذكر مكيدة للمهلب

وكان المهلب مع الحكم بن عمرو بخراسان ، وغزا معه بعض جبال الترك
فغنموا ، وأخذ الترك عليهم الشعاب والطرق ، فعبي¹ الحكم بالأمر ، فولّى
المهلب الحرب ، فلم يزل يحتال حتى أسر عظيماً من عظماء الترك ، فقال له :
إما أن تُخرجنا من هذا الضيق أو لأقتلنك . فقال له : أوقد النار . حيا
طريق² من هذه الطرق وسير الأثقال نحوه فإنهم سيجتمعون فيه ويخلون ما
سواه من الطرق فبادرهم إلى طريق آخر فما يدركونكم حتى تخرجوا منه .
ففعل ذلك ، فسلم الناس بما معهم من الغنائم³ .
وحجّ بالناس هذه السنة عبّبة بن أبي سفيان ، وقيل : عبّبة بن أبي
سفيان ؛ وكان الولاة من تقدم ذكرهم .

1) C. P. فنى ; R. فنى .

2) C. P. في جبال الطريق .

3) Hic in S. caput القسطنطينية ذكر غزوة القسطنطينية in scriptum, quod infra sub anno 49 exstat, legitur.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

فيها كان مشى عبد الرحمن القيني¹ بأنطاكية . وصائفة عبد الله بن قيس
الفزاري . وغزوة مالك بن هبيرة السكوني البحر . وغزوة عقبة بن
عامر² الجهتي بأهل مصر البحر³ وبأهل المدينة .

وفيها استعمل زياد غالب بن فضالة الليثي على خراسان ، وكانت له
صحبة . وحج بالناس مروان وهو يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه ،
وارتجع معاوية منه فدك وكان وهبها له ، وكان ولاية الأنصار من تقدم ذكرهم .

1) C. P. المتني ; R. الفيسي .

2) C. P. عمرو .

3) C. P. البحرين .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

فيها كان مشى مالك بن هُبَيْرَة بأرض الروم . وفيها كانت غزوة فضالة ابن عُبَيْد جَرَبَةَ^١ وشتا بها ، وفتحت على يده ، وأصاب فيها شيئاً كثيراً . وفيها كانت صائفة عبد الله بن كُرْز البَجَلِيّ . وفيها كانت غزوة يزيد بن شَجَرَة الرهاوي في البحر فشتا بأهل الشام . وفيها كانت غزوة عُقْبَة بن نافع البحر فشتا بأهل مصر .

ذكر غزوة القسطنطينية

في ها السنة ، وقيل^١ : سنة خمسين ، سير معاوية جيشاً كثيراً إلى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عَوْف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم ، فتناقل واعتل . فأمسك عنه أبوه ، فأصاب الناس في غزاتهم جوعٌ ومرض شديد ، فأنشأ يزيد يقول :

١. إن أبالي بما لاقت جموعهم
بالفرقدونة^٢ من حمى ومن موم
إذا اتكأت على الأنماط مرتفعاً^٢
بدير مرنّ عندي أم كاثوم

١) سنة ٤٩ وقيل S. add.

٢) Br. Mus. et R. بالفرقدية

١ حزة .

٢ مرتفعاً .

وأمّ كلثوم امرأته ، وهي ابنة عبد الله بن عامر .

فبلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليلحقن بسفيان في أرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس ، فسار ومعه جمع كثير أضافهم إليه أبوه ، وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وغيرهم وعبد العزيز ابن زُرارة الكلابي ، فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية ، فاقتل المسلمون والروم في بعض الأيام واشتدت الحرب بينهم ، فلم يزل عبد العزيز يتعرض للشهادة فلم يُقتل ، فأنشأ يقول :

قد عِشْتُ في الدهرِ أطواراً على طُرُقٍ شتّى فصادفتُ¹ منها اللينَ والبشيعاً
كُلّاً بَلَوْتُ² فلا النعماء تبْطُرني ولا تجشمتُ³ من لأوائها³ جزعاً
لا يملأ الأمرُ صدري قبلَ مَوقِعِهِ ولا أضيّقُ به ذرعاً إذا وَقَعَا

ثمّ حمل على من يليه فقتل فيهم وانغمس بينهم ، فشجره الروم برماحهم حتى قتلوه ، رحمه الله . فبلغ خبر قتله معاوية فقال لأبيه : والله هلك في العرب ! فقال : ابني أو ابنك ؟ قال : ابنك ، فأجرك الله . فقال :

فإن يكن الموتُ أودى به وأصبحَ مَخُ الكلابي زيراً⁴
فكلُّ فتى شاربٌ كأسه فإمّا صغيراً وإمّا كبيراً

ثمّ رجع يزيد والجيش إلى الشام وقد توفي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية فدُفن بالقرب من سورها ، فأهلها يستسقون به ، وكان قد شهد بدرًا وأحُدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وشهد صفين مع عليّ وغيرها من حروبه .

1) S. فصانت . 2) R. كل يموت . 3) Br. Mus. ولائها . 4) C. P. ديرا .

ذكر عزل مروان عن المدينة وولاية سعيد

وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة في ربيع الأول¹ وأمر سعيد ابن العاص عليها . في ربيع الآخر ، وقيل : في ربيع الأول² ، وكانت ولاية مروان كلها بالمدينة لمعاوية ثمانين سنين وشهرين ؛ وكان على قضاء المدينة عبد الله بن الحارث بن نوفل ، فعزله سعيد حين ولي واستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن .

ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليه السلام

في هذه السنة توفي الحسن بن علي ، سمته زوجته جعدة بنت الأشعث ابن قيس الكندي ، ووصى أن يُدفن عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إلا أن تخاف فتنة فيُنقل إلى مقابر المسلمين ، فاستأذن الحسين عائشة فأذنت له ، فلما توفي أرادوا دفنه عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلم يعرض³ إليهم سعيد بن العاص ، وهو الأمير ، فقام مروان بن الحكم وجمع بني أمية وشيعتهم ومنع عن ذلك ، فأراد الحسين الامتناع فقبل له : إن أخاك قال : إذا ختم الفتنة ففي مقابر المسلمين ، وهذه فتنة . فسكت ، وصلى عليه سعيد بن العاص ، فقال له الحسين : لولا أنه سنة لما تركتُك تصلي عليه .

1) G. P. الآخر .

2) Om. C. P.

3) C. P. et R. فرض .

ثم دخلت سنة خمسين

فيها كانت غزوة بُسْر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف الأزدي أرض الروم ، وغزوة فضالة بن عبّيد الأنصاري في البحر .

ذكر وفاة المغيرة بن شُعْبَةَ وولاية زياد الكوفة

في هذه السنة في شعبان كانت وفاة المغيرة بن شُعْبَةَ في فول بعضهم ، وهو الصحيح ، وكان الطاعون قد وقع بالكوفة ، فهرب المغيرة منه ، فلما ارتفع الطاعون عاد إلى الكوفة فطعن فمات .

وكان طُوالاً أعور ذهبت عينه يوم اليرموك ، وتوفي وهو ابن سبعين سنة ، وقيل : كان موته سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة تسع وأربعين^١ .

فلما مات المغيرة استعمل معاوية زياداً على الكوفة [والبصرة] ، وهو أول من جمعنا له . فلما وليها سار إليها واستخلف على البصرة سمرّة بن جندب ، وكان زياد يقيم بالكوفة ستة أشهر وبالبصرة ستة أشهر ، فلما وصل الكوفة خطبهم فحُصِب وهو على المنبر ، فجلس حتى أمسكوا ثم دعا قوماً من خاصته فأمرهم

١) S.

فأخذوا أبواب المسجد ثم قال: ليأخذ كل رجل منكم جليسه ولا يقولن لا أدري من جليسي، ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد، فدعاهم أربعة أربعة يحلفون: ما منّا من حصبك، فمن حلف خلاه ومن لم يحلف حبسه، حتى صار إلى ثلاثين، وقيل: إلى ثمانين، فقطع أيديهم على المكان.

وكان أول قتيل قتله زياد بالكوفة أوفى بن حصن¹، وكان بلغه عنه شيء، فطلبه فهرب، فعرض الناس [زياد]، فمرّ به فقال: من هذا؟ قال: أوفى ابن حصن¹. فقال زياد: أتتك بحائن رجلاه². وقال له: ما رأيك في عثمان؟ قال: ختن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على ابنتيه. قال: فما تقول في معاوية؟ قال: جواد حلیم. قال: فما تقول في؟ قال: بلغني أنك قلت بالبصرة والله لآخذن البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر. قال: قد قلت ذلك. قال: خبطتها عشواء! فقال زياد: ليس النفاخ بشر الزمرة³! فقتله.

ولما قدم زياد الكوفة قال له عمارة بن عتبة بن أبي معيط: إن عمرو ابن الحمق يجمع إليه شيعة أبي تراب. فأرسل إليه زياد: ما هذه الجماعات عندك؟ من أردت كلامه ففي المسجد. وقيل: الذي سعى بعمرو يزيد بن رؤيم. فقال له زياد: قد أشطت بدمه⁴، ولو علمت أن مخ ساقه قد سال من بغضي ما هجنته حتى يخرج علي. فاتخذ زياد المقصورة حين حُصب.

فلما استخلف زياد سمرة على البصرة أكثر القتل فيها، فقال ابن سيرين: قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف⁴. فقال له زياد: أتخاف أن تكون قتلت بريئاً؟ فقال: لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت. وقال أبو السوار العدوي:

1) R. حصين. 2) Vid. Meidanil I. p. 25. 3) Vid. Meidanil II, p. 444.
4) ثمانين ألفاً R.; ثمانمائة ألف C. P.

1 أبسطت به. (وأشاط بدمه: أهلكه).

قتل سَمْرَةَ من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين كلهم قد جمع القرآن .
وركب سَمْرَةَ يوماً فلقي أوائل خيله رجلاً فقتلوه ، فمرّ به سمرة وهو يتشحط
في دمه فقال : ما هذا ؟ فقيل : أصابه أوائل خيلك . فقال : إذا سمعتم بنا قد ركبنا
فاتقوا أسنّتنا .

ذكر خروج قريب

وفيهما خرج قريب الأزديّ وزحّاف الطائيّ بالبصرة ، وهما ابنا خالة ،
وزياد بالكوفة وسَمْرَةَ على البصرة ، فأتيا بني ضُبَيْعَةَ ، وهم سبعون رجلاً ،
وقتلوا منهم شيخاً ، وخرج على قريب وزحّاف شباب من بني عليّ وبني
راسب فرموهم بالنّبل ، وقتل عبدُ الله بن أوس الطاحيّ قريباً وجاء برأسه .
واشددّ زياد في أمر الخوارج فقتلهم ، وأمر سَمْرَةَ بذلك فقتل منهم بشراً
كثيراً . وخطب زياد على المنبر فقال : يا أهل البصرة والله لتكفُنّني هؤلاء أو
لأبدأنّ بكم ! والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهماً !
فثار الناس بهم فقتلوه .

ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة

وفي هذه السنة أمر معاويةُ بمنبر النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أن يُحمَلَ
من المدينة إلى الشام ، وقال : لا يُترك هو وعصا النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ،

1) سداً C. P.

بالمدينة وهم قتلة عثمان ، وطلب العصا ، وهو عند سعد القرظ¹ ، فحرّك المنبر فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية² ، فأعظم الناس ذلك ، فتركه . وقيل : أتاه جابر وأبو هريرة وقالوا له : يا أمير المؤمنين لا يصلح أن تُخرج منبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من موضع وضعه ، ولا تنقل عصاه إلى الشام ، فانقل المسجد . فتركه وزاد فيه ست درجات واعتذر مما صنع .

فلما ولي عبد الملك بن مروان همّ بالمنبر ، فقال له قبيصة بن ذؤيب : أذكرك الله أن تفعل ! إن معاوية حرّكه فكسفت الشمس ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : مَنْ حلف على منبري [آثماً] فليتبوأ مقعده من النار ، [فتخرجه من المدينة] وهو مقطّع الحقوق عندهم بالمدينة ! فتركه عبد الملك .

فلما كان الوليد ابنه وحجّ همّ بذلك ، فأرسل سعيد بن المسيّب إلى عمر ابن عبد العزيز فقال : كلمّ صاحبك لا يتعرّض للمسجد ولا لله والسخط له² . فكلّمه عمر فتركه .

ولما حجّ سليمان بن عبد الملك أخبره عمر بما كان من الوليد : فقال سليمان : ما كنت أحبّ أن يُذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا ولا عن الوليد ، ما لنا ولهذا ! أخذنا الدنيا فهي في أيدينا ونريد أن نعمد إلى علم من أعلام الإسلام يوفد إليه فنحمله [إلى ما قبلنا] ! هذا ما لا يصلح !

• • •

وفيها عزّل معاوية بن حديج السكوني عن مصر ووليها مسلمة بن مخلد مع إفريقية ، وكان معاوية بن أبي سفيان بعث قبل أن يولي مسلمة إفريقية ومصر عقبة بن نافع إلى إفريقية ، وكان اختطّ قيروانها ، وكان موضعه غيضة لا تُرام من السباع والحيات وغيرها ، فدعا الله عليها فلم يبق منها شيء إلا خرج هارباً

1) C. P. et R. القرظي .

2) C. P. ولسخطه .

حتى ان كانت السباع لتحمل اولادها ، وبنى الجامع . فلما عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج السكوني عن مصر عزل عتبة عن إفريقية وجمعها لمسلمة بن مخلد ، فهو أول من جمع له المغرب مع مصر ، فولى مسلمة إفريقية مول له يقال له أبو المهاجر ، فلم يزل عليها حتى هلك معاوية بن أبي سفيان .

ذكر ولاية عتبة بن نافع إفريقية وبناء مدينة القيروان

قد ذكر أبو جعفر الطبري أن في هذه السنة ولي مسلمة بن مخلد إفريقية ، وأن عتبة ولي قبله إفريقية وبنى القيروان ، والذي ذكره أهل التاريخ من المغاربة : أن ولاية عتبة بن نافع إفريقية كانت هذه السنة وبنى القيروان ، ثم بقي إلى سنة خمس وخمسين ووليها مسلمة بن مخلد ، وهم أخبر ببلادهم ، وأنا أذكر ما أثبتوه في كتبهم :

قالوا : إن معاوية بن أبي سفيان عزل معاوية بن حديج عن إفريقية حسب واستعمل عليها عتبة بن نافع الفهري ، وكان مقيماً بيرة وزويلة مذ فتحها أيام عمرو بن العاص ، وله في تلك البلاد جهاد وفتوح . فلما استعمله معاوية ستر إليه عشرة آلاف فارس ، فدخل إفريقية وانضاف إليه من أسلم من البربر ، فكثرت جمعه ، ووضع السيف في أهل البلاد لأنهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام ، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتد من أسلم ، ثم رأى أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد ، فقصده موضع القيروان ، وكان أجمة¹ مشبكة بها

1) دخلة R. ; دجلة C. P.

من أنواع الحيوان ، هـ من السباع¹ والحيات وغير ذلك ، فدعا الله ، وكان مستجاب الدعوة ، ثم نادى : أيتها الحيات والسباع إننا أصحاب رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، ارحلوا عنا فإننا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه . فنظر الناس ذلك اليوم إلى الدواب تحمل اولادها وتنتقل ، فرآه قبيل كثير من البربر فأسلموا ، وقطع الأشجار وأمر ببناء المدينة ، فبُنيت . وبنى المسجد الجامع ، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم ، وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع ، وتم أمرها سنة خمس وخمسين وسكنها الناس ، وكان في أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل سرايا ، فتغير وتنهب ، ودخل كثير من البربر في الإسلام ، واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها .

ذكر ولاية مسلمة بن مخلد إفريقية

ثم² إن معاوية بن أبي سفيان استعمل على مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد الأنصاري ، فاستعمل مسلمة على إفريقية مولى له يقال له أبو المهاجر ، فقدم إفريقية وأساء عزل عتبة واستخف به ، وسار عتبة إلى الشام وعاتب معاوية على ما فعله به أبو المهاجر ، فاعتذر إليه ووعد بإعادته إلى عمله ، وتمادى الأمر فتوفي معاوية وولي بعده ابنه يزيد ، فاستعمل عتبة بن نافع على البلاد سنة اثنتين وستين ، فسار إليها .

وقد ذكر الواقدي أن عتبة بن نافع ولي إفريقية سنة ست وأربعين واختط القيروان ، ولم يزل عتبة على إفريقية إلى سنة اثنتين وستين ، فعزله يزيد بن معاوية

1) S.

2) C. P. قالوا .

واستعمل أبا المهاجر مولى الأنصار ، فحبس عقبة وضيق عليه ، فلما بلغ يزيد ابن معاوية ما فعل بعقبة كتب إليه يأمره بإطلاقه وإرساله إليه ، ففعل ذلك ، ووصل عقبة إلى يزيد فأعادته إلى إفريقية والياً عليها ، فقبض على أبي المهاجر وأوثقه ، وساق من خبر كُسيِّلة¹ مثل ما ذكره إن شاء الله تعالى سنة اثنتين وستين .

ذكر هرب الفرزدق من زياد

وفيها طلب زياد² الفرزدق ، استعدته عليه بنو نهشل وفقيم .
وسبب ذلك ، قال الفرزدق : هاجيت الأشهب بن رُمَيْلة¹ والبعيث² فسقطا ، فاستعدى علي بنو نهشل وبنو فقيم زياد بن أبيه ، واستعدى علي أيضاً يزيد ابن مسعود بن خالد بن مالك ، قال : فلم يعرفني زياد حتى قيل له الغلام الأعرابي الذي أنهب ماله وثيابه ، فعرفني .

قال الفرزدق : وكان أبي غالب قد أرساني في جَلَب له أبيعه وأمتار له ، فبعث الجلب بالبصرة وجعلت ثمنه في ثوبي ، فعرض لي رجل فقال : لشد ما تستوثق منها ، أما لو كان مكانك رجل أعرفه ما صرّ عليها . فقلت : ومن هو ؟ قال : غالب بن صعصعة وهو أبو الفرزدق . فدعوت أهل المربد ونرتتها . فقال لي قائل : ألقِ رداءك . ففعلت . فقال آخر : ألقِ ثوبك . ففعلت . وقال آخر : ألقِ عمامتك . ففعلت . فقال آخر : ألقِ إزارك . فقلت : لا ألقيه وأمشي مجرداً ، إنني لست بمجنون . وبلغ الخبر زياداً فقال : هذا أحرق يضرني الناس بالنهب . فأرسل خيلاً إلى المربد ليأتوه بي . فأتاني رجل من بني الهُجيم على

1) Vocales in S.

2) Bodl. ; والميب Br. Mus. ; والبيت C. P.

1 زُمَيْلة (ورُمَيْلة أمه ، وهي أمة اشتراها أبوه في الجاهلية) .

فرس له وقال : النجاء النجاء ! وأردفني خلفه ، ونجوت ، فأخذ زياد عمتين لي :
 ذهيلاً والزحاف ابني صمصعة ، وكانا في الديوان ، فحبسهما أيتاماً ثم كُتِمَ
 فيهما فأطلقهما ، وأتيتُ أبي فأخبرته خبري ، فحقدما عليه زياد .

ثم وفد الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة السعديتان¹ والحنون بن قتادة
 العبشمي والحُتات بن يزيد أبو منازل² المُجاشعي إلى معاوية بن أبي سفيان ،
 فأعطى كلَّ رجلٍ منهم جائزة مائة ألف ، وأعطى الحُتات سبعين ألفاً . فلما
 كانوا في الطريق ذكر كلَّ منهم جائزته ، فرجع الحُتات إلى معاوية فقال :
 ما ردك ؟ قال : فضحتني في بني تميم ! أما حسبي صحيح ؟ أولستُ ذا سن ؟
 ألتُ مطاعاً في عشيرتي ؟ قال : بلى . قال : فما بالك خست بي دون القوم
 وأعطيت من كان عليك أكثر ممن كان لك ؟ وكان حضر الجمل مع عائشة ،
 وكان الأحنف وجارية يريدان علياً ، وإن كان الأحنف والحنون اعتزلا القتال
 مع علي لكنهما كانا يريدانه . قال : إنني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك² إلى
 دينك ورأيتك في عثمان ، وكان عثمانياً . فقال : وأنا فاشتر مني ديني . فأمر
 له بإتمام جائزته ، ثم مات الحُتات فحبسها معاوية ، فقال الفرزدق في ذلك ؛
 شعر :

أبوك وعمي يا معاوي أورثا تُراثاً فيحتازُ التُّراثَ أقاربه¹
 فما بال ميراث الحُتات³ أخذته وميراثُ صخر جامدٍ لك ذائبه²
 فلو كان هذا الأمرُ في جاهلية علمت من المرء القليل حلابه³
 ولو كان في دين سوى ذا شتم لنا حقنا أو غص بالماء شاربه³

1) مبارك R.

2) وكلمتك S.

3) الحياة Br. Mus, et R.

أَلَسْتُ أَعَزُّ النَّاسِ قَوْمًا وَأُسْرَةً
 وَمَا وَلَدَت بَعْدَ النَّبِيِّ وَآلِهِ
 وَبَيْتِي إِلَى جَنْبِ الشَّرِيَّةِ فِينَاؤُهُ²
 أَنَا ابْنُ الْجِبَالِ الشَّمِّ فِي عَدَدِ الْحَصَى
 وَكَمْ مِنْ أَبِي لِي يَا مَعَاوِيَةَ لَمْ يَزَلْ
 نَمْتُهُ فُرُوعُ الْمَالِكِيِّينَ وَلَمْ يَكُنْ
 تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى
 طَوِيلٌ نَجَادِ السَّيْفِ مُذْ كَانَ لَمْ يَكُنْ
 وَأَمْنَعُهُمْ جَارًا إِذَا ضِيمَ جَانِبُهُ
 كَثَلِي حَصَانٌ فِي الرَّجَالِ يُقَارِبُهُ
 وَمَنْ دُونِهِ الْبَدْرُ الْمُضِيءُ كَوَاكِبُهُ
 وَعَرَقُ الشَّرَى عَرَقِي فَمَنْ ذَا يَحَاسِبُهُ
 أَغْرَى يُبَارِي الرِّيحَ [مَا] أَزُورُ جَانِبُهُ
 أَبُوكَ الَّذِي مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ يُقَارِبُهُ
 كَرِيمًا يَلَاقِي الْمَجْدَ مَا طَرَ شَارِبُهُ
 قُصِيَّ وَعَبْدُ الشَّمْسِ أَمَّنْ يَخَاطِبُهُ

يريد بالمالكين مالك بن حنظلة ومالك بن زيد مناة بن تميم ، وهما جداه .

لأن الفرزدق ابن غالب بن صعصعة بن ناجية³ بن عقال بن محمد بن سفيان بن
 مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

فلما بلغ معاوية شعره رد على أهله ثلاثين ألفاً ، فأغضبت أيضاً زياداً عليه ،
 فلما استعدت عليه نهشل وفقيم ازداد عليه غضباً فطلبه فهرب وأتى عيسى
 ابن حصيلة⁴ السلمي ليلاً وقال له : إن هذا الرجل قد طلبني وقد لفظني الناس
 وقد أتيتك لتغيبني² عندك . فقال : مرحباً بك . فكان عنده ثلاث ليال . ثم
 قال له : قد بدا لي أن آتي الشام ، فسيره . وبلغ زياداً مسيره فأرسل في أثره ،
 فلم يدرك ، وأتى الروحاء فنزل في بكر بن وائل فأمن ومدحهم بقصائد .

1) Br, Mus. et R. حيث .

2) Br, Mus. et R. بنازه .

3) S.

4) C. P. حصيلة ; Br. Mus. خطيلة .

١ شمس .

٢ لتغيبني .

ثمّ كان زياد إذا نزل البصرة نزل الفرزدق الكوفة ، وإذا نزل الكوفة نزل الفرزدق البصرة ، فبلغ ذلك زياداً فكتب إلى عامله على الكوفة ، وهو عبد الرحمن بن عبيد ، يأمره بطلب الفرزدق ، ففارق الكوفة نحو الحجاز ، فاستجار بسعيد بن العاص فأجاره فمدحه الفرزدق ، ولم يزل بالمدينة مرّة وبمكة مرّة حتى هلك زياد .

وقد قيل : إنّ الفرزدق إنّما قال هذا الشعر لأنّ الحنّات لما أسلم أخى النبي ، صلّى الله عليه وسلّم ، بينه وبين معاوية ، فلما مات الحنّات بالشام ورثه معاوية بتلك الأخوة فقال الفرزدق هذا الشعر . وهذا القول ليس بشيء لأنّ معاوية لم يكن يجهل أنّ هذه الأخوة لا يرث بها أحد .
(الحنّات بضمّ الحاء وبتائين مثنّتين من فوقهما بينهما ألف) .

ذكر وفاة الحكّم بن عمرو الغيفاريّ

في هذه السنة توفيّ الحكّم بن عمرو الغيفاريّ بمرو بعد انصرافه من غزوة جبل الأشلّ في قول ، وقد تقدّم ذكر وفاته في قول آخر ، وكان زياد قد كتب إليه : إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة . فكتب إليه الحكم : بلغني ما أمر به أمير المؤمنين ، وإنّي وجدت كتاب الله قبل كتابه ، وإنّه والله [لو] أنّ السموات والأرض كانتا رتقاً على عبد ثمّ اتقى الله لجعل¹ له فرجاً² ومخرجاً ، ثمّ قال للناس : اغدوا على أعطيّاتكم ومالككم ، فقسّمه بينهم ، ثمّ قال : اللهمّ إنّ كان لي عندك خير فاقبضني إليك . فتوفيّ بمرو . وله صحبة .

1) C. P. نصل .

2) Om. S.

ذكر عدة حوادث

• حج بالناس هذه السنة معاوية¹ ، وقيل : بل حج ابنه يزيد ، وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم¹ .

وفيهما توفي سعد بن أبي وقاص بالعقيق فحمل على الرقاب إلى المدينة فدُفن بها ، وقيل : توفي سنة أربع وخمسين ، وقيل : سنة خمس وخمسين ، وعمره أربع وسبعون ، وقيل : ثلاث وثمانون سنة ، وهو أحد العشرة ، وكان قصيراً دحداحاً . وفيها توفيت صفية بنت حبيبي زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقيل : توفيت أيام عمر . وفيها توفي عثمان بن أبي العاص الثقفي . وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ، توفي بالبصرة . وأبو موسى الأشعري ، وقيل : توفي سنة اثنتين وخمسين² . وفيها توفي زيد بن خالد الجهني ، وقيل : توفي سنة ثمان وستين ، • وقيل : ثمان وسبعين³ . وفيها توفي مدلاج بن عمرو السلمي ، وكان قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكلّهم لهم صحبة .

1) S. hæc in fine capitis antepen. offert.

2) C. P. ثمان وستين .

3) Om. C. P.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

وفيهما كان مشى فضالة بن عبّيد بأرض الروم ، وغزوة بُسْر بن أبي
أرطاة الصائفة .

ذكر مقتل حُجْر بن عديّ وعمرو بن الحمق وأصحابهما

في هذه السنة قُتل حُجْر بن عديّ وأصحابه .

وسبب ذلك أن معاوية استعمل المغيرة بن شعبه على الكوفة سنة إحدى وأربعين ، فلما أمره عليها دعاه وقال له : أمّا بعدُ فإنّ لذي الحليم قبل اليوم ما تُقرع العصا ، وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم ، وقد أردتُ إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك ، ولستُ تاركاً إيصاءك بخصلة : لا ترك شتم عليّ وذمّه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب لأصحاب عليّ والإقصاء لهم ، والإطراء بشيعة عثمان والإدناء لهم . فقال له المغيرة : قد جرّبتُ وجرّبتُ¹ ، وعملتُ قبلك لغيرك فلم يذممني ، وستبلو فتحمّد أو تذمّ . فقال : بل نحمّد إن شاء الله .

فأقام المغيرةُ عاملاً على الكوفة وهو أحسن شيء سيرة ، غير أنّه لا يدع شتم عليّ والوقوع فيه والدعاء لعثمان والاستغفار له ، فإذا سمع ذلك حُجْر بن

1) جزيت وجزيت . Bodl. 1)

عديّ قال: بل إيتاكم ذمّ^١ الله ولعن^٢ ! ثمّ قام وقال : أنا أشهد أن منّ تدمون
أحقّ بالفضل ، ومن تزكون أولى بالذمّ . فيقول له المغيرة : يا حُجْر اتق
هذا السلطان وغضبه وخطوته ، فإنّ غضب السلطان يهلك أمثالك ، ثمّ يكفّ
عنه ويصفح .

فلما كان آخر إمارته قال في عليّ وعثمان ما كان يقوله ، فقام حجر فصاح
صيحةً بالمغيرة سمعها كلّ منّ بالمسجد وقال له : مرّ لنا أيّها الإنسان بأرزاقنا
فقد حبستها عنا وليس ذلك لك ، وقد أصبحت مولعاً بذمّ أمير المؤمنين .
فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون : صدق حُجْر وبرّ ، مرّ لنا بأرزاقنا فإنّ
ما أنت عليه لا يُجندي علينا نفعاً ! وأكثروا من هذا القول وأمثاله . فنزل المغيرة
فاستأذن عليه قومه ودخلوا وقالوا : علام ترك هذا الرجل يجترىء عليك في
سلطانك ويقول لك هذه المقالة فيوهن سلطانك ويسخط عليك أمير المؤمنين
معاوية ؟ فقال لهم المغيرة : إنّي قد قتلته ، سيأتي من بعدي أمير يحسبه مثلي فيصنع به
ما ترونه يصنع بي فيأخذه ويقتله ! إنّي قد قرب أجلي ولا أحبّ أن أقتل خيار
أهل هذا المصر فيسعدوا^٢ وأشقى وبعزّ في الدنيا معاوية ويشقى في الآخرة المغيرة .

ثمّ توفي المغيرة ووليّ زياد، فقام في الناس فخطبهم عند قدومه ثمّ ترحم
على عثمان وأثنى على أصحابه ولعن قاتليه . فقام حُجْر ففعل كما كان يفعل
بالمغيرة . ورجع زياد إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حرّيث ،
فبلغه أنّ حجراً يجتمع إليه شيعة عليّ ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه وأنهم
حصبوا عمرو بن حرّيث ، فشخص زياد إلى الكوفة حتى دخلها فصعد المنبر
فحمد الله وأثنى عليه ، وحجّر جالس^١ ، ثمّ قال : أمّا بعدُ فإنّ غبّ البغي

١ فلمّ .

٢ فيسعدون .

والغني وخيم : إن هؤلاء جمّوا فأشيروا ، أنبوني فاجتروا عنى الله ، لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ، ولست أرى أن لم أمنع الكوفة من حُجر وأدّعه نكالا لمن بعده ، ويل أمك يا حُجر سقط العشاء بك على سرحان¹ . وأرسل إلى حُجر يدعوهُ وهو بالمسجد ، فلما أتاه رسول زياد يدعوهُ قال أصحابه : لا تأتيه ولا كرامة . فرجع الرسولُ فأخبر زياداً ، فأمر صاحب شرطته ، وهو شدّاد بن الهيثم الملاي . أن يبعث إليه جماعةً ففعل ، فسبّهم أصحابُ حُجر ، فرجعوا وأخبروا زياداً . فجمع أهل الكوفة وقال : تشجون بيدٍ وتأسون بأخرى ! أبدانكم معي وقدر بكم مع حُجر الأحمق ! هذا والله من دَحسكم² ! والله ليظهرنّ لي براءتكم أو لا تينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم³ ! فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا رأي إلا طاعتك وما فيه رضاك . قال : فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حُجر من عشيرته وأهله . ففعلوا وأقاموا أكثر أصحابه عنده . وقال زياد لصاحب شرطته : انطلق إلى حُجر فإن تبعك فأتني به ، وإلا فشدوا عليهم بالسيوف حتى تأتوني به .

فأتاه صاحبُ الشرطة يدعوهُ ، فمنعه أصحابه من إجابته ، فحمل عليهم ، فقال أبو العمرّطة الكنديّ لحُجر : إنّه ليس معك من معه سيفٌ غيري وما يغني عنك سيفي . قم فالحق بأهلك يمنعك قومك . وزياد ينظر إليهم وهو على المنبر ، وغشّهم أصحاب زياد ، وضرب رجلٌ من الحمراء³ رأس عمرو بن الحمق بعموده فوق ، وحمله أصحابه إلى الأزد فاختمى عندهم حتى خرج ، وانحاز أصحاب حُجر إلى أبواب كندة ، وضرب بعض الشرطه يد عائذ بن حملة

1) Vid. Meidani I, p. 599.

2) R. et Br. Mus. ومقرم .

3) R. الحراث .

١ (جمّوا : اجتمعوا) .

٢ دَحسكم . (والدَحس : الإفساد) .

التميمي وكسر نابه وأخذ عموداً من بعض الشرط فقاتل به وحمى حجراً وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة ، وأتى حجر بغلته ، فقال له أبو العمرطة : اركب فقد قتلنا ونفسك . وحمله حتى أركبه ، وركب أبو العمرطة فرسه ، ولحقه يزيد بن طريف المُسلي¹ فضرب أبا العمرطة على فخذه بالعمود ، وأخذ أبو العمرطة سيفه فضرب به رأسه فسقط ، ثم بدأ ؛ وله يقول عبد الله بن همام السلولي :

ألومُ ابنَ لُؤمٍ ما عدا بك حاسراً إلى بطلٍ ذي جُرأةٍ وشكيمِ
مُعَاوِدٍ ضَرَبَ الدَّارِعِينَ بِسَيْفِهِ على الهامِ عند الرّوعِ غير لثيمِ
إلى فارسِ الغارينِ يومَ تلاقيا بصيفينِ قرمٍ خيرِ نجلِ قُرومِ
حسبَ ابنِ برصاءِ الحِيارِ قتالَهُ قتالكَ زيدياً يومَ دارِ حكيمِ

وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به في الكوفة في اختلاف بين الناس .

ومضى حُجْرٌ وأبو العمرطة إلى دار حُجْرٍ واجتمع إليهما ناس كثير ، ولم يأتيه من كندة كثير أحد . فأرسل زياد ، وهو على المنبر ، مذحج وهمدان إلى جبانة كندة وأمرهم أن يأتوه بحجر ، وأرسل سائر أهل اليمن إلى جبانة الصائدين وأمرهم أن يمضوا إلى صاحبهم حجر فيأتوه به ، ففعلوا ، فدخل مذحج وهمدان إلى جبانة كندة فأخذوا كل من وجدوا ، فأثنى عليهم زياد .

فلما رأى حجر قلة من معه أمرهم بالانصراف وقال لهم : لا طاقة لكم بمن قد اجتمع عليكم وما أحب أن تهلكوا . فخرجوا ، فأدركهم مذحج وهمدان فقاتلوهم وأسروا قيس بن يزيد ونجا الباقون ، فأخذ حجر طريقاً إلى بني حوت² فدخل دار رجل منهم يقال له سليم بن يزيد ، وأدركه الطلب فأخذ سليم

1) السلي R. ; الشلي C. P.

2) حربث R.

سيفه ليقاتل ، فبكت بناته ، فقال حجر : بشس ما أدخلتُ على بناتك إذا ! قال :
والله لا تؤخذ من داري أسيراً ولا قتيلاً وأنا حيّ . فخرج حجر من خوخة في
داره فأتى النَّخَع فنزل دار عبد الله بن الحارث أخي الأشتر ، فأحسن لقاءه .
فبينما هو عنده إذ قيل له : إنَّ الشَّرَطَ تسال عنك في النَّخَع . وسبب ذلك أنَّ
أمةً سوداء لقيتهم فقالت : من تطلبون ؟ فقالوا : حجر بن عديّ . فقالت :
هو في النَّخَع .

فخرج حجر من عنده فأتى الأزد فاختمى عند ربيعة بن ناجد .

فلما أعياهم طلبه دعا زياد محمد بن الأشعث وقال له : والله لتأتيني به أو
لأقطعنَّ كلَّ نخلة لك وأهدم دورك ثمَّ لا تسلم مني حتى أقطعك إرباً إرباً .
فاستمهله ، فأمهله ثلاثاً وأحضر قيس بن يزيد أسيراً ، فقال له زياد : لا بأس
عليك ، قد عرفتُ رأيك في عثمان وبلاءك مع معاوية بصيفين وأنتك إنما قاتلت
مع حُجْر حمية وقد غفرتُها لك ولكن ائني بأخيك عمير . فاستأمن له
منه على ماله ودمه ، فأمنه ، فأناه به وهو جريح فأثقله حديداً ، وأمر الرجال أن
يرفعوه ويلقوه ، ففعلوا به ذلك مراراً ، فقال قيس بن يزيد لزياد : ألم تؤمنه ؟
قال : بلى قد آمنتُه على دمه ولستُ أهريق له دماً . ثمَّ ضمته وخلقى سبيله .

ومكث حجر بن عديّ في بيت ربيعة يوماً وليلة ، فأرسل إلى محمد بن الأشعث
يقول له ليأخذ له من زياد أماناً حتى يبعث به إلى معاوية . فجمع محمد جماعةً ،
منهم : جرير بن عبد الله ، وحجر بن يزيد ، وعبد الله بن الحارث أخو الأشتر ،
فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على أن يرسله إلى معاوية ، فأجابهم ، فأرسلوا إلى
حجر بن عديّ فحضر عند زياد ، فلما رآه قال : مرحباً بك أبا عبد الرحمن ،
حربٌ أيام الحرب ، وحربٌ وقد سالم الناس ، على أهلها تتجني براقش¹ ،

1) Vid. Meldanti II, p. 89.

فقال حجر : ما خلعت طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإني على بيعتي . فأمر به إلى السجن . فلما ولّي قال زياد : والله لأحرصنّ على قطع خيط رقبتك ! وطلب أصحابه ، فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعة بن شدّاد فاختبأ بجبل هناك ، فرُفِع خبرهما إلى عامل الموصل ، فسار إليهما ، فخرجا إليه ، فأما عمرو فكان قد استسقى بطنه ولم يكن عنده امتناع ، وأما رفاعة فكان شاباً قوياً فركب فرسه ليقاتل عن عمرو ، فقال له عمرو : ما ينفعني قتالك عني ؟ انج بنفسك ! فحمل عليهم ، فأفرجوا له ، فنجا ، وأخذ عمرو أسيراً ، فسألوه : من أنت ؟ فقال : من إن تركتموه كان أسلم لكم ، وإن قتلتموه كان أضرب عليكم ، ولم يخبرهم . فبعثوه إلى عامل الموصل ، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي الذي يُعرف بابن أمّ الحكم ، وهو ابن أخت معاوية ، فعرفه فكتب فيه إلى معاوية . فكتب إليه : إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه فاطعنه كما طعن عثمان . فأخرج وطعن ، فمات في الأولى منهنّ أو الثانية .

وجد زياد في طلب أصحاب حجر فهربوا ، وأخذ من أُقْدِر عليه منهم . فأتي بقبيصة بن ضبيعة العبسي بأمان فحبسه ، وجاء قيس بن عبّاد الشيباني إلى زياد فقال له : إن امرأ منا يقال له صيفي من رؤوس أصحاب حجر . فبعث زياد فأتى به ، فقال : يا عدو الله ما تقول في أبي تراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب . فقال : ما أعرفك به ! أتعرف عليّ بن أبي طالب ؟ قال : نعم . قال : فذاك أبو تراب . قال : كلاً ، ذاك أبو الحسن والحسين . فقال له صاحب الشرطة : يقول الأمير هو أبو تراب وتقول لا ! قال : فإن كذب الأمير أكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد ؟ فقال له زياد : وهذا أيضاً ، عليّ بالعصا ، فأتي بها ، فقال : ما تقول في عليّ ؟ قال : أحسن قول . قال : اضربود ، حتى لصق بالأرض ، ثم قال : أقلعوا عنه ، ما قولك في عليّ ؟ قال : والله لو شرحتني

بالمواسي ما قلت فيه إلا ما سمعت مني . قال : لتلعنته أو لأضربن عنقك !
قال : لا أفعل . فأوثقوه حديداً وحبسوه .

قيل : وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث في موطنه . ثم
دخل الكوفة فجلس في بيته ، فقال حوشب للحجاج : إن هنا امرأ صاحب
فتن لم تكن فتنة بالعراق إلا وثب فيها ، وهو ترائب يلعن عثمان ، وقد خرج
مع ابن الأشعث حتى هلك ، وقد جاء فجلس في بيته . فبعث إليه الحجاج فقتله ،
فقال بنو أبيه لآل حوشب : سعيتم بصاحبنا ! فقالوا : وأنتم أيضاً سعيتم بصاحبنا ،
يعني صيفياً الشيباني .

وأرسل زياد إلى عبد الله بن خليفة الطائي ، فتواري ، فبعث إليه الشرط
فأخذوه ، فخرجت أخته النوار فحرضت طيئاً ، فثاروا بالشرط وخلصوه ،
فرجعوا إلى زياد فأخبروه ، فأخذ عدي بن حاتم وهو في المسجد فقال : ايتني
بعبد الله ! قال : وما حاله ؟ فأخبره ، فقال : لا علم لي بهذا ! قال : لتأتيني
به . قال : لا آتيك به أبداً ، آتيك بابن عمي تقطه ! والله لو كان تحت قدمي
ما رفعتها عنه ! فأمر به إلى السجن ، فلم يبق بالكوفة يمينا ولا ربعا إلا كلم
زيادا وقالوا : تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم ؟ فقال : فإنني أخرجته على شرط أن يُخرج ابن عمه عني فلا يدخل
الكوفة ما دام لي سلطان . فأجابوه إلى ذلك ، وأرسل عدي إلى عبد الله يعرفه
ما كان وأمره أن يلحق بجبلي طيء ، فخرج إليهما ، وكان يكتب إلى عدي
ليشفع فيه ليعود إلى الكوفة ، وعدي يُمنيه ، فمما كتب إليه يعاتبه وبرئي
حجراً وأصحابه قوله :

تذكرت ليلي والشيبة أعصراً وذكر الصببا برح على من تذكرأ
وولت الشباب فافتقدت غصونه فيا لك من وجد به حين أدبرأ

فدَعُ عَنْكَ تَذْكَارَ الشَّبَابِ وَفَقْدَهُ
 وَبِكَ عَلَى الْخَلَائِنِ لَمَّا تُخْرِمُوا
 دَعْتَهُمْ مَنَابِهَهُمْ وَمَنْ حَانَ يَوْمُهُ
 أَوْلَيْتَكَ كَانُوا شِيعَةً لِي وَمَوْتِيلاً
 وَمَا كُنْتُ أَهْوَى بَعْدَهُمْ مَتَعَلِّلاً
 أَقُولُ وَلَا وَاللَّهِ أَنْسَى أَدْكَارَهُمْ
 عَلَى أَهْلِ عِذْرَاءِ السَّلَامِ مُضَاعِفاً
 وَلَا قَى بِهَا حُجْرٌ مِنَ اللَّهِ رَحِمَةً
 وَلَا زَالَ تَهْتَظَالُ مُلِثٌ وَدِيمَةٌ
 فَيَا حُجْرٌ مَنْ لِلخَيْلِ تَدْمَى نَحْوُهَا
 وَمَنْ صَادِعٌ^٣ بِالْحَقِّ بَعْدَكَ نَاطِقٌ
 فَنِعْمَ أَخُو الْإِسْلَامِ كُنْتَ وَإِنِّي
 . وَقَدْ كُنْتَ تَعْطِي السِّيفَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ
 فَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ هُمَيْمٍ^٤ عَصِمْنَا
 وَيَا أَخَوَيَّ الْخِنْدِ فَيَيْنِ أَبْشِرَا
 وَأَسْبَابَهُ إِذْ بَانَ عَنْكَ فَأَجْمَرَا
 وَلَمْ يَجِدُوا^١ عَنْ مَنَهْلِ الْمَوْتِ مَصْدَرَا
 مِنَ النَّاسِ فَاعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْخَرَا
 إِذَا الْيَوْمُ أُلْفِي ذَا احْتِدَامٍ مَذْكَرَا^١
 بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا أَنْ أُعْمَرَا
 سَجِيسَ اللَّيَالِي أَوْ أَمُوتَ فَأُقْبِرَا
 مِنَ اللَّهِ وَلِيُسْقَ الْغَمَامَ الْكَشَهْوَرَا
 فَقَدْ كَانَ أَرْضَى اللَّهُ حُجْرٌ وَأَعْدَرَا
 عَلَى قَبْرِ حُجْرٍ أَوْ يُنَادَى فَيُحْشَرَا^٢
 وَلِلْمَلِكِ الْمُغْزِي إِذَا مَا تَغَشَّمَرَا
 بِتَقْوَى وَمَنْ إِنْ قِيلَ بِالْحَوْرِ غَيْرَا
 لِأَطْمَعُ أَنْ تُؤْتِيَ الْخُلُودَ وَتُحْبِرَا^٣
 وَتَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَتُنْكِرُ مُنْكَرَا
 وَيُسْرَتُمَا لِلصَّالِحَاتِ^٤ فَأَبْشِرَا
 . بِمَا مَعَنَا حَيَّتُمَا^٥ أَنْ تُسَبِّرَا^٦

1) R. احتلام منكرا .

2) R. et Br. Mus. فيحجرا .

3) Ibid. فتحشرا .

4) R. تميم .

5) S. جنبتما .

6) R. تبشرا ; C. P. hos tres versus om.

١ تحرموا ولم تجدوا .

٢ المفري .

٣ صادق .

٤ بالصالحات .

وشيبان لقيم حساباً مبشراً^١
 حجاجاً لدى الموت الخليل وأصبراً
 حمام بطن الواديين وقرقرراً
 متى كنت أخشى بينكم أن أسيراً
 وقد دث حتى مال ثم تجوراً
 كاني غريب من إباد وأعصراً^٢
 ومن لكم [مثلي] إذا البأس أصحراً
 وأوضع فيها المستميت وشمراً
 طريداً^٣ فلو شاء الإله لغيراً^٤
 رضىت بما شاء الإله وقدرأ^٥
 كأن لم يكونوا لي قبيلاً ومعشراً
 وكان معاناً من عصير ومحضراً
 لحي الله من لحي عليه وكشراً
 ولاقى القناني^٦ بالسنان المؤمراً
 علينا وقالوا قول زورٍ ومُنكراً

ويا إخوة من حضرموت وغالب
 ساعدتكم فلم أسمع بأصوب منكم
 سابكيكم ما لاح نجم وغرد الـ
 فقلت ولم أظلم : أغوث بن طيء
 هبيلتكم إلا قاتلتكم عن أخيككم
 تفترجتكم عني فغودرت مسلماً
 فمن لكم مثلي لدى كل غارة
 ومن لكم مثلي إذا الحرب قلصت
 فيها أنا ذا آوي بأجبال طيء
 نفاني^{٣٤} عدوي ظالماً^٥ عن مهاجري
 وأسلمتي قومي بغير جنابة
 فإن ألف في دار بأجبال طيء
 فما كنت أخشى أن أرى متغرباً^٧
 لحي الله قبيل^٨ الحضرميين واثلاً
 ولاقى الردى القوم الذين تحزبوا

- 1) In C. P. hi quoque quinque versus omm. 2) C. P. فريداً. 3) R. لقدرا.
 4) Br. Mus. تفاني. 5) Ibid. ظاهراً. 6) Hic versus in S. et Br. Mus. modo exstat.
 7) S. مترياً. 8) R. et Br. Mus. قتل. 9) Ibid. القناني.

١ جناناً مبشراً .

٢ فيها قد أداري .

٣ تعاني .

٤ (المعان : المترل وللباءة . عَصِير : تصغير عَصْر وهو الزمن)

فلا يدعني قوم لغوث¹ بن طيء
فلم أغزهم في المعلمين ولم أثير²
فبلغ خيلي إن رحلت³ مشرقاً
ونبهان والأفناء من جدم طيء
لم تذكروا يوم العذيب اليئي
وكرري على مهران والجمع حابس⁴
ويوم جلولاء الواقعة لم أتم
وتسوتني يوم الشريعة والقنا
جزى ربه عني عدي بن حاتم
أنسى بلائي سادراً⁵ يا ابن حاتم
فدافعتُ عنك القوم حتى تخاذلوا⁶
تولوا وما قاموا مقامي كأنما
لئن دهرهم أشقى⁷ بهم وتغيراً
عليهم عجاجاً بالكوفة أكرراً
جديلة والحيتين معاً وبُحسراً
لم⁸ أك فيكم ذا الغناء العشنزراً⁹
أمامكم أن لا أرى الدهر مُدبراً¹⁰
وقتلي الهمام المستميت المسوراً¹¹
ويوم نهاوند الفتوح وتُسُترا
بصيفين في أكتافهم قد تكسراً
برفضي وخذلاني جزاء موفراً
عشية ما أغنت عديك حزمراً¹²
وكنتُ أنا الحصم الألد العذوراً
رأوني ليثاً بالأباء مُخدرراً

وقد تقدم ما فعله عبد الله مع عدي في وقعة صيفين ، فلماذا لم نذكره هاهنا .

- 1) R. et Br. Mus. بعوب . 2) Ibid. أشقى . 3) Ibid. رجعت .
4) S. in marg. hoc habet scholion : هو السيه الخلق عند القتال . 5) R. et Br. Mus. متراً .
6) R. ناييس . 7) R. et Br. Mus. المشرا . 8) Ibid. صادراً .
9) R. et Br. Mus. تجادئوا .

١ فلا يدعني قومي لغوث وطيء .

٢ ولم .

٣ (العشر : العظيم الخلق) .

٤ حذمرا .

نصرْتُكَ إِذْ خَانَ^١ الْقَرِيبُ وَأَبْعَطَ^١ ۱۱
 فَكَانَ جَزَائِي أَنْ أُجَرَّرَ بَيْنَكُمْ
 وَكَمْ عِدَّةٌ لِي مِنْكَ أَنْتَ رَاجِعِي
 فَأَصْبَحْتُ أَرعى النَّيْبَ طَوْرًا وَتَارَةً
 كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَادًا لِفَارَةٍ
 وَلَمْ أُعْتَرِضْ بِالسَّيْفِ مِنْكُمْ مُغْبِرَةً
 وَلَمْ أُسْتَحْثِ الرِّكْضَ^٣ فِي إِثْرِ عَصْبَةٍ
 وَلَمْ أَذْعُرِ الْأَبْلَامَ مِنِّي بِغَارَةٍ
 وَلَمْ أَرَّ فِي خَيْلٍ تَطَاعِينَ مِثْلَهَا
 فَذَلِكَ دَهْرٌ زَالَ عَنِّي حَمِيدُهُ
 فَلَا يَبْعَدُنُ^٤ قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ عَاتِبًا^٥
 وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ

بعيدُ وقد أفردتُ نصرًا مؤزرًا
 سحيبًا وأن أولي الهوان وأوسرًا^٢
 فلم تُغْنِ بالميعادِ عني حبيثًا
 أهرهري إن راعي الشويباتِ هرهرًا
 ولم أتركِ القيرنَ الكميَّ مُقَطَّرًا
 إذ الذنكسُ مشى القهقري ثم جرجرًا
 ميممةً عليا سيجاسٍ وأبهرًا
 كوردِ القطا ثم انحدرتُ مظفرًا
 بقزوين أو شروين أو أغرٍ كيدرًا
 وأصبح لي معروفه قد تنكرًا
 وكنْتُ المضاعَ فيهمُ والمكفرًا^٦
 وإن كنتُ عنهم نائي الدارِ مُحْضَرًا^٧

فمات عبد الله بالجلبتين قبل موت زياد ، ثم أتى زياد بكريم بن عفيف
 الخثعمي من أصحاب حُجر بن عدي ، فقال : ما اسمك ؟ قال : كريم بن
 عفيف . قال : ما أحسن اسمك واسم أبيك وأسوأ عملك ورأيك ! فقال له :
 أما والله إن عهدك برأبي منذ قريب .

1) 2) . خام .

2) R. et Br. Mus. وأدمرا .

3) Ibid. الركب .

4) Ibid. سعدت .

5) Ibid. غايًا .

6) R. والمعفرا .

7) Etiam hi 29 versus postremi in C. P. desiderantur.

١ وأنعط . (وأبعط : هرب وأبعد) .

٢ مُحْضَرًا .

قال : وجمع زياد من أصحاب عديّ اثني عشر رجلاً في السجن ثمّ دعا رؤساء الأرباع يومئذ ، وهم : عمرو بن حرِيث على ربع أهل المدينة ، وخالد ابن عُرْفُطَةَ على ربع تميم وهمدان ، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة ، وأبو بُرْدَةَ بن أبي موسى على ربع مَذْحِجٍ وأسد، فشهد هؤلاء أن حُجْرًا جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلاّ في آل أبي طالب ، ووثب بالمصر ، وأخرج عامل أمير المؤمنين ، وأظهر عُذْرَ أَبِي تَرَابٍ والترحم عليه والبراءة من عدوّه وأهل حربّه ، وأن هؤلاء نفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وأمره . ونظر زياد في شهادة الشهود وقال : إنني لأحبّ أن يكونوا أكثر من أربعة ، فدعا الناس ليشهدوا عليه ، فشهد إسحاق وموسى ابنا طلحة بن عبيد الله ، والمنذر ابن الزبّير ، وعُمارة بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ، وعمرو بن سعد بن أبي وقاص ، وغيرهم ، وكتب في الشهود شُرَيْح بن الحارث القاضي وشُرَيْح بن هانئ ، فأما شُرَيْح بن هانئ فكان يقول : ما شهدتُ وقد لُمتُهُ .

ثمّ دفع زياد حُجْرَ بن عديّ وأصحابه إلى وائل بن حُجْرٍ الحضرمي وكثير ابن شهاب ، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام ، فخرجوا عشية ، فلما بلغوا الغرّيين¹ لحقهم شُرَيْح بن هانئ وأعطى وائلاً كتاباً وقال : أبلغه أمير المؤمنين ، فأخذه ، وساروا حتى انتهوا بهم إلى مرج عذراء عند دمشق ، وكانوا : حُجْرُ ابن عديّ الكندي ، والأرقم بن عبد الله الكندي ، وشريك بن شدّاد الحضرمي ، وصيفي بن فسّيل² الشيباني ، وقبيصة بن ضُبَيْعة العبسي ، وكريم بن عتيف الحشّمي ، وعاصم بن عوف البجلي ، وورقاء بن سُمَيّ البجلي ، وكدام بن حيّان ، وعبد الرحمن بن حسان العنزّيين³ ، ومُحَرِّز بن شهاب التميمي ، وعبد الله بن حويّة السعديّ التميمي ، فهؤلاء اثنا عشر رجلاً ، وأنبعهم زياد

1) التميميان C. P. 3) فضيل R. ; نشيل C. P. 2) الغرّيين C. P. 1)

برجلين ، وهما : عتبة بن الأخنس من سعد بن بكر ، وسعد بن نمران
الهمداني ، فتمتوا أربعة عشر رجلاً .

فبعث معاوية إلى وائل بن حُجْر وكثير بن شهاب ، فأدخلهما وأخذ
كتابهما فقرأه ، ودفع إليه وائل كتاب شريح بن هانيء ، فإذا فيه : بلغني
أن زياداً كتب شهادتي ، وإن شهادتي على حُجْر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي
الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم والمال ،
فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه . فقال معاوية : ما أرى هذا إلا قد أخرج
نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء¹ . فوصل إليهم الرجلان اللذان
ألقهما زياد بحجر وأصحابه ، فلما وصلا سار عامر بن الأسود العجلي إلى
معاوية ليُعلمه بهما ، فقام إليه حُجْر بن عدي في قيوده فقال له : أبلغ معاوية
أن دماءنا عليه حرام ، وأخبره أننا قد أومنا وصالحناه وصالحنا ، وأنا لم نقتل
أحداً من أهل القبلة فيحلّ له دماؤنا .

فدخل عامر على معاوية فأخبره بالرجلين ، فقام يزيد بن أسد البجلي
فاستوهبه ابني عمه ، وهما : عاصم وورقاء ، وكان جرير بن عبد الله البجلي
قد كتب فيهما يزكيهما ويشهد لهما بالبراءة مما شهد عليهما ، فأطلقهما معاوية ،
وشفع وائل بن حجر في الأرقم فتركه له ، وشفع أبو الأعور السلمي في عتبة
ابن الأخنس فتركه ، وشفع حُمرة بن مالك الهمداني في سعد بن نمران فوهبه
له ، وشفع حبيب بن مسلمة في ابن حوية فتركه له² ، وقام مالك بن هُبيرة
السكوني فقال : دَع لي ابن عمي حُجراً . فقال له : هو رأس القوم وأخاف
إن خلت سبيله أن يُفسد علي مصره فنحتاج أن نُشخصك إليه بالعراق .
فقال : والله ما أنصفتني يا معاوية ! قاتلت معك ابن عمك يوم صفين حتى

1) C. P. عزيز .

2) Om. C. P.

ظفرت وعلا كعبك ولم تخف الدوائر ، ثم سألتك ابن عمي فمنعتني ! ثم انصرف
فجلس في بيته .

بعث معاوية هُدْبَةَ بن فياض القُضاعي ، والحُصَيْن بن عبد الله الكلابي ،
وأبا شريف البدي إلى حجر وأصحابه ليقتلوا مَنْ أمرُوا بقتله منهم ، فأتوهم
عند المساء . فلما رأى الخثعمي أحدهم أعور قال : يقتل نصفنا ويترك نصفنا ،
فتركوا ستة وقتلوا ثمانية ، وقالوا لهم قبل القتل : إننا قد أمرنا أن نعرض عليكم
البراءة من عليّ واللعن له ، فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم . فقالوا : لسنا
فاعلي ذلك . فأمر فحُفرت القبور وأحضرت الأكفان وقام حجر وأصحابه
يصلون عامة الليل . فلما كان الغد قد موهم ليقتلوهم فقال لهم حجر بن
عدي : اتركوني أتوضأ وأصلي فلنني ما توضحأت إلا صليتُ ، فتركوه ، فصلّى
ثم انصرف منها وقال : والله ما صليتُ صلاةً قطّ أخفّ منها ، ولولا أن
تظنوا فيّ جزعاً من الموت لاستكثرتُ منها . ثم قال : اللهم إننا نستعديك
على أمتنا ! فإن أهل الكوفة شهدوا علينا ، وإن أهل الشام يقتلوننا ، أما والله
لئن قتلتموني بها فلنني لأول فارس من المسلمين هلك في واديهما ، وأول رجل
من المسلمين نبخته كلابها ! ثم مشى إليه هُدْبَةُ بن فياض بالسيف فارتعد ،
فقالوا له : زعمت أنك لا تجزع من الموت ، فابراً من صاحبك ونداعك .
فقال : وما لي لا أجزع وأرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً !
ولنني والله إن جزعتُ من القتل لا أقول ما يُسخط الربّ . فقتلوه وقتلوا ستة .

فقال عبد الرحمن بن حسان العتري وكريم الخثعمي : ابعثوا بنا إلى أمير
المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته . فاستأذنوا معاوية فيهما ، فأذن
بإحضارهما . فلما دخلا عليه قال الخثعمي : الله الله يا معاوية ! فإنك منقول
من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مسؤول عما أردت بسفك

1) نستعذ بك R.

دماثنا ! فقال له : ما تقول في عليّ ؟ قال : أقول فيه قولك . قال : أتبرأ من دين عليّ الذي يدين الله به ؟ فسكت ، وقام شمير بن عبد الله من بني قحافة . ابن خثعم¹ فاستوهبه ، فوهبه له عليّ أن لا يدخل الكوفة ، فاختر الموصل ، فكان يقول : لو مات معاوية قدمت الكوفة ، فمات قبل معاوية بشهر . ثمّ قال لعبد الرحمن بن حسان : يا أخا ربيعة ما تقول في عليّ ؟ قال : دعني ولا تسألني فهو خير لك . قال : والله لا أدعك . قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله تعالى كثيراً ، من الأمرين بالحقّ والقائمين بالقسط والعافين عن الناس . قال : فما قولك في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح أبواب الظلم ، وأغلق أبواب الحقّ . قال : قتلت نفسك ! قال : بل إياك قتلت ، ولا ربيعة بالوادي ، يعني ليشفوا فيه ، فردّه معاوية إلى زياد وأمره أن يقتله شرّ قتلة ، فدفنه حياً .

فكان الذين قتلوا : حُجر بن عديّ ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسيّ ، ومحرز بن شهاب السعديّ التميميّ ، وكدام بن حيان العنزّيّ ، وعبد الرحمن بن حسان العتريّ الذي دفنه زياد حياً ، فهؤلاء السبعة قتلوا ودُفِنوا وصُلّي عليهم .

قيل : ولما بلغ الحسن البصريّ قتل حُجر وأصحابه قال : صلّوا عليهم وكفّنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة ؟ قالوا : نعم . قال : حجّوهم² وربّ الكعبة !

وأما مالك بن هُبيرة السكونيّ فحين لم يشفّعه معاوية في حجر جمع قومه وسار بهم إلى عذراء ليخلص حجراً وأصحابه ، فلقبته قتلتهُم ، فلما رأوه علموا أنه جاء ليخلص حجراً ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ قالوا : قد تاب القوم وجئنا لنُخبر أمير المؤمنين . فسكت وسار إلى عذراء ، فلقبه بعض من جاء منها فأخبره بقتل القوم ، فأرسل الخيل في إثر قتلتهُم فلم يدركوهم ، ودخلوا على معاوية

1) C. P.

2) Br. Mus. et R. هجرهم .

فأخبروه ، فقال لهم : إنما هي حرارة يجدها في نفسه وكأنها طفت ، وعاد مالك إلى بيته ولم يأت معاوية ، فلما كان الليل أرسل إليه معاوية بمائة ألف درهم وقال : ما منعي أن أشفعك إلا خوفاً أن يُعيدوا لنا حرباً فيكون في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حُجر . فأخذها وطابت نفسه .

ولما بلغ خبر حُجر عائشة أرسلت عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية فيه وفي أصحابه ، فقدم عليه وقد قتلهم ، فقال له عبد الرحمن : أين غاب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غاب عني مثلك من حلماة قومي وحملي ابن سُميَّة فاحتملتُ .

وقالت عائشة : لولا أنا لم نُغبر شيئاً إلا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حُجر ، أما والله إن كان ما علمت لمسلماً حجاً معتمراً .

وقال الحسن البصري : أربع خصال كن في معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة : انتزاهه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاه زياداً ، وقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاشر الحجر ، وقتله حُجراً وأصحاب حُجر ، فيا ويلاً له من حُجر ! ويا ويلاً له من حُجر وأصحاب حُجر !

قيل : وكان الناس يقولون : أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي ، وقتل حُجر ، ودعوة زياد ؛ وقالت هند بنت زيد الأنصارية ترثي حُجراً ، وكانت تتشيع :

تَرْفَعُ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ تَبْصُرُ هَلْ تَرَى حُجْرًا بِسِيرُ

1) R. ترجع .

١ أم .

يَسِيرُ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ
تَجَبَّرَتْ الْجَبَابِرُ بَعْدَ حُجْرٍ وَطَابَ لَهَا الْخَوْرَنْقُ وَالسَّدِيرُ
وَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ لَهُ مُحُولًا كَانَ لَمْ يُحْيِهَا مَزْنٌ مَطِيرُ
أَلَا يَا حُجْرُ حُجْرَ بَنِي عَدِي تَلَقْتِكَ السَّلَامَةَ وَالسَّرُورُ
أَخَافُ عَلَيْكَ مَا أَرْدَى عَدِيًّا وَشَيْخًا فِي دِمَشْقَ لَهُ زَيْرُ
فَإِنْ تَهْلِكُ فَكُلُّ زَعِيمٍ قَوْمٍ مِنْ الدُّنْيَا إِلَى هَلِكِ بَصِيرُ

وقد قيل في قتله غير ما تقدم : وهو أن زياداً خطب يوم الجمعة فأطال
الخطبة وأخر الصلاة ، فقال له حُجْر بن عدي : الصلاة . فمضى في خطبته .
فقال له : الصلاة . فمضى في خطبته . فلما خشي حُجْر بن عدي فوت الصلاة
ضرب بيده إلى كف من حصي وقام إلى الصلاة وقام الناس معه . فلما رأى زياد
ذلك نزل فصلتي بالناس وكتب إلى معاوية وكثر عليه ، فكتب إليه معاوية
ليشده في الحديد ويرسله إليه . فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه ، فقال حُجْر :
لا ولكن سمعاً وطاعة . فشده في الحديد وحمل إلى معاوية . فلما دخل عليه
قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ! فقال معاوية : أمير المؤمنين أنا ؟ والله
لا أقبلك ولا أستقبلك ! أخرجوه فاضربوا عنقه ! فقال حُجْر للذين يلون أمره :
دعوني حتى أصلي ركعتين . فقالوا : صل ، فصلتي ركعتين خفف فيهما ،
ثم قال : لولا أن تظنوا بي غير الذي أردت لأطلتكما ، وقال لمن حضره من
قومه : لا تُطْلِقُوا عَنِي حَدِيدًا وَلَا تَغْسِلُوا عَنِّي دَمًا ، فَإِنِّي لَأَقِي مَعَاوِيَةَ غَدًا
عَلَى الْجَادَةِ ؛ وَضُرِبَتْ عُنُقُهُ . قال : فلقبت عائشة معاوية فقالت له : أين كان
حِلْمُكَ عَنْ حُجْرٍ ؟ فقال : لم يحضرني رشيد . قال ابن سيرين : بلغنا أن
معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول : يومي منك يا حُجْر طویل !
• (عِبَاد بضم العين ، وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)¹ .

1) S.

ذكر استعمال الربيع على خراسان

وفي هذه السنة وجه زياد^١ الربيع بن زياد الحارثي أميراً على خراسان ، وكان الحكم بن عمرو الغفاري قد استخلف عند موته أنس بن أبي أناس ، فعزله زياد وولّى خُلَيْد بن عبد الله الحنفي ، ثم عزله وولّى الربيع بن زياد أول سنة إحدى وخمسين وسير معه خمسين ألفاً بعيالهم من أهل الكوفة والبصرة ، منهم بُرَيْدَة بن الحُصَيْب ، وأبو بَرَزَة ، ولهما صُحْبَة ، فسكنوا خراسان ، فلما قدمها غزا بلخ ففتحها صلحاً ، وكانت قد أغلقت بعدما صالحهم الأحنف بن قيس في قول بعضهم . وفتح قُهِسْتَان عنوةً وقتل من بناحيتها من الأتراك ، وبقي منهم نيزك طرخان ، فقتله قُتَيْبَة بن مسلم في ولايته .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة مات جرير بن عبد الله البجلي ، وقيل : سنة أربع وخمسين ، وكان إسلامه في السنة التي توفي فيها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وفيها مات سعيد بن زيد ، وقيل : سنة اثنتين ، وقيل : ثمان وخمسين ، ودُفِن بالمدينة ، وهو أحد العشرة . وأبو بكر نُضَيْع بن الحارث ، له صُحْبَة ، وهو أخو زياد لأمه . وفيها ماتت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بسرِّف ، وفيها دخل بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقيل :

ماتت سنة ثلاث وستين ، وقيل : ست وستين .

وحجّ بالناس هذه السنة يزيد بن معاوية . وكان العمال بهذه السنة من
تقدّم ذكرهم .

(بَرِيْدَةٌ بضمّ الباء الموحدة ، وفتح الراء المهملة . والحُصْبُ بضمّ الحاء
المهملة ، وفتح الصاد المهملة ، وآخره باء موحدة) .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

فيها كانت غزوة سفيان بن عوف الأسدي الروم وشتى بأرضهم ، وتوفي بها في قول ، فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاري ، وقيل : إن الذي شتى هذه السنة بأرض الروم بسُر بن أبي أرطاة ومعه سفيان بن عوف ، وغزا الصائفة هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفي .

ذكر خروج زياد بن خِراش العِجَلي

وفي هذه السنة خرج زياد بن خِراش العِجَلي في ثلاثمائة فارس فأتى أرض مَسْكَن من السواد ، فسير إليه زياد خيلاً عليها سعد بن حذيفة أو غيره ، فقتلوهم وقد صاروا إلى ماه .

ذكر خروج مُعَاذ الطائي

وخرج على زياد أيضاً رجل من طيء يقال له مُعَاذ ، فأتى نهر عبد الرحمن ابن أمّ الحَكَم في ثلاثين¹ رجلاً هذه السنة ، فبعث إليه زياد مَنْ قتلته وأصحابه ، وقيل : بل حلّ لواءه واستأمن² . ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن .

1) ثمانين . C. P.

2) Om. C. P.

ذكر عدة حوادث

وحجّ بالناس سعيد بن العاص . وكان العمّال من تقدّم ذكرهم .
وفيها مات عمّران بن الحصين الخُزاعيّ بالبصرة . وأبو أيّوب الأنصاريّ ،
واسمه خالد بن زيد ، شهد العقبة وبدراً ، . وقد تقدّم أنّه توفيّ سنة تسع
وأربعين عند القسطنطينية¹ . وكعب بن عُجْرة ، وله خمس وسبعون سنة :

ع

1) Om. S.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

فيها كان مشي عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم 1 الثَّقَفِيّ بأرض الروم .
 وفيها فُتِحَتْ رُودَس ، جزيرة في البحر ، فتحها جُنَادَة بن أبي أمية
 الأزديّ ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم ، وكانوا أشدّ شيء على الروم ،
 يعترضونهم في البحر فيأخذون سفنهم ، وكان معاوية يدرّ لهم العطاء ، وكان
 العدو قد خافهم . فلما توفي معاوية أقفلهم 2 ابنه يزيد .
 وقيل : فُتِحَتْ سنة ستين .

ذكر وفاة زياد

وفي هذه السنة توفي زياد بن أبيه . بالكوفة في شهر رمضان 3 .
 وكان سبب موته أنه كتب إلى معاوية : إنّي قد ضبّطُ العراق بشمالي
 ويميني فارغة فاشغلها بالحجاز . فكتب له عهده على الحجاز ، فبلغ أهل الحجاز
 فأتى نفرٌ منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكروا ذلك ، فقال : أدعو الله
 عليه ثمّ استقبل القبلة . ودعا ودعوا معه ، . وكان من دعائه أن قال : اللهم اكفينا
 شرّ زياد 4 . فخرجت طاعونة 5 على إصبع يمينه 6 فمات منها . فلما حضرته

1) C. P. et R. الحسن .

2) R. أمهاتهم .

3) Om. C. P.

4) R. يمين .

5) Om. S.

6) S. إصبعه .

الوفاء دعا شريحاً القاضي فقال له : قد حدث ما ترى وقد أمرتُ بقطعها فأشیرُ
عليّ . فقال له شريح : إنني أخشى أن يكون الأجل قد دنا فتلقى الله أجدمَ
وقد قطعتَ يدك كراهية لقائه ، أو أن يكون في الأجل تأخير فتعيش أجدم وتُعيَّرُ
ولذلك . فقال : لا أبيت والطاعون في لحاف واحد . فخرج شريح من عنده ،
فسأله الناسُ ، فأخبرهم ، فلاموه وقالوا : هلاّ أشرتَ بقطعها ؟ فقال :
المستشار مؤتمن .

وأراد زياد قطعها ، فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع وتركه ، وقيل : بل
تركه لما أشار عليه شريح بتركه ، ولما حضرته الوفاة قال له ابنه : قد هيأتُ
لك ستين ثوباً أكفنتك بها . فقال له : يا بنيّ قد دنا من أبيك لباس هو خير من
لباسه [هذا] ، أو سَلِّبْ سريعاً ! فمات فدفن بالشؤبة إلى جانب الكوفة .
فلما بلغ موته ابن عمر قال : اذهب ابن سُمَيَّة ، لا الآخرة أدركتَ
ولا الدنيا بقيتُ عليك .

وكان مولده سنة إحدى من الهجرة ؛ قال معسكين الدارمي يرثيه :

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَّتْ جِهَاراً حِينَ وَدَعْنَا زِيَادُ

فقال الفرزدق يحميه ، ولم يكن هجا زياداً حتى مات :

أَمْسَكِينُ أَبْكِي اللَّهَ عَيْنِكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا فَتَحْدَرَا

بَكَيْتَ امْرَأً مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ كَافِرًا كَكَسْرِي عَلَى عِدَانِهِ أَوْ كَقَيْصِرَا

أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَنَا فِي نَعِيَّةٍ بِهِ لَا بَطِيءَ بِالصَّرِيمَةِ أَعْفَرَا

وكان زياد فيه حمرة ، وفي عينه البنى انكسار ، أبيض اللحية مخروطها ،
عليه قميص ربّما رقعته .

1) أرسله الله تعالى .

ذكر وفاة الربيع

وفيها مات الربيع بن زياد الحارثي عامل خراسان من قبيل زياد .
 وكان سبب موته أنه سخط قتل حُجْر بن عديّ حتى إنه قال : لا تزال
 العرب تُقتل صبراً بعده ، ولو نفرت عند قتله لم يُقتل رجل منهم صبراً ،
 ولكنها أقرت فذلت . ثم مكث بعد هذا الكلام جماعة ، ثم خرج يوم الجمعة
 فقال : أيها الناس إنني قد مللت الحياة وإنني داعٍ بدعوة فأمّنوا ! ثم رفع
 يديه بعد الصلاة فقال : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً !
 وأمّن الناس ، ثم خرج فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل إلى بيته ، واستخلف
 ابنه عبد الله ومات من يومه ، ثم مات ابنه بعده بشهرين واستخلف خليفته
 ابن يربوع الحنفي¹ ، فأقره زياد . ولما مات زياد كان على البصرة سمرة بن
 جندب ، وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، فأقر سمرة على البصرة
 ثمانية عشر شهراً ، وقيل : ستة أشهر ، ثم عزله معاوية ، فقال سمرة : لعن² الله
 معاوية ! والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذبتني أبداً . وجاء رجل إلى سمرة
 فأدى زكاة ماله ثم دخل المسجد فصلى ، فأمر سمرة بقتله فقتل ، فمر به أبو
 بكر فقال : يقول الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ
 فَصَلَّى ﴾³ ، قال : وما مات سمرة حتى أخذ الزمهرير فمات شراً ميتة .
 • (الثوية بضم التاء المثناة ، وفتح الواو ، والياء تحتها نقطتان : موضع
 فيه مقبرة⁴) .

1) C. P. الحنفي .

2) R. غفر .

3) Corani 87, vss. 14, 15.

4) Om. S.

ذكر عدة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة سعيدُ بن العاص ، وكان عامل المدينة ، وخرجت هذه السنة وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى البصرة سمرّة ، وعلى خراسان خلّيد بن يربوع الحنفي .
(أسيد بفتح الهمزة ، وكسر السين المهملة ، وسكون الياء المعجمة باثنتين من تحتها) .

وفيهما مات عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بطريق مكة في نومة نامها ، وقيل : توفي بعد ذلك . وفيها توفي فيروز الديلمي ، وكانت له صحبة ، وكان معاوية قد استعمله على صنعاء . وفيها مات عمرو بن حزم الأنصاري . وفيها مات فضالة بن عبّيد الأنصاري بدمشق ، وكان قاضياً لمعاوية ، . وقيل : مات آخر أيام معاوية ، وقيل غير ذلك¹ ، شهد أحداً وما بعدها .

1) Om. C. P.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

ذكر غزوة الروم وفتح جزيرة أرواد

فيها كان مشى محمد بن مالك بأرض الروم ، وصائفة معن بن يزيد السلمي .
وفيها فتح المسلمون ومقدمهم جنادة بن أبي أمية جزيرة أرواد قريب
القسطنطينية ، فأقاموا بها سبع سنين ، وكان معهم مجاهد بن جبر ، فلما
مات معاوية وولي ابنه يزيد أمرهم بالعود فعادوا .

ذكر عزل سعيد عن المدينة واستعمال مروان

وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة واستعمل مروان .
وكان سبب ذلك أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص أن يهدم دار مروان
ويقبض أمواله كلها ليجعلها صافيةً ويقبض منه فدك ، وكان وهبها له ،
فراجع سعيد بن العاص في ذلك ، فأعاد معاوية الكتاب بذلك ، فلم يفعل سعيد
ووضع الكتابين عنده ، فعزله معاوية وولّى مروان وكتب إليه يأمره بقبض
أموال سعيد بن العاص وهدم داره ، فأخذ الفعلة وسار إلى دار سعيد ليهدمها ،
فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك أتهدم داري ؟ قال : نعم ، كتب إليّ أمير
المؤمنين ، ولو كتب إليك في هدم داري لفعلت . فقال : ما كنت لأفعل .

1) C. P. et R. جير .

قال : بلى والله . قال : كلاً . وقال لغلامه : ايتني بكتاب معاوية ؛ فجاءه
بالكتابين ، فلما رآهما مروان قال : كتب إليك فلم تفعل ولم تعلمني ؟ فقال
سعيد : ما كنتُ لأمنُ عليك ، وإنما أراد معاويةُ أن يحرّضَ بيننا . فقال مروان :
أنت والله خير مني . وعاد ولم يهدم دار سعيد ، وكتب سعيد إلى معاوية :
العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا ! إنه يُضغِن بعضنا على بعض ،
فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الأخبثين ، وعفوه وإدخاله
القطيعة بيننا والشحناء وتوارث الأولاد ذلك ، فوالله لو لم تكن أولاد أب واحدا
لما جمعنا اللهُ عليه من نصرة أمير المؤمنين الخليفة المظلوم ، واجتماع كلمتنا .
لكان حقاً على أمير المؤمنين أن يرعى ذلك .

فكتب إليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصّل وأنه عائد إلى أحسن ما يعهده .
وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فأثنى عليه خيراً ، فقال له معاوية :
ما باعد بينه وبينك ؟ قال : خافني على شرفه وخفته على شرفي . قال : فماذا
له عندك ؟ قال : أسره شاهداً وغائباً .

ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان

وفي هذه السنة عزل معاويةُ سَمُرَةَ بن جُنْدَب واستعمل على البصرة
عبد الله بن عمرو بن غَيْلان ستة أشهر .

وفيها استعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان .

وكان سبب ولايته أنه قدم عليه بعد موت أبيه ، فقال له معاوية : من
استعمل أبوك على الكوفة والبصرة ؟ فأخبره ، فقال : لو استعملك أبوك

1) C. P. et R., add. لا .

لاستعملتك . فقال عبيد الله : أنشدك الله أن يقولها لي أحد بعدك : لو استعملك
أبوك وعمك لاستعملتك¹ . فولاه خراسان وقال له : اتق الله ولا تؤثرن على
تقواه شيئاً ، فإن في تقواه عوضاً ، ووفر عرضك من أن تدنسه ، وإذا أعطيت
عهداً فف به ، ولا تبعن كثيراً بقليل ، ولا يخرجن منك أمر حتى تُبرمه ،
فإذا خرج فلا يُردن عليك ، وإذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر¹ الأرض
فلا يغلبوك على بطنها ، ولا تُطمعن أحداً في غير حقه ، ولا تؤيسن أحداً من
حق هو له . ثم ودّعه ، وكان عمر عبيد الله خمساً وعشرين سنة ، وسار إلى
خراسان ، فقطع النهر إلى جبال بخارى . على الإبل ، فكان أول من قطع جبال
بخارى في جيش ، ففتح رامتي² ونسّف وببِكَند ، وهي من بخارى³ ، فمن
ثم أصاب البخارية وغنم منهم غنائم كثيرة ، ولما لقي الترك وهزمهم كان مع
ملكهم زوجته فعجلوها عن لبس خفيها فلبست أحدهما وبقي الآخر ، فأخذه
المسلمون ، فقوّم بمائتي ألف درهم . وكان قتاله الترك من زُحوف خراسان
التي تُذكر ، فظهر منه بأس شديد ، وأقام بخراسان سنتين .

ذكر عدة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وهو أمير المدينة .
وبكان على الكوفة عبد الله بن خالد ، وقيل : الضحّاك بن قيس ، وعلى
البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان .

1) C. P. رجه .

2) S. راين .

3) Om. C. P.

وفي هذه السنة توفي أبو قتادة الأنصاري وعمره سبعون سنة ، وقيل :
مات سنة أربعين ، وصلى عليه عليّ وكبر عليه سبعاً ، وشهد مع عليّ حروبه
كلها ، وهو بدري . وفيها توفي حوَيْطِب بن عبد العزّي وله مائة وعشرون
سنة . وفيها توفي ثوبان مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وأسامة بن
زيد ، وقيل : توفي أسامة سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة تسع وخمسين .
وفيها توفي سعيد بن يربوع بن عنكثة ، وكان عمره مائة وأربعاً وعشرين
سنة ، وله صحبة . ومخرمة بن نوفل ، وهو من مسلمة الفتح ، وعمره مائة
سنة وخمس عشرة سنة ، وعبد الله بن أنيس الجهتي . وفيها قُتل زيد بن
شجرة الرهاوي في غزوة غزاها ، وقيل : سنة ثمان وخمسين .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

في هذه السنة كان مشى سفيان بن عوف الأزدي في قول ، وقيل : بل الذي شتى هذه السنة عمرو بن مُحَرَّر ، وقيل : بل عبد الله بن قيس الفزاري ، وقيل : بل مالك بن عبد الله .

ذكر ولاية ابن زياد البصرة

في هذه السنة عزل معاويةُ عبدَ الله بن عمرو بن غَيَّلان عن البصرة وولَّاهَا عبيد الله بن زياد .

وكان سبب ذلك : أن عبد الله خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بني ضَبَّة قطع يده ، فأتاه بنو ضَبَّة وقالوا : إن صاحبنا جنى ما جنى وقد عاقبته ولا نأمن أن يبلغ خبرنا أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة¹ نعم ، فاكتب لنا كتاباً إلى أمير المؤمنين يخرج به أحدنا إليه يُخبره أنك قطعت على شبهة وأمر لم يتضح² . فكتب لهم ، فلما كان رأس السنة توجه عبد الله إلى معاوية ووافاه الضبِّيون بالكتاب وادَّعوا أنه قطع صاحبهم ظلماً . فلما رأى معاوية الكتاب قال : أما القود من عمالي فلا سبيل إليه ولكن أدي صاحبكم من بيت المال .

1) معاوية C. P.

2) يصح S.

وعزل عبد الله عن البصرة واستعمل ابن زياد عليها، فولّى ابن زياد على خراسان
أسلم بن زُرعة¹ الكلابيّ، فلم يغرّ ولم يفتح بها شيئاً.

ذكر عدّة حوادث

وفيهما عزل معاوية² عبد الله بن خالد عن الكوفة وولّاهما الضحّاك بن قيس،
وقيل ما تقدّم. وفيها مات الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وهو الذي كان
رسولُ الله، صلّى الله عليه وسلّم، يختفي في داره بمكة، وكان عمّره
ثمانين سنة وزيادة، وقيل: مات يوم مات أبو بكر. وفيها توفي أبو اليسر
كعب بن عمرو الأنصاري، وهو بدري، وشهد صفين مع عليّ، وقيل:
توفي قبل². وحجّ بالناس هذه السنة مروان بن الحكم.

1) مسلم بن ربيعة C. P.

2) Om. S.

ثم دخلت سنة ست وخمسين

فيها كان مشى جُنادة بن أبي أمية بأرض الروم ، وقيل : عبد الرحمن ابن مسعود . وقيل : غزا فيها في البحر يزيد بن شجرة ، وفي البر عياض بن الحارث ، واعتمر معاوية فيها في رجب ، وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد

وفي هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه . وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة ، فإن معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص ، فبلغه ذلك فقال : الرأي أن أشخص إلى معاوية فأستعفيه ليظهر للناس كراهتي للولاية . فسار إلى معاوية وقال لأصحابه حين وصل إليه : إن لم أكسبكم¹ الآن ولاية وإمارة لا أفعل ذلك أبداً . ومضى حتى دخل على يزيد وقال له : إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم ، وإنما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة² والسياسة ، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة . قال : أوترى ذلك يتم ؟ قال : نعم .

1) أكتبكم R.

2) Om. S.

فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة ، فأحضر المغيرة وقال له ما يقول
يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف
بعد عثمان ، وفي يزيد منك خلف ، فاعقد له فإن حدث بك حادث كان كهفأ
للناس وخلفاً منك ولا تُسفك دماء ولا تكون فتنة . قال : ومن لي بهذا ؟
قال : أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين
المصريين أحد يخالفك . قال : فارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق إليه في
ذلك وترى ونرى . فودعه ورجع إلى أصحابه . فقالوا : مه ؟ قال : لقد
وضعت رجلاً معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد وفتقت عليهم فتقاً
لا يرتق أبداً ، وتمثل :

بمثلي شاهدي النجوى وغالي بي الأعداء والحصم الغضاباً

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق إليه ومن يعلم أنه شيعة
لبنى أمية أمر يزيد ، فأجابوا إلى بيعته ، فأوفد منهم عشرة ، ويقال أكثر من
عشرة ، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم ، وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة ،
وقدموا على معاوية فزبنوا له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها . فقال معاوية :
لا تعجلوا بإظهار هذا وكونوا على رأيكم . ثم قال لموسى : بكم اشترى أبوك
من هؤلاء دينهم ؟ قال : بثلاثين ألفاً . قال : لقد هان عليهم دينهم .

وقيل : أرسل أربعين رجلاً وجعل عليهم ابنه عروة ، فلما دخلوا على
معاوية قاموا خطباء فقالوا : إنما أشخصهم إليه النظر لأمة محمد ، صلى الله
عليه وسلم ، وقالوا : يا أمير المؤمنين كبرت سنك وخفنا انتشار الحبل فانصب
لنا علماً وحداً لنا حداً ننتهي إليه . فقال : أشيروا علي . فقالوا : نشير يزيد
ابن أمير المؤمنين . فقال : أوقد رضيتموه ؟ قالوا : نعم . قال : وذلك رأيكم ؟

١ الغي .

قالوا : نعم ، ورأي من وراءنا . فقال معاوية لعروة سرّاً عنهم : بكم اشتري أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال : بأربعمائة دينار . قال : لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً¹ . وقال لهم : ننظر ما قدمتم له ويقضي الله ما أراد ، والأناة خير من العجلة . فرجعوا .

وقوي عزم معاوية على البيعة ليزيد ، فأرسل إلى زياد يستشيريه ، فأحضر زياد عبّيد بن كعب النميري² وقال له . إن لكلّ مستشير ثقة ، ولكلّ سرّ مستودع ، وإنّ الناس قد أبدع بهم خصلتان : إذاعة السرّ وإخراج النصيحة إلى غير أهلها ، وليس موضع السرّ إلاّ أحد رجلين : رجل آخره يرجو ثوابها ، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه ، وقد خبرتهما منك ، وقد دعوتك لأمرٍ اتهمت عليه بطون الصحف ، إن أمير المؤمنين كتب يستشيرني في كذا وكذا ، وإنه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم ، وعلاقة أمر الإسلام وضمّانه عظيم ، ويزيد صاحب رسالة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد ، فالتقى أمير المؤمنين وأدّاه إليه فعلات يزيد وقل له رويدك بالأمر ، فأحرى أن يتمّ لك [ما تريد] ، لا تعجل فإنّ دركاً في تأخير خيرٍ من فوت في عجلة³ .

فقال له عبّيد : أفلا غير هذا ؟ قال : وما هو ؟ قال : لا تُفسد على معاوية رأيه ، ولا تبغض إليه ابنه ، وألقى أنا يزيد فأخبره أنّ أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له ، وأنتك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه ، وأنتك ترى له ترك ما ينقم عليه لتستحکم له الحجّة على الناس ويتمّ ما تريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت ممّا تخاف من أمر الأمة . فقال زياد : لقد رميت الأمر بحجره ، اشخص على بركة الله ، فإن أصبت

1) C. P. وضياً .

2) C. P. et R. الفهري .

3) Om. C. P.

فما لا ينكر ، وإن يكن خطأً فغير مُسْتَغْشَرٌ ، وتقول بما ترى ، ويقضي الله بغيب ما يعلم .

فقدم على يزيد فذكر ذلك له ، فكفّ عن كثير مما كان يصنع ، وكتب زياد معه إلى معاوية بشير بالتؤدة وأن لا يعجل ، فقبل منه .

فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد ، فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم ، فقبلها ، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر : هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص . وامتنع .

ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكم : إنني قد كبرت سنّي ، ودقّ عظمي ، ونخشيتُ الاختلاف على الأمة بعدي ، وقد رأيتُ أن أتخير لهم من يقوم بعدي ، وكرهتُ أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك ، فأعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردّون عليك . فقام مروان في الناس فأخبرهم به ، فقال الناس : أصاب ووفّق ، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يالو .

فكتب مروان إلى معاوية بذلك ، فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد ، فقام مروان فيهم وقال : إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل ، وقد استخلف ابنه يزيد بعده .

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال : كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ! ما الخيار أردتما لأمة محمد . ولكنكم تريدون أن تجعلوها هيرقلية كلما مات هيرقل قام هيرقل . فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَالَّذِي قَاتَلَ لِوَالِدَيْهِ أَفٍ لَكُمْ ﴾ ۱ الآية .

1) Corani 46, vs. 17.

فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت : يا مروان يا مروان !
فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه . فقالت : أنت القائل لعبد الرحمن إنه نزل
فيه القرآن ؟ كذبت ! والله ما هو به ولكنه فلان بن فلان ، ولكنك أنت فضض¹
من لعنة نبي الله .

وقام الحسين بن عليّ فأنكر ذلك ، وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير ،
فكتب مروان بذلك إلى معاوية ، وكان معاوية قد كتب إلى عمّاله بتقريظ يزيد
ووصفه وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار ، فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو²
ابن حزم من المدينة ، والأحنف بن قيس في وفد أهل البصرة ، فقال محمد بن
عمرو² لمعاوية : إن كل راعٍ مسؤول عن رعيته ، فانظر من تولي أمر أمة
محمد . فأخذ معاوية بهر حتى جعل يتنفس في يوم شاتٍ ثم وصله وصرفه ،
وأمر الأحنف أن يدخل على يزيد ، فدخل عليه ، فلما خرج من عنده قال له :
كيف رأيت ابن أخيك ؟ قال : رأيت شباباً ونشاطاً وجلداً ومزاحاً .

ثم إن معاوية قال للضحّاك بن قيس الفهري ، لما اجتمع الوفود عنده :
إنني متكلّمكم فإذا سكتُ فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحشي عليها . فلما
جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الإسلام وخرمة الخلافة وحققها وما أمر
الله به من طاعة ولاة الأمر ، ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض
بيعته ، فعارضه الضحّاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين إنّه
لا بدّ للناس من والٍ بعدك ، وقد بلونا الجماعة والألفة فوجدناهما أحقن للدماء ،
وأصلح للدهماء ، وآمن للسبل ، وخيراً في العاقبة ، والأيتام عوج رواجع ،
والله كل يوم في شأن ، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته على
ما علمت ، وهو من أفضلنا علماً وحلماً ، وأبعدنا رأياً ، فوله عهدك واجعله
لنا علماً بعدك ومفرعاً نلجأ إليه ونسكن في ظله .

1) C. P. et R. scholion hoc add. أي قطعة .

2) R. عمير .

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك . ثم قام يزيد بن المقنن العذري فقال : هذا أمير المؤمنين ، وأشار إلى معاوية ، فإن هلك فهذا ، وأشار إلى يزيد ، ومن أبي فهذا ، وأشار إلى سيفه . فقال معاوية : اجلس . فأتى سيد الخطباء . وتكلم من حضر من الوفود .

فقال معاوية للأحنف : ما تقول يا أبا بحر ؟ فقال : نخافكم إن صدقنا ، ونخاف الله إن كذبنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلايته ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه الله تعالى وللأمة رضى فلا تشاور فيه ، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة ، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا . وقام رجل من أهل الشام فقال : ما ندري ما تقول هذه المدينة العراقية وإنما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف .

فتفرق الناس يحكون قول الأحنف ، وكان معاوية يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعه . فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز في ألف فارس ، فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أول الناس ، فلما نظر إليه قال : لا مرحباً ولا أهلاً ! بدنة يترقرق دمها والله مهريقه ! قال : مهلاً فإنني والله لست بأهل لهذه المقالة ! قال : بلى ولشر منها . ولقية ابن الزبير فقال : لا مرحباً ولا أهلاً ! خب ! صب ! تلعة ، يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله أن يؤخذ² بذنبه ويدق ظهره ، نحياه عني ، فضرب وجه راحلته . ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال له معاوية : لا أهلاً ولا مرحباً ! شيخ قد خرف وذهب عقله ؛ ثم أمر فضرب وجه راحلته ، ثم فعل ببن عمر بنو ذلك ، فأقبلوا معه لا يلتفت إليهم حتى دخل المدينة ، فحضروا بابه ، فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبون ، فخرجوا إلى مكة فأقاموا بها ، وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال : من أحق

1) R. حجر .

2) R. يضرب .

3) Om. C. P. Bodl. يجاه . R. يجاه .

منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه ؟ وما أظنّ قوماً بمتهمين حتى تصيهم
بوائق تجتث أصولهم ، وقد أنذرتُ إن أغنت النذُرُ ؛ ثمّ أنشد متمثلاً :

قد كنتُ حذرْتُك آل المصطلقِ وقلتُ يا عمرو أطعني وانطلقِ
إنك إن كلفتنِي ما لم أطقِ ساءك ما سركَ مني من خُلُقِ
دونك ما استسقيته فاحس^١ وذُقِ

ثمّ دخل على عائشة ، وقد بلغها أنه ذكر الحسين وأصحابه ، فقال :
لأقتلنهم إن لم يبايعوا ، فشكاهم إليها ، فوعظته وقالت له : بلغني أنك
تهدددهم بالقتل ، فقال : يا أمّ المؤمنين هم أعزّ من ذلك ولكنني بايعتُ ليزيد
وبايعه غيرهم ، أفترين أن أنقض بيعة قد تمت ؟ قالت : فافرق بهم فإنهم
يصيرون إلى ما تحبّ إن شاء الله . قال : أفعل . وكان في قولها له : ما يؤمنك
أن أقعد لك رجلاً يقتلك ! وقد فعلت بأخي ما فعلت ؟ تعني أخاها محمداً . فقال
لها : كلاً يا أمّ المؤمنين ، إنني في بيت آمن . قالت : أجل .

ومكث بالمدينة ما شاء الله ثمّ خرج إلى مكة فلقية الناس ، فقال أولئك النفر :
نلتقاه فلعله قد ندم على ما كان منه ، فلقوه ببطن مرّ ، فكان أوّل من لقيه
الحسين ، فقال له معاوية : مرحباً وأهلاً يا ابن رسول الله وسيد شباب المسلمين !
فأمر له بدابة فركب وسأيره ، ثمّ فعل بالباقيين مثل ذلك وأقبل يسأيرهم لا يسير
معه غيرهم حتى دخل مكة ، فكانوا أوّل داخل وآخر خارج ، ولا يمضي يوم
إلاّ ولهم صلة ولا يذكر لهم شيئاً ، حتى قضى نسكه وحمل أثقاله وقرب مسيره ،
فقال بعض أولئك النفر لبعض : لا تُخذعوا فما صنع بكم هذا لحبكم وما

1) يعقلك . R.

صنعه إلا لما يريد . فأعدوا له جواباً فاتفقوا على أن يكون المخاطب له ابن الزبير .
 فأحضرهم معاوية وقال : قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم وحملي
 ما كان منكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم وأردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا
 أنتم تغزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك .
 فسكتوا . فقال : ألا تجيبون ؟ مرتين .

ثم أقبل علي بن الزبير ، فقال : هات لعمرى إنك خطيبهم . فقال :
 نعم ، نخيرك بين ثلاث خصال . قال : اعرضهن . قال : تصنع كما صنع رسول
 الله ، صلى الله عليه وسلم ، أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر . قال
 معاوية : ما صنعوا ؟ قال : قبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولم
 يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا بكر . قال : ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف
 الاختلاف . قالوا : صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر فإنه عهد إلى رجل من
 قاصية¹ قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه ، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر .
 جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه . قال
 معاوية : هل عندك غير هذا ؟ قال : لا . ثم قال : فأنتم ؟ قالوا : قولنا قوله .
 قال : فإنني قد أحببت أن أتقدم إليكم ، إنه قد أعذر من أنذر ، إنني كنت
 أخطب فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك
 وأصفح ، وإنني قائم بمقالة فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي
 هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يبقين رجل
 إلا على نفسه .

ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال : أقم على رأس كل رجل من

1) ناحية R .

هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف ، فإن ذهب رجل منهم يردّ عليّ كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما . ثمّ خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : إنّ هؤلاء الرّهط سادة المسلمين وخيارهم لا يَبْتَأُ أمر دونهم ولا يُقضى إلاّ عن مشورتهم ، وإنّهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ، فبايعوا على اسم الله ! فبايع الناس ، وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر ، ثمّ ركب رواحله وانصرف إلى المدينة ، فلقى الناس أولئك النفر فقالوا لهم : زعمتم أنّكم لا تبايعون فلمّ أرضيتم وأعطيتم وبايعتم ؟ قالوا : والله ما فعلنا . فقالوا : ما منعكم أن تردّوا على الرجل ؟ قالوا : كادنا وخفنا القتل .

وبايعه أهل المدينة ، ثمّ انصرف إلى الشام وجفا بني هاشم ، فأناه ابن عبّاس فقال له : ما بالك جفوتنا ؟ قال : إنّ صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تُنكروا ذلك عليه . فقال : يا معاوية إنّي لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل فأقيم به ثمّ أنطق بما تعلم حتى أدع الناس كلّهم خوارج عليك . قال : يا أبا العباس تُعطون وترضون وترادون .

وقيل : إنّ ابن عمر قال لمعاوية : أبايعك على أنّي أدخل فيما تجتمع عليه الأمة ، فوالله لو اجتمعت على حبشي لدخلت معها ! ثمّ عاد إلى منزله فأغلق بابه ولم يأذن لأحد .

قلتُ : ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر لا يستقيم على قول من يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين ، وإنّما يصحّ على قول من يجعلها بعد ذلك الوقت .

ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان بن عفان

في هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد .

وسبب ذلك أنه سأل معاوية أن يستعمله على خراسان ، فقال : إن بها عبئاً لله بن زياد . فقال : والله لقد اصطنعتك أبي حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا تجارى إليه ولا تُسامى ، فما شكرت بلاءه ولا جازيته وقدّمت هذا ، يعني يزيد ، وبايعت له ، والله لأنا خير منه أباً وأماً ونفساً ! فقال معاوية : أما بلاء أبيك فقد يحقّ عليك الجزاء به ، وقد كان من شكري لذلك أنتي قد طلبتُ بدمه ، وأما فضلُ أبيك على أبيه فهو والله خير مني ، وأما فضل أمك على أمه فلعمري امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فوالله ما أحبّ أن الغوطة مُلئتُ [ليزيد] رجلاً مثلك . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحقّ من نظري في أمره ، قد عتبّ عليك فأعتبه .

فولاه حرب خراسان ، وولّى إسحاق بن طلحة¹ خراجها ، وكان إسحاق ابن خالة معاوية ، أمه أمّ أبان بنت عتبة² بن ربيعة ، فلما صار بالريّ مات إسحاق فولّى سعيد حربها وخراجها ، فلما قدم خراسان قطع النهر إلى سمرقند ، فخرج إليه الصغد فتواقفوا يوماً إلى الليل ولم يقتلوا ، فقال مالك بن الربيع³ :

ما زلت يوم الصغد تُرعد واقفاً من الجبين حتى خيفت أن تنصراً

1) طليحة R.

2) عتبة C. P.

3) الربيع R.

فلما كان من الغد اقتتلوا فهزمهم سعيد وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه
وأعطوه رهناً منهم خمسين غلاماً من أبناء عظمائهم ، فسار إلى تيرميد ففتحها
صلحاً ولم يَفِ لأهل سمرقند وجاء بالغلaman معه إلى المدينة . وكان ممن قُتل
معه قُثم بن عباس بن عبد المطلب .

وفي هذه [السنة] ماتت جوَيْرية بنت الحارث زوج النبي ، صلى الله عليه
وسلم .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

فيها كان مشى عبد الله بن قيس بأرض الروم .
 وفيها عزل مروان بن الحكم عن المدينة ، واستعمل عليها الوليد بن عتبة
 ابن أبي سفيان ، وقيل : لم يُعزل مروان هذه السنة . وحج بالناس الوليد بن عتبة .
 وكان العامل على الكوفة الضحّاك بن قيس ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ،
 وعلى خراسان سعيد بن عثمان . وفي هذه السنة مات عبد الله بن عامر ، وقيل :
 سنة تسع وخمسين . وعبد الله بن قدامة السعديّ ، وله صحبة ، وقيل : هو
 عبد الله بن عمرو بن وقدان¹ السعديّ ، وإنما قيل له السعديّ لأنّ أباه استرضع
 في بني سعد بن بكر ، وهو من بني عامر بن لؤي . وعثمان بن شيبة بن أبي
 طلحة العبديّ ، وهو جدّ بني شيبة سدنة الكعبة ومفتاحها معهم إلى الآن ،
 وأسلم يوم الفتح ، وقيل يوم حنين ، وجبّير بن مطعم بن نوفل القرشيّ ،
 له صحبة . وأمّ سلّمة زوج النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، وقيل : بقيت
 إلى قتل الحسين .

1) C. P. et R. وفدان .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

في هذه السنة غزا مالك بن عبد الله الحشعَمي أرض الروم وعمرو بن يزيد الجُهَتي في البحر ، وقيل : جنادة بن أبي أمية .

ذكر عزل الضحّاك عن الكوفة واستعمال ابن أمّ الحكم

وفي هذه السنة عزل معاوية الضحّاك بن قيس عن الكوفة واستعمل عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي ، وهو ابن أمّ الحكم ، وهو ابن أخت معاوية .

وفي عمله هذه السنة خرجت الخوارج الذين كان المغيرة بن شعبه حبسهم فجمعهم حيان بن ظبيان السُلَمي ومُعَاذ بن جُوَيْن¹ الطائي فخطباهم وحثاهم على الجهاد ، فبايعوا حيان بن ظبيان وخرجوا إلى بانيقيا ، فسار إليهم الجيش من الكوفة فقتلوهم جميعاً .

ثم إن عبد الرحمن بن أمّ الحكم طرده أهل الكوفة لسوء سيرته ، فلحق بحاله معاوية فولاه مصر ، فاستقبله معاوية بن حُدَيج على مرحلتين من مصر ، فقال له : ارجع إلى خالك ، فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة ! فرجع إلى معاوية .

.....
1) جيين C. P. ; جونه R. 1)

ثم إن معاوية بن حُديج وفد إلى معاوية ، وكان إذا قدم إلى معاوية زُيِّنَتْ له الطرق بقباب¹ الريحان تعظيماً لشأنه ، فدخل على معاوية وعنده أخته أمّ الحكمم ، فقالت : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : بخ بخ ! هذا معاوية بن حُديج . قالت : لا مرحباً ، تسمع بالمُعَيَّدي خير من أن تراه² ! فسمعها معاوية بن حُديج فقال : على رِسْلِكَ يا أمّ الحكمم ، والله لقد تزوّجتِ فما أكرِمتِ ، وولدتِ فما أنجبتِ ، أردتِ أن يلي ابنُك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة وما كان الله ليُريه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يُطأطأ منه ، ولو كره هذا القاعد ، يعني خاله معاوية . فالتفت إليها معاوية وقال : كفي ، فكفت .

ذكر خروج طوّاف بن هَلّاق

كان قوم من الخوارج بالبصرة³ يجتمعون إلى رجل اسمه جدار⁴ فيتحدّثون عنده ويعيبون السلطان ، فأخذهم ابن زياد فحبسهم ثمّ دعا بهم وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً ويُخَلّي سبيل القاتلين ، ففعلوا ، فأطلقهم ، وكان ممن قَتَلَ طوّاف ، معذّم أصحابهم وقالوا : قتلتم إخوانكم ! قالوا : أكرهنا وقد يُكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالإيمان .
وندم طوّاف وأصحابه ، فقال طوّاف : أما من توبة ؟ فكانوا يبكون ، وعرضوا على أولياء من قُتلوا الدية⁵ فأبوا ، وعرضوا عليهم القوَدَ فأبوا ، ولقي طوّاف الهشّاث بن ثور السدوسيّ فقال له : أما ترى لنا من توبة ؟ فقال :

1) R. بصناف .

2) Vid. Meidanli I, p. 223.

3) C. P.

4) C. P. حلرا .

5) S. الدم .

ما أجد لك إلا آية في كتاب الله ، عز وجل ، قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾¹ . فدعا طوآف أصحابه إلى الخروج وإلى أن يفتكوا بابن زياد ، فبايعوه في سنة ثمان وخمسين ، وكانوا سبعين رجلاً من بني عبد القيس بالبصرة ، فسعى بهم رجل من أصحابهم إلى ابن زياد ، فبلغ ذلك طوآفاً فعجل الخروج ، فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلاً ومضوا إلى الجملحاء ، فندب ابن زياد الشرط البخارية² ، فقاتلوه ، فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة واتبعوه ، وذلك يوم عيد الفطر ، وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا ، وبقي طوآف في ستة نفر ، وعطش فرسه فأقحمه الماء ، فرماه البخارية بالنشاب حتى قتلوه وصلبوه ، ثم دفنه أهله ، فقال شاعر منهم :

يا رَبَّ هَبْ [لي] النقي والصدق في ثبَتِ واكفِ المهمَّ فانتَ الرّازِقُ الكافي
حتى أبيعَ التي تفي بأخرةٍ تبقى على دينِ مِرْداسٍ وطوآفِ
وكهمس وأبي الشعثاء إذ نفرُوا إلى الإلهِ ذوي اخبابِ زحافِ

ذكر قتل عروة بن أدية³ وغيره من الخوارج

في هذه السنة اشتدَّ عبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم جماعة كثيرة ، منهم : عروة بن أدية أخو أبي بلال مرداس بن أدية ، وأدية أمهما ، وأبوهما حدير ، وهو تميمي .

وكان سبب قتله أن ابن زياد كان قد خرج في رهان له ، فلما جلس

1) Corani 16, vs. 110.

2) البخارية R. ; المحاربة C. P.

3) أذية : أذية ، أذية ، أدية ، أدية : Nominis scriptura sic variat .

ينتظر الخيل اجتمع إليه الناس وفيهم عروة ، فأقبل على ابن زياد يعظه ، وكان مما قال له : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾¹ . فلما قال ذلك ظنّ ابن زياد أنه لم يقل ذلك إلاّ ومعه جماعة ، فقام وركب وترك رهانه . فقيل لعروة : ليقتلنك ! فاختفى ، فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة ، فأخذ وقدم به على ابن زياد ، فقطع يديه ورجليه وقتله ، وقتل ابنته .

وأما أخوه أبو بلال مirdاس فكان عابداً مجتهداً عظيم القدر في الحوارج ، وشهد صيفين مع عليّ فأنكر التحكيم ، وشهد النهروان مع الحوارج ، وكانت الحوارج كلها تتولاه ، ورأى على ابن عامر قباء أنكره فقال : هذا لباس الفساق ! فقال أبو بكر : لا تقل هذا للسلطان فإن من أبغض السلطان أبغضه الله . وكان لا يدين² بالاستعراض ، ويحرم خروج النساء ، ويقول : لا نقاتل إلاّ من قاتلنا ولا نجبي إلاّ من حمينا .

وكانت البشجاء ، امرأة من بني يربوع ، تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته ، وكانت من المجتهديات ، فذكرها ابن زياد ، فقال لها أبو بلال : إنّ التقيّة لا بأس بها فتغيبي فإنّ هذا الجبار قد ذكرك . قالت : أخشى أن يلقي أحدٌ بسبي مكرهاً . فأخذها ابن زياد فقطع يديها ورجليها ، فمرّ بها أبو بلال في السوق فعرض على لحيته وقال : أهذه أطيب نفساً بالموت منك يا مرداس ؟ ما ميتة أموتها أحبّ إليّ من ميتة البشجاء ! ومرّ أبو بلال بعبير قد طلي بقطران فغشي عليه ثمّ أفاق فتلا : ﴿ سَرَّابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغَشَّى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾³ .

ثمّ إنّ ابن زياد ألحّ في طلب الحوارج فملاً منهم السجن وأخذ الناس

1) Coran. 26, vs. 128—130.

2) R. يجبر .

3) Corani 14, vs. 50.

بسببهم وحبس أبا بلال قبل أن يقتل أخاه عروة، فرأى السجنان عبادته فأذن له كل ليلة في إتيان أهله ، فكان يأتيهم ليلاً ويعود مع الصبح ، وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد ، فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم ، فانطلق صديق مرداس إليه فأعلمه الخبر ، وبات السجنان بليلة سوء خوفاً أن يعلم مرداس فلا يرجع ، فلما كان الوقت الذي كان يعود فيه إذا به قد أتى ، فقال له السجنان : أما بلغك ما عزم عليه الأمير ؟ قال : بلى . قال : ثم جئت ؟ قال : نعم ، لم يكن جزاؤك مني مع إحسانك إليّ أن تعاقب . وأصبح عبيد الله فقتل الخوارج ، فلما أحضر مرداس قام السجنان ، وكان ظيئراً لعبيد الله ، فشفع فيه وقصّ عليه قصته ، فوهبه له وختلى سبيله .

ثم إنّه خاف ابن زياد فخرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز ، فكان إذا اجتاز به مالٌ لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقي ، فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم جيشاً عليهم أسلم بن زُرعة الكلابي سنة ستين ، وقيل : أبو حصين التميمي ، وكان الجيش ألفي رجل ، فلما وصلوا إلى أبي بلال ناشدهم الله أن يقاتلوه فلم يفعلوا ، ودعاهم أسلم إلى معاودة الجماعة ، فقالوا : أتردونا إلى ابن زياد الفاسق ؟ فرمى أصحاب أسلم رجلاً من أصحاب أبي بلال فقتلوه ، فقال أبو بلال : قد بدؤوكم بالقتال . فشدّ الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم فقدموا البصرة ، فلام ابن زياد أسلم وقال : هزمك أربعون وأنت في ألفين ، لا خير فيك ! فقال : لأن تلومني وأنا حيّ خير من أن تُثني عليّ وأنا ميتٌ . فكان الصبيان إذا رأوا أسلم صاحوا به : أما أبو بلال وراءك ! فشكا ذلك إلى ابن زياد ، فنهاهم فانتهوا .

• وقال رجل من الخوارج :

أ م .

ألفا مؤمن منكم زعمتم ويقتلهم بأسك أربعوناً
كذبتم ليس ذلك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنوناً¹
[هي الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكثيرة ينصروننا]

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس الوليد بن عتبة . في هذه السنة مات عقبه بن عامر² الجهتي ،
وله صحبة ، وشهد صفين مع معاوية . وفيها توفيت عائشة ، عليها السلام ،
وسمره بن جندب ، له صحبة . ومالك بن عبادة الغافقي ، وله صحبة .
وعميرة بن يربني قاضي البصرة ، واستقضي مكانه هشام بن هبيرة .

1) Om. C. P.

2) S.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

في هذه السنة كان مشي عمرو بن مرة الجهني بأرض الروم في البر ، وغزا في البحر جنادة بن أبي أمية ، وقيل : لم يكن في البحر غزوة هذه السنة . وفي هذه السنة عزل عبد الرحمن بن أمّ الحكم عن الكوفة واستعمل عليها النعمان بن بشير الأنصاري ، وقد تقدم سبب عزله ، . وقيل : كان عزله سنة ثمان وخمسين¹ .

ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان

وفيهما استعمل معاوية عبد الرحمن بن زياد على خراسان ، وقدم بين يديه قيس بن الهيثم السلميّ ، وأخذ أسلم بن زرعة فحبسه وأخذ منه ثلاثمائة ألف درهم ، ثمّ قدم عبد الرحمن ، وكان كريماً حربياً ضعيفاً لم يغرّ غزوةً واحدة ، وبقي بخراسان إلى أن قُتل الحسين ، فقدم على يزيد ومعه عشرون ألف ألف درهم ، فقال : إن شئت حاسبناك وأخذنا ما معك ورددناك إلى عملك ، وإن شئت أعطيناك ما معك وعزلناك وتُعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم . قال : بل تُعطيني ما معي وتعزلي . ففعل فأرسل عبد الرحمن إلى ابن جعفر بألف ألف وقال : هذه خمسمائة ألف من يزيد وخمسمائة ألف مني .

1) Om. C. P.

ذكر عزل ابن زياد عن البصرة وعوده إليها

في هذه السنة عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة وأعادته إليها .
وسبب ذلك أن ابن زياد وفد على معاوية في وجوه أهل البصرة وفيهم
الأحنف ، وكان سيء المنزلة من عبيد الله ، فلما دخلوا رحب معاوية بالأحنف
وأجلسه معه على سريريه ، فأحسن القوم الشاء على ابن زياد والأحنف ساكت ،
فقال له معاوية : ما لك يا أبا بحر لا تتكلم ؟ فقال : إن تكلمتُ خالفتُ القوم .
فقال معاوية : انهضوا فقد عزلته عنكم واطلبوا والياً ترضونه ؛ فلم يبق أحد
إلا أتى رجلاً من بني أمية أو من أهل الشام والأحنف لم يرح من منزله فلم
يأت أحداً ، فلبثوا أياماً ، ثم جمعهم معاوية وقال لهم : من اخترتم ؟ فاختلقت
كلمتهم والأحنف ساكت ، فقال : ما لك لا تتكلم ؟ فقال : إن ولّيت علينا
أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحداً ، وإن ولّيت [من] غيرهم فانظر في
ذلك . فردّه معاوية عليهم وأوصاه بالأحنف وقبح رأيه في مبادئه ، فلما
هاجت الفتنة لم يَفِ له غير الأحنف .^٤

ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بن زياد وما كان منه

كان يزيد بن مفرغ الحميري مع عباد بن زياد بسجستان : فاشتغل عنه
بحرب الترك ، فاستبطأه ابن مفرغ ، وأصاب الجند الذين مع عباد ضيقاً في
علوفات دوابهم ، فقال ابن مفرغ :

ألا ليت اللحي كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمين^١

١ دواب المسلمين .

وكان عبّاد بن زياد عظيم اللّحية ، فقيل : ما أراد غيرك . فطلب فهرب
منه وهجاه بقصائد ، وكان ممّا هجاه به قوله :

إذا أودى معاويةُ بنُ حَرْبٍ فبَشْرُ شعبَ رحلك بانصداعِ
فأشهيدُ أنّ أمك لم تُباشِرُ أبا سفيان واضعةَ القِناعِ
ولكنّ كانَ امرأً فيه لبسٌ على وجَلٍ شديدٍ وارْتِباعِ

وقال أيضاً :

ألا أبلغُ معاويةَ بنَ حَرْبٍ مُغْلَغَلَةً منَ الرّجلِ اليماني
أتغضبُ أن يُقالَ أبوكَ عَفٌّ وترضى أن يُقالَ أبوكَ زانِ
فأشهدُ أن رَحِمَكَ من زيادٍ كرحمِ الفيلِ من ولدِ الأتانِ

وقدم يزيد بن مفرغ البصرة وعبيد الله بن زياد بالشام عند معاوية ، فكتب
إليه أخوه عبّاد بما كان منه ، فأعلم عبيدُ الله معاويةَ به وأنشده الشعر واستأذنه
في قتل ابن مفرغ ، فلم يأذن له وأمره بتأديبه .

ولما قدم ابن مفرغ البصرة استجار بالأحنف وغيره من الرؤساء فلم يُجبره
أحد ، فاستجار بالمنذر بن الحارود فأجاره وأدخله داره ، وكانت ابنته عند
عبيد الله بن زياد ، فلما قدم عبيد الله البصرة أخبر بمكان ابن مفرغ ، وأتى
المنذرُ عبيدَ الله مسلماً ، فأرسل عبيدُ الله الشرط إلى دار المنذر فأخذوا ابن مفرغ
وأتوه به والمنذر عنده ، فقال له المنذر : أيها الأمير إنّي قد أجرته ! فقال :
يا منذر يمدحك وأباك ويهجوني وأبي وتُجيره عليّ ! ثمّ أمر به فسُقي دواء
ثمّ حُمِلَ على حمارٍ وطيف به وهو يسلم في ثيابه ، فقال يهجو المنذر :

تركتُ قريشاً أن أجاور فيهمُ وجاورتُ عبدَ القيسِ أهلَ المشقرِ
أناسٌ أجارونا فكان جوارهمُ أعاصيرٌ من فسوِ العراقِ المُبذِرِ

فأصبح جاري من جذيمة نائماً^١ ولا يَمْنَعُ^١ الجيرانَ غيرُ المشمرِ

فقال لعبيد الله :

يغسلُ الماءُ ما صنعتَ وقولي راسخٌ منك في العظامِ البوالي

ثم سيره عبيد الله إلى أخيه عباد بسجستان ، فكلّمت اليمانية بالشام معاويةَ فيه ، فأرسل إلى عباد فأخذه من عنده ، فقدم على معاوية وقال في طريقه :

عدّسٌ ما لعبادٍ عليكِ إمارَةٌ أمنتِ وهذا تحمّلين طليقٌ
لعمري لقد نجاك من هوةِ الردى إمامٌ وحبيلٌ للأنامِ وثيقٌ
سأشكرُ ما أوليتَ من حسنِ نعمةٍ ومثلي بشكرِ المنعمين حقيقٌ

فلما دخل على معاوية بكى وقال : ركب مني ما لم يُركب^٢ من مسلم
مثله على غير حدث ، قال : أولست القائل :
ألا أبلغ معاوية بن حرب

القصيدة ؟ فقال : لا والله الذي عظم حقّ أمير المؤمنين ما قلتُ هذا ،
وإنّما قاله عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان واتخذني ذريعة إلى هجاء زياد .
قال : ألسنت القائل :

فأشهدُ أن أمّك لم تُباشرُ أبا سفيان واضعةَ القِناعِ

1) دائماً Br. Mus. 1)

١ بثلغ .
٢ للإمام .
٣ برنكب .

في أشعار كثيرة هجوتَ بها ابن زياد ؟ اذهب فقد عفونا عنك فانزل أي أرض الله شئت . فنزل الموصل وتزوج بها . فلما كان ليلة بنائه بامرأته خرج حين أصبح إلى الصيد فلقي إنساناً على حمار . فقال : من أين أقبلت ؟ فقال : من الأهواز . قال : فما فعل . ماء مسرقان¹ ؟ قال : على حاله . فارتاح إلى البصرة فقدمها ودخل على عبيد الله فآمنه .

وغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم فكلتم فيه فقال : لا أرضى عنه حتى يرضى عنه ابن زياد . فقدم البصرة على عبيد الله وقال له :

لأنت زيادة في آل حربٍ أحبُّ إليّ من إحدى بناتي
أراك أخاً وعمّاً وابن عمّاً فلا أدري . بنغيب ما² تراني

[فقال] : أراك شاعر سوء ! ورضي عنه .

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان .

وكان الوالي على الكوفة النعمان بن بشير ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى المدينة الوليد بن عتبة ، وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد ، وعلى سجستان عباد بن زياد³ ، وعلى كرمان شريك بن الأعور .

وفيها مات قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري بالمدينة ، وقيل : سنة ستين ، وكان قد شهد مع عليّ مشاهدته كلها . وفيها مات سعيد بن العاص ، ووُلد

1) مروان R .

2) بنيت فما R .

3) S .

عام الهجرة ، وقتل أبوه يوم بدر كافراً . وفيها مات مرة بن كعب البهري¹
السلمي ، وله صحبة . وفيها مات أبو محذورة الجُمَحي مؤذن رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، بمكة ، ولم يزل يؤذن بها حتى مات وولده من بعده ،
وقيل : مات سنة تسع وستين . وفيها مات عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بمكة
فدفن بعرفات . وفيها مات أبو هريرة ، فحمل جنازته ولد عثمان بن عفان
لهواه كان في عثمان .

وفيها غزا المسلمون حصن كَمَخ ومعهم عُمَيْر بن الحُبَاب السلمي ،
فصعد عُمَيْر السور ولم يزل يُقاتل عليه وحده حتى كشف الروم فصعد
المسلمون ، ففتح به عمير ، وبذلك كان يفتخر ويفخر له بذلك .

تمّ المجلد الثالث

1) C. P. المهري .

فهرست المجلد الثالث

| | | |
|----|----|--|
| ٥ | ٢١ | ثم دخلت سنة إحدى وعشرين |
| ٥ | | ذكر وقعة نهاوند |
| ١٦ | | ذكر فتح الدينور والصيمنة وغيرهما |
| ١٧ | | ذكر فتح همدان والماهين وغيرهما |
| ١٨ | | ذكر دخول المسلمين بلاد الأعاجم |
| ١٨ | | ذكر فتح أصبهان |
| ٢٠ | | ذكر ولاية المغيرة بن شعبه على الكوفة |
| ٢٠ | | ذكر عدة حوادث |
| ٢٢ | ٢٢ | ثم دخلت سنة اثنين وعشرين |
| ٢٢ | | ذكر فتح همدان ثانياً |
| ٢٣ | | ذكر فتح قزوين وزنجان |
| ٢٤ | | ذكر فتح الري |
| ٢٥ | | ذكر فتح قُومس وجرجان وطبرستان |
| ٢٥ | | ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة |
| ٢٧ | | ذكر فتح أذربيجان |
| ٢٨ | | ذكر فتح الباب |
| ٢٩ | | ذكر فتح موقان |
| ٢٩ | | ذكر غزو الترك |
| ٣٠ | | ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة |
| ٣١ | | ذكر عزل عمارة بن ياسر عن الكوفة وولاية أبي موسى والمغيرة بن شعبه |
| ٣٣ | | ذكر فتح خراسان |

| | | | | | | | |
|----|---|---|---|---|---|---|--|
| ٣٨ | . | . | . | . | . | . | ذكر فتح شهرزور والصامغان |
| ٣٨ | . | . | . | . | . | . | ذكر عدة حوادث |
| ٣٩ | . | . | . | . | . | . | ٢٣ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين |
| ٣٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر الخبر عن فتح توج |
| ٤٠ | . | . | . | . | . | . | ذكر فتح إصطخر وجور وغيرهما |
| ٤٢ | . | . | . | . | . | . | ذكر فتح نسا ودارايجرد |
| ٤٣ | . | . | . | . | . | . | ذكر فتح كترمان |
| ٤٤ | . | . | . | . | . | . | ذكر فتح سجستان |
| ٤٥ | . | . | . | . | . | . | ذكر فتح مكران |
| ٤٦ | . | . | . | . | . | . | ذكر خبر بيروذ من الأهواز |
| ٤٨ | . | . | . | . | . | . | ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد |
| ٤٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر الخبر عن مقتل عمر ، رضي الله عنه |
| ٥٣ | . | . | . | . | . | . | ذكر نسب عمر وصفته وعمره |
| ٥٣ | . | . | . | . | . | . | ذكر أسماء ولده ونسائه |
| ٥٥ | . | . | . | . | . | . | ذكر بعض سيرته ، رضي الله عنه |
| ٦٥ | . | . | . | . | . | . | ذكر قصة الشورى |
| ٧٧ | . | . | . | . | . | . | ذكر عدة حوادث |
| ٧٩ | . | . | . | . | . | . | ٢٤ ثم دخلت سنة أربع وعشرين |
| ٧٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر بيعة عثمان بن عفان بالخلافة |
| ٧٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبي وقاص |
| ٨١ | . | . | . | . | . | . | ٢٥ ثم دخلت سنة خمس وعشرين |
| ٨١ | . | . | . | . | . | . | ذكر خلاف أهل الإسكندرية |
| ٨٢ | . | . | . | . | . | . | ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة |
| ٨٣ | . | . | . | . | . | . | ذكر صلح أهل أرمينية وأذربيجان |

| | | | | | | | |
|-----|---|---|---|---|---|---|--|
| ٨٦ | . | . | . | . | . | . | ذکر غزوة معاوية الروم |
| ٨٦ | . | . | . | . | . | . | ذکر غزوة إفريقية |
| ٨٦ | . | . | . | . | . | . | ذکر عدة حوادث |
| ٨٧ | . | . | . | . | . | . | ٢٦ ثم دخلت سنة ست وعشرين |
| ٨٧ | . | . | . | . | . | . | ذکر الزيادة في الحرم |
| ٨٨ | . | . | . | . | . | . | ٢٧ ثم دخلت سنة سبع وعشرين |
| ٨٨ | . | . | . | . | . | . | ذکر ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر وفتح إفريقية |
| ٩١ | . | . | . | . | . | . | ذکر انتقاض إفريقية وفتحها ثانية |
| ٩٣ | . | . | . | . | . | . | ذکر غزوة الأندلس |
| ٩٤ | . | . | . | . | . | . | ذکر عدة حوادث |
| ٩٥ | . | . | . | . | . | . | ٢٨ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين |
| ٩٥ | . | . | . | . | . | . | ذکر فتح قبرس |
| ٩٩ | . | . | . | . | . | . | ٢٩ ثم دخلت سنة تسع وعشرين |
| ٩٩ | . | . | . | . | . | . | ذکر عزل أبي موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها |
| ١٠١ | . | . | . | . | . | . | ذکر انتقاض أهل فارس |
| ١٠٣ | . | . | . | . | . | . | ذکر الزيادة في مسجد النبي ، صلى الله عليه وسلم |
| ١٠٣ | . | . | . | . | . | . | ذکر إتمام عثمان الصلاة بجمع وأول ما تكلم الناس فيه |
| ١٠٥ | . | . | . | . | . | . | ٣٠ ثم دخلت سنة ثلاثين |
| ١٠٥ | . | . | . | . | . | . | ذکر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد |
| ١٠٩ | . | . | . | . | . | . | ذکر غزو سعيد بن العاص طبرستان |
| ١١١ | . | . | . | . | . | . | ذکر غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف |
| ١١٣ | . | . | . | . | . | . | ذکر سقوط خاتم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في بئر أريس |

| | | | | | | | |
|-----|---|---|---|---|---|---|---|
| ١١٣ | . | . | . | . | . | . | ذكر نسير أبي ذرّ إلى الرّبكة |
| ١١٦ | . | . | . | . | . | . | ذكر عدّة حوادث |
| ١١٧ | . | . | . | . | . | . | ٣١ ثمّ دخلت سنة إحدى وثلاثين |
| ١١٧ | . | . | . | . | . | . | ذكر غزوة الصّوّاري |
| ١١٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر مقتل يزيد جرد بن شهر يار |
| ١٢٣ | . | . | . | . | . | . | ذكر مسير ابن عامر إلى خراسان وفتحها |
| ١٢٧ | . | . | . | . | . | . | ذكر فتح كرمان |
| ١٢٨ | . | . | . | . | . | . | ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما |
| ١٢٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر عدّة حوادث |
| ١٣١ | . | . | . | . | . | . | ٣٢ ثمّ دخلت سنة اثنين وثلاثين |
| ١٣١ | . | . | . | . | . | . | ذكر ظفر الترك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة |
| ١٣٣ | . | . | . | . | . | . | ذكر وفاة أبي ذرّ |
| ١٣٥ | . | . | . | . | . | . | ذكر خروج قارن |
| ١٣٦ | . | . | . | . | . | . | ذكر عدّة حوادث |
| ١٣٧ | . | . | . | . | . | . | ٣٣ ثمّ دخلت سنة ثلاث وثلاثين |
| ١٣٧ | . | . | . | . | . | . | ذكر نسير من سبّ من أهل الكوفة إلى الشام |
| ١٤٤ | . | . | . | . | . | . | ذكر نسير من سبّ من أهل البصرة إلى الشام |
| ١٤٦ | . | . | . | . | . | . | ذكر عدّة حوادث |
| ١٤٧ | . | . | . | . | . | . | ٣٤ ثمّ دخلت سنة أربع وثلاثين |
| ١٤٧ | . | . | . | . | . | . | ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجمرعة |
| ١٥٠ | . | . | . | . | . | . | ذكر ابتداء قتل عثمان |
| ١٥٣ | . | . | . | . | . | . | ذكر عدّة حوادث |

| | | |
|-----|----|--|
| ١٥٤ | ٣٥ | ثم دخلت سنة خمس وثلاثين |
| ١٥٤ | | ذكر مسير من سار إلى حصر عثمان |
| ١٦٧ | | ذكر مقتل عثمان |
| ١٨٠ | | ذكر الموضع الذي دُفن فيه ومن صلى عليه |
| ١٨٠ | | ذكر بعض سيرة عثمان |
| ١٨٤ | | ذكر نسبه وصفته وكنيته |
| ١٨٥ | | ذكر وقت إسلامه وهجرته |
| ١٨٥ | | ذكر أزواجه وأولاده |
| ١٨٦ | | ذكر أسماء عمّاله في هذه السنة |
| | | ذكر الخبر عمّن كان يصلي في مسجد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين |
| ١٨٧ | | حُصر عثمان |
| ١٨٨ | | ذكر ما قيل فيه من الشعر |
| ١٩٠ | | ذكر بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب |
| ١٩٩ | | ذكر عدة حوادث |
| ٢٠١ | ٣٦ | ثم دخلت سنة ست وثلاثين |
| ٢٠١ | | ذكر تفريق علي عمّاله وخلاف معاوية |
| ٢٠٥ | | ذكر ابتداء وقعة الجمل |
| ٢٢١ | | ذكر مسير علي إلى البصرة والوقعة |
| ٢٦٠ | | رواية أخرى في وقعة الجمل |
| ٢٦٤ | | ذكر قصد الخوارج سجستان |
| ٢٦٥ | | ذكر قتل محمد بن أبي حذيفة |
| ٢٦٨ | | ذكر ولاية قيس بن سعد مصر |
| ٢٧٤ | | ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له |
| ٢٧٦ | | ذكر ابتداء وقعة صفين |
| ٢٨٧ | | ذكر عدة حوادث |

| | | | | | | | |
|-----|---|---|---|---|---|---|--|
| ٢٨٩ | . | . | . | . | . | . | ٣٧ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين . |
| ٢٨٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر تمة أمر صفين . |
| ٣١٦ | . | . | . | . | . | . | رفع المصاحف والدعوة إلى الحكومة . |
| ٣٢٦ | . | . | . | . | . | . | ذكر استعمال بنعة بن هبيرة على خراسان . |
| ٣٢٦ | . | . | . | . | . | . | ذكر اعتراض الخوارج علياً ورجوعهم إليه . |
| ٣٢٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر اجتماع الحكمين . |
| ٣٣٤ | . | . | . | . | . | . | ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين وخبر يوم النهر . |
| ٣٤١ | . | . | . | . | . | . | ذكر قتال الخوارج . |
| ٣٤٧ | . | . | . | . | . | . | ذكر مقتل ذي الشدبة . |
| ٣٤٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر رجوع علي إلى الكوفة . |
| ٣٥٠ | . | . | . | . | . | . | ذكر عدة حوادث . |
| ٣٥٢ | . | . | . | . | . | . | ٣٨ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين . |
| ٣٥٢ | . | . | . | . | . | . | ذكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر الصديق . |
| ٣٦٠ | . | . | . | . | . | . | ذكر إرسال معاوية عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة . |
| ٣٦٤ | . | . | . | . | . | . | ذكر خبر الحرث بن راشد وبني ناجية . |
| ٣٧٢ | . | . | . | . | . | . | ذكر أمر الخوارج بعد النهروان . |
| ٣٧٤ | . | . | . | . | . | . | ذكر عدة حوادث . |
| ٣٧٥ | . | . | . | . | . | . | ٣٩ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين . |
| ٣٧٥ | . | . | . | . | . | . | ذكر سرايا أهل الشام إلى بلاد أمير المؤمنين ، عليه السلام . |
| ٣٧٨ | . | . | . | . | . | . | ذكر مسير يزيد بن شجرة إلى مكة . |
| ٣٧٩ | . | . | . | . | . | . | ذكر غارة أهل الشام على أهل الجزيرة . |
| ٣٨٠ | . | . | . | . | . | . | ذكر غارة الحارث بن نمر التنوخي . |
| ٣٨٠ | . | . | . | . | . | . | ذكر أمر ابن العشبة . |
| ٣٨١ | . | . | . | . | . | . | ذكر أمر مسلم بن عقبة بدومة الجندل . |
| ٣٨١ | . | . | . | . | . | . | ذكر ولاية زياد بن أبيه بلاد فارس . |

| | | | | | | | | |
|-----|---|---|---|---|---|---|----|--|
| ٣٨٣ | . | . | . | . | . | . | ٤٠ | ثم دخلت سنة أربعين |
| ٣٨٣ | . | . | . | . | . | . | | ذكر سرية بئر بن أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن |
| ٣٨٦ | . | . | . | . | . | . | | ذكر فراق ابن عباس البصرة |
| ٣٨٧ | . | . | . | . | . | . | | ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، عليه السلام |
| ٣٩٦ | . | . | . | . | . | . | | ذكر مدة خلافته ومقدار عمره |
| ٣٩٦ | . | . | . | . | . | . | | ذكر نسبه وصفته ونسائه وأولاده |
| ٣٩٨ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عماله |
| ٣٩٩ | . | . | . | . | . | . | | ذكر بعض سيرته |
| ٤٠٢ | . | . | . | . | . | . | | ذكر بيعة الحسن بن علي |
| ٤٠٢ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عدة حوادث |
| ٤٠٤ | . | . | . | . | . | . | ٤١ | ثم دخلت سنة إحدى وأربعين |
| ٤٠٤ | . | . | . | . | . | . | | ذكر تسليم الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية |
| ٤٠٨ | . | . | . | . | . | . | | ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد |
| ٤٠٩ | . | . | . | . | . | . | | ذكر خروج الخوارج على معاوية |
| ٤١٠ | . | . | . | . | . | . | | ذكر خروج حنظلة بن وداع |
| ٤١١ | . | . | . | . | . | . | | ذكر خروج فروة بن نوفل ومقتله |
| ٤١١ | . | . | . | . | . | . | | ذكر شبيب بن بجره |
| ٤١٢ | . | . | . | . | . | . | | ذكر معين الخارجي |
| ٤١٢ | . | . | . | . | . | . | | ذكر خروج أبي مرثم |
| ٤١٣ | . | . | . | . | . | . | | ذكر خروج أبي ليلي |
| ٤١٣ | . | . | . | . | . | . | | ذكر استعمال المغيرة بن شعبه على الكوفة |
| ٤١٤ | . | . | . | . | . | . | | ذكر ولاية بئر على البصرة |
| ٤١٦ | . | . | . | . | . | . | | ذكر ولاية ابن عامر البصرة لمعاوية |
| ٤١٧ | . | . | . | . | . | . | | ذكر ولاية قيس بن الهيثم خراسان |
| ٤١٧ | . | . | . | . | . | . | | ذكر خروج ستم بن غالب |
| ٤١٩ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عدة حوادث |

| | | | | | | | | |
|-----|---|---|---|---|---|---|----|---------------------------------------|
| ٤٢٠ | . | . | . | . | . | . | ٤٢ | ثم دخلت سنة الثين وأربعين |
| ٤٢٠ | . | . | . | . | . | . | | ذكر الخبر عن تحرك الخوارج |
| ٤٢٢ | . | . | . | . | . | . | | ذكر قدوم زياد على معاوية |
| ٤٢٤ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عدة حوادث |
| ٤٢٥ | . | . | . | . | . | . | ٤٣ | ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين |
| ٤٢٥ | . | . | . | . | . | . | | ذكر مقتل المُستورد الخارجي |
| ٤٢٦ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عود عبد الرحمن إلى ولاية سجستان |
| ٤٣٧ | . | . | . | . | . | . | | ذكر غزوة السند |
| ٤٣٧ | . | . | . | . | . | . | | ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان |
| ٤٣٩ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عدة حوادث |
| ٤٤٠ | . | . | . | . | . | . | ٤٤ | ثم دخلت سنة أربع وأربعين |
| ٤٤٠ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة |
| ٤٤١ | . | . | . | . | . | . | | ذكر استلحاق معاوية زياداً |
| ٤٤٦ | . | . | . | . | . | . | | ذكر غزو المهلب السند |
| ٤٤٦ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عدة حوادث |
| ٤٤٧ | . | . | . | . | . | . | ٤٥ | ثم دخلت سنة خمس وأربعين |
| ٤٤٧ | . | . | . | . | . | . | | ذكر ولاية زياد بن أبيه البصرة |
| ٤٥١ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عمال زياد |
| ٤٥٢ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عدة حوادث |
| ٤٥٣ | . | . | . | . | . | . | ٤٦ | ثم دخلت سنة ست وأربعين |
| ٤٥٣ | . | . | . | . | . | . | | ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد |
| ٤٥٤ | . | . | . | . | . | . | | ذكر خروج سَهْم والحطيم |
| ٤٥٤ | . | . | . | . | . | . | | ذكر عدة حوادث |

- ٤٥٥ ٤٧ ثم دخلت سنة سبع وأربعين
- ٤٥٥ ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حُدَيْج
- ٤٥٥ ذكر غزوة الغور
- ٤٥٦ ذكر مكيدة للمهلب
- ٤٥٧ ٤٨ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين
- ٤٥٨ ٤٩ ثم دخلت سنة تسع وأربعين
- ٤٥٨ ذكر غزوة القسطنطينية
- ٤٦٠ ذكر عزل مروان عن المدينة وولاية سعيد
- ٤٦٠ ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليه السلام
- ٤٦١ ٥٥ ثم دخلت سنة خمسين
- ٤٦١ ذكر وفاة المغيرة بن شعبه وولاية زياد الكوفة
- ٤٦٣ ذكر خروج قريب
- ٤٦٣ ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة
- ٤٦٥ ذكر ولاية عقبة بن نافع إفريقية وبناء مدينة القيروان
- ٤٦٦ ذكر ولاية مسلمة بن مخلد إفريقية
- ٤٦٧ ذكر هرب الفرزدق من زياد
- ٤٧٠ ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفاري
- ٤٧١ ذكر عدة حوادث
- ٤٧٢ ٥١ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين
- ٤٧٢ ذكر مقتل حُجْر بن عدي وعمرو بن الحمق وأصحابهما
- ٤٨٩ ذكر استعمال الربيع على خراسان
- ٤٨٩ ذكر عدة حوادث

- ٤٩١ ٥٢ ثم دخلت سنة اثنيتين وخمسين
- ٤٩١ ذكر خروج زياد بن خيرايش العجلي
- ٤٩١ ذكر خروج معاذ الطائي
- ٤٩٢ ذكر عدة حوادث
- ٤٩٣ ٥٣ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين
- ٤٩٣ ذكر وفاة زياد
- ٤٩٥ ذكر وفاة الربيع
- ٤٩٦ ذكر عدة حوادث
- ٤٩٧ ٥٤ ثم دخلت سنة أربع وخمسين
- ٤٩٧ ذكر غزوة الروم وفتح جزيرة أرواد
- ٤٩٧ ذكر عزل سعيد عن المدينة واستعمال مروان
- ٤٩٨ ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان
- ٤٩٩ ذكر عدة حوادث
- ٥٠١ ٥٥ ثم دخلت سنة خمس وخمسين
- ٥٠١ ذكر ولاية ابن زياد البصرة
- ٥٠٢ ذكر عدة حوادث
- ٥٠٣ ٥٦ ثم دخلت سنة ست وخمسين
- ٥٠٣ ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد
- ٥١٢ ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان بن عفان
- ٥١٤ ٥٧ ثم دخلت سنة سبع وخمسين
- ٥١٥ ٥٨ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

- ٥١٥ ذكر عزل الضحّاك عن الكوفة واستعمال ابن أمّ الحكم
 ٥١٦ ذكر خروج طوّاف بن غلّاق
 ٥١٧ ذكر قتل عروة بن أدية وغيره من الخوارج
 ٥٢٠ ذكر عدة حوادث
 ٥٢١ ٥٩ ثمّ دخلت سنة تسع وخمسين
 ٥٢١ ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان
 ٥٢٢ ذكر عزل ابن زياد عن البصرة وعوده إليها
 ٥٢٢ ذكر هجاء يزيد بن مفرّغ الحميريّ بني زياد وما كان منه
 ٥٢٥ ذكر عدة حوادث

